

الجيو بوليتيكا

علم هندسة السياسة الخارجية للدول



تأليف د / محمد عبد السلام

الجيوپوليتيكا

علم هندسة السياسة الخارجية للدول

تأليف

د / محمد عبد السلام

إهداء

إلى روح الشهداء

فقد تعلمنا ...

أن دمائهم هي التي ترسم حدود الوطن

بسم الله الرحمن الرحيم

**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض
ولكن الله ذو فضل على العالمين**

الآية (٢٥١) سورة البقرة

رقم الايداع بدار الكتب

٢٠١٩ / ١٣٤٤٦

الترقيم الدولي

٩٧٨ / ٩٧٧ - ٩٠ - ٦٤٤٢ - ٠

المقدمة

تتفق الاستراتيجيات الدولية على اختلافها على أهمية ومحورية العامل الجغرافي - السياسي في تحقيق أهداف الدولة وطموحاتها وتثبيت مكانتها في سلم توزيع القوى الدولية وإظهار الدور الأكثر تميزاً، بل والسعي إلى تحسين تلك المكانة وذلك الدور.

وتنقسم الجغرافيا لقسمين كبيرين: الجغرافيا الطبيعية، والجغرافيا البشرية، والاخيرة من فروعها الهامة الجغرافيا السياسية، والتي يعد علم الجيوبوليتيكا احد أهم موضوعاتها.

وإذا كانت تشكل الجغرافيا السياسية واحدة من الموضوعات الشائكة في الدراسات الجغرافية ذلك أنها تعنى بربط وتحليل تفاعلات بشرية سريعة الإيقاع -الاتجاهات السياسية الداخلية والخارجية والعسكرية- مع العوامل الجغرافية الأرضية شبه الثابتة وتكون الدولة هي وحدة الدراسة في الجغرافيا السياسية وهي في حد ذاتها اصطناع بشري موقوف الثبات نتيجة تغيرات سريعة داخلية أو خارجية.

إذا كانت هذه صعوبة الجغرافيا السياسية؛ فالجيوبوليتيك أكثر صعوبة لأنها تقوم برسم تصورات سياسية مستقبلية على ضوء تفاعلات البشر والجغرافيا. وبرغم قدم الفكر الجيوبوليتيكي فإنه أصبح أكثر تبلورا ووضوحا في القرن الماضي.

تجيب الجغرافيا السياسية عن سؤال: أين نحن الآن ؟ في حين تجيب الجيوبوليتيك عن سؤال المستقبل وكيفية الوصول إليه.

والحقيقية أن الجيوبوليتيك أكثر متعة من الجغرافيا الصماء حيث أنها تتعامل مع الدولة ككائن حي له طموحه وأهدافه التي يسعى إلى

تحقيقها موازنا بينها وبين محيطه الإقليمي والعالمي مستعينا بالجيوبوليتيك من أجل ذلك، وهي بالتالي مفتاح السياسات القومية للدول ولا غنى عنها لأي مخطط استراتيجي أو متخذ قرار أو مهتم بالشأن العام.

الخلاصة إذن أن الجيوبوليتيك لأي مجتمع هي ثقافة سياسية متأثرة بالجغرافيا وهي هندسة لسياسة الدول الخارجية ومفسر لتحركاتها. لذلك لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبوليتيكياً.

وقد تعرض علم الجيوبوليتيك لسمعة سيئة خاصة على يد الالمان، وكذلك الاتحاد السوفيتي الذي كان أكثر النماذج وضوحاً في التطبيق الحرفي لمبادئ الطمع الجغرافي "السمعة السيئة للجيوبوليتيك" لدرجة أن من أكثر النكات شيوعاً في أوروبا في الستينيات من القرن الماضي كانت تلك التي يسأل فيها مدرس تلميذه سؤالاً جغرافياً مباشراً: "من هم جيران الاتحاد السوفيتي؟" وبدلاً من أن يعدد الطالب أسماء الدول المجاورة تأتي إجابته:

"جيران الاتحاد السوفيتي هم من يرغب هذا الاتحاد في أن يصبحوا جيراناً له"؛ في دلالة تهكمية على أن هذه الحدود متغيرة، وتعتمد على مستوى التوسع والضم الذي تمليه الأطماع الجغرافية السوفيتية.

وبعد أن أدان الجغرافي الأمريكي الراحل ريتشارد هرتشهورن الجيوبوليتيكا معتبراً إياها نوعاً من التسميم الفكري، أربكت الجيوبوليتيكا نقادها. ولكنها أصبحت اليوم ميداناً فكرياً مشهوراً ومهماً، بالرغم من الادعاءات المستمرة بأن الجيوبوليتيكا ساعدت على إضفاء الشرعية على سياسات هتلر التوسعية والسيطرة على

الأماكن ومن خلال استخدام رؤى من الجيوبوليتيكا النقدية والتاريخ الثقافي، نحاول إعادة الوضع لعلم الجيوبوليتيكا.

ويأتي هذا الكتاب كأول كتاب مصري عن علم الجيوبوليتيك، وإن سبقته محاولات عديدة لدراسة هذا الفرع ولكنها عبارة عن أجزاء وفصول داخل كتب الجغرافيا السياسية، ولعل هذا الكتاب يكون خير معين للجغرافيين والسياسيين ومخططي الاستراتيجيات، ويوصل لفرع جديد ويضع ملامحه العامة وطرق البحث فيه.

ويتألف الكتاب من أربعة فصول، يتناول الفصل الأول ماهية علم الجيوبوليتيك، الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، أنماط الدراسات الجيوبوليتيكية، النظام الجيوبوليتيكي وعنصر المفاجأة، أسس التحليل الجيوبوليتيكي، الجيوستراتيجية والجيوبوليتيك، وأهمية الجيوبوليتيك.

ويدرس الفصل الثاني نشأة وتطور علم الجيوبوليتيك، ومرحلة أقول هذا العلم، ثم نهضته مرة أخرى، كما يتناول النظام الجيوبوليتيكي العالمي.

أما الفصل الثالث فيعرض مجموعة من أهم النظريات الجيوبوليتيكية مثل: نظرية القوة البرية، نظرية القوة البحرية، نظرية القوة الجوية، ويختتم الفصل بالجيوبوليتيك وعلاقته بالجيو – عولمة.

ويختتم الكتاب بمجموعة من الدراسات التطبيقية لبعض مجالات الدراسة في علم الجيوبوليتيك ومنها، المشكلات الجيوبوليتيكية للموقع الحبيس، ودراسة عن الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الكوميسا بالنسبة لمصر، وكذلك دراسة تحت عنوان هيدروبوليتيكية سد النهضة، وأخيرا دراسة عن جيوبوليتيكية الارهاب في سيناء.

ونحن إذ نقدم للمهتمين بالجغرافية السياسية بصفة عامة وعلماء الجيوبوليتيك والجيواستراتيجية بصفة خاصة هذا الكتاب نستهدف منه التثقيف المنهجي وترويج الثقافة الجغرافية خاصة المرتبطة بالجغرافيا السياسية نظريا وتطبيقا، ونتمنى أن يستفيد منه الجميع كأول لبنة في تأسيس مدرسة لعلم الجيوبوليتيك في مصر، ونرجو من الله الثواب.

وعلى الله قصد السبيل

محمد عبد السلام

الفهارس

أولاً: فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: ماهية علم الجيوبوليتيكا	١٥ - ٨١
أولاً: علم الجيوبوليتيكا (ماهيته وتعريفه)	١٦ - ٤٣
ثانياً: الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك	٤٣ - ٥١
ثالثاً: أنماط الدراسات الجيوبوليتيكية	٥١ - ٥٨
رابعاً: النظام الجيوبوليتيكي وعنصر المفاجأة	٥٩ - ٦٠
خامساً: أسس التحليل الجيوبوليتيكي	٦٠ - ٧٥
سادساً: بعض الوضعيات الجيوبوليتيكية	٧٥ - ٧٦
سابعاً: الجيوستراتيجية والجيوبوليتيك	٧٧ - ٧٩
ثامناً: أهمية الجيوبوليتيك	٧٩ - ٨١
الفصل الثاني: نشأة وتطور علم الجيوبوليتيك	٨٢ - ١٩١
أولاً: نشأة وتطور علم الجيوبوليتيك	٨٣ - ٩١
ثانياً: الفكر الجيوبوليتيكي	٩١ - ١٤٢
ثالثاً: أقول الجيوبوليتيكا	١٤٢ - ١٤٣
رابعاً: نهضة الجيوبوليتيكا	١٤٣ - ١٥٥
خامساً: النظام الجيوبوليتيكي العالمي	١٥٦ - ١٩١

الفصل الثالث: نظريات ومدارس الجيوبوليتيكا ... ١٩٣ - ٢٣٧

- أولاً: الجيوبوليتيك نظام علمي مفتوح ١٩٣ - ١٩٨
- ثانياً: قانون الجيوبوليتيك (صراع البر والبحر) ١٩٨ - ٢٠٧
- ثالثاً: المدارس الفكرية لعلم الجيوبوليتيك ٢٠٧ - ٢١١
- رابعاً: النظريات الجيوبوليتيكية ٢١٢ - ٢٣٣
- ١- نظرية القوى البرية ٢١٢ - ٢٢٣
- ٢- نظرية القوى البحرية ٢٢٣ - ٢٢٩
- ٣- نظرية القوى الجوية ٢٣٠ - ٢٣٣
- خامساً: من الجيوبوليتيك إلى الجيو - عولمة ٢٣٤ - ٢٣٧
- ## **الفصل الرابع: تطبيقات جيوبوليتيكية ٢٣٨ - ٤٣٢**

- أولاً: الموقع الحبيس ومشكلاته الجيوبوليتيكية ٢٣٩ - ٢٦٦
- ثانياً: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الكوميسا بالنسبة لمصر .. ٢٦٧ - ٢٩٧
- ثالثاً: هيدروليتيكية سد النهضة ٢٩٨ - ٣١٢
- رابعاً: جيوبوليتيكية الارهاب في سيناء ٣١٣ - ٣٢٧
- خامساً: العيوب الجيوبوليتيكية لدولة ليبيا وتأثيرها على الثورة ٣٢٨ - ٣٣٨
- سادساً: جيوبوليتيك الامن الوطني ٣٣٩ - ٣٨٣
- سابعاً: جيوبوليتيكية الثورات العربية ٣٨٤ - ٤٠٩
- ثامناً: جيوبوليتيكية نقمة المكان ٤١٠ - ٤٣٢
- ## **المراجع: ٤٣٣ - ٤٤٠**

- أولاً: المراجع باللغة العربية ٤٣٣ - ٤٣٧
- ثانياً: المراجع باللغة غير العربية ٤٣٨ - ٤٤٠

ثانياً: فهرس الجداول:

رقم	الموضوع	الصفحة
١	الفرق بين الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية	٤٨
٢	أنماط الجيوبوليتيكا كما تدرسها الجيوبوليتيكا النقدية	١٥٥
٣	وسائل وأدوات الصراع السياسي	١٧٥
٤	أقرب مسافة بين الدول الحبيسة والبحري في آسيا	٢٤٩
٥	مقاييس جودة البنية التحتية للنقل في الدول الحبيسة ودول الترانزيت في آسيا	٢٥١
٦	مقاييس النزاعات الاهلية والخارجية	٢٥٧
٧	الجوار الجغرافي للحدود السياسية لطاجيكستان	٢٦٠
٨	الانحدار الجيوبوليتيكي بين طاجيكستان ودول الجوار	٢٦٣
٩	الكوميسا وتداخل المناطق الاستراتيجية	٢٧٤
١٠	توزيع الحجم المساحي لدول الكوميسا	٢٧٧
١١	توزيع الحجم السكاني لدول الكوميسا	٢٨٠
١٢	الاهمية النسبية للتجارة الخارجية بين مصر وأهم التكتلات الاقتصادية في أفريقيا عام ٢٠١٦	٢٨٣
١٣	الصادرات والواردات المصرية قبل الانضمام للكوميسا ...	٢٨٤
١٤	توزيع اطوال المسافات بين مصر ودول الكوميسا	٢٨٦

- ٢٨٧ الصادرات والواردات المصرية بعد الانضمام للكوميسا
- ١٦ توزيع قيمة الصادرات والواردات المصرية لدول الكوميسا
خلال عامي ١٩٩٨ و٢٠١٥ م ٢٩٣
- ١٧ موارد المياه العذبة المتجددة ومتوسط نصيب الفرد منها بدول
حوض النيل ٣٠٦
- ١٨ خصائص الجبهة البحرية للعراق مع جدول الجوار ٣٦٧
- ١٩ خصائص موقع العراق مع دول الجوار ٣٧٢
- ٢٠ مساحة المناطق التي يضمها الشرق الاوسط ٣٨٨

ثالثا: فهرس الاشكال:

الصفحة	الموضوع	رقم
٧٦	روح الجيوبوليتيك	١
١٥٧	التوزيع الجيوبوليتيكي لليابس	٢
١٥٨	التوزيع الجغرافي للبحار الكبرى	٣
١٥٩	موقع وشكل الأمريكتين	٤
١٦٠	النسرا الاوراسي	٥
١٦٢	الفص الاوربي	٦
١٦٣	الدول المحيطة بالبحر الاسود	٧
١٦٤	بحر قزوين علامة الاستفهام	٨
١٦٥	الوضع الجيوبوليتيكي لروسيا	٩
١٦٧	الوضع الجيوبوليتيكي للصين	١٠
١٦٨	الوضع الجيوبوليتيكي للهند	١١
١٧٢	أفريقيا المثلث المقلوب	١٢
١٧٣	الجغرافيا الناطقة	١٣
١٩٠	الاسئلة الاستراتيجية للفاعل السياسي " الدولة "	١٤
١٩١	نتائج الصراع الاستراتيجي	١٥
٢١٣	الدولة من وجه نظراتزال	١٦
٢٢٢	نظرية ماكندر - قلب الارض	١٧
٢٢٩	نظرية ماهان - القوى البحرية	١٨
٢٣٣	نظرية القوى الجوية	١٩
٢٤٠	الدول الحبيسة حسب القارات	٢٠
٢٤٧	موقع طاجيكستان بالنسبة للمسطحات المائية	٢١
٢٦٠	موقع الجوار لطاجيكستان وأطوال حدودها	٢٢
٢٦٣	الانحدار الجيوبوليتيكي لطاجيكستان ودول الجوار	٢٣
٢٧٣	موقع دول الكوميسا	٢٤

٢٧٥	الكوميسا وتداخل المناطق الاستراتيجية
٢٧٨	الحجم المساحي لدول الكوميسا
٢٨١	الحجم السكاني لدول الكوميسا
٢٩٤	حجم الصادرات المصرية لدول الكوميسا عامي ١٩٩٨ و ٢٠١٥
٢٩٤	حجم الواردات المصرية لدول الكوميسا عامي ١٩٩٨ و ٢٠١٥
٣٠٠	السدود والقناطر الرئيسة بحوض النيل
٣٠٣	موقع سد النهضة
٣١٩	المحاور الاستراتيجية وخطوط الدفاع في سيناء
٣٢٠	التقسيم الاداري لسيناء
٣٢٦	التوزيع الجغرافي للعمليات الارهابية في مصر عام ٢٠١٦
٣٢٧	الادوات المستخدمة في العمليات الارهابية عام ٢٠١٦
٣٢٧	التوزيع النسبي للعمليات الارهابية حسب مرتكبيها
٣٣٤	الموقع الجغرافي لليبيا
	مستويات الأمن الوطني
٣٥٦	دور الدولة الاقليمية المركزية في حماية الأمن القومي للنظام الاقليمي
٣٥٩	موقع اليابس العراقي بالنسبة لأقرب المسطحات المائية
٣٦٠	موقع العراق متحكما في نفط الخليج العربي وبحر قزوين
٣٦١	خط سكه حديد بغداد - برلين
٣٦١	العراق محور السيطرة على المربع الاستراتيجي
٣٧٨	شكل الدولة العراقية
٤٥	استراتيجية التطويق للقوات العراقية عبر الصحراء الغربية في حرب تحرير الكويت ١٩٩١
٣٨٢	تحرير الكويت ١٩٩١
٤٦	توغل القوات الامريكية نحو قلب العراق عبر الصحراء الغربية في حرب تحرير الكويت ١٩٩١
٣٨٣	٢٠٠٣
٣٨٦	دول الربيع العربي
٤٠٩	مراحل الاستراتيجية الامريكية من عهد الرئيس مونرو الى أوباما

الفصل الأول

ماهية علم الجيوبولتيكا

أولاً: علم الجيوبولتيكا " ماهيته وتعريفه "

ثانياً: الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا

ثالثاً: أنماط الدراسات الجيوبولتيكية

رابعاً: النظام الجيوبولتيكي وعنصر المفاجأة

خامساً: أسس التحليل الجيوبولتيكي

سادساً: بعض الوضعيات الجيوبولتيكية

سابعاً: الجيوستراتيجية والجيوبولتيك

ثامناً: أهمية الجيوبولتيك

أولاً: علم الجيوبولتيكا " الماهية والتعريف "

وقبل التطرق إلى مفهوم علم الجيوبولتيكا لابد علينا أولاً التفريق بين مصطلح الأبيستمولوجيا ومصطلح الإيتيمولوجيا اللذان يساعدانا في دراسة المفهوم، فالأبيستمولوجيا هي: علم العلم أي أخذ شيء علمي و دراسته بطريقة علمية أما الإيتيمولوجيا فتعني البحث في أصل المفهوم.

فمن الناحية الإيتيمولوجية ترتبط كلمة جيوبولتيكا باليونانيين القدامى حيث تشير كلمة Geia إلى آلهة الأرض و Polis إلى دولة المدينة، وعليه Geiapolis عند اليونانيين تعني: "استكشاف للأشكال الأرضية للمجال و الأرض و مراقبتها وتنظيمها بواسطة الجنس البشري".

أما من الناحية الأبيستمولوجية فمصطلح الجيوبولتيكا مكون من شقين Geo و تعني الجغرافيا، و Politic تعني السياسة مما يوحي لنا بوجود علاقة بين الأرض أو الجغرافيا مع السياسة، و منه فالجيوسياسية أو الجيوبولتيك هي علم دراسة تأثير الأرض على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي أي (علاقة تآزر و تأثير)، وهناك من يصفها " بعلم سياسة الأرض" بمعنى العلم الذي يُعنى بدراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة، مما يستحضر في أذهاننا أن هناك فاعل يُمارس علاقة قوة في إطار جغرافي معين.

وقد تعددت التعريفات المقدمة لعلم الجيوبولتيك ولعلَّ سبب هذا الاختلاف والتعدد يعود إلى عاملين أساسيين: أولهما، تعدد الاتجاهات الفكرية، وثانيهما، اختلاف الفترات الزمنية والأحداث الدولية.

حيث عرّفه رودولف كيلين Rudolf Kjellen - والذي يُعد أول من استخدم مصطلح الجيوبولتيك عام ١٩٠٥ في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة" على أنه: "دراسة البيئة الطبيعية للدولة، وأنَّ أهم ما تُعنى به الدولة هو القوة، كما أنَّ حياة الدول تعتمد على التربيّة والثّقافة والاقتصاد، والحكم وقوّة السلطان"، و يُحاول "كيلين" التأكيد على أنّ الغرض الأسمى للعلم هو جعل الجغرافيا في خدمة الدولة أيّ بعبارة أخرى أكثر دقة كيف يمكن لصانّع القرار جعل الموقع الجغرافي كمصدر قوّة للدولة في التعبير عن مواقفها السياسية؟.

أما كارل هاوسهوفر Karle Hawshofer - فقد عرف علم الجيوبولتيك على أنه: "العلم القومي الجديد للدولة، و هي عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيوي بالنسبة لكل العمليات السياسية"، حيث إعتبر هاوسهوفر علم الجيوبولتيك بمثابة العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا السياسية بدل أمور أخرى.

في حين عرّفه بيان ماري كلاوس Piene Marie - Gallois على أنه: "دراسة العلاقات الموجودة بين قيادة القوة على المستوى العالمي والإطار الجغرافي الذي تمارس فيه".

أما إف لاکوست Yves Lacoste - فقد اعتبره: "دراسة لمختلف أشكال صراع السلطة على الأرض، والقدرة تقاس بالموارد التي يحتويها الإقليم وبالقدرة على التخطيط خارج الإقليم".

في حين بارتس شابمن Bert Chapman - عرّفه من منطلق العلم الذي يعكس الواقع الدولي ومجموعة القوى العالمية المنبثقة عن تفاعل الجغرافيا من جهة، والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية من جهة أخرى، وتتسم بالطابع الديناميكي لا الثابت.

انطلاقاً من التعريفات سابقة الذكر يمكننا أن نلاحظ مدى الاختلاف والتعدد حول مدلول علم الجيوبولتيك بين مختلف الاتجاهات العلمية، لكن من جهة أخرى نلمس قدر من الاتفاق بين البعض منهم، ولتبسيط نقاط الاختلاف والاتفاق الموجود سوف نقسم هذه الاتجاهات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: عرّف الجيوبولتيك في إطار المنظور الوضعي الويستفالي حيث نجد كل من رودولف كيلين، كارل هاوسهوفر وبيار كلاوس يُركّزون على الدولة كفاعل وحيد الذي يمتلك القوة المتمثلة في الجغرافيا فقط، فالجيوبولتيك حسبهم كما يقول هارتشول- Hartchol عبارة عن "سّم ذهنيّ" بحيث من يعتنق الجيوبولتيك أو يخطط من منطلق جيوبولتيكي يكون ذو نزعة عدوانية و يجد الحل دائماً في الجغرافيا.

المجموعة الثانية: ركزت في تعريف الجيوبولتيك على منطلقات المنظور ما بعد الوضعي، فتعريف كلّ لاكوست و بارتس شابمن لم يتخذ الدولة كفاعل وحيد بل هناك فواعل أخرى على غرار القوة الصّلبة مؤثرة كالتكنولوجيا، الجنس، النوع...

وعليه انطلاقاً من كل هذه التعاريف يمكننا تقديم تعريفاً عاماً لعلم الجيوبولتيك بأنه: "معرفة علمية تتضمن مجموعة من المفاهيم،

والتي تنطلق من المعطيات الطبيعية والبشرية الصادرة عن الفواعل السياسية، وتهدف للسيطرة على مجال جغرافي معين".

وكثيراً ما نجد مصطلح الجيوبولتيك يتداخل مع مضمون علم الجغرافيا السياسية و التي تُعنى بدراسة تأثير الجغرافيا في السياسة، و عليه فالجغرافيا السياسية تدرس الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدولة أي تدرس كيان الدولة الجغرافي كما هو في الواقع، أما الجيوسياسية فتُعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة حتى لو كان ما وراء الحدود أي ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة مستقبلاً.

وعليه يمكننا القول بأن علم الجيوبولتيك في أبسط معانيه هو العلم الذي يقوِّدنا إلى دراسة كيفية استخدام الجغرافيا كمصدر قوة للتعبير عن المواقف السياسية. وينصب الاهتمام فيه على دراسة تأثير السلوك السياسي في تغيير الأبعاد الجغرافية للدولة.

الخلاصة إذن أن الجيوبولتيك لأي مجتمع هي ثقافة سياسية متأثرة بالجغرافيا وهي هندسة لسياسة الدول الخارجية ومفسر لتحركاتها. وعلاقة الدولة بمحيطها الخارجي وسياساتها الخارجية وتصورها عن ذاتها ومحيطها وتأثيرها وتأثرها بالعالم الخارجي وكيفية صياغة السياسات والنشاطات التي تحقق لها أكبر العوائد وتجنبها المخاطر.

نشر الباحث الامريكي الشهير روبرت كابلان سنة ٢٠١٢م كتابه " انتقام الجغرافيا"، والذي حاجج فيه بأن الامريكيين نسوا أمر الجغرافيا فانتقلت منهم في أفغانستان والعراق. أخيراً، فإن الخاتمة التي تم التوصل إليها في كتاب كلوز دود تقول بأنه: " من الذكاء بمكان أن تكون ذا حجة جيوبولتيكية".

لذلك تعددت الاتجاهات التي تناولت مفهوم الجيوبوليتيكا، والتي يمكن تقسيمها إلى الآتي:

الاتجاه الأول: قرن الجيوبوليتيكا بالسياسة الخارجية، إذ عرفها نيكولاس سبيكمان في عنصرها الحركي بأنها العمل الأساسي لسياسة الدولة الخارجية، لأنه العلم الذي يربط الأرض بالسياسة، لذا ينبغي دراسة موقع أي دولة جغرافيا حتى يصبح بالإمكان معرفة سياستها الخارجية. فالجيوبوليتيكا بحسب سبيكمان مركزة بصورة رئيسة على السلوك الخارجي للدول. فهي الأداة الأكثر أهمية في السياسة الدولية المحددة كمنهج تحليلي ونظام للمعادلات يسمحان معا باستنباط الاستراتيجية الأشد تأثيرا. لذا فهي ترتبط بتخطيط سياسة أمن الدولة في حدود عواملها الجغرافية. فمركز الدولة من الناحية الجيوبوليتيكية بالنسبة إلى سبيكمان يتوقف على ثبوت موقعها الجغرافي وعلاقة ذلك بمراكز الثقل العالمية، وبما أن مراكز الثقل في تغيير مستمر، فإن أهمية الموقع أيضا في تغيير مستمر تبعا لذلك.

وضمن هذا الاتجاه أيضا يعرف جون كيفير الجيوبوليتيكا بأنها تتكون من عدة أشياء ولكنها في الأساس عبارة عن نظرية السلوك الدولي الذي تعد فيه الدولة الأم الحقيقية الأساسية. لذا فهي تكون قاعدة تقوم عليها السياسة الخارجية، وقد تكون السياسة الخارجية بذاتها... أن الجيوبوليتيكا ماهي إلا السياسة الخارجية للدولة من وجهة النظر القومية. كما عرفت بأنها العلم الذي يعنى بدراسة وتحليل الواقع الجغرافي أو الإطار المكاني للدولة وأثره في رسم وتنفيذ سياستها الخارجية وصولا إلى تحقيق أهدافها الاستراتيجية العليا. وعرفها الأيوبي بأنها دراسة الجغرافية السياسية، والبيئة الطبيعية للدولة الخدمة الميول القومية، أي دراسة العلاقة بين العوامل

الجغرافية والأوضاع السياسية، إذ تقوم الجيوبوليتيكا على تطبيق المبادئ الجغرافية من أجل تحليل الساسة العالمية ودراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية في سياسة الدولة الخارجية.

الاتجاه الثاني: عرف الجيوبوليتيكا بدلالة القوة والتطلع نحو المستقبل، فقد أورد السماك تعريفا لها بأنها تلك النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض، أو هي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض، كذلك أنها تدرس العلاقات المكانية المتبادلة بين الأرض والسكان والمهارات التقنية من وجهة نظر الدولة، كما إنها تهتم بالوضع المستقبلي للدولة ورسم ما يجب أن تكون عليه في المستقبل. كما عرفت أيضا بأنها علم ديناميكي يرسم الخطط لما يجب أن تكون عليه الدولة ويعتق فلسفة القوة. كما أورد فيفليد وبيرسي، في كتابهما تعاريف معهد ميونيخ للجيوبوليتيكا التي تتطابق وهذا الاتجاه، إذ عرفت بأنها النظرية التي تبحث في قوة الدولة بالنسبة للأرض... وهي نظرية التطورات السياسية من حيث علاقاتها بالأرض... وهي العلم الذي يبحث في المنظمات السياسية للمجال الأرضي وتكوينها... وهي الأساس العلمي الذي يقوم عليه فن العمل السياسي للدولة في كفاحها المميت من أجل الحصول على مجالها الحيوي.

الاتجاه الثالث: حاول الجمع بين الاتجاهين السابقين من خلال تعريفه للجيوبوليتيكا بأنها العلم الذي يدرس مظاهر الارتباط والتفاعل بين الموقع الجغرافي للدولة، وتأثير هذا الموقع في قوة الدولة، وسياستها الخارجية، وفعالية هذه السياسة وتأثيرها في العالم.

الاتجاه الرابع: فقد عرفها بدلالة العمليات السياسية بشكلها العام، إذ عرفت مجلة الجيوبوليتيكا الألمانية عام ١٩٢٨، بأنها علم علاقة الأرض بالعمليات السياسية، وإن موضوعها يقوم على قاعدة جغرافية عريضة ولاسيما الجغرافية السياسية، لذا تبدأ الجيوبوليتيك باعداد وسائل العمل السياسي ووضع توجيهات الحياة السياسية ككل، وهكذا فإنها تصبح فناً إلا وهو فن قيادة السياسة العملية، إن الجيوبوليتيك هي الضمير الجغرافي للدولة.

الاتجاه الخامس: عرفها بدلالة دراسة المشكلات السياسية ومحاولة وضع الحلول لها، فعرفها هارتشهورن بأنها عبارة عن علم تطبيقي يهتم بدراسة مشكلات سياسية معينة من وجهة نظر دولة ما، لذلك فهي تنقسم إلى عدد من الجيوبوليتيكيات بقدر عدد الدول المستقلة في العالم. فهي عبارة عن تطبيق أساليب الجغرافية السياسية ومعارفها على مشكلات العلاقات الدولية. كما عرفها أوتومول "بأنها تهتم بالدولة لا على أساس أنها مفهوم جامد بل ككائن حي، وأنه يبحث بالدرجة الأولى علاقة الدولة ببيئتها -حيزها ويحاول حل جميع المشكلات الناتجة عن العلاقات المكانية.

الاتجاه السادس: فقد اقربها بدلالة علم السلطة، إذ عرفها دوغين " بأنها وجهة نظر السلطة، وهي علم السلطة ومن أجل السلطة... هي علم الفئات السياسية العليا الفاعلة منها والبديلة. فضلا عن أنها العلم الذي يبحث في العلاقة بين السياسة والرقعة الأرضية بهدف تحويل المعطيات الجغرافية إلى ذخيرة علمية يتزود بها قادة الدول وساستها.

الاتجاه السابع: بأنها أمر يختلف تماما عما ورد ذكره، إذ أقرن الجيوبوليتيكا بالدعاية، فهي على رأي الجغرافي الفرنسي ديانجون

بأنها عبارة عن مسعى وطني الغرض منه الدعاية والتعليم، وإنها دراسات تهدف إلى تبرير الأهداف السياسية لدولة معينة. وكما بين بيير جورج في قاموسه الجغرافي بان الجيوبوليتيكا إحدى الأدوات في الدعايات السياسية للمنظرين زمن الرايخ الثالث. إذ أن تضرب الحتمية المعاصرة في الصلة بين المكان والسياسة يلبس لباس الرومانسية والاستعانة مصطلحات ومفاهيم لا تبعد أن تكون شبه علمية، وهذا ما يجعل من الدراسات الجيوبوليتيكية تنحو منحى تبريري وغير علمي في بعض جوانبها، فتنعت بأنها وسائل لأغراض السياسة والدعاية.

غير إن ما نتفق به بان للجيوبوليتيكا معنيان متكاملان: أولهما الممارسة السياسية لبلد ما كما حدد من خلال سماتها الجغرافية ومواردها البشرية، وثانيهما، العلم الذي يبحث في ذلك. وهكذا فإن النظرية الجيوبوليتيكية تبحث في قوة الدولة وسياستها الخارجية من خلال الأرضية المتواجدة عليها، فهي تنظر إلى التطورات السياسية التي تمر بها الدولة من حيث علاقتها بالأرض، وترى إن الأرض وثيقة الصلة بسياسة الدولة، ويقصد بالأرض هنا الحيز الجغرافي الذي تتواجد فيه الوحدة السياسية. لذلك فإن العلاقة بين الموقع الجغرافي وقوة الدولة وسياستها يطلق عليه اصطلاح الجيوبوليتيكا.

وفي ضوء هذا الرؤى، فإن أحد المنطلقات الأساسية للجيوبوليتيكا هو التوكيد على أن الوضع الجيوبوليتيكي للدولة يفوق في الأهمية الكثير من خصائص البناء السياسي لهذه الدولة، فالسياسة والثقافة والأيدولوجية وطابع النخبة بل والدين نفسه ينظر إليها جميعا في المنظار الجيوبوليتيكي عليانها عوامل مهمة، لكنها ثانوية بالمقارنة مع المبدأ الجيوبوليتيكي الأساس في علاقة الدولة بالمكان. فهو يوضح كيف إن السياسة تجري على مقتضى حتميات جغرافية،

أي كيف إن للعوامل الجغرافية، كالمناخ، والتضاريس، والموقع وغيرها، دورا حتميا في تشكيل سياسة الدول، ومن ثم فإن أية سياسة لا تركز إلى هذا العلم لا يقدر لها البقاء والتطور.

لذلك فإن ما يتوخاه هذا العلم، هو انه أداة تحليلية لتقويم الوزن السياسي والعسكري للدولة بالاعتماد على حقائق الجغرافية السياسية، فهو يحاول إن يتلمس أبعاد السياسة المكانية في عناصر البيئة الطبيعية والبشرية بشكل موضوعي لتحديد وزن نسبي لكل عنصر من تلك العناصر بما يمكنه من تحديد الوزن الجيوبوليتيكي للإقليم المراد دراسته. فهو ينظر إلى المجال الجغرافي بعده مسرحا وهدفا وملعبا للاستراتيجية، وهدفا للاعبين على مسرح السياسة الدولية.

كما غدت الجيوبوليتيكا مفيدة للحرب ولعملياتها العسكرية، فهي توسع أفق العمليات العسكرية في اتجاهين وذلك بإضافتها الاستراتيجية السياسية إلى الاستراتيجية العسكرية، وباعادها المسبق لأقلمة المحارب مع كل وسط طبيعي يتوقع إن يصبح مسرحا للعمليات الحربية.

وعلى هذا، فقد أصر الجيوبوليتيكيون على ضرورة المعرفة المنظمة والمفصلة عن الأرض المعدة للاستعمال من قبل الحكومات والدول. مما أدى إلى إن يقوم التحليل الجيوبوليتيكي على موضوعين أساسيين الأول، وصف الوضع الجغرافي وحقائقه كما تبدو بالارتباط بالقوى السياسية المختلفة. والثاني، وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على القوى السياسية المتفاعلة والمتصارعة.

إلى جانب ذلك، فإن الجيوبوليتيكا لا تدرس المقومات الجغرافية للدولة أو تدرس العلاقة المكانية بين الأرض والدولة كما هي فحسب، وإنما تدرس هذه العلاقة كما يجب أن تكون من وجهة قومية محلية، وتدرس السياسة العالمية كما تمثلها وجهة النظر هذه، وفي سبيل خدمتها، وهي تستخدم التاريخ القومي والعالمي لخدمة هذه الأغراض، وترسم الخطط الاستراتيجية التي تؤدي إلى تحقيقها.

فالجيوبوليتيكا ترى تطور الدولة وتراه مرهونا من حيث طبيعته وإمكاناته ومداه بالعوامل الجغرافية الثابتة وهي الأرض. لذا فإن دراسة الصلة الوثقى بين قوة الدولة والأرض هي من صلب النظريات الجيوبوليتيكية التي تتصدى إلى دراسة وصف الوضع الجغرافي للدولة وأثره في القوى السياسية المتفاعلة. أي إن التحليل الجيوبوليتيكي هو إرشاد مستخلص دروسه من دراسة الإطار المكاني وذلك من أجل تسخيرها في سياسة الدولة واستراتيجياتها.

إذن تنطوي الجيوبوليتيكا على سمات وخصائص علمية في دراسة الواقع وتحليل عناصره لتحديد ملامحه ومعطياته المستقبلية، وبذلك يكون هذا المنهج قادرا على الاستشراف في ضوء الحقائق الجغرافية والعناصر المكانية التي تحكم الدولة وتحدد مستقبل مسار حركتها وماهية أهدافها التي تنشدها.

وعليه فإن ارتباط الإنسان بسياساته بالمكان هو الموضوع الأول الذي تتأسس عليه الجيوبوليتيكا. فهي تحدد دراسة علاقة الإنسان بالجغرافية -طبيعيًا وإنسانيًا- وفي آثارها على العلاقات السياسية بين المجتمعات. لذا فهي لها محتوى سياسي لأنها تساهم في توافر إدراك مدى تكيف مجموعة ما من البشر مع بيئة منطقة معينة للسلطة السياسية، وهي تساعد في تعريف الحدود القومية للدولة.

المفهوم الجيوبوليتيكي المعاصر:-

"وضع سياسة السلامة والأمن للدولة على أساس العوامل الجغرافية"

ينهض هذا المفهوم المعاصر بعلم الجيوبوليتيكا من البحث في القوانين الخاصة بنمو الدولة إلى علم يعمل على تشكيل الأهداف القومية بصورة واقعية، وإذا نظرنا إلى مفردات جملة المفهوم المعاصر نجدها تنقسم إلى ثلاثة أجزاء وهي:-

وضع سياسة السلامة والأمن للدولة
على أساس العوامل الجغرافية.

المفردة الأولى (وضع سياسة) تفرض على علم الجيوبوليتيكا تبني عمل استراتيجيات وسياسات لمعالجة السلامة والأمن في الدولة، هذه الاستراتيجيات تقوم على كم وافر من المعلومات التي تتداخل مع العلوم الجغرافية المختلفة بغرض الوصول إلى المحصلة النهائية حماية للأمن القومي للدولة.

مفهوم السلامة والأمن للدولة، تأتي كلمة (السلامة) متقدمة على كلمة الأمن حيث تعني السلامة القيام بالإجراءات الوقائية بغرض ضمان سلامة الإنسان أو الدولة، وتقع في إطار هذه الإجراءات كثير من الأعمال والمؤسسات والتي تعمل على أسس علمية لضمان سلامة الإنسان أو (الدولة) إذا اعتبرنا الدولة كائن حي مثله مثل الإنسان يتطلب كثيرا من الجهد والعمل لضمان وسلامة نفسه وممتلكاته. اما مفهوم الأمن فيتشعب وتتعدد مصادره ومتطلباته، فيعمل الإنسان جاهدا على تأمين نفسه وممتلكاته مع تأمين حاجته من الغذاء والكساء والمسكن، كل هذا يأتي في إطار حماية النفس مع توفير الطمأنينة،

وتحقيق الرفاهية والمتعة والتي لا تكتمل جوانبها مع الناحية المادية فقط إلا إذا تم التأمين وإشباع النفس من الناحية الروحية أيضا، حماية النفس البشرية (أو الدولة) يكون اعلاها البعد عن الهلاك أو الدمار، ثم النأي والحماية من الأذى الجسيم والبسيط، وتقع في ادناه التهديد والشتم والأذى باللسان والأعين.

يلي حماية النفس (أو الدولة) تأمين حاجتها الضرورية واللازمة للحياة الكريمة من المأكل والمشرب والملبس والتعليم والعلاج لا يستطيع الإنسان أو الدولة توفير حاجته الضرورية إلا إذا توفرت له فرص العمل الشريف ولذلك يصبح العمل الشريف الجاد هو السبيل إلى الأمن والطمأنينة.

والمقصود بكلمة (الدولة) في هذا المصطلح هي الأرض والإنسان الذي يعيش فيها وعليها، وعليه يتلخص معنى هذا المفهوم الجيوبوليتيكي المعاصر في وضع السياسات والاستراتيجيات التي تضمن أمن وحماية الإنسان والأرض الذي تعيش فيها منعا لهلاك الحرث والنسل واستلاب الأرض، مع ضمان تأمين حاجتها الضرورية بدأ بتأمين الغذاء وتوفير المسكن الملانم واكتفاء حاجته من التعليم والصحة.

على ضوء هذا التعريف وانطلاقا من هذا المفهوم الجديد لعلم الجيوبوليتيك يمكن حصر التهديدات الأمنية لكل دولة في الآتي:

مهددات أمنية خارجية (إقليمية - عالمية)
مهددات أمنية داخلية

المهددات الأمنية الخارجية:

نقصد بالمهددات الأمنية الخارجية التهديدات العسكرية الخارجية المباشرة وغير المباشرة التي تستهدف كيان الدولة (الإنسان والأرض) أو جزء منها، وذلك بالتدمير الشامل أو الجزئي أو هلاك الإنسان وإفساد الأرض ومنتجاتها، أو استقطاع جزء من الأرض وإخراجها من دائرة حدود الدولة. كذلك يدخل في هذا المفهوم التهديد غير المباشر عن طرق ووسائل غير عسكرية (دبلوماسية- سياسية - إعلامية) لتحقيق ذات الأهداف المشار إليها، وفي الغالب يكون التهديد العسكري المباشر من دول الجوار أو الإقليم المتاخم وفي حالات قليلة يكون من دول العالم البعيد ذلك لأن أهم مقومات العمل العسكري المباشر الأرض، والأرض لا تكون إلا في دول الجوار أو الإقليم القريب، أما التهديد العسكري غير المباشر والذي يأتي من دول العالم البعيد فقد ظهرت بوارده مع تطور وسائل الحرب وتطور التقنية العسكرية الحديثة مع بداية القرن العشرين وبلغ ذروته مع ازدياد التطور التكنولوجي حيث ظهرت السفن والأساطيل الضخمة القادرة على حمل جيش بأكمله معدات وافراد إضافة إلى ظهور الصواريخ الاستراتيجية بعيدة المدى عابرة القارات والأسلحة الذرية والكيميائية الفتاكة والطائرات المقاتلة الحديثة.

تلك المهددات العسكرية الخارجية تقتضي وتفرض على الدولة بناء قوات مسلحة قادرة على صد العدوان وحماية الأرض والإنسان، وتشمل بناء القوات المسلحة حل كافة المسائل المتعلقة بتجهيز هذه القوات وبكيفية تنظيمها وتسليحها واساليب تدريب وتربية أفرادها وبجهازيتها للتعبة والقتال، ويتأثر هذا البناء بعوامل عديدة أهمها النظام الاجتماعي للدولة، إمكانيات الدولة الاقتصادية، والسياسية التي

تتبعها الدولة والصفات المعنوية والسياسية للسكان. كذلك فإن الوضع الاقتصادي ومساحة الدولة وطبيعتها الجغرافية له تأثيره على بناء القوات المسلحة، إضافة إلى دراسة إمكانات الدور المحتمل واتجاهات تطوير قواته الملحة ضرورة للوصول إلى قرار صحيح في بناء القوات المسلحة.

تلك اهم مقومات ومصادر الحماية والأمن من التهديد الخارجي، تليها الوسائل الدبلوماسية والسياسية، والإعلامية حيث يقتضي هذا الأمر وجود جهاز سياسي ودبلوماسي قادر ذو كفاءة عالية يجلب صداقات الشعوب والأمم، ويقتل أسباب العداء، ويجنب البلاد الدخول في دائرة الصراعات الإقليمية والدولية، كل تلك الأساليب والسياسات تصون البلاد من التهديدات العسكرية المباشرة وغير المباشرة وتضمن سلامة وأمن الدولة.

المهددات الأمنية الداخلية:

إن التخطيط الإقليمي الجاد، والتنمية الاقتصادية والبشرية المتوازنة من أهم عوامل حماية البلاد من المهددات الأمنية الداخلية، حيث تعمل أجهزة التخطيط والمتابعة على حصر وجرد إمكانات الدولية المتمثلة في الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة هادفة من ذلك تحقيق الاستخدام الأمثل لها وصولاً إلى الاكتفاء الذاتي وإيجاد فائض يعمل على زيادة الإنتاج وصولاً إلى مجتمع الرفاهية والعدل.

الإخفاق في تلك المعطيات والقيم يعرض اقتصاد الدولة إلى الانهيار، ومن ثم يظهر العجز في ميزان مدفوعات الدولة والأفراد وبالتالي تتوالى وتتكاثر المشاكل الاقتصادية، بدءاً من انخفاض دخول الأفراد وارتفاع اسعار السلع والخدمات والعملات الأجنبية، وبمرور

الزمن تزداد الأسعار غلاء وتزداد الدخول تدنيا ويزداد الفقراء فقرا، ويزداد الأغنياء غنى. تلك الحالة الاقتصادية المتردية تعمل على انهيار قيم المجتمع وتضعف الوازع الديني والأخلاقي لدى أفراد الدولة حيث يصير الجوع والجهل والمرض والنزوح والتشرد والبطالة سمة من سمات المجتمع ومن هنا تظهر الجريمة والانحراف وتطل برأسها وتغرز أظافرها وانيابها وتقبض على المجتمع بكف من حديد.

في هذه الحالة تعجز كل وسائل مكافحة الجريمة البوليسية وتتطور وسائل الجريمة مع تطور أجهزة الأمن والمكافحة يسود المجتمع في هذه الحالة كل أنواع الجرائم والانحراف بدأ من الاعتداء على الأموال العامة والنهب والسرقة والقتل وانتشار الزنا وبيع الخمور والمخدرات ومرورا بالغش والاحتيال والكذب والخداع، وانتهاء بالحسد والحقد والكراهية وتفتت الأسر، وزوال ذات البين وايضا تعمل هذه العوامل على تفجير المتناقضات الاجتماعية الاقتصادية وتنشأ الحروب القبلية والعرقية والدينية إضافة إلى الصراع بين الطبقات الفقيرة والغنية.

كل تلك العوامل والمهددات تعمل متضافرة مع المهددات الأمنية الخارجية، فتسقط الدولة وتنهار من الداخل، وتصبح لقمة صائغة للغزو الخارجي حيث تزول الدولة وتنتهي.

تلك المهددات الأمنية الداخلية والخارجية تتطلب مجموعة من الدراسات الأكاديمية المختلفة الاجتماعية والإنسانية تكون دراستها في منظومة واحد أمرا ضروريا لكشف ابعاد المشكلة وإيجاد الحلول اللازمة لها ويمكن أن نلخص أهم المهددات الأمنية الخارجية والداخلية في الآتي:-

المهددات الأمنية الخارجية

١- الغزو العسكري الخارجي من دول الجوار وذلك بغرض:-
احتلال الدولة وضمها نهائيا.
احتلال جزء من إقليم الدولة
احتلال جزء من ارض الحدود
حرب الحدود بغرض الاستنزاف وإسقاط النظام الحاكم.

٢- الغزو العسكري الخارجي من دول الأقاليم المجاورة وذلك بغرض:
احتلال الدولة وضمها نهائيا لأحد دول الجوار
احتلال جزء من إقليم الدولة وضمه نهائيا لأحد دول الجوار
احتلال جزء من ارض الحدود وضمها لأحد دول الجوار
إسقاط النظام الحاكم.

٣- الغزو العسكري الخارجي من دول العالم البعيد وذلك بغرض:
إسقاط النظام الحاكم.
احتلال الدولة
تدمير المنشآت الحيوية أو قتل الأشخاص الاستراتيجيين.
السيطرة على الموارد الاقتصادية
تفتيت وتقسيم الدولة.

٤- الغزو الثقافي الخارجي وذلك بغرض:
طمس الهوية الثقافية
التبعية الاقتصادية والاجتماعية
التبعية السياسية

٥- النشاط الدبلوماسي المعادي وذلك بغرض:
الحصار الاقتصادي
الحظر الجوي والبحري

المقاطعة السياسية
المقاطعة الدبلوماسية
اسقاط النظام الحاكم
العزل السياسي
تفتيت وتقسيم الدولة

المهددات الأمنية الداخلية
١- أسباب طبيعية هي :

الجفاف
التصحّر
الأمطار والسيول
الفيضانات
الرياح والعواصف الجليدية
الصقيع
الزلازل والبراكين

٢- أسباب بشرية وهي:
الحروب القبلية والعرقية
الحروب الدينية
النهب المسلح وقطع الطريق
الهجرة
النزوح
اللجوء
الجريمة
المرض
استنزاف الموارد الاقتصادية

٣- أسباب اجتماعية هي:

الجهل

الفقر

الانحراف

التشرد

البطالة

الكذب السياسي

الحقد والحسد والكراهية

الأناية والتكبر

٤- أسباب سياسية هي:

الصراع المسلح حول السلطة

الفصل التعسفي والسياسي للعاملين في الدولة

العلوم الأكاديمية الخاصة بمعالجة المهددات الأمنية الخارجية:

المهددات الأمنية الخارجية لا يتم علاجها وحل إشكالياتها في أي دولة إلا إذا خضعت منظومة من العلوم المختلفة تعمل معا في تفاعل وانسجام وتناسق مكونة في النهاية الاستراتيجية الأمنية الخاصة بالمهددات الخارجية والمواد هي:

علم الجغرافية السياسية.

علم التاريخ.

دراسة لدول الجوار (جغرافيا - اقتصاديا - اجتماعيا - سياسيا -

عسكريا).

الموارد الاقتصادية (طبيعية - بشرية).

السكان (ديموغرافيا - اثنوغرافيا).

علم الاجتماع.

العلوم السياسية وفرعها التالية:

المناطق الاستراتيجية والتعبوية.

الأقسام السياسية

التنظيمات الإدارية.

النظام السياسي.

علاقة الدولة بالتنظيمات الإقليمية والدولية.

الوصف الجغرافي العسكري للأرض (الجغرافية العسكرية).

العلوم الأمنية الخاصة بمعالجة المهددات الأمنية الداخلية:

علم الجغرافية السياسية.

علم التاريخ

علم الاجتماع

دراسة الدول الجوار (جغرافيا - اقتصاديا - اجتماعيا - سياسيا).

الموارد الاقتصادية (طبيعية - بشرية).

السكان (ديموغرافيا - أثنوغرافيا).

الخلاصة: بعد أن تتم الدراسات المتأنية المتعددة الخاصة بالمهددات الأمنية الداخلية والخارجية كل على حدة يعمل علم الجيوبوليتيك على دراسة العلاقات بين هذه العوامل إضافة إلى التحليل والتقييم والمتابعة وذلك بهدف عمل الاستراتيجيات التالية:

استراتيجية مهددات الأمن الداخلي

بعد إجراء الدراسات المختلفة ووضع السياسات الاجتماعية - الاقتصادية والسياسية والسكانية والذي يعتمد عليها علم وضع الاستراتيجية الأمنية الخاصة بالمهددات الداخلية ومن ثم تحدد الأدوات

والمناهج الخاصة بالتنفيذ من حيث الإعداد والتنظيم والتدريب والتسليح والتوزيع وهذه الأدوات تتمثل في قوات الشرطة الموحدة (شرطة - سجون - حرس صيد - جمارك - امن)

استراتيجية مهددات الأمن الخارجي

يعمل علم الجيوبوليتيك بعد دراسة كل العوامل المؤثرة في مهددات أمن الدولة الداخلي والخارجي (اجتماعيا - اقتصاديا - سياسيا - جغرافيا) على عمل استراتيجية لحماية الدولة من التهديدات الخارجية وذلك بالآتي:

الإعداد الكامل للقوات المسلحة لحماية أمن البلاد وذلك بالتنظيم والتدريب والتسليح والتزويد الجيد.

السياسة الخارجية المدروسة: وذلك لتجنب البلاد خطر العزلة الإقليمية والعالمية وخطر استهداف النظام العالمي الجديد (الاستعمار الحديث) والمتدثر بثوب الرحمة وحماية الحريات وحقوق الإنسان.

إن يعتبر علم الجيوبوليتيك من العلوم الحديثة المعاصرة التي تعالج مفهوم الأمن القومي في إطار شمولي كامل، تتعدد فيه المداخل والمحاور، تشمل علم الاجتماع والجغرافيا والسياسة والتاريخ والدراسات الدبلوماسية والعسكرية والأمنية وعليه نستطيع أن نقول إن علم الجيوبوليتيك يخرج مفهوم الأمن القومي من الإطار الضيق المنحصر في المعالجات البوليسية ووسائل الأمن القمعية إلى رحاب العلم والبحث والاعتماد على الأبحاث الأكاديمية الدقيقة في مختلف مجالات الحياة المختلفة.

أيضا يعمل علم الجيوبوليتيك على معالجة الحدث ليس في إطاره الجغرافي المحدود فحسب بل يتجاوزه بإجراء عملية التقييم والمتابعة

والوصول إلى النتائج العلمية من خلال منهج بحث جيوبولوتيكي شامل يغطي كافة العوامل والمتغيرات، ثم تحليله على ضوء علاقته الطبيعية المرتبطة بدائرة الجوار الجغرافي والإقليمي المتصلة بدائرة العلاقات الدولية.

وبذلك يعتبر علم الجيوبوليتيك من العلوم الحديثة الهامة حيث يعبر عن طبيعة العصر الحالي من حيث تكامل وتداخل العلوم الإنسانية المختلفة، الواقع المعيش يستمد جذوره من تركيبة معقدة من العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والعسكرية، ولاشك أن اقتران هذه التشكيلة بعلم الجيوبوليتيك جعل منه منهجا علميا معاصرا يعمل على حل معظم الإشكاليات بصورة شمولية وخصوصا بعد أن أصبحت العالمية تفرض نفسها على عالم اليوم وتلعب دورا كبيرا في حياة الشعوب والأفراد، وأصبحت انعكاسات الأحداث المحلية والإقليمية تتعدى بعدها الجغرافي المحلي لتظهر أثارها في كثير من أرجاء المعمورة.

كذلك يمكن تعريف علم الجيوبوليتيكا بأنه العلم الذي يبحث في قوانين ونمو الدولة وتكيف سياستها الخارجية وفقا لظروفها الجغرافية.

وقد ظل هذا العلم في تطور مستمر حتى صار يسهم في عملية تشكيل أهداف الدولة القومية بصورة واقعية مستندا على دراسة جميع مكونات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية والعسكرية، وفي منتصف القرن العشرين أصبح الاهتمام عظيمًا بهذا العلم وخصوصا في مراكز البحث العلمي للدول الكبرى حتى صار يعني " المحافظة على سلامة وأمن الدولة ".

الجيوبوليتيك الحضارية " الدينية":

يعد جون كارتلند رايت (جغرافي أمريكي، اشتهر بدراسته لعلم الخرائط والجوسوفيا geosophy، وتاريخ الفكر الجغرافي) من الأوائل الذين سعوا إلى استكشاف دور الدين أو القيم الثقافية الحضارية وانصهارها في المفاهيم الجغرافية والدينية. ففي كتاباته العلمية التي عنوانها بـ " جوسوفيا" geosophy.

ادخل مصطلح "الجيوپتيا" geopiety، التي عرفها باعتبارها الاعتقاد أو التأليه لقوى ما وراء الطبيعة ويشير المصطلح إلى البعد المتعلق بتدين الانسان، وارتباطه العاطفي بمجاله الارضي الخاص بحسب "جيراتجان ديجنيك" فإن كتابات رايت جاءت كدراسة لكتابات علماء دين متقدمين اثاروا ودرسوا الحقائق الجيولوجية لطوفان نواشيان Noachian Delige في الطبيعة، ورأوا بأن البيئة الخصبة أو الامنة هي المفضلة بالنسبة للأجناس التي حباها الله يستمر هذا الاعتقاد حتى اليوم، فعقب الزلزال الذي ضرب إيطاليا في ٣٠ اكتوبر ٢٠١٦ ارتفعت اصوات من داخل الكنيسة تفسر ذلك بعقاب سلطه الله على المجتمع نظير الفساد الأخلاقي الذي وقعوا فيه (زواج المثليين، على سبيل المثال).

ولقد كان ل اي-فيو تيان، نفس اهتمام رايت، إذ عرفها على انها العلاقات المعقدة بين الانسان والطبيعة، حيث جيو geo تمثل الارض، الكوكب، المساحة، الارض، البلد. والامة و بيتي piety تمثل التبجيل او التفضيل وارتباط عائلة ما بالوطن و هناك الله الذي يحميهم. حاول توسيع تحليله ليشمل الثقافات الأخرى، الاعتقادات الصوفية mystic belief في إطار صراع القوى المشكلة للمكان (عبقرية المواضع)

genius loi أو في ربط الحدود المرتبطة بالجبال أو الوديان بالآلهة. وبحسبه تفتضي الجيوبوتيا القيام بأفعال وسلوكات تتجاوز الصلاة والطقوس التعبدية والتضحية بالنفس إلى مجالات حماية البيئة أو التشييد والإنجاز في أماكن معينة.

وميز أناطوني سميث Anthony Smith بين أربع مظاهر للبعد المقدس Sacred Dimention:

المظهر الأول الانتخابات الاثنية أو فكرة الاصطفائية. يرى سميث انها متضمنة في الاساطير، مع ذلك فهو يقر بحضوة الافكار والقيم العلمانية الموجود مثلا في الثورة الفرنسية.

المظهر الثاني؛ يتمثل في الأرض المقدسة. ففي الأرض المقدسة هناك ذكريات مهمة تجد مكانها فيه. إنها مهد الأمة أو المكان حيث حصلت اهم الاحداث والاثار التي تم زيارتها.

المظهر الثالث الذي اشار اليه سميث يتعلق بالبعد الاثني-تاريخي وهذا البعد ظهر ليعرف بالأساس مع الاعتداد بالعصور الذهبية"، الفترات التي تضمنت فضائل أو حقائق الأمة.

المظهر الرابع؛ يتعلق بفكرة بذل النفس والنفيس من اجل الامة فهي قيم تمجد ويحتفى بها وتصنع لها تماثيل.

وبحسب سميث هناك عاملان لهما صلة بالجيبولتكيا يتعلق الأمر بـ: الانتخابات التي تتحكم فيها الابعاد الاثنية، والأراضي المقدسة. والانتخابات الاثنية يفترض أن العلاقات فيها تكون غير متكافئة بين الفاعلين الامر الذي يؤدي إلى حالة نزاع. ولعامل الأراضي المقدسة

نفس القدرة على إثارة النزاعات لكن هذا لا يعني بأن مصطلح "المقدس" أو "الدين" هو في الغالب عامل هدم أو تدمير.

عناصر الجيوبوليتيكا الحضارية الدينية

للحديث عن الجيوبوليتيكا الدينية يجدر مناقشة ثلاث مسائل أساسية حسب ما يراه Gertjan Dijkik. أولاد موضوع فكرة الاقليم المقدس أو الأرض المقدسة. وثانيا: الوصفات أو الفتاوي الدينية ذات الصلة بالسياسات الدولية التي نجد فيها الحرب المقدسة أكثر انتشارا. هذه المسائل من شأنها ان تؤسس لعناصر الجيوبوليتيكا الدينية وتساهم في تثبيت النزعة الحضارية في الاستقطاب الدولي الراهن داخليا وخارجيا.

الأرض المقدسة كسمة مشتركة للأديان الثلاثة

يشكل مبدأ الخيرية، واحتكار الحق أو الحقيقة بالنسبة لأتباع الديانات السماوية أهم مرتكز عندهم لإضفاء القدسية على الحيز الجغرافي والمسمى بـ "الأرض المقدسة" فهي بذلك السمة المشتركة بالنسبة للأديان الثلاثة وان كانت بنسب متفاوتة؛ فاليهود يعتقدون بأنهم شعب الله المختار. وهبهم الله الأرض المقدسة (فلسطين) بموجب وعد قطعه على نفسه لأنبياء بنو اسرائيل بان يهب لهم ارض عاصمتها القدس وتمتد من نهر مصر إلى النهر الكبير (نهر الفرات). وهو ما كان لهم عبر وعد بلفور الذين تمكنوا من خلاله سنة ١٩٤٧ من انشاء دولة اسرائيل.

الأمر نفسه ينسحب على المسيحية. فقد عملت الكنيسة على اضفاء الصيغة المقدسة على الاماكن وعلى القوانين والشرائع. ففي مرحلة دول المدن الايطالية وضعت الكنيسة استراتيجية خاصة بها

وشعائر تقرر بالطابع المقدس لأثار الوجود الإنساني. على سبيل المثال، في بداية العصور الوسطى اضفى الملك بيبيان (٧٥١-٧٦٨) pepin القداسة على حكمه، وحصل على إشادة ومدح المؤرخين ادعوا بأنه مجتبي بفضل الله من بين افضل جنود ثقاء. وتمكنت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بموجب اتفاقية عقدتها مع الحكومة الايطالية في ١٩٢٩ من تأسيس دولة الفاتيكان على ارضها.

كما تتفق معظم مدارس الفكر الإسلامي التقليدي وبعض الاتجاهات الحديثة على الاخذ بتقسيم الأرض إلى دار إسلام ودار حرب، انطلاقاً من فكرة الولاء والبراء الى جانب التقسيم العقدي لأفراد الوطن الواحد منهم أهل الذمة في تحديد الحقوق والواجبات. ولقد بدأ البحث في الأبعاد الجغرافية للاجتماع السياسي للمسلمين في وقت مبكر، فأول تحديد تقريبي للمعني بدار الإسلام يعود إلى الإمام أبي حنيفة، ولعل تقسيم الدار هو أحد مقدمات الدخول في أفق الحروب الدينية في المنطقة. ومعظم الفقهاء المحدثين والمعاصرين يتفقون، في إقرار هذا التقسيم القديم.

فوهبة الزحيلي يعتبر أن ما يميز الدار هو: "وجود السلطة، وسريان الأحكام، فإذا كانت إسلامية، كانت الدار دار إسلام، وإذا كانت غير إسلامية، كانت الدار، دار حرب"، فكرة تظل قائمة حيث نجدها في مطالب الحركات الارهابية (القاعدة وداعش) التي تسعى إلى إقامة الخلافة واستعمار الأرض كواجب ومنة من الله وتفجيرات البرجين في واشنطن الذي اعتبره تنظيم القاعدة بمثابة غزوة من الغزوات المقدسة.

الحرب المقدسة

الحرب المقدسة من الاركان التي ظل الفكر الديني يستند اليها، سواء تعلق الأمر بالفرد او الجماعة او الدولة والحكومة. ولقد مكن توظيف الدين من قبل الأمراء والملوك والقيصرة والخلفاء الوصول للسلطة والاستمرار فيها بل والتوسع من اجل الهيمنة.

لقد تعرض لاري نيروز Lary Nyroos لمصطلح الجيوبولتيكا الدينية من خلال دراسته للحركتين الاصوليتين في الشرق الاوسط: حماس وشاس الإسرائيلية، فبحسبه فإن كل من الحركتين تدعيان بأن الأرض المقدسة المتنازع عليها منة من الله أو هي حقا دينيا، فبالنسبة لحركة شاس ووفقا لعقيدتها فان الأرض اليهودية تمتد إلى نهر الفرات. وبحسبه فان كلا الحركتين تعتقدان بان واجبهما الديني يحتم عليهما عدم التفريط في الارض. إن وجهات النظر الجيوبولتيكية هذه والمنطوية على العنف لا تتوافق مع نظام "واستفليا" الدولي الذي يقر بوجود نزاعات حدودية لكن لا يعترف بإداعات معينة او خاصة على نفس المنطقة من أجل إنشاء أو تشكيل نوع من الثيوقراطية.

ويبرز توظيف الدين خلال فترة القرون الوسطى حيث الحروب الصليبية والجهاد والفتوحات حيث كانت الحرب والتوسع واجب ديني و توجد بعض التشابهات بين الصراع في العصور الوسطى من اجل الهيمنة الذي كان قائما بين الكنيسة والدولة. هذا الصراع الذي أدى إلى الحملات الصليبية وهو ما ينسحب على الحركات الاسلامية التي تتجاهل النظام السياسي الاقليمي إلى منظور أكثر نزعة نحو القطبية ومقاومة الفاعلين الجيوبولتيكيين مثل الولايات المتحدة (الشيطان الاكبر). يمكن الاشارة الى الاصطفا المذهبي داخل ما يسمى بالعالم الاسلامي بخصوص تأمين الاماكن المقدسة اثناء الحج حيث أقدمت

ايران على الدفع بحجاجها الى زيارة الأماكن المقدسة في العراق بدل السعودية، واصطفاف معظم الحكومات السنينة وراء السعودية جراء اتهامها لأنصار الله الحوثيين، باستهداف الاماكن المقدسة بمكة بصواريخ باليستية.

الصراعات الثقافية الدينية وتأکید مقولة صراع الحضارات

كتب صموئيل هنتجتون يقول في هذا العالم الجديد لن تكون الصراعات المهمة والملحة والخطيرة بين الطبقات الاجتماعية أو بين الغني والفقير أو بين جماعات أخرى محددة اقتصاديا، وانما الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة. سوف تحدث الحروب القبلية والصراعات العرقية داخل الحضارات، مما يحدث داخل دول العالم الاسلامي من اصطفاف بين السنة والشيعة، على سبيل المثال وقوف الدول السنينة ماعدا تحفظ العراق مع السعودية في ادانة ما ادعته هجوم صاروخي على الاماكن المقدسة في مكة.

وفي هذه المرحلة يقول هنتجتون تراجع الدوافع التي سادت في فترة الحرب الباردة امام المبررات الحضارية، سواء في الاسلام أو في المسيحية. فنجد قادة البلقان يتحدثون عن بلورة تحالف يوناني صربي بلغاري ارثوذكسي. وزعم رئيس وزراء اليونان أن "حرب البلقان" أبرزت إلى السطح أصداء الروابط الأرثوذكسية... لقد كانت روابط كامنة، ولكن مع التطورات في البلقان أصبحت تأخذ شكلا محددا. في عالم مائع تماما، الناس يبحثون عن الهوية والأمان وعن جذور وصلات لحماية أنفسهم من المجهول.

فتركيا منذ وصول حزب العدالة والتنمية وافصاحها عن
ايدولوجيتها الاسلامية تعمل على إعادة تأكيد دورها كرائدة للسنة في
مواجهة إيران الشيعية لاسيما مع بروز ما يسمى بـ "ثورات الربيع
العربي" ترغب في بعث مما يسمى بالعثمانية الجديدة. فالنزاع في
سوريا أصبح إلى حد كبير مكانا للصراع في إطار المنظومة الاسلامية
بين المذهبين السني والشيوعي (تركيا مع دول الخليج تساند حركات
مسلحة سنية في مواجهة إيران المساندة لحكومات العراق وسوريا
ولأنصار الله في اليمن الشيعية او المحسوبة على الشيعة). كما تحاول
تركيا مع بعض الدول والحكومات العربية على تأكيد دورها كحامية
للبلقان من خلال دعم مسلمي البوسنة. ولقد ساندت روسيا الاتحادية
الصرب الأرثوذكس في يوغسلافيا (سابقا)، في حين ساعدت المانيا
كرواتيا الكاثوليكية عموما لقد تمت بلقنة منطقة البلقان مرة أخرى على
امتداد الخطوط الدينية يقول صموئيل هنتجتون وكما لاحظ (ميشا
جليني): فأسان تظهران، واحدة ترتدي لباس الأرثوذكسية الشرقية،
والثانية محجبة في الثوب الاسلامي، وهناك احتمال لصراع أعظم من
أجل النفوذ بين محور بلجرادا أثينا والتحالف الالباني التركية.

ثانيا: الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا

تشكل الجغرافيا السياسية واحدة من الموضوعات الشائكة في
الدراسات الجغرافية ذلك أنها تعنى بربط وتحليل تفاعلات بشرية
سريعة الإيقاع -الاتجاهات السياسية الداخلية والخارجية والعسكرية-
مع العوامل الجغرافية الأرضية شبه الثابتة وتكون الدولة هي وحدة
الدراسة في الجغرافيا السياسية وهي في حد ذاتها اصطناع بشري
موقوت الثبات نتيجة تغيرات سريعة داخلية أو خارجية.

إذا كانت هذه صعوبة الجغرافيا السياسية؛ فالجيوبوليتيك أكثر صعوبة لأنها تقوم برسم تصورات سياسية مستقبلية على ضوء تفاعلات البشر والجغرافيا. وبرغم قدم الفكر الجيوبوليتيكي فإنه أصبح أكثر تبلورا ووضوحا في القرن الماضي.

تجيب الجغرافيا السياسية عن سؤال: أين نحن الآن؟ في حين تجيب الجيوبوليتيك عن سؤال المستقبل وكيفية الوصول إليه. والحقيقية أن الجيوبوليتيك أكثر متعة من الجغرافيا الصماء حيث أنها تتعامل مع الدولة ككائن حي له طموحه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها موازنا بينها وبين محيطه الإقليمي والعالمي مستعينا بالجيوبوليتيك من أجل ذلك، وهي بالتالي مفتاح السياسات القومية للدول ولا غنى عنها لأي مخطط استراتيجي أو متخذ قرار أو مهتم بالشأن العام.

ولفهم الجيوبوليتيك أكثر لابد من معرفة الفرق بينها وبين الجغرافية السياسية و معرفة معايير التفرقة بينهما وهذا ما سنحاول معالجته في الفقرات الموالية.

في الوقت الذي كان فيه راتزل وسبنسر يتحدثان عن الجغرافيا السياسية كان بعض الجغرافيين الألمان يتحدثون عن علم السياسات الأرضية أو ما اصطلح على تسميته بالجيوبوليتيك.

وقد بدا أنه إذا كانت الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستاتيكية فإن الجيوبوليتيك تعدها كائناً عضواً في حركة متطورة.

في هذه الأثناء كانت ألمانيا تعيش بعد الهزيمة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى، في انتكاسة قومية بسبب ما اقتطع منها من

أراض كإجراءات عقابية لها من قبل المنتصرين، وتقسيم مستعمراتها بين إنجلترا وفرنسا، كما فرض عليها حصار عسكري ومالي.

وفيما بين الحربين كرّس الجغرافيون والسياسيون الألمان جهودهم للخروج بوطنهم من محنته، وخرجت لأول مرة دورية علمية تحمل عنوان "المجلة الجيوبولتيكية" وضمت هجيناً من الفكر الجغرافي والتاريخي والسياسي والقومي والاستعماري.

وقد صيغ هذا الفكر في قوالب علمية رفعت شعار: "لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبولتيكياً"

وقد جاء هذا الشعار ليبرر الكم الهائل من المعلومات الجغرافية "المغلوطة" التي قدمت للشعب الألماني عن دول شرق أوروبا والاتحاد السوفيتي.

كما تم توظيف نتائج بحث الجغرافيا التاريخية والآثار لتقديم معلومات عن أحقية ألمانيا في أراض وبلدان تبعد عنها مئات الأميال شرق أوروبا. وبالرغم مما قد نظنه من مهام علمية بريئة للجمعيات الجغرافية فإن دورها في خدمة التوسع الألماني كان جلياً واضحاً. وتحت رعاية الجمعية الجغرافية الألمانية أنشئت في ميونخ عام ١٩٢٤ المدرسة الجيوبولتيكية التي رأسها الجغرافي السياسي كارل هوسهوفر. وبجهود هذه المدرسة وبالأعداد المتواترة للدورية الجيوبولتيكية جهّز الجغرافيون والسياسيون الفكر الألماني بعضوية الدولة وضرورة زحزحة حدودها لتشمل أراضي تتناسب مع متطلباتها الجغرافية وتحقق ضم الأراضي التي يقطنها الجنس الآري. وقد جاء ذلك في ظل تنامي أفكار القومية الشيفونية الممزوجة بأغراض التوسع العسكري للحزب النازي.

وقد تلقف هتلر أفكار هوسهوفر وزملائه، كما استعان بأفكار الجغرافي الإنجليزي الشهير ماكندر (الذي كانت مقالاته تترجم إلى الدورية الجيوبولتيكية)، خاصة تلك الأفكار التي صاغ من خلالها نظريته عن "قلب الأرض"، والتي تقول فحواها: إن من يسيطر على شرق أوروبا يسيطر على العالم. وتنبأ فيها بانتقال السيطرة على العالم من القوى البحرية (إنجلترا وفرنسا) إلى القوى البرية (ألمانيا والاتحاد السوفيتي).

وجاءت أفكار هتلر بدءاً من كتاب "حياتي"، ومرورا بخطبه الحماسية، لتكرس مفهوم المجال الحيوي لألمانيا، أي مساحتها الجغرافية اللانقة بها وبالجنس الآري، ولتمثل أبرز مقومات القومية الاشتراكية (النازية) التي تبناها.

وهكذا زاد التداخل في المفاهيم وصار الفصل صعباً بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك والإمبريالية.

وصعدت الجيوبولتيك إلى مصاف العلوم الكبرى خلال الحرب العالمية الثانية، حتى كتبت هزيمة ألمانيا نهاية لهذه المكانة. وصار مفهوم الجيوبولتيك بعد الحرب العالمية الثانية قرين التوظيف السيئ للجغرافيا السياسية، وهو ما أضر بتطوير الجيوبولتيك والجغرافيا السياسية معاً.

ووصل الأمر في بعض الدول إلى منع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك في جامعاتها؛ باعتبارهما علمين مشبوهين يسعيان إلى زرع العداء ويكرسان الأطماع القومية.

وهناك معايير التفرقة بين الجغرافية السياسية و الجيوبولتيك:

- ١- تدرس الجغرافيا السياسية الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدولة، بينما الجيوبولتيك تعنى بالبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو حتى ولو كان وراء الحدود.
- ٢- تشغل الجغرافيا السياسية نفسها بالواقع بينما تركز الجيوبولتيك أهدافها للمستقبل. من زحزحة الحدود إلى تزييف الخرائط.
- ٣- تنظر الجغرافيا السياسية إلى الدولة كوحدة إستراتيجية، بينما تعدها الجيوبولتيك كائناً عضواً في حركة متطورة.
- ٤- الجيوبولتيك تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة، بينما ترى الجغرافيا السياسية أنها صورة للدولة.

جدول (١) الفرق بين الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية

الجغرافيا السياسية	الجيوبوليتيك
تدرس كيان الدولة كما هو في الواقع	ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة
رسم صورة الدولة في الماضي والحاضر	ترسم حالة الدولة في المستقبل
أميل إلى أن تكون ثابتة	متطورة متحركة Dynamic
مرآة الدولة تعكس صورتها	تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة
علم حكيم وحذر وتقوم دراسته على أساس موضوعي	تدرس العلاقة بين الأرض والدولة، كما تدرس السياسة العالمية من وجهة نظر محلية قومية ضيقة ومعرضة
تدرس مقومات القوة دراسة متجردة غير متأثرة بدوافع قوية معينة	تعتنق فلسفة القوة وترسم الخطط السياسية التي تحقق سياسة السيطرة
متصلة بعلم الجغرافيا	متصلة منذ نشأتها بالعلوم العسكرية وبالتوسع الإمبريالي أكثر من اتصالها بمعطيات الأمن الداخلي للدولة ولذلك تجد مجالها في العلوم العسكرية والإستراتيجية
ساهم فيها علم الجغرافيا	ساهمت فيها مدارس ألمانية وسويدية وفرنسية وإنجليزية وبولندية وانحسرت مع انحسار المد الاستعماري

إن الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك من خلال الدراسة الموضوعية لهذين العلمين توضح أن هنالك فروقاً جوهرية بينهما كالآتي :

أ- أن الجغرافيا السياسية علماً ساكناً (static) في حين تؤكد ديناميكية علم الجيوبولتيك.

ب- تدرس الجغرافيا السياسية الدولة وتُعنى بتحليل بينتها تحليلاً موضوعياً، بينما يدرس الجيوبولتيك الوضع الطبيعي للدولة من ناحية مطالبها في مجال السياسة الإقليمية والدولية .

ج- الجغرافية السياسية تدرس الحقائق المادية والجغرافية الملموسة، فالخرائط في الجغرافية تستخدم لإيضاح الحقائق العلمية فقط، ولكن الجيوبولتيك ترسم خرائط متجانسة وملينة بالأخطاء العلمية مجردة للحرب لخدمة أغراض الدولة العسكرية بمبدأ الحدود الجغرافية من صنع البشر ويمكن تعديلها بواسطة البشر .

د- الجغرافية السياسية تبحث الدولة من وجهة نظر المساحة (المجال)، أما الجيوبولتيك فهي تنظر للمساحة (المجال) من وجهة نظر الدولة.

هـ - ترسم الجيوبولتيك صورة ما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما الجغرافية السياسية تدرس الكيان القائم للدولة كما هو موجود فعلاً .

و- تختلف الجغرافية السياسية عن السياسة الجغرافية علي الرغم أن كل منهما يدرس الوحدة السياسية في ضوء البيئة الطبيعية. فالأولي تأخذ في عين الاعتبار الوحدة السياسية وتُعنى بتحليل بينتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية تحليلاً موضوعياً محايداً لتستكشف أثر ذلك

على الأحداث السياسية والسلوك السياسي للدولة. أما السياسة الجغرافية تقوم بنفس الدراسة ولكن من وجهة نظرها الخاصة بالدولة ومطالبها في مجال السياسة الخارجية وهي دراسة غير محايدة ومنحازة للنزعة القومية.

وعليه نجد أن علم الجيوبوليتكس Geopolitics يدعو إلى عدم الاكتفاء بتحليل القوة، وضرورة تجاوز ذلك إلى العمل على تعزيز القوة وتدعيمها، وذلك بتحويل نتائج التحليل التي تصل إليها الجغرافيا السياسية إلى مادة يستفيد ويسترشد بها القادة السياسيون، في عملية صنع القرار السياسي، وهذا القرار السياسي له صبغة جغرافية Politico - Geographic - decision لأنه يتخذ لأجل إصلاح العيوب القائمة في المكان الذي تشغله الدولة، حتى لو أدى ذلك إلى التوسع واستخدام القوة، فالدولة في نظر الجيوبوليتكس كائن حي، لا بد أن ينمو عن طريق التوسع وضم الأراضي، وإذا لم ينم يصبح عرضة للانقراض والهلاك، أي أن توسع الدولة من وجهة نظر الجيوبوليتكس هو حق تفرضه القوانين الطبيعية التي تحكم كل شيء حي. والجيوبوليتكس، على هذا النحو، تجعل من الغاية تبريرا للوسيلة، وتحاول أن تجد مبررات لسلوك الدولة، حتى لو كان هذا السلوك يتعارض مع قواعد ومبادئ القانون الدولي، فكأنها بذلك تقوم بدور "الضمير الجغرافي للدولة"، الذي يذكر القادة بما يجب أن يفعلوه لتدعيم قوة دولتهم، أي بما ينبغي أن تكون عليه دولتهم.

وعلى ذلك، فإذا كانت الجغرافيا السياسية تدرس الدولة، بغرض تحليل القوة Power Analysis فإن الجيوبوليتكس تدرس الدولة بغرض تعزيز القوة Power confirmation فالجيوبوليتكس هي المسنولة عن رعاية المصالح والمطالب المكانية أو الجغرافية للدولة،

بما يزيد من قوتها، لأن البقاء على الخريطة السياسية للدولة الأقوى والأعظم.

ثالثاً: أنماط الدراسات الجيوبولتيكية:

يحدد اوتوتل أربعة أنماط في الدراسات الجيوبولتيكية هي:

١- الجيوبولتيكس المنهجي (Geopolitics Formal) إشارة الى الفكر الجيوبولتيكي التقليدي، وهي مؤسسة فكرية واسعة للجيوبولتيكس.

٢- الجيوبولتيكس العملي (Practical Geopolitics) ويرتبط هذا النمط بالسياسات الجغرافية ذات العلاقة بالممارسات اليومية للسياسة الخارجية للدول التي تشكل الهيكلية العامة لتصورات السياسة الخارجية وفق تطور الأحداث قبل صياغة قرار الولايات المتحدة للتدخل في البلقان.

٣- الجيوبولتيكي الشعبي (Geopolitics Popular) هو ذلك النمط من الجيوبولتيكس الذي تعالجه او تثيره الصحافة ووسائل الاعلام الأخرى، التي بدورها تمثل الثقافة الشعبية بهذا العلم. بمعنى أنه الفهم الجمعي او القومي أو الأممي للأمكنة والشعوب والإحداث العابرة للحدود الجغرافية او السياسية.

٤- الجيوبولتيكي التركيبي (Structural Geopolitics) يهتم هذا النمط بدراسة العمليات والنزاعات التي تحدد كيف يجب ان تمارس كل الدول سياساتها الخارجية. وهذه العمليات والنزاعات تشمل اليوم، العولمة، المعلوماتية و مخاطر انتشارها المطلق العنان، بفعل نجاح الثورة العلمية – التكنولوجية و ثقافتها حول العالم.

وهناك عدد من المبادئ الجيوبوليتيكية، وتعرف المبادئ الجيوبوليتيكية **Geopolitical Codes**، بأنها مجموعة الفرضيات الاستراتيجية التي تضعها حكومة ما فيما يتعلق بالدول الأخرى في صياغتها لسياستها الخارجية، وهذه المبادئ قريبة الصلة بما يطلق عليه خطط التصور، إذ تتضمن هذه المبادئ الاستراتيجية الإجرائية تقييم المناطق الجغرافية الواقعة وراء حدود الدولة، ومن زاوية أهميتها الاستراتيجية وإمكان إن تصبح يوما ما مصدر تهديد لأمنها، كما لا تقتصر المبادئ الجيوبوليتيكية على الأمور التي تخص الدولة وحدها، وإنما تشمل أيضا تقييما للدول المجاورة وهي بحكم التعريف تصورات للعالم منحاذاة إلى حد كبير، ومع ذلك علينا إن نفهمها بوصفها وحدات البناء الأساسية للنظم الجيوبوليتيكية العالمية. وهي تعمل على ثلاث مستويات: المحلي والإقليمي والعالمي، إذ يتطلب المستوى المحلي من الدولة إن قوم أوضاع الدول المجاورة لها، وهذا ما تتبعه كل دول العالم أيا كان حجمها. أما قواعد المستوى الإقليمي فهي مطلوبة للدول التي تتطلع إلى مد نفوذها على حساب جيرانه المباشرين، وهذا ما تضعه حكومات القوى الإقليمية القائمة والمحتملة في الحسبان، وأخيرا فإن عددا قليلا من الدول لها سياسات استراتيجية عالمية، ومن ثم تعمل حكوماتها وفق مبادئ جيوبوليتيكية تتساق مع المنظومة العالمية، وعليه فإن كل الدول لديها مبادئ جيوبوليتيكية محلية، وكثير من الدول لديها مبادئ إقليمية، غير إن قليل من الدول لديها مبادئ جيوبوليتيكية عالية (بيتر تيلور، كولن فانت، ص ١٦٥).

وفي ضوء ما تقدم، فإنها مبادئ إجرائية تتألف من مجموعة فروض سياسية - جغرافية تنطلق منها الدولة في وضع فروضها

الاستراتيجية التي ستتبعها في سياستها الخارجية، وتتضمن هذه القواعد بالضرورة تحديد لمصالح الدولة وفرصها، ولمصادر التهديد وعواقبها، التي قد تتعرض لها هذه المصالح، والرد المخطط له لمواجهة هذه التهديدات إن وقعت، والمبررات التي تساق للأقدام على هذا الرد. وتتنوع هذه المبادئ، والقواعد بتنوع الدول على الخريطة العالمية.

ووفقا لذلك، فإن هذه المبادئ الجيوبوليتيكية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتخطيط الاستراتيجي لسلوك الدولة وبناء استراتيجيتها العليا، فهو أحد أعمدها الرئيسية، فما هو التخطيط الاستراتيجي؟

إن التخطيط اصطلاح حديث لمجموعة فعاليات مارسها البشر منذ قديم الزمان، فالإنسان يفكر في مستقبله كلما شعر ضرورة بان يحتاط لغده، وان يتجنب ما لا يرغب كلما استطاع إلى ذلك سبيلا، فلا يمكن تحقيق المصالح والأهداف الاستراتيجية إلا بوضع الخطط المناسبة وتهئية البرامج اللازمة التي من خلالها يمكن تنفيذ الخطط وتحقيق الأغراض الأساسية المبتغاة منه. فلا توجد هناك خطط بدون مصالح، وبالمقابل لا توجد مصالح بدون خطط. فبانعدام المصالح والأهداف ليس هناك حاجة إلى التخطيط، لان التخطيط عملية مرتبطة ارتباطا لا ينفصل بالمصالح والحاجات والمطالب التي تفرض التفكير بها وخلق الوسائل التي من خلالها يمكن تحقيقها وتنفيذها، فتحدد الأهداف والمصالح من التخطيط هي جزء أساسي من عملية التخطيط.

لذلك يعرف التخطيط بأنه عمل ذهني يعتمد على التفكير العميق والرؤية الصانبة التي يستخدمها المخطط في رؤية حاضره ومواجهة مستقبله. وهذا ما يتفق والتخطيط الاستراتيجي الذي يعرف بأنه

العملية التي يتم من خلالها صياغة تصور للمستقبل، واختيار الوسائل والعمليات اللازمة لتحقيق هذا المستقبل.

وفي ضوء هذا يعرف ميسرة التخطيط السياسي الخارجي بأنه توقع الأحداث الدولية والأحداث الداخلية ذات الأهمية الدولية، بهدف تعديل السياسة الخارجية بشكل محسوب ليحقق أهداف الدولة. اما بلومفيلدا فانه يعرف ذلك بأنه تحديد المصالح والأهداف الوطنية. ويذكر "جورج مرجان إن تخطيط السياسة الخارجية هو تلك العملية التي تبدأ من الهدف المستقبلي وتعمل لاتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذه، بعكس صنع السياسة الخارجية الذي يبدأ من السياسات الراهنة متجها نحو هدف مستقبلي.

ولهذا يعتمد التخطيط الاستراتيجي على ثلاث عناصر اساسية: أولها الهدف المطلوب الوصول إليه. ثانيها، حصر الإمكانيات والموارد الموجودة. وأخرها وضع البدائل والخيارات الممكنة لتحقيق الوصول للأهداف. ولتفعيل هذه العناصر لا بد من استخدام منهجيات التخطيط الاستراتيجي التي تعتمد على تقويم الوضع الحالي وكيف حدث، ومن ثم تحديد المصالح والأهداف، واخيرا رسم الطريق لتحديد هذه المصالح والأهداف. وهنا يكون الالتقاء بين التخطيط الاستراتيجي للأهداف والمصالح، والإدراك الاستراتيجي بهذه الأهداف والمصالح.

ولإنجاح التخطيط الاستراتيجي على مستوى المبادئ الجيوبوليتيكية، يجب توافر العنصر الحيوي في ذلك التخطيط، وهو المفهوم الاستراتيجي ويقصد به التقرير المركب الذي يجمع بين الهدف القومي والوضع التقديري الذي حدده الإدراك الاستراتيجي، والمبادئ التكتيكية التي تصبح قاعدة العمل بالنسبة للحكومة في تحمل مسؤولياتها الدولية، فالغرض من التخطيط الاستراتيجي هو الوصول

إلى مفهوم عملي للمبادئ الجيوبوليتيكية، إذ تحل الأمور العادية في هذه المبادئ كأمر تكتيكي أكثر منه أمر على مستوى التحليل الاستراتيجي الكبير.

ولذلك فإن ارتباط المبادئ الجيوبوليتيكية بالتخطيط تكون من خلال المراحل التي تمر بها العملية التخطيطية والتي يجب تتبعها لبلورة مبادئ جيوبوليتيكية فعالة وهي كالآتي:

• المرحلة الأولى: التعرف على الفرصة أو المشكلة موضع التخطيط، ويتطلب ذلك تحليل وتقويم الموقف -الحافز-، وتحديد نقاط القوة والضعف فيها بحيث يتبين ما يمكن إن نحصل عليه وما يمكن التضحية به. وهنا يكون الدور للإدراك.

• المرحلة الثانية: وضع الأهداف وتشخيص المصالح، وهي تعكس الأهداف التي تسعى إليها الوحدة الدولية، كما تتبين المراحل التي يجب التركيز عليها وما يجب إن تتضمنه من استراتيجيات وقواعد وإجراءات وبرامج، وكلما تزايدت درجة الوضوح والواقعية في الأهداف من خلال الإدراك الاستراتيجي كانت الأهداف المشتقة أكثر وضوحاً وأسهل تحديداً وقابلية للتنفيذ.

• المرحلة الثالثة: وضع المقدمات الافتراضية، والتي تعتمد على المعلومات والظروف التي يواجهها صانع القرار، وعلى السياسات الرئيسية التي يمكن تطبيقها وعلى إمكانيات الخطط المستخدمة، والمقدمات هي افتراضات أولية عن البيئة التي ستعمل فيها المبادئ الجيوبوليتيكية في المستقبل، وهي من الأمور الضرورية للتنبؤ المشروط.

- المرحلة الرابعة: إجراءات الاستشراف، وذلك للتعرف على النتائج المتوقع إن تحدث في المستقبل، وفي هذا الصدد يتعرف المخطط على ما يتوقعه من مشكلات أو فرص حتى يضمن خطته ما يعالج تلك المشكلات وما يمنع وقوع العقبات في مهدها، أو يستغل تلك الفرص ويستثمرها.
- المرحلة الخامسة: جمع وتحليل البيانات والمعلومات، وهي من الأمور الجوهرية في عملية التخطيط، ومن الضروري تحديد طبيعة المعلومات المطلوبة ومصادرها وكيفية جمعها، ثم تحليلها وتفسيرها.
- المرحلة السادسة: تعيين الأولويات، وذلك بتعين أي النقاط أحق بالبداية والتي تليها وهكذا، فضرورة الوقوف على الأولويات والتدرج فيها للوصول إلى النتائج المتوقعة.
- المرحلة السابعة: البحث عن المجالات البديلة، فمن النادر إن نجد خطة لا تحتوي على مجالات بديلة للعمل، ومن المهم فحص المجالات البديلة للوقوف على نواحي القوة والضعف فيها.
- المرحلة الثامنة: تقويم مجالات العمل البديلة، فليست كل البدائل لها نفس مستوى الجاذبية وإنما تختلف كل منها في مزاياها وعيوبها.
- المرحلة التاسعة، اختيار العناصر الأكثر ملائمة، أي اختيار أي الوسائل أكثرها فاعلية في تحقيق الأهداف من غيرها.
- المرحلة التاسعة: اختيار العناصر الأكثر ملائمة، أي اختيار أي الوسائل أكثرها فاعلية في تحقيق الأهداف من غيرها.
- المرحلة العاشرة: وجود الخطط الفرعية اللازمة، لان الخطة المختارة لا بد من مساندها بخطط تكميلية فرعية لإنجاحها.

• المرحلة الحادية عشر: التخطيط الزمني والمكاني، أي وضع برامج زمنية لتنفيذ الخطط بحيث توضح الاستراتيجيات التي ستنفذ، ومكان التنفيذ، ووقت البدء وهكذا، بمعنى التقدير الجيد للزمان والمكان في وضع المبادئ الجيوبوليتيكية، حتى تكون القراءة صحيحة للمستقبل، وللظروف المحيطة.

• المرحلة الثانية عشر: المتابعة، متابعة تنفيذ المبادئ الجيوبوليتيكية للتعرف على العقبات التي تقف في طريقها، وليتسنى إجراء ما يكون ضروري من تعديلات فيها أثناء التنفيذ حتى يستقيم مسارها.

وبذلك فإن المبادئ الجيوبوليتيكية وفي ضوء التخطيط القائم على خطط التصور، فإنها إجراءات صعبة، لا بد إن تكون مدروسة للوصول إلى الأهداف المتوخاة منها، لأنطوائها على عناصر إدارة الموقف سواء كان يشكل تهديدا أو فرصة أمام الدولة، وتحديد البدائل واختيار أفضلها واستشراف النتائج، وتنتهي باتخاذ الإجراء الجيوبوليتيكي الأكثر تناسبا مع خطط التصور التي وضعت في تقويمها للمناطق الجغرافية العالمية.

وعلى أساس ذلك، فكلما زاد وعي صناع القرار وإدراكهم وفهمهم لعملية التخطيط الاستراتيجي كلما كانت استجاباتهم ايجابية وفعالة في عملية التخطيط الاستراتيجي لوضع وصياغة المبادئ الجيوبوليتيكية المطلوبة، ونجاح تنفيذها عندما توضع موضع التنفيذ.

فالمبادئ الجيوبوليتيكية، ومن خلال التخطيط الاستراتيجي هي عملية متواصلة ونظامية يقوم بها صناع القرار في الدولة بوضع الإجراءات والقواعد الجيوبوليتيكية المتعلقة بحاضر ومستقبل الدولة وتطوراتها، والعمل على تحديد خطط التصور والفرضيات

الاستراتيجية المطلوبة لتحقيق الأهداف والمصالح، والكيفية التي يتم فيها قياس مستوى النجاح في تحقيقها.

وفي ضوء هذا، فإن ممارسة التأثير الإيجابي في البيئة الدولية ينطوي على جانبين أساسيين، أولهما، الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها. وثانيها، التخطيط العقلاني لكيفية ترجمة هذه الأهداف إلى واقع ملموس (مازن اسماعيل، ١٩٨٨، ص ٩٤). لهذا فإن التخطيط على مستوى المبادئ الجيوبوليتيكية وبالشكل الدائم، والبعيد عن العشوائية والاعتباطية يعطي القوة والنفوذ، وكذلك يعبي الأمن، ويعمل على تحقيق المصالح القومية. لذلك فإن التخطيط في سياق المبادئ الجيوبوليتيكية هو انتخاب أهداف معينة قصداً، وتحقيقها بصورة منظمة فعلاً. مما يجعله يشترك مع الإدراك الاستراتيجي في سعيهما الرامي إلى تطويع المستقبل من خلال الاستعداد المسبق له تحقيقاً لهدف محدد عبر وسائل معينة، ليكون التخطيط وسيلة لانجاز غاية وليس غاية بحد ذاته.

لذلك فإن التخطيط القائم على الإدراك الاستراتيجي الواعي للظروف الزمنية والمكانية، هو أساس المبادئ الجيوبوليتيكية، فكل دولة ينبغي أن تضع فرضياتها الاستراتيجية المحددة لسياستها الخارجية بعد تقدير وسطا الطبيعي كشرط ضروري لمعرفة مركز قوتها. فافتراضات المبادئ الجيوبوليتيكية تندرج في تقديرات وتخطيط الدولة عندما ترسم علاقاتها الدولية، وتصوغ استراتيجيتها الشاملة.

رابعاً: النظام الجيوبولتيكي وعنصر المفاجأة:

بالنظر للتباين الحاصل في وجهات النظر التفسيرية للأحداث، من وجهة النظر الجيوبولتيكيين فقد أصبح هناك لكل نظام جيوبولتيكي قواعده الجيوبولتيكية التي تحدد مسارات التفسيرات والاستنتاجات، وهذه القواعد، كما يقول تايلور، تمثل مبادئ إجرائية تتألف من مجموعة من الفروض الجغرافية السياسية التي تنطلق منها الدولة في صياغة سياستها الخارجية وبناء علاقاتها الدولية. وهذه القواعد تتضمن:

١- تحديد مصالح الدولة.

٢- تحديد مصادر التهديد التي تتعرض لها هذه المصالح.

٣- الرد المخطط لمواجهة هذه التهديدات، ان وقعت.

٤- المبررات التي تقدم اتخاذ مثل هذا الرد.

مع ذلك هناك فترات تحدث فيها انقلابات، او تغيرات مفاجئة، ضمن الترتيب الجيوبولتيكي الإقليمي ذو العلاقة بالوضع الجيوبولتيكي العام، يطلق عليها (فترات الانتقال الجيوبولتيكية) او النقلة السريعة في تغير الحدث، مثل سقوط الاتحاد السوفيتي ١٩٩٠، إنهاء النظام الشاهنشاهي الإيراني عام ١٩٧٩، اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران في آذار ١٩٧٥، ضرب تنظيم القاعدة لبرجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠١، وأخيراً أحداث الربيع العربي. فكل هذه المتغيرات او الأحداث الجيوبولتيكية حدثت وفق (عنصر المفاجئة) الذي لم يكن بوسع أي من الخبراء، ذوي النظرة الجيوبولتيكية النافذة، التنبؤ بحدوثها أو إمكانية حدوثها بهذا الشكل، الخارج عن مؤثرات العوامل الجغرافية، حتى وقعت بالفعل، وخلقت أوضاعاً جيوبولتيكية

محلية ودولية مغايرة جديدة، بل ونظاماً جيوبولتيكياً جديداً في علاقات الدول وتكتلاتها بشكل يختلف بالكامل عما كان سائداً من نظم زمن سيادة النظريات الجيوبولتيكية التقليدية، بل قد تخلق مشكلات جديدة لابد من معالجة عواقبها، كما هو حادث في ثورات الربيع العربي، او الأصح، زمن الصحوة الجماهيرية في بعض البلدان العربية.

خامساً: أسس التحليل الجيوبولتيكي :

في عام ١٩٥٧ قال الجغرافي هانس ووكرت: (الجغرافية السياسية لهذا اليوم، ستصبح الجغرافية التاريخية ليوم غد)، وقبله قال السير هالفورد ماكندر: (ان لكل قرن منظوره الجيوبولتيكي الخاص).

ولما كان علم الجيوبولتيكس يتطور، في تحليلاته، ويتوالف مع سمات العصر وتقلباته وتغيراته، ويرفض الفرضيات الجامدة، أو الثابتة، في التحليل الجيوبولتيكي، فان الفرضيات التي قد تصلح في زمن معين قد لا تصلح للتحليل في زمن آخر، فعلى سبيل المثال أفرزت لنا الجيوبولتيكس الكلاسيكية جملة من المصطلحات الخاصة بهذا العلم لفترة الحرب الباردة (١٩٤٥ - ١٩٩٠) مثل: القوة البحرية، والقوة القارية، ودول بحرية، ودول قارية، وقلب الأرض، ومنطقة الأطراف، والشرق والغرب، والحرب بالنيابة والتي لم يعد بالإمكان استخدامها الآن في التحليلات الجيوبولتيكية لأنها لا تتوافق ومتطلبات التحليل المعاصر بسبب جملة من التغيرات الجذرية التي حصلت في السياسة الدولية واقطابها وأقاليمها الجيوبولتيكية، وذلك لسببين:

١- ان سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ اسقط معه كل الفرضيات الجيوبولتيكية القديمة وحولها الى جغرافية تاريخية.

٢- بفعل التكنولوجيا وثورة المعلومات أصبحت الجغرافية لوحدها لا تضمن الأمن، كما أن الأمن لا يتأتى من القوة العسكرية لوحدها.

هناك الآن في الأوساط الأكاديمية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، و دول أخرى ثورة حقيقية لبلورة فرضيات جديدة لما اخذ يعرف بالجيوبوليتكس النقدي الأكثر صلاحية للتحليل الجيوبوليتيكي المعاصر.

بدأ الاهتمام بالتحليل الجيوبوليتيكي كتخصص معرفي دقيق فرض نفسه تدريجياً على الساحة الأكاديمية منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وعرف تطور كبير في تحليل الأوضاع الدولية سواءً من الناحية النظرية أو التطبيقية بتأثيره في صياغة التوجهات الاستراتيجية الكبرى للدول.

حيث يقوم التحليل الجيوبوليتيكي على ثلاثة أسس مهمة و هي :

١- اختيار الدولة كمرجع أساسي للدراسة وإطار للمقاربة الجيوبوليتيكية باعتبارها البناء الأساسي والشكل الحديث للتجمعات الإنسانية ومصدر القوة، وبالتالي فالدولة هي قلب التحليل الجيوبوليتيكي.

٢- يقوم على وصف الوضع الجغرافي وحقائقه كما يبدو وارتباطاً بالقوى السياسية المختلفة.

٣- يقوم على وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على مختلف القوى السياسية المتفاعلة والمتصارعة.

التحليل الجيوبولتيكي للحدث السياسي

الجيوبولتيكس فرع من فروع الجغرافية السياسية، لكن منهج هذا الفرع، في التحليل والاستنتاج، يختلف عن أصله لكونه يناقش ويحلل ويستنبط الأحداث السياسية والعسكرية وتغيراتها وما يرتبط بهما مستقبلا، من وجهة نظر علاقتها بأقاليمها الجغرافية، الطبيعية والبشرية والاقتصادية وبمدى تأثيرها مجتمعة في خلق الظاهرة السياسية والاستراتيجية، وربط ذلك كله بالأهمية الجيوستراتيجية للإقليم وبالقوى ذات المصلحة التي تقف خلف، أو تحرك، أو تؤثر بذلك الحدث وإقليمه من الداخل أو الخارج. وكل حدث، سواء أكان داخل دولة، أو إقليم، أو قارة قد تحركه في الأساس ظروفه الداخلية الموضوعية، وهذا في الديالكتيك يدعي (جوهر الحدث)، و يأتي بعد هذا الجوهر، دور العوامل الثانوية المساعدة، أو المؤججة، أو المعقدة، أو المعرقة التطور ونجاح ذلك الحدث، أو بالعكس، والتي تعرف ديالكتيكيا (بعامل الحدث) (ماوتسي تونغ، ١٩٦٨، ص ٤٥٧) وهذان العاملان لا يمكن، من وجهة النظر الجيوبولتيكية، ان يعملما لم يرتبطا بالبيئة (بيئة الحدث) التي يتحركان ضمنهما، سواء أكانت البيئة محلية، أو إقليمية، أو كوكبية، لأن الأحداث اصبحت اكثر ارتباطا ببعضها في عالم اليوم، عالم التكنولوجيا والمعلوماتية واختصار المسافات. فعندما تستحضر هذه الأمور كلها لدراسة الظاهرة او الحدث يصبح الموضوع، موضوعا جيوبولتيكيا، تحليليا بامتياز.

وقد ساد هذا المفهوم في التحليل الجيوبولتيكي منذ أن ظهر المصطلح عام ١٨٩٩ و ضل كذلك لعقود من الزمن. وطبقت مفاهيمه بشكل واضح في الحرب العالمية الثانية من قبل المانيا ثم تجددت تطبيقات مفاهيمه اثناء الحرب الباردة (١٩٤٥-١٩٩٠) من القرن

الماضي ولا تزال هذه الأسس التحليلية للأحداث السياسية قائمة، إذ يصعب تجاهل المتغيرات الجغرافية في

حسابات القوة والضعف، أو الهزيمة والنجاح في الصراعات المصيرية بين القوى المختلفة على المسرح الجغرافي لهذا العالم المضطرب. فالجغرافية، كما يقول بريتون: تشكل على الدوام عامل قوة أو ضعف للدولة (Henry, 1986, P.25)، مع ذلك فإن هذا العلم لم يبق ككلاسيكيا في الطرح والتحليل، بل إن أساليبه وتقنيات التحليلية انتابها الكثير من التغيير بفعل الثورة التكنولوجية ومؤثراتها الباهرة في كل المجالات، بما في ذلك المجالات الثقافية، والإعلامية، والسياسية، والاجتماعية والتي ساهمت في خلق ظاهرة جديدة في صنع الأحداث السياسية وبروز عنصر المفاجأة في تلك الأحداث التي يشهدها عالمنا اليوم، وهي التغيرات الدراماتيكية التي يصبح المستحيل فيها ممكنا، ومفاجئا، مثل معظم ثورات الربيع العربي، لتخلق بدورها، بعد نجاحها أو فشلها، فترات انتقال جيوبوليتيكية قد تطول أو تقصر. فالتكنولوجيا اليوم تمتلك إمكانية تغيير حالة القوة سواء على نطاق الدولة الواحدة، أو في كامل القارات. من هنا تأتي معارضة المدرسة الجيوبوليتيكية الجديدة والتي تعرف بالجيوبوليتيكية النقدية (Critical Geopolitics) تلاسس الجغرافية التقليدية في التحليل والاستنتاج الجيوبوليتيكي الكلاسيكي، الذي ضل يفسر الأحداث العالمية أو الكوكبية على ضوء ما يشبه نظرية الحتم الجغرافي أولا، ولاعتقادها بان للتكنولوجيا المعاصرة اليوم دور هام ومؤثر في قلب موازين قوى الأحداث السياسية الداخلية للدول، وبخاصة تكنولوجيا الإعلام والاتصالات والانترنت التي اقتحمت البيوت من غير استئذان من الرقيب أو من السلطات الدكتاتورية الحاكمة، ولا يمكن إيعاز

اسباب كل تلك التحولات، حتى المفاجئة منها، الى العوامل الجغرافية البحتة لوحدها فالجيوبوليتكس، كمنهج وأسلوب تحليلي، كما يقول سول برنارد كوهن، هو وليد عصره، او زمانه وهو يتطور تبعا لذلك، فجيوبوليتكس اليوم سيصبح تاريخا في يوم غد، وعليه فان كل حدث تاريخي يشكل وصفا جيوبولتيكيا لزمانه (Saou Bernard, 2009, .P.11).

في الواقع، ليست ثورة المعلومات والتكنولوجيا المرافقة لها، هي العامل الحاسم في خلق المفاجأة السياسية، رغم كونها عاملا مساندا، باعتبارها وسيلة ثانوية او طارئة والتي اسمها (ماو تسي تونك) في حينها بالتبدلات الطارئة على المجتمع، فأطروحات مسار الديالكتيكية تدعو الى دراسة تطور الشيء (الحدث) من باطنه (داخله) من حيث علاقته او صلته بالأشياء الأخرى التي تحيط به، ويتبادل معها التأثير. فالباعث الأساسي في تطور الأشياء (الأحداث) يكمن في باطنها لا في خارجها، أي في تناقضها الداخلي، لان الباطن يشكل جوهر الحدث، أما العلة او التأثير المتبادل بين شيء واخر، فهي علة ثانوية، بمعنى أنها تشكل عاملا مساعدا لذلك الحدث الذي قد تؤثر فيه او تحفزها.

عادت الحياة للتحليلات الجيوبولتيكية في السبعينات من القرن الماضي، بعد أن شهدت ركودا خطيرا بعد الحرب العالمية الثانية، لعدة عقود من الزمن. ومع إن العديد من المصادر تعرف هذا النهج في التحليلات السياسية المعاصرة وتنحه خصائص محددة في الأسلوب التحليلي والاستنتاجي، لكن الجيوبولتيكس، هو الأخر، شهد العديد من المنهجية في التحليل الأحداث والتطورات العالمية منذ أن ظهر هذا المصطلح عام ١٨٩٩، لكنه يبقى، مع ذلك، الأسلوب الأكثر واقعية،

ومصادقية، وجاذبية في التحليلات السياسية لمشكلات العلاقات الدولية وتطوراتها، وتكتلاتها، واقليمها، ومصادر قوتها.

يعتمد التحليل الجيوبولتيكي، للمشكلات العالمية والإقليمية والمحلية، على أرضية جغرافية بالدرجة الأساس، وليس المطلق، وارتباطاتها وانعكاساتها على الحدث السياسي المراد تحليله، وكما يقول سبايكن (ان طبيعة المشكلة التي تؤخذ بنظر الاعتبار هي التي تحدد، ليس فقط طبيعة التحليل الجغرافي، بل كذلك حجم المنطقة التي يجب تحليلها). وتبعاً لذلك فإن كل من لا يمتلك القدرة الجغرافية في التحليل، لا يمكن أن يكون محللاً جيوبولتيكياً ناجحاً، مهما أوتي من مقدرة على التنبؤ السياسي لان جوهر الجيوبولتيكس يكمن في دراسة العلاقة القائمة بين سياسة القوة والمقومات الجغرافية الضامنة لبناء تلك القوة وبالتالي مكانة الدولة ووزنها فوق المسرح الجغرافي العالمي، لذا فالعوامل أو المتغيرات الجغرافية، قديماً وحديثاً، كانت تمثل المسرح الذي يوجه الأحداث، ويؤثر فيها، ويحدد مصائرنا، وهذه المتغيرات تشتمل على اختبار البيئة الطبيعية، والسكانية، والموارد الطبيعية، وطرق المواصلات المختلفة، والمستوى الثقافي والتقني، والخزين من موارد الثروة الطبيعية الكامنة ودرجة استثمارها.

وللتدليل على الدور الفعال للمتغيرات الجغرافية في صنع، أو التأثير، في الحدث الجيوبولتيكي، نورد على سبيل المثال اراء بعض المشاهير في الجيوبولتيكس:

فقدما قال نابليون بوناپرت: "إن سياسة الدولة تكمن في جغرافيتها". وقال فردريك راتزل أن (الجيوبولتيكس هو الجغرافية المسخرة لخدمة سياسة الدولة . وأكد كارل هاوسهوفر، أن

(الجيوبولتيكس سيكون، بل يجب أن يكون الضمير الجغرافي للدولة".
واشار سول كوهن: "ان جوهر الجيوبولتيكس يكمن في دراسة العلاقة
القائمة بين سياسة القوة الدولية والخصائص الجغرافية المنسجمة
معها، وبخاصة تلك التي يمكن أن تتطور بموجبها تلك القوة" (Soul
(Cohen, 1963, P.20). وعموما يركز المنهج التحليلي في
الجيوبولتيكس على منطق القوة في العلاقات الدولية، سواء كانت تلك
القوة صلبة تم مرنة، ومن مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية
والعسكرية والتكنولوجية وحتى الحضارية، سواء أكانت القضية او
المشكلة المبحوثة، تقع ضمن نطاق محلي، أو إقليمي أو دولي.
و(المشكلة الجيوبولتيكية) لا يمكن أن تكون عالمية فقط، وهذا ما
يعارضه بحددة، منتقدوا الجيوبولتيكس الكلاسيكي مثلما هو وارد في
الأدبيات الجيوبولتيكية الكلاسيكية "كما عند ماكندر وسبايكن"
(Halford Mackinder, 1904) بل يجوز أن تكون المشكلة محلية
أو إقليمية أو دولية، ولكل مشكلة من هذه المشكلات مسبباتها
ومؤثراتها وتعقيداتها الإقليمية والدولية.

والمشكلة الجيوبولتيكية هي القضية، أو المعضلة التي تنشأ،
وتتطور، وتتعدّد بفعل العوامل الجغرافية السياسية الداخلية، مشكلة
(جوهر الحدث) والتي قد تتأثر بجملة من العوامل الإقليمية والدولية،
التي تشكل بمجموعها (عامل الحدث الذي يتحرك او يتغير بفعل أهمية
المكان وموقعه الاستراتيجي وموارده الاقتصادية وخصائصه البشرية،
وعلاقة كل ذلك بمصالح القوى الأخرى.

ولا جدال في ان التكنولوجيا المتقدمة اليوم ونتائجها الخلاقة،
سواء أكانت للأفراد أو الدولة، هي عامل ففال في اي تحليل للسياسات
الدولية والإقليمية، لأن مستوى أي دولة في الناحية التكنولوجية

المرتبطة بقدراتها العسكرية والاقتصادية، يعكس سمعتها ومكانتها الدوليتين، بل ان التكنولوجيا نفسها أصبحت من متطلبات أية دولة تطمح أن تكون دولة قوية، ولكل شعب مثقف واع لحماية وجوده وكيانه السياسي.

والاهم في كل ذلك هو مؤثرات التكنولوجيا الاجتماعية والإعلامية التي غدت اليوم عاملا يتجاوز كثيرا مؤثرات العامل الجغرافي في التأثير في الحدث السياسي وتحريكه، كما فعلت أجهزة الاتصال الحديثة الميسرة (الانترنت، ومواقع الفيس بوك، و تويتر و يوتيوب، وأجهزة الاتصال الأخرى في إثارة الراي العام في بعض البلدان العربية وتأييها على حكامها فيما يعرف الآن في الإعلام الغربي بالربيع العربي، وكذلك دورها في مساعدة تطوير تكتيكات العمليات الخارجة عن سيطرة الدولة والتي تعرف الآن بـ (الإرهاب).

لذا فان اي حدث، أو قضية، أو مشكلة جغرافية سياسية داخل أية دولة، يمكن أن تتعقد، أو تتطور بفعل عامل الحدث، إذا ما تدخل فيها عامل إقليمي أو دولي أو أكثر، وتتحول من (مشكلة جغرافية سياسية) إلى (مشكلة جيوبولتيكية)، قد تفضي إلى نتائج دراماتيكية حاسمة كما حصل في انفصال بنغلادش عن باكستان (١٩٧١)، وانفصال اريتريا عن اثيوبيا (١٩٩٣)، واستقلال تيمور الشرقية عن اندونيسيا (١٩٩٣) وانشطار السودان الى دولتين (٢٠١١)، وانشطار يوغسلافيا الى عدة دول بعد عام ١٩٩١، وتيشيكوسلوفاكيا الى دولتين (١٩٩٣)، او تؤدي الى تعطيله، كما هو حادث في سوريا بسبب الموقف السوفيتي. وكما يقول سبيكمان (أن طبيعة المشكلة التي تؤخذ بنظر الاعتبار هي التي تحدد، ليس فقط طبيعة التحليل الجغرافي، بل كذلك حجم المنطقة التي يجب أن تحلل).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن المحلل الجيوبولتيكي يجب أن يتحلى عن غيره من المحللين السياسيين بعدة خصال او قدرات أبرزها:

١- أن يمتلك ذخيرة جغرافية طبيعية وبشرية واقتصادية، عن الحدث المحلي أو الإقليمي أو الدولي، الذي يتناوله بالتحليل.

٢- أن يتمتع بعقلية سيناريوية، وان يمتلك قدرات التفكير او التخطيط السيناريوي، بمعنى أن تكون لديه المقدرة على تحديد في العوامل الجغرافية أو البيئية التي تؤثر على المشكلة) مستقبلا بالدرجة التي يمكن إن تحدد اتجاهاتها او مصيرها. مع ملاحظة إن مثل هذه العوامل أو المتغيرات (variables) قد يتغير تأثيرها، هي الأخرى، على ضوء التطور التكنولوجي وتغير موازين القوى والأقاليم الجيوبولتيكية، (الحالية أو المستقبلية) المؤثرة في الحدث، رغم كون العوامل الجغرافية وعناصرها ثابتة لا تتغير.

٣- ان تكون لديه بصيرة جيوبولتيكية، وفهم اختراقي، أي أن يتمتع بمهارة الاختراق برويته لما في داخل الحدث أو المشكلة والكواليس المحيطة بها من خلال ربط الأحداث، وقراءتها او حل شفراتها السياسية، وان يتخلى عن النزعة العاطفية في التحليل، بمعنى اخر، إن تكون لديه القدرة على التنبؤ، والتنبؤ هنا لا يعني الاختراع، بل يعني تصور النتيجة المحتملة، التي يقترن بها الحدث، في لحظة معينة، انطلاقا من المعطيات القائمة التي استند عليها في الربط والتحليل والاستنتاج.

٤- أن يأخذ بنظر الاعتبار، عند التحليل الجيوبولتيكي، تحديدا، طبيعة النظام الدولي وتوجهاته، وأقاليمه الجيوبولتيكية ودور القوى الكبرى

الرئيسية المؤثرة ومصالحها، وملاحظة مدى تأثر او علاقة تلك المصالح بالمشكلة المدروسة من خلال ربط الأحداث وقراءة أو حل شفراتها السياسية، وبخاصة بعد إن مال المجتمع الدولي لتقبل الرضوخ لتوجهات وتطلعات القوة العالمية المتفردة في فرض السياسات الدولية وهيمنتها ومساراتها العالمية، ولذا، فعلى الذين يريدون تحليل وفهم الأبعاد الجيوبولتيكية للمشكلات المحلية والإقليمية والعالمية ذات العلاقة بالأمن الدولي، يجب عليهم استيعاب المفاهيم الأساسية، هذه، في التحليل الجيوبولتيكي.

٥- وهو يتكى على معلوماته الجيوبولتيكية لبيئة الحدث وما حولها، في التحليل والتفسير والاستنتاج، عليه أن لا يغفل تكنولوجيا عصره، فقد سبق لماكندر ان نيهنا بان كل قرن له منظوره الجيوبولتيكي الخاص (Donald, 1956, P.553)، فالتكنولوجيا المتطورة الخلاقة هي ابرز سمات هذا القرن والأكثر انقلابية وتأثيرا في الحياة البشرية في القرون اللاحقة بالتأكيد. لقد ساهم الإنسان بتكنولوجيته أن يحد من آلية الحتم الجغرافي، لكن تكنولوجيته في مجال الاتصالات والإعلام وسرعة نقل المعلومات اصبح لها تأثير جوهري وفعال في نشر الثقافة ونقل الأفكار وتأجيحها، بل وفي صنع بعض الأحداث السياسية، أو التمهيد لها، أو قلبها راسا على عقب، كما هو حاصل في بعض بلدان ما يسمى بالربيع العربي.

لذا فان اي تحليل جيوبولتيكي يجب أن يأخذ بالحسبان ثلاثة مفاهيم او ابعاد هي باختصار:

١- تحليل (جوهر الحدث)، أي المشكلة القائمة، سواء أكانت داخل دولة معينة أو ضمن إقليم أوسع، ومعرفة مسبباتها الداخلية (جغرافيا وسكائيا واقتصاديا وحضاريا) وربط ذلك بسياسة الدولة ذات العلاقة

بالمشكلة، ومعرفة انعكاسات المشكلة على المحيطين الإقليمي والدولي، لأن الربط بين الحدث وإطاره الجغرافي المحلي، وانعكاساته، من ضرورات التحليل الجيوبولتيكي.

٢- تحليل (عامل الحدث) أي دور القوى او العوامل التي من شأنها تأجيج ذلك الحدث والتدخل فيه (إقليميا او دوليا) بمختلف الوسائل والتقنيات باتجاه التصعيد أو نحو إيجاد الحلول التدخلات الخارجية). فبدون ذلك التحليل لا يمكن فهم حقيقة جيوبولتيكية الأحداث، أي تعقد المشكلات الإقليمية أو الدولية وحتى المحلية.

٣- تحليل (بيئة الحدث) أو (اللاعبون الخارجيون)، أي تحليل المشكلة القائمة، ضمن إقليمها الجغرافي الجيوبولتيكي، الإقليمي والعالمي، وعدم تجاهل او إغفال دور هذه البيئة ولاعبها على طبيعة الخطوات اللازم اتخاذها في كل موقف مستجد، او إزاء اي تعقيد جيوبولتيكي قد يحصل، وانعكاس كل ذلك على الأمن المحلي والإقليمي والدولي وعلى طبيعة توازن القوى واصطفافها، ودرجة تأثيرها على التشكيلات القائم (للأقاليم الجيوبولتيكية) المحيطة بها، وطبيعة التحالفات والعلاقات القائمة بين الدول، أو قوى تلك المنطقة، ومن ثم على مصالح القوى الأكبر، لأن الربط بين جوهر، وعامل، وبيئة الحدث اصبحت من الأمور الجوهرية في التحليل الجيوبولتيكي المعاصر الناجح، ولعل التعقيد الحاصل في المعضلة الجيوبولتيكية السورية هي النموذج الصارخ لدور (بيئة الحدث)، الدولية (روسيا والصين)، والإقليمية (ايران)، والذي ادى الى تعقيد الوضع، وصعوبة إيجاد توافق دولي لتغيير النظام السوري وانتصار الثورة. من هنا يجب أن نؤكد على قول الأستاذ كولن كروي: "أن قوة الجيوبولتيكس تكمن في أنه يضع الحدث المحلي، أو الحدث المضاد له، ضمن بيئته

العالمية، لذا فهو يؤكد على الذين يريدون ان يفهموا الأبعاد الجيوبولتيكية للأمن العالمي يجب عليهم أن يستوعبوا الأفكار الجوهرية للجيوبولتيكس" (Colin Gray, 1997).

يعتبر الأسلوب، او المنهج، الجيوبولتيكي لتحليل الحدث السياسي بالنسبة للمتخصص، وصفة علمية للبيئة السياسية التي تشكل شروط السياسة الدولية أو الإقليمية، وبذلك فهو يشكل حقلا معرفيا ذو صلة بالجغرافية من جهة، وبالتطورات التكنولوجية، والتغيرات الاقتصادية العالمية، وتغير موازين القوى العالمية، وتغير الأنظمة السياسية والفكرية من جهة ثانية، ومن هذا الفهم يجب أن نفسر بروز الأنظمة الليبرالية المعاصرة التي تبني قوة دولها من خلال علاقاتها التجارية وتزايد قدراتها وكفاءتها الاقتصادية وتحالفاتها الاستراتيجية، وليس من خلال سياستها الاستعمارية الاحتلالية، وسيطرتها المباشرة على الأقاليم.

وينبغي التأكيد في التحليل الجيوبولتيكي على التأثير المتبادل بين المجال والسياسة (space and politics) والمجال بمعناه الجغرافي الواسع يعني:

١- المنطقة أو الإقليم أو الدولة وخصائصها الجغرافية التي تمثل مكانها الجيوبولتيكية.

٢- الفهم التاريخي لتلك المنطقة التي تشكل السلوك السياسي و التراث الحضاري للمنطقة المدروسة، لأن السياسة في العلاقات الدولية بمعناها الواسع تعني (القدرة على التأثير)، وهي لا تنحصر فقط في السياسات المتبادلة بين الدول، بل تتضمن ممثلين سياسيين آخرين على المستوى العالمي مثل الشركات العالمية، المجتمعات الدينية،

والتنظيمات السرية، و آخرين على المستوى الداخلي مثل الوحدات الإقليمية، والنخب السياسية، والمجموعات الاجتماعية والاثنية والإعلام، لذا فالتحليل يجب أن يركز على الحالة المكانية والتصور الشخصي والمنظور التاريخي لها (Wojciech Kazanecki, 1993, P.5)

ان هذا الانتقال في التفكير الجيوبولتيكي للتحليل، جعل الجيوبولتيكيين النقديين ينظرون الى العلاقات الدولية نظرة اكثر واقعية، في عصر التكنولوجيا والمعلوماتية والإعلام البرقي الذي حتم ابتكار أساليب وافكار جيوبولتيكية تحليلية تتوافق مع كل هذه التغيرات. لذا يقول كلاوس دودز "ان الجيوبولتيكس النقدي، كمنهج لدراسة العلاقات الدولية، يمكن أن يفهم على انه أشبه بنظرية العلاقات الدولية الاستدلالي" (Klaus Dodds, 1993, P.74).

الجيوبولتيكس النقدي، تبعا لذلك، لا يعني إهمال الهيكلية العامة لطبيعة الأقاليم الجيوبولتيكية السابقة او إلغائها، بل يظل يعني بالأهمية الجيوبولتيكية الشمولية للإقليم الجيوبولتيكي القديم، لكنه يتفاعل مع التغيرات التي تحرك الوحدات السياسية داخل هذا الإقليم، سواء أكان التغيير ضمن سياسة الدولة الواحدة فيه، او على صعيد الحراك الجماهيري في تلك الوحدات او الدول، واستشراف انعكاس ذلك على مصير ذلك الإقليم وارتباطاته العالمية.

وعلى سبيل المثال، فان الشرق الأوسط، كإقليم جيوبولتيكي مركب (غير منسجم) وقديم، بقي رغم كل التغيرات التي طرأت في السياسة الدولية، يتمتع بموقعه الجغرافي الخطير، لا لكونه يمنح اتصالات بحرية وطرق تجارة هامة، او لوقوعه ضمن مناطق نفوذ قوى عظمى، بل لقيمتة الاستراتيجية التي ازدهرت بسبب وجود ثروته

البتروولية واحتياطها الهائل في عالم اصبح يعتمد في اقتصاده وعسكرته على هذا المورد الاستراتيجي الهام. لذلك تحولت منطقة الخليج فيه الى احد اهم مناطق اهتمام الاستراتيجيات العالمية والإقليمية وقادت إلى صياغة انماط معقدة من التحالفات مع كياناته السياسية (دولة).

بعد انتهاء الحرب الباردة وظهور موجة العولمة لوحظ وجود ضعف في التحليلات الجيوبولتيكية للأحداث الدولية القائمة على التفسير الجيوبولتيكي الكلاسيكي، او التقليدي، حتى أن البعض اعتقد بتلاشي دور الجغرافية في تغير الأحداث باعتبار ان العلاقات الدولية أصبحت تحدد بشكل متزايد بالأسواق العالمية والاتصالات الالكترونية، والتجارة الحرة، وتحرك رؤوس الأموال، وتلاشي دور الحدود بين الدول، لذلك نادى بعض المتشائمين بزوال المسافات (Frances Cairncross, 1997)، ونهاية الجغرافية، لكن هذا بطبيعة الحال امر مبالغ فيه، وغير صحيح.

يقول فيرنون فان ديك: (أن دراسة الموقع والحجم (للدولة) يجب ان يرتبطا بالتطور التقني ومستوى التقنية، فالاتصالات افقدت معظم العوامل الجغرافية خصائصها أو فوائدها كمواقع دفاعية، فحتى الجبال والبحار فقدت أهميتها السابقة واصبحنا بحاجة الى دفاعات جديدة (Vernon Van Dyke, 1970, P.226).

اما اندرو باسيفيتش فيقول "كنتيجة لثورة المعلومات، انهارت المسافات، وبات العالم يصبح اصغر فأصغر، وكادت المسافات تفقد معناها التقليدي في عصر المعلومات. أن فكرة كون المحيط يشكل حماية هي فكرة أثرية مثل الخندق المائي الذي يحيط بالقلعة" (اندرو باسيفيتش، ٢٠٠٤، ص ٥٧).

صحيح، لقد كان للثورة التكنولوجية المعاصرة أهمية بالغة، لأنها الغت، او بالأحرى اختزلت، المسافة بسبب هذا التطور الهائل في مجال تقنيات الاتصالات بمختلف أشكالها، فقد كان لهذا تأثير بالغ الأهمية على المستوى السياسي ما دامت المسافة تشكل دائما مصدرا للحكم خلال قرون طويلة، خاصة وان سلطة الدولة تقوم جزئيا على المسافة Distance، لأنها هي التي تعطي معنى الحدود الوطنية و الوظيفة الوسيطة للدولة منذ ان بدأ الأفراد يبحثون عن الاتصال مع الآخرين. وبتضاfer كل الحواسيب ووسائل الاتصال عن بعد، جعلتنا داخل جماعة كونية، سواء احببنا ام كرهننا. فلأول مرة يرتبط كل من الغني والفقير، والشمال والجنوب، والشرق والغرب، والمدينة والقرية بشبكة الكترونية عالمية أو يتشاركون في رؤية صور وقت حدوثها، وتتحرك الأفكار عبر الحدود وكأنها غير موجودة، وفي الواقع تحولت الى مناطق للوقت او الزمن time zones اكثر اهمية من كونها وظيفة حدود (سعيد الصديقي، ٢٠٠٨، ص ٤٤). او كما يقول كلاوس دودز، "ان المسافة بين الأماكن حول العالم قد تقلصت بفعل طبيعة وسرعة تكنولوجيا الاتصالات، فالتلفزيون قاد الى تحويل المسافة الجغرافية إلى مسافة زائفة" (Klaus Dodds, 2000, P.25)، وهذا صحيح في نقل الأفكار والصور وتباين الرؤى، لكنه لا يصح على الواقع المكاني الجغرافي للمسافة في موازين القوى، والدليل على ذلك هو ان قوة عظمى مثل الولايات المتحدة لم يكن بوسعها ، مع كل ما تملكه من تقنيات وتكنولوجيا، من أن تفعل ما فعلته في العراق لو لم تساندها دول المحيط الجغرافي للعراق بسبب البعد الجغرافي، وموقع العراق الجغرافي والمسافة التي بينهما Distance . ولكي نكون منصفين فان الجغرافيين السياسيين أشاروا قبل أكثر من نصف قرن من الآن في دراساتهم، وخص بالذكر منهم الأستاذ هانس وكرت، الذي اكد وقال

بصراحة وبفكر ثاقب: ان الجغرافية السياسية لهذا اليوم هي الجغرافية التاريخية ليوم غد. **The political geography of today will be the historical geography of tomorrow**

لذا، فعلى الذين يريدون تحليل وفهم الأبعاد الجيوبولتيكية للمشكلات المحلية والإقليمية والعالمية ذات العلاقة بالامن الدولي، والاقليمي، أو المحلي يجب عليهم استيعاب المفاهيم الأساسية، هذه، في كتابة تحليلاتهم الجيوبولتيكية، وان يضعوا امام اعينهم الملاحظتين التاليتين في تحليلهم الجيوبولتيكي:

١- ان سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩ ادى إلى سقوط كل الفرضيات الجيوبولتيكية القديمة وحولها الى جغرافية تاريخية.

٢- بفعل التكنولوجيا اصبحت الجغرافية لوحدها لا تضمن الأمن، كما أن الأمن لا يتأتى من القوة العسكرية لوحدها .

سادسا: بعض الوضعيات الجيوبولتيكية:

١- المحور الجيوبولتيكي: Geopolitical axis- تم استعمال مصطلح المحور الجيوبولتيكي من قبل المفكر بريجنسكي- Prejensky ويشير إلى الدول التي تستمد قوتها من موقعها الجغرافي، قد تكون ممرات إلزامية أو منافذ مهمة نحو مناطق أخرى وناخذ أمثلة عن ذلك إيران.

٢- المجموعة الجيوبولتيكية: Geopolitical Group- ويقصد بها مجموعة من الدول لديها حركة متماسكة ومستمدة من موقعها الجغرافي، بحيث هذا الموقع يجعلها تتحرك كوحدة واحدة مثلاً الاتحاد الأوروبي يمثل مجموعة جيوبولتيكية.

٣- الوضعية الجيوبولتيكية: Geopolitical Situation- يُعرف ايف لاکوست الوضعية الجيوبولتيكية بقوله: نقول أن هناك وضعية جيوبولتيكية عندما تتوفر مجموعة من الأشياء منها :

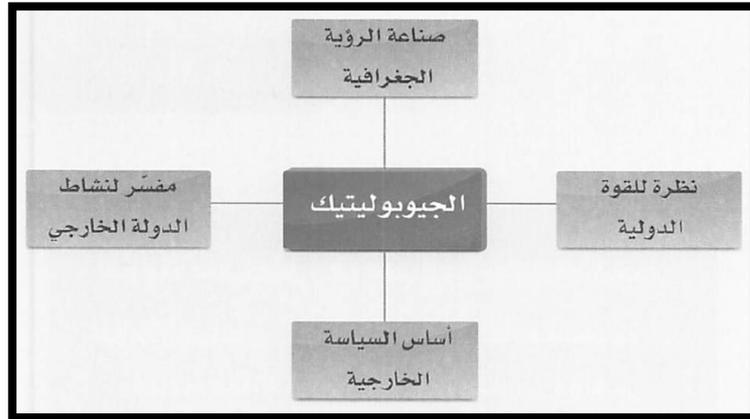
-وجود مسار تاريخي أي فترة زمنية معتبرة.

-وجود صراع/تصادم في القوة بين فاعلين أو أكثر على نطاق واسع.

-وجود علاقات قوّة بين دولتين بحيث أ يحاول الضغط على ب و ب يحاول الرد.

-يستهدف إقليم معين. مثلاً قضية الصحراء الغربية تمثل وضعية جيوبولتيكية.

ختاماً يمكننا القول أنّ التحليل الجيوبولتيكي يهدف إلى تحليل و فهم النزاعات الدولية خاصة في عصرنا الحالي المعروف بعصر الأزمات والنزاعات، فمن خلال هذا العلم يستطيع الباحث تفكيك شيفرة الوضع الدولي اعتماداً على الخريطة الجغرافية للوقع، وبيّن صانع القرار تصوراتة السياسية المستقبلية لسياسته الخارجية في ضوء تفاعلات المكان الجغرافي.



شكل (١) روح الجيوبولتيك

سابعاً: الجيو استراتيجية والجيوبولتيك:

إن الجيوستراتيجية الحديثة تبحث عن تطوير الأمن القومي الداخلي كونه الإطار الذي يسمح بتطوير الأمة بمختلف قطاعاتها الاقتصادية، وإتباع الجيوستراتيجية الحديثة لمنهج "سلمي" قائم على تطوير آليات الدفاع عن المسرح العمليتي القومي الذي يمتد على كامل التراب القومي للدول، ولا يعني هذا تخلي أصحاب القرار الجيوستراتيجي خاصة في الدول الكبرى عن طموحاتهم في السيطرة على اقتصاديات العالم للمحافظة على مكتسباتهم في خيراته وثرواته، لدرجة جعلت رؤساء بعض من هذه الدول يعلنون صراحة أنه من الخطأ التفكير بأن دولنا هي دول محايدة، ولن تتردد في استخدام الخيارات العسكرية المدعومة بالسلاح الرادع لتحقيق الأهداف الاستراتيجية لحماية مصالحها.

ويلاحظ المهتمون والمتابعون لشؤون السياسة العالمية، بأن تطوير العالم لتكنولوجيا المراقبة الفضائية باستخدام توابع ذات مرئيات عالية الوضوح المكاني، " جعل للجيوستراتيجية بشقيها العسكري والمدني بعداً فضائياً هاماً، كما يمكن اعتماد التفكير المغاير لذلك، والقول بأن الطموحات التي مازالت كثيرة ومتعددة للدول المتقدمة في العالم في حربها الاقتصادية، ونتيجة لمتطلبات الجيوستراتيجية الحديثة، فقد تم تطوير هذه التوابع الصناعية الماسية للأرض التي تقدم مرئيات في غاية الدقة والتفصيل لمختلف مسارح العمليات.

ولا شك في هذا المجال بأن الهدف الثاني والأكبر بعد الهدف الرئيسي الأول للجيوستراتيجية الحديثة، يكمن في تحقيق المكاسب وتكوين مناطق التأثير والأنظمة اللاحقة أو التابعة، ذلك أن

الجيوستراتيجية التطبيقية تتطلب أن يكون هناك منافع ومكاسب من وراء الأراضي المحتلة، التابعة أو الحليفة، بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق عبقرية اتخاذ القرار الصادر عن الاستراتيجي المسيطر أو الأقوى الذي يتخذ عادة "القرارات التكتيكية الهجومية" التي لها بالضرورة علاقات مكانية، وإلا فإنها لن تكون جيوستراتيجية ولن يتمكن الاستراتيجي من تطويع "مكان الآخر" لصالحه، وذلك باعتماد واقع المكان والعلاقات السياسية - الاقتصادية المهيمنة أو الساندة والأهداف الاستراتيجية المطلوب الوصول إليها.

وتحتاج الجيوستراتيجية إذن إلى المعلومة المكانية - الزمنية، وهذه المعلومة يجب أن تكون موثقة وصحيحة لكي تتمكن القرارات التكتيكية الصادرة حسب الخطة الجيوستراتيجية من أن تكون صحيحة وقيمة وبالتالي ذات فاعلية، والحصول على المعلومات المكانية بأن عن طريقين فقط هما: العمل الميدان، وآليات استشعار عن بعد بواسطة المرئيات الفضائية عالية الدقة، كما أن الحصول على المعلومات المكانية المرئية والبيانات الخاصة بمختلف الخصائص الجغرافية لأي مسرح عمليات تسمح بعزل وحصار هذا المسرح إعلامياً وقطعه عن العالم مما يؤدي إلى شلل كبير في مختلف مرافق هذا المسرح وسرعة وقوعه كقيمة نافعة إن كان ذلك بالمعنى الفكري أو المدني للجيوستراتيجية المستخدمة.

وهكذا نجد بأن الجيوستراتيجية هي ليست نوعاً من أنواع الاستراتيجية لأن المسئول الجيوستراتيجي يهدف إلى السيطرة المتكاملة على المجال - الزمن من أجل أن يتمكن الاستراتيجي من اتخاذ قراره الصحيح والأمثل، ونظرياً نعتقد بأن الجيوستراتيجية لا تستخدم لأغراض "محو الآخر" أي لأغراض عسكرية بل هي تقوم

على دراسة الطرق الأمثل لتنظيم المجال لزمن محدد لتحقيق أهداف عسكرية ومدنية ولخدمة الاستراتيجية السياسية - الاقتصادية، فهي إذن من هذا المنطلق أداة تقنية لاتخاذ القرار وهي تكتسب كل أهميتها من هذا المنطلق.

إذن في النهاية يمكن القول، أن "الجغرافيا السياسية" تعالج العلاقات المكانية المتصلة بالوحدة السياسية لدولة ما بمنظور الحاضر في حين أن "الجيوبوليتيك" تتشوّف المصالح المستقبلية للدولة لترسم سياستها القومية، وفي غياب بدائل سلمية تدخل "الجيوستراتيجيا" على الخط للحسم - يستثنى من ذلك النزاعات ذات الطابع الاقتصادي التي تدخل تحت طائلة "الجيواقتصاد".

ومن التعريفات الأكثر وضوح وتداول بين أوساط المتخصصين ما جاء به "رايمون أرون" ١٩٠٥-١٩٨٣ في بداية ستينات القرن الماضي عندما وصّف "الجغرافية السياسية" بالإطار -Cadre- والجيوبوليتيك بالرّهان -Enjeu- والجيوستراتيجيا بالمرسح -Théâtre-. "فالجغرافيا السياسية" تشكّل الإطار العام منها تنطلق الرهانات الكبرى التي يضبطها "الجيوبوليتيك" لتجد فيما بعد في "الجيوستراتيجيا" مسرحا لتحقيقها .

ثامنا: أهمية الجيوبوليتيك:

ترجع أهمية الجيوبوليتيك لأي دولة من دول العالم لعظمة إسهامه في تحديد أسس البقاء للدولة ونموها وازدهارها، وعلي ضوئه يتم تحديد أبعاد الأمن القومي، وبالتالي تشكيل الأهداف والمصالح القومية. كما أنه يؤدي إلي طرح بدائل العمل السياسي والمناورة السياسية لمتخذي القرار، ومن ناحية إنه يضع أسس تقويم قوة الدولة

بالنسبة لموقعها الجغرافي، وتحديد اتجاهات وقنوات استخدامها، وبالتالي يمكنه تشكيل علاقة الدولة بالمجتمع الإنساني بصورة تخدم مصالحها وتؤمن أهدافها ومطالبها المتعددة بشكل أقرب إلي الواقعية والعقلانية.

علي الرغم من أهمية هذا العلم نجد أنه يعد من العلوم غير المؤلفه لدي الدارسين ويمكن إرجاع ذلك إلي ما يلي :

١- ضيق دائرة المهتمين بهذا العلم بحيث لا تتعدى نطاق المسؤولين من اتخاذ القرار السياسي والعسكري للدولة.

٢- ارتباط هذا العلم من حيث نشأته وتطوره بالمدرسة الجيوبولتيكية الألمانية ، والتي قام الرايخ الثالث علي معظم تعاليمها ومبادئها، فضلاً عن أثره البالغ في سياسة هتلر التوسيعية.

٣- الحظر الذي تفرضه الدول العظمي علي نشر هذا العلم مما يضيق دائرة المهتمين به.

٤- عدم اهتمام الجامعات والأكاديميات والمعاهد العليا ومراكز البحوث الاستراتيجية والقيادات الإدارية والتنفيذية والسياسية الي تدريسه والإشارة الي تعلمه والسعي الي الإفادة منه.

٥- يختص الجيوبولتيك بدراسة الدولة من الوجة السياسية ولكنها لا تنظر لها كمفهوم إستاتيكي بل ككائن حي. كما تدرس الجيوبولتيك العلاقات الداخلية والخارجية بين الأرض والسكان من وجهة نظر قومية وتعتنق فلسفة خاصة من فلسفة القوة وإن الضرورة لا تعرف قانوناً وتستخدم التاريخ القومي لخدمة الأهداف.

٦- يركز الجيوبولتيك اهتمامه علي مطالب الدولة من حيث المساحة وكشفت الدراسات الموضوعية عن خمسة عناصر رئيسة في رأى مفكره فيما يختص بمساحة الدولة وهذه العناصر هي:

أ- الاكتفاء الذاتي

ب- المجال الحيوي

ج- الفكر الإقليمي

٤- الصراع بين القوة البرية والبحرية

هـ - الحدود السياسية بين الدول

٦- يهتم الجيوبولتيك بالوضع في المستقبل مثال لذلك هل المساحة تكفي الدولة؟ إذا لم تكن الإجابة بالإيجاب كيف ستحل هذه المشكلة؟ وفي أي اتجاه يجب أن يحدث التغيير؟ لاشك أن الإجابة علي هذه الأسئلة تحدد الوضع القومي والاقتصادي للدولة وتؤثر علي علاقتها الخارجية. وفي هذه الحالة وعندما لا تكفي المساحة للشعب، فإن الجيوبولتيك يعطي الحق للدولة القوية في أن تنمو علي حساب الدولة الضعيفة وبهذه الصورة يؤدي الجيوبولتيك إلي الحرب.

٧- أقر المفكرون بأن مفهوم الجيوبولتيك أشمل من الاستراتيجية وذلك لأنها تدرس أي موقف من المواقف مفسرة إياه في ضوء البيئة الجغرافية، ثم تصنع الأهداف له (الاستراتيجية)، وتوصي بالوسائل التي يجب إتباعها لتحقيق أهداف الموقف (التكتيكية)، ويؤمن الجيوبولتيك بفكرة أن الغاية تبرر الوسيلة، ومن ثم يحاول أن يجد مبررات للسلوك السياسي للدولة.

الفصل الثاني

نشأة وتطور علم الجيوبولتيك

أولاً: نشأة وتطور علم الجيوبولتيك

ثانياً: الفكر الجيوبولتيكي

ثالثاً: إنفول الجيوبولتيكا

رابعاً: نهضة الجيوبولتيكا

خامساً: النظام الجيوبولتيكي العالمي

أولاً: نشأة وتطور علم الجيوبولتيك

إنَّ أفكار الجيوبولتيكا قديمة قدم البشرية حيث بدأت ملامح العلم تتضح منذ أن أخذت المجتمعات البشرية تتجه نحو إقامة الدولة The Stats وحينها بدأ اهتمام المفكرين بدراسة تأثيرات البيئة الجغرافية على الشؤون السياسية، ومنها توصلَّ المؤرخ اليوناني هيرودوت- Hiroudot إلى أنَّ سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها، من هنا كانت الانطلاقة من قبل المفكر اليوناني أرسطو Aristo - الذي كتب عن علاقة السياسة بالجغرافيا في مؤلفه "السياسة The Politics -" الذي أكد فيه أنَّ موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المعتدل "المناخي" قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال "البارد" و الجنوب "الحار"، و قد تبنى سياسته على تقسيمات بارمينيدس - Parminides للعالم إلى خمسة أقسام: إقليم شديد الحرارة و إقليمان شديدا البرودة و إقليمان معتدلان، و أكد أن الإقليم المعتدل الذي يسكنه الإغريق هو الإقليم الذي يحمل في طياته بذور القوة.

وينسب البعض آراء ابن خلدون في مراحل عمر الدولة إلى مفهوم الدولة العضوية كما تتطور في الدراسات الجيوبولتيكية، ويرى كثير من الباحثين أن المفكر الفرنسي مونتسكيو هو من وضع الإشكالية الأساسية لهذا العلم عندما ربط مجمل السلوك السياسي للدولة بالعوامل الطبيعية وعلى رأسها المناخ والطبوغرافيا مع التقليل من مكانة العوامل السكانية والاقتصادية.

لكن الانطلاقة الحقيقية لهذا العلم بمنهجياته ومحدداته الأساسية تعود إلى الألماني فردريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤) الذي يرجع إليه

الفضل في كتابة أول مؤلف في الجيوبوليتيكا يحمل عنوان "الجغرافيا السياسية" في عام ١٨٩٧م.

ظهر الفكر الجيوبولوتيكي مع نهاية القرن التاسع عشر عندما حاول الجغرافيون وغيرهم من المفكرين تحليل وتفسير وفهم التحولات والفضاءات المحددة للعالم عند نهاية قرن Fin de siècle. ارتبطت الجيوبوليتيكا بهذا الشكل بعناصر الجغرافيا الأخرى التي شكلت أساس الإمبريالية الغربية في تلك الفترة. وبالرغم من أن الطبيعة الواضحة لعلاقات الجغرافيا بالإمبريالية جذبت مؤخرا اهتماما أكاديميا متواصلا، فإن الفكر الجيوبولوتيكي طارده في المقابل سمعة سيئة، وذلك خلال معظم فترة ما بعد الحرب. ففي الجغرافيا الأنجلو أمريكية على سبيل المثال، أفرزت تواريخ هذا المجال حتى وقت قريب ازدواجية مصطنعة، حيث ظل التراث الإمبريالي للجغرافيا غير معن إلى حد بعيد، ولكن الجيوبوليتيكا كانت تتعرض للإهمال المنتظم باعتبارها شكل الجغرافيا القبيح الذي جند لخدمة السياسة.

وغالبا ما يرجع سوء السمعة هذا إلى ردود الأفعال الهستيرية ردا على كتابات كارل هوسهوفر Karl Houshoffer عن الجيوبوليتيكا الألمانية والتي تم الإشارة إليها في الصحافة الأمريكية في أوائل أربعينات القرن العشرين حيث كتب فردريك سوندرن عن "الألف عالم الواقفين وراء هتلر" مخاطبا الجمهور العريق من قراء دورية "ملخصات مختارة" ودورية "التاريخ المعاصر" Current History في ١٩٤١ فقد سرد سوندرن قصة ذات مغزى عن:

"الدور الذي قام به اللواء والبروفيسور كارل هوسهوفر ومعهد الجيوبوليتيكي في ميونخ، الذي ضم ١٠٠٠ عالم وفنى وجاسوس، وهؤلاء الرجال غير معروفين للجمهور غالبا، حتى داخل الرايخ

الألماني. غير أن أفكارهم ورسوماتهم وخرائطهم وإحصاءاتهم ومعلوماتهم وخططهم هي التي حددت تحركات هتلر منذ البداية"

وكانت هذه التقارير المتلاحقة، التي انتشرت في صحف ومجلات أمريكا في أوائل أربعينيات القرن العشرين، هي التي أثارت المزيد من الاهتمام بمعهد الجيوبوليتيكا Institute for Geopolitik ذي الطبيعة السرية وسيطرته المتصورة على السياسة الخارجية لهتلر والنازية، وألقت الجيوبوليتيكا الألمانية ظلالاً كثيفة على الخيال الشعبي الأمريكي، بل إن هذه الأفكار، وجدت طريقها إلى الكتب والسينما الشعبية.

بل وصل تأثير الجيوبوليتيك في هذه المرحلة للفن فنجد لوحة «طفل الجيوبوليتيك يراقب ولادة الإنسان الجديد» للفنان الإسباني سلفادور دالي إحدى أشهر اللوحات العالمية.

رسم دالي اللوحة التي تميل إلى السيرالية عام ١٩٤٣ في نيويورك ولمفردة الجيوبوليتيك في عنوان اللوحة دلالة خاصة فهي تشير إلى النزعة الاستعمارية وإرادة الهيمنة السياسية والعسكرية.

وتصور اللوحة بيضة ضخمة على شكل الكرة الأرضية وينبثق منها طفل هو في الواقع أقرب إلى أن يكون "رجلاً" يحاول الخروج من باطن هذه الكرة بعنف وكأنه في صراع تاركًا وراءه خيطًا سميكًا من الدماء النازفة.

والرجل يطبق بقبضته في الخارطة المرسومة على البيضة على قارة "أوروبا" وبالأخص "إنجلترا"، ولهذا دلالة عند "دالي"، فقد حاول أن يعبر عن وجهة نظر سياسية تجاه صعود نجم أمريكا بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية.

على يمين اللوحة تقف امرأة تشير بيدها إلى الحدث العظيم، وترمز إلى الأم أو الأرض التي تقف لتراقب ما يجري وهي لا تستطيع أن تتدخل في المشهد، إلى جانبها طفل يراقب المشهد في ذهول واستغراب، يتشبث بساقيها، والطفل هنا أراد به دالي الإشارة إلى الجماعات الإنسانية والثقافات التي تتمسك بالأرض خوفاً مما قد يحمله المستقبل من مخاطر نتيجة ولادة الطفل العنيف.

لذا نجد دلالة واضحة على أن ظل الطفل في اللوحة تجاوز ظل المرأة، فهي لن تحرك ساكناً بينما الطفل الذي يرمز إلى الجماعات يبدو أنه على استعداد للنضال أمام الوحش المقبل.

نجح دالي في تصوير عملية الولادة المتعسرة والشراسة التي يبديها الطفل في سعيه للخروج، وكأنه لا يأبه لتمزيق العالم أجمع. لقد توجس دالي مبكراً من صعود أمريكا كقوة عظمى جديدة وكأنه يستشرف المستقبل.

ويرمز الدم في اللوحة إلى ويلات الحروب التي عززت مكان الولايات المتحدة وصعدت على أعقابها، والقبضة المطبقة على أوروبا تشير إلى هيمنة كبيرة للوليد الجديد في المستقبل على حلفاء اليوم.

قام دالي أيضاً بتضخيم متعمد لقارة أفريقيا في إشارة إلى دورها المتنامي الذي ستلعبه دول العالم الثالث في السياسة الدولية في المستقبل.

لقد كان لحادث إسقاط أمريكا القنابل النووية على اليابان أثراً في نفس سلفادور، دفعه لاستكشاف طرق وأساليب فنية جديدة لتصوير المستقبل.

وقد شهد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تطوراً كبيراً لهذا العلم سواء على المستوى النظري، أو على مستوى تأثيره في صياغة التوجهات الاستراتيجية الكبرى للدول، وقد لا يكون من المتيسر على الباحثين في التاريخ الحديث فهم الرؤى الاستراتيجية التي وجهت المواقف والتحويلات الكبرى في الحرب العالمية الثانية بدون العودة إلى مقولات الجيوبولتيكا، خاصة بالنسبة لدولة كألانيا في العهد النازي حيث تحولت مقولات الجيوبولتيكا الألمانية إلى مقولات مقدسة يتحدد تبعاً لها الموقف من الحرب والسلام.

وعلى المستوى الرسمي، كانت إدارة روزفلت منزعة لدرجة أنها أمرت بإعداد دراسات أكاديمية عن الجيوبولتيك الألماني وبالرغم من أن عناصر هذا التحليل تؤيد بعد نظر سوندرن *sondern*، فإن خبراء مستقلين مثل الأكاديمي الجزويني إدموند والش *Edmund Wafsh* كان لا يزال يقول إن:

"الحقيقة الأساسية التي لا خلاف عليها هي أن هوسهوفر - بصورة مباشرة في بعض الأمثلة، وبصورة غير مباشرة في الأخرى. قد نسق ودمج ونظم كل مجال الجغرافيا المقارنة لاستخدامات الزعيم (الفوهرر *Fahrer*) هتلر وأصبحت الجيوبولتيكا الذراع الديناميكية المحركة لآليات قوة الدول، حيث حشد هوسهوفر عددا ضخما من الأفراد لمسح الأرض بحثاً عن الحقائق والمعلومات الجغرافية ذات المغزى.

وفي الواقع حظيت هذه الأفكار باهتمام كبير في الولايات المتحدة، لدرجة أنه بعد انهيار الرايخ الثالث، بدأت إجراءات مقاضاة هوسهوفر في محاكمات نورمبرج الحربية، وعلى الأقل كان واحد من فريق المحاكمة يعتقد أنه رغم أنهم لم يتمكنوا من محاكمة هتلر لانتحاره إلا

أنهم بوسعهم أن يجدوا البديل في العقل المدبر الحقيقي وراء النزعة التوسعية الألمانية.

وهناك اعتقاد بأن هوسهوفر لم يكن ليحاكم في نورمبرج ، بالرغم من أن انتحاره في ١٩٤٦ أجهض أية محاكمة. ومع ذلك، فإن ارتباطاته المزعومة بالنازية ضمنت أنه بعد الحرب ستكون الجيوبوليتيك منبوذة من الجغرافيين بصفة عامة، ومن الجغرافيين السياسيين بصفة خاصة. ففي كتاب دراسي تنشر في ١٩٤٨، وتحت العنوان الفرعي "الانحراف" كشف إيتزل بيرس وريتشارد فيفيلد وآخرون عن محاولات مستميتة لتمييز الجغرافيا السياسية التي تعتبر "علما سليما حذرا وأميना" عن الجيوبولوتيك التي وقع الباحثون فيها ضحايا الشعار الموهوس المنادي بالحصول على "كل شيء أو لا شيء"، فضلا عن تمييز الجغرافيين السياسيين عن أولئك الذين كانوا راغبين في تحريف الجغرافيا السياسية إلى فوضى جغرافية عارمة من أجل تحقيق أغراضهم، لقد مكنت الجيوبوليتيك الجغرافيين الألمان من التهرب من الرقابة الأخلاقية لعلمهم وتخطى ضميرهم العلمي.

في المقابل اختارت بعض تواريخ الجغرافيا الأخرى تجاهل الجيوبوليتيكا كلية فلم يشر كرون crone في كتابه عن "أسس الجغرافيا السياسية" إلى الجيوبوليتيكا الألمانية سوى في فقرة واحدة من بين ٢٣٩ صفحة، وذلك لمجرد أنه شعر أنه يجب " عليه فعل ذلك.

كما أن كتاب "الجغرافيا والجغرافيون" الذي نشره جونستون في ١٩٨٧، لم يستحق هوسهوفر والجيوبوليتيك سوى سطرين فقط. وهكذا رفض كثير من الكتاب التورط في هذا الماضي الشانك في محاولات عزل الموضوع واستبعاده من تواريخ الجغرافيا، وفي نفس

الوقت، نجد أن الأكاديميين الذين حاولوا إعادة تقييم "الجيوبوليتيكا" في فترة ما بعد الحرب كانوا يخاطرون بالتعرض للنقد العنيف. فعندما حاول لاديس كريستوف (١٩٦٠) Ladis Kristof إعادة تأهيل هذا المصطلح في أوج الحرب الباردة، عانى من استهجان شديد.

ولا شك في أن هناك استثناءات لهذه القاعدة، فكما يشير هبل (١٩٨٦) Hepple فإن القول بأن الجيوبوليتيك قد تعرض للحظر فيما بعد الحرب في العالم الأنجلوفوني ليس صحيحا بالمرّة، إذ كان هناك كتاب كثيرون (غير جغرافيين أساسا) لا يزالون يستخدمون المصطلح، واستمر آخريّن في استكشاف الأفكار الجيوبولوتيكية، بينما حاول البعض تطويع الجغرافيا السلمية لأغراض السلام.

وكذلك فإن التجارب المكتوبة بالإنجليزية لا تمثل الصورة كاملة: حيث انتعشت الجيوبوليتيكا في بعض مناطق العالم، ففي أمريكا اللاتينية أصبحت الجيوبوليتيكا وثيقة الصلة بالأنشطة العسكرية التوسعية العنيفة لدول مثل البرازيل والأرجنتين وشيلي.

وحيثما يقوم ديكتاتور مثل أوجستو بنوشيه بتدريس الجيوبوليتيكا في الأكاديمية العسكرية، تجد هذه الأفكار تطبيقاتها في المبادرات السياسية الداخلية والخارجية وفي ظل حكم الجنرالات تبدو الجيوبوليتيكا جزئية في أحسن الأحوال، طالما أن أجهزة الأمن القومي تقتصر على تحديد التهديدات التي تواجه الدولة، ولكنها يمكن أن تصبح دموية بغيضة في أسوأ الأحوال. ومن المؤكد أن الخبرة السابقة لم تسهم كثيرا في تحسين السمعة الثقافية للجيوبوليتيكا.

وبغض النظر عن هذا، كانت الجيوبوليتيكا تبدو في الجغرافيا الأنجلوفونية خلال معظم فترة ما بعد الحرب كما لو كانت محرومة

ومنفية وباطلة، لأنها ضلال وانحراف خبيث، وبحلول ١٩٦٩، عندما انتقد بريان بيري Brian Berry الجغرافيا السياسية على أنها "بركة أسنة" أصبحت الجيوبوليتيكا الجزء الأكثر ركودا من هذا العلم الفرعي الخامد.

لقد تحسن فهم تواريخ وتطور الجيوبوليتيكا كثيرا في السنوات الخمس عشرة الماضية، وعلى سبيل المثال، فقد سمحت دراسات الجيوبوليتيكا الألمانية بتحقيق فهم أكثر عمقا لنشأة وتطور وسياقات وأهمية الجيوبوليتيك في ألمانيا خلال عهد فايمر وخلال الفترة النازية، كما ساعدت في التعرف على الطرق التي أضفت بها النازية الشرعية السياسية على الجيوبوليتيك، فضلا عن إدراك التهميش النهائي للحركة بسبب شكوك المنظرين العنصريين المتشددين للرايخ الثالث.

وهناك أيضا مفاهيم مختلفة لتوزيع الأفكار الجيوبوليتيكية في عالم ما بين الحربين، ولإعادة مناقشتها في عدد من الدول، فمثلا حققت الجيوبوليتيكا درجات متفاوتة من النجاح في فنلندا (Passi ١٩٩٠) والسويد (Holder 1992) واليابان وهناك دراسات عن النقد الفرنسي للجيوبوليتيك الألماني، وجهود صياغة الجيوبوليتيكا الفرنسية، وتوضح دراسات حديثة كيف أن كلا من الجيوبوليتيكيات الألمانية والفرنسية كانتا تقرأان في إيطاليا الفاشية، حيث طور الجغرافيون جيوبوليتيكا إيطالية في ضوء هذه الجيوبوليتيكيات البعيدة، ولكنها مميزة عنها وكذلك تجددت الجيوبوليتيكا في أسبانيا في عهد فرانكو.

واستمر الحال على هذا المنوال حتى تسعينات القرن الماضي عندما لاحت مؤشرات الانهيار الكبير للدولة "السوبر عملاقة" الاتحاد السوفيتي، لنعود ونشهد الولادة الجديدة لمقولات الجيوبوليتيك، ذلك أن انهيار كل المحددات الأيديولوجية والسياسية التي قام على أساسها

النظام العالمي ثنائي القطبية بعد الحرب العالمية الثانية، دفع الباحثين في محاولاتهم تلمس شكل النظام الجديد المرتقب إلى أكثر العوامل ثباتاً وديمومة في صنع الكتل السياسية الكبرى، ألا وهي الجغرافيا؛ فعادت إلى الظهور مقولات الجيوبولتيكا وظهرت في المكتبات مؤلفات كلاسيكية ودراسات حديثة تسعى لقراءة التحولات الكونية الكبرى من منظور جيوبولتيكي.

وقد كانت دراسات الروسي ألكسندر دوغين، والتي تُرجمت إلى معظم اللغات الأوروبية، من أبرز الدراسات العالمية في هذا المجال، حيث أسهمت في إعادة تقديم النظريات الكلاسيكية لمؤسسي هذا العلم وفي إثارة جدل كبير في روسيا حول الدور السياسي العالمي المنوط بروسيا سواء رغب الساسة الحديثين في ذلك أم لم يرغبوا؛ فحقائق الجغرافيا تفرض على روسيا مصيراً سياسياً يتناسب وعمق المدى الروسي وطبيعة الامتداد على مساحة شاسعة من قارتين هما آسيا وأوروبا.

وقد عمل ألكسندر دوغين مستشاراً للبرلمان الروسي خلال سنوات ١٩٩٨-٢٠٠٣ وهو اليوم رئيس خبراء الجيوبولتيكا التابع للمجلس الاستشاري المتخصص بشؤون الأمن القومي التابع لرئاسة مجلس النواب الروسي "الدوما".

ثانياً: الفكر الجيوبولتيكي:

بني قانون الجيوبولتيك الكلاسيكي على تضاد قوتين: أولاً، قوى البحر، أو التالاسوكراتيا (Thalassocracy) وهي تسمية يونانية ترمز إلى القوة البحرية، أو السيطرة على البحر، مكونة من كلمتين: التالاسا وهي البحر، وكراتيا وتعني القوة والسيطرة، وقد ارتبط

المصطلح بالحضارة المينوسية (المينوية) في العصر البرونزي في القرن السادس عشر قبل الميلاد، التي اعتمدت قوتها على السفن، والتي سيطر ملكها مينوس على البحر المتوسط، وارتبطت بأثينا. أما التيلوروكراتيا (Tellurocracy) فهي أيضا كلمة يونانية تعني القوة البرية، حيث التيلوس ترادف الأرض أو البر، وارتبطت استعارتها بإسبرطة، ولاحقا بإمبراطوريات روما، والمغول، وليست هذه الثنائية منفصلة، بل إن تعاضد قوة إحداهما هو في رأي الثانية خطر، واتساع نطاق واحدة منهما فيه انحسار لنطاق الثانية.

إن جوهر الجيوبوليتيكا هو تحليل العلاقات السياسية الدولية على ضوء الأوضاع والتركيب الجغرافي. ولهذا فإن الآراء الجيوبوليتيكية يجب أن تختلف مع اختلاف الأوضاع الجغرافية التي تتغير بتغير تكنولوجيا الإنسان وما ينطوي عليه تلك من مفاهيم وقوي جديدة لذات الأرض، وفي هذا قال ماكيندر " لكل قرن جيوبوليتيكية . والى اليوم فإن نظرتنا إلى الحقائق الجغرافية ما زالت ملونة بمفاهيمنا المسبقة المستمدة من الماضي لتلك الحقائق وذلك لأغراض عملية.

وعلى هذا فإن نظرتنا إلى الأوضاع الجغرافية في هذا القرن هي تلك القائمة على الترابط بين توزيع اشكال سطح الأرض وانماط الحركة. بينما كانت النظرة في القرن الماضي مبنية على توزيع الكتل القارية فقط. وفيما قبل القرن التاسع عشر كانت النظرة إلى الأوضاع والحقائق الجغرافية نابعة من التوزيعات المناخية وأشكال السطح الإقليمية. وتشير المناقشات الجارية بين المختصين الى أن أسس النظرة الى الأوضاع والحقائق الجغرافية في القرن القادم سوف تركز على توزيع الكتل السكانية والتكاملات الاقتصادية أكثر بكثير مما يعطي لها من وزن في الوقت الحاضر.

لكن ما هو هدف و غرض التحليل الجيوبوليتيكي؟ يرى بعض الباحثين أن التنظير الجيوبوليتيكي قد يخدم اغراض تخطيط السياسة والدعاية أو غير ذلك من الأغراض السياسية العملية. مثال ذلك أعمال الجيوبوليتيكيين الألمان في خلال العهد النازي.

والحقيقة أن الأفكار الجيوبوليتيكية قديمة قدم الفكر الإنساني في حضاراته العليا القديمة. ولعل أقدم فكرة صريحة وصلت إلينا هي أفكار الفيلسوف الأغرقي أرسطو الذي أكد أن موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المعتدل المناخي) قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال البارد) والجنوب الحار) (ارسطو في كتاب السياسة). وعلى أية حال فإن الجيوبوليتيكا تخدم كافة الأغراض العلمية والعملية من وجهة النظر المشار إليها سابقا. على شرط إلا يشوه الكاتب عمدا تفسيره ونظرته إلى الأوضاع الجغرافية، وهذا يتطلب من الكاتب ألا يكون مشاركا أو داعيا للتطبيق العملي لاتجاهات فكرية أو سياسية معينة. لكن السؤال الأخطر هو: هل يمكن للكاتب أن يتحرى الموضوعية الدقيقة في الكتابة؟ يقوم التحليل الجيوبوليتيكي على موضوعين أساسيين:

الأول: وصف الوضع الجغرافي وحقائقه كما تبدو بالارتباط بالقوى السياسية المختلفة.

الثاني: وضع ورسم الإطار المكاني يحتوي على القوى السياسية الدول المتفاعلة والمتصارعة .

ومن الصعب - في الوقت الحاضر- ان نحاول القيام بمثل هذا التحليل بالقياس إلى سهولة ذلك في الماضي. وذلك راجع إلى تداخل الأطر المكانية لقوى والتكتلات الدولية الحالية وما يتبع ذلك من

استمرار العملية ادخال أو اخراج واحدة من القوى داخل حلف أو آخر. وبذلك لا يمكن وضع حدود مكانية واضحة وفاصلة - إذ لا بد ان تعترتها التداخلات الزمانية من أن الى اخر.

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك أن الحدود المكانية للككتلين الشرقية والغربية في اوروبا كانت خلال الخمسينات واضحة كل الوضوح في صورة خط حد فاصل بين المانيا الغربية من جانب والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا من جانب آخر - بينما يتميع الخط الفاصل تميعا يجعل الأمور غير واضحة المعالم في منطقة النمسا باسرها، ومنطقة يوغسلافيا بأسرها. ويعود الخط الى الوضوح متمثلا في الحدود المشتركة بين بلغاريا من جانب، واليونان وتركيا من جانب آخر و اليوم - مرورا بالستينات - نجد بداية تميع واضح في خطوط الفصل المكاني للككتلين نتيجة الوحدة الألمانية، والتقارب المسبق بين المانيا الغربية والاتحاد السوفيتي وبولندا وتوقيع اتفاقيات الاعتراف بحدود بولندا الجديدة على الأودر والنيسة. فتفاعل القوى السياسية يغير الإطارات المكانية بصورة سريعة على مر الزمن يصعب معها تنظير محدد في التحليل الجيوبوليتيكي .

في الماضي كانت المحاولات الجيوبوليتكية ممكنة. فحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت القوى الدولية الرئيسية عبارة عن ارتباطات بالإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية، فمركز هذه القوى كان محددًا بمنطقة ضيقة في أوروبا ودول البحر المتوسط البحرية. وفي خلال ثلاثة الاف سنة كانت مراكز القوى العالمية عبارة عن " قلوب صغيرة" تنقلت من مكان إلى آخر في الشرق الأوسط وأوروبا : مصر - العراق - فارس الغربية - الإغريق - قرطاجة - روما - بيزنطة -

بغداد (الخلافة العباسية) - القاهرة (الفاطمية و المملوكية) - الإستانه
العثمانية اسبانيا والبرتغال - فرنسا - إنجلترا - هولندا - ألمانيا.

هذه المراكز السياسية على مر الزمن تزامنت او تلاحقت الواحدة
تلو الأخرى بعد صراع زمني. وكانت هذه في مجموعها تكون " العالم
ذو الأهمية" في راي جيمس فرجريف. فهذا العالم - بموقعه -
واوضاعه الجغرافية الخاصة مكن شعوبة وسكانه من أن يطوروا
وينموا موارد بلادهم المحلية أولا، ثم التوسع بعد ذلك إلى أقاليم
وموارد خارجية في مناطق أقل نموا وتقدما.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وجد بعض
الجيوبوليتيكيون أن " العالم ذو الأهمية" لم يعد قاصرا على اوروبا
الغربية والوسطى، بل تمدد ليشمل الكتل الأرضية في نصف الكرة
الشمالي بين درجات العرض ٣٠ و ٦٠. ووجد آخرين أن هذا النمط
الساند لم يعد قاصرا على دول سواحل أوروبا الغربية بل اخذ ينتقل
تدرجيا إلى داخلية القارات في العروض ٣٠ و ٦٠ شمالا : أو بعبارة
أخرى أخذت مراكز القوى تظهر في كل من الولايات المتحدة وروسيا.

ولكن في الوقت الحاضر لا تستطيع أن تتفق مع تحديدات السابقين
على أن ما بين درجتي العرض ٣٠ و ٦٠ هي مراكز القوى العالمية،
فالأساس الحالي المرتبط بالكتل السكاني عدديا والموارد الاقتصادية
ورغبات الشعوب والأيديولوجيات القومية وغيرها تجعل من المستحيل
على الباحث أن يقول أن النطاق الشمالي سيظل محتكرا لمراكز القوى
العالمية. وعلى هذا فإننا نجد بوادر ظهور مراكز قوى عالمية تمثلها
الهند والصين والبرازيل. وفوق هذا يمكننا أن نطرح سؤالا للمستقبل
عن مراكز قوى أخرى في العالم العربي ككل أو في جزء منه.

ومن ثم فإن اصطلاح " العالم ذو الأهمية" لم يعد وجوده بالوضوح الذي كان عليه في أوائل هذا القرن. ولكن هل يعني هذا انه لا يمكن تبين مناطق من العالم سنظل في ظل دول قوى اخرى؟ هل أصبح او سيصبح العالم متكافئة تماما؟ إن الإجابة على هذا التساؤل لا يجب أن تكون جازمة وملزمة لكن الحقائق الجغرافية تضع امامنا احتماليات كثيرة.

فلا شك أن هناك مناطق اسهل اتصالا بالموارد الاقتصادية الهامة من غيرها بحكم التنظيم العام لأشكال السطح والعلاقة المكانية. وهناك مناطق تتمتع بكفاءة أعلى (تكتيك) في استخدام الموارد، ولمثل هذه المناطق احتمالات بقاء واستمرار لنفوذها الذي تبسطه على أجزاء من العالم بحكم حقائق الجغرافيا الطبيعية والحضارية معا.

١- الفكر الجيوبوليتيكي القديم

ارتبطت الأفكار الجيوبوليتيكية القديمة عامة بالظروف الجغرافية المحيطة بشعب او مملكة أو مفكر. ويبدو أن السياسات القديمة: عشائرية أو على مستوى القبيلة بالنسبة للرعاة و امثالهم من المتحركين، أو الإمارات او الدول التي كونت الحضارات العليا القديمة في الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط - هذه السياسات كانت تقودها و تسيطر عليها فكرة الوحدات الجغرافية المتكاملة مثل الأودية النهرية - وادي النيل الأدنى الذي تحولت فيه الدولة المصرية القديمة وما بين النهرين الذي تحولت فيه دول سومر و اكاد وبابل و اشور، ووادي الأردن الذي اختاره لوط وقومه حينما انفصلوا عن ابراهيم الخليل وقد فضل الأخير أن يقيم حياة أساسها التجوال في التلال و الهضاب.

وفي عهود هذه الدول القديمة ظلت الصحاري و الجبال مناطق متميزة بوضوح خارج الدولة أو داخل نفوذها السياسي غير المباشر، وقد كلف هذا تلك الدول أن تقيم حدودا ومعسكرات لأجنادها في اقاليم الحركة المستمرة للرعاة لإجبارهم على احترام الدولة واقامة علاقات تجارية فقط، أو لإخماد ثوراتهم وحركاتهم الغازية التي قلما تهدأ، وبرغم ذلك اجتاح الرعاة بابل وممالك العراق القديم مرات، واجتاحوا مصر في صورة الهكسوس.

ولا شك أن الكفاح المستمر بين الأخضر والأصفر قد أدى الى تغيرات مستمرة في التركيب السياسي والعسكري لدول الشرق الأوسط. ولكن ذلك لم يكن كل اشكال الصراع. فقد ظهرت دول قوية في الهضاب المحيطة، وخاصة في هضبة ايران (ميديا والأخمينيين) وهضبة الأناضول (الحيثيين). وعلى سبيل المثال انتهى الصراع بين العراق والفرس بسقوط دولة بابل الثانية وامتداد الامبراطورية الفارسية على كل انحاء الشرق الأوسط، أما الصراع بين مصر والحيثيين فقد الجأ المصريين على تقرير سياسة جيوبوليتيكية اساسها فرض الصراع على ارض بعيدة عن مصر. ولهذا يحتل المصريون ساحل اللفانت حتى اقدام جبال طوروس ويؤمنون المنطقة كلها حتى حدود المملكة الحوثية في هامش الهضبة. وبذلك أصبحت جيوبوليتيكية الفراعنة في الدولة الحديثة تشمل الامتداد الأرضي الخصب على طول ساحل البحر المتوسط، بينما كانت سياساتهم فيما قبل ذلك تجعل لهم حدودا حتى سيناء فقط.

أما الفكر الجيوبوليتيكي الإغريقي فقد انبني على فكر نظري في مجموعة عكس الأفكار السياسية العملية لدول الشرق الأوسط، ولعل ذلك مرتبط بالصراع المستمر لهذه الدول بينها وبين بعضها، وبينها

وبين قوى الرعاة في الصحاري والهضاب المحيطة. أما الإغريق فلم يكونوا دولة بالمعنى المفهوم، إنما دويلات تلتئم في تركيب حضاري شامل أساسه الاقتصادي التجارة البحرية الواسعة من البحر الأسود الى البحر المتوسط الغربي والشرقي.

لهذا فالجيوبوليتيكا الإغريقية مرتبط بأقاليم مناخية عامة و عالمية - عكس الأفكار الإقليمية البيئية المحددة لدول الشرق الأوسط.. وأقدم ما وصل الينا خريطة هيكتايوس Hecateus (ق)، (السادس ق. م.) التي قسمت العالم إقليمي مناخيين : البارد ويشتمل على أوروبا وشمال آسيا، والدافئ المشتمل على آسيا وأفريقيا. وفي رأيه أن الإقليم الدافئ أكثر ملائمة للسكن وتكوين القوى الدولية. وفي القرن الخامس ق. م. نجد بارمينيدس Parmenides يقسم العالم إلى خمسة أقاليم مناخية: إقليم شديدة الحرارة و إقليم شديد البرودة و إقليم معتدلين. وقد بنى ارسطو سياسته على تقسيمات بارمينيدس وقال أن الإقليم المعتدل الذي يسكنه الإغريق هو الإقليم الذي يحمل في طبيته بذور القوة.

وأخذ آخرون يفسرون التغيرات السياسية بين المدن والدول على ضوء اشكال السطح المختلفة، فأقليم اتيكا - الذي برز على سطح السياسة الإغريقية فترة طويلة - فقد نمت سياسيا وازدهر حضاريا نتيجة الظروف الطبيعية التي جعلته أمنا من الغزو، وعلى هذا أصبحت اتيكا مكانا يلتجى اليه لفقره الطبيعي في موارد المحلية، ويرى ثيوسيدوس Thucydides أن هذه الظروف عكس غنى إقليم هيلاس الذي جعله مسرحا للصراع.

وقد رأى الجغرافي الروماني سترابو Strabo أن القوى العالمية مركزة في الأقاليم القارية الكبيرة - وليس الهوامش البحرية - وأن

أوروبا هي مركز هذه القوى، ويرى سترابو ان الجزء المسكون من العالم يتكون من ثلاث كتل قارية هي أوروبا وليبيا و آسيا، وان اذرع المحيط وخلجانه وبحاره تشكل هذه القارات، وأن أوروبا هي أكثر الثلاثة ملائمة للنمو والازدهار الفكري والاجتماعي.

ولعل سترابو كان أول من أشار في تقسيمه الى العالم ذو الأهمية" الذي حدده بامتداد من " أعمدة هرقل" (جبل طارق) الى خليج المحيط الشرقي (البنغال) ومن أيرنا (إيرلندا) إلى سينامون (سيلان: سيريلانكا) .. لما الأراضي التي تقع على حدود ذلك الإقليم غير مسكونة ولا تهتم الجغرافي فالعلم بها لا يعطي أية معلومات يمكن الإفادة منها سياسيا، خاصة إذا كانت جزرا لا يستطيع سكانها أعاقتنا او افادتنا تجاريا.

وفكرة وجود أكثر من عالم واحد مسكون بالناس، ومن ثم إمكان وجود أكثر من نواة للقوى العالمية، فكرة لم يلق إليها بالا الإغريق او الرومان حتى سترابو. لكن بذور الفكرة نجدها في أفكار شائعة عن القارة المفقودة " اتلانيس" كما ورد ذكرها في جمهورية افلاطون على أنها كانت الدولة المثالية القوية القادرة على رد أي دولة أخرى من قارة أخرى. ولكن الروماني ميلا Mela يؤكد أن الإقليم المعتدل الجنوبي مسكون، وكذلك شاعت باستمرار فكرة وجود ارض جنوبية عظيمة Terra australia وبرغم ذلك كله فإن أفكار سيادة اوروبا القارية لم تنزعزع.

وقد رفض الجغرافي بطليموس فكرة أن هناك محيط كامل من البحار حول الجزيرة الأرضية وجعل الأرض تمتد شمالا وجنوبا وشرقا في اراضي مجهولة، وكان الجغرافيون القدماء عامة يتخذون مظهرا طبيعيا واحدا على انه حد لإقليم من الأقاليم، فقد قسم هيروودوت آسيا

إلى أشباه جزر Actae واستخدم الخلجان حدودا . وفضل استرابو أن يستخدم الفواصل الأرضية حدوداً كبرزخ السويس بين آسيا وليبيا، وطوروس بين آسيا واروبا.

لكن الجغرافي الروماني بليني Pliny (الكبير) رسم صورة جيوبوليتيكية فريدة للإمبراطورية الرومانية، متخذ طرق الحركة البرية والبحرية لتحديد الإمبراطورية. وأوضح أن روما تمد نفوذها الإقليمي في اتجاهات مختلفة حول البحر المتوسط في صورة اتفاق متكامل مع امتداد الطرق الرومانية. وفي بعض الأحيان تنتهي هذه الطرق الى عائق نهري مثل نهر الراين او الدانوب او الفرات والنيل، وعلى هذا النحو تصبح نهايات نظام الطرق الرومانية إطارا يحدد الدولة من أطرافها القصوى، بينما هنالك إطار آخر داخلي متمثل في طرق الملاحة في البحر المتوسط التي سيطرت عليها روما تمام السيطرة طوال مجدها.

وفي العهد الإسلامي نجد الجغرافيين العرب يهتمون أساسا بالجغرافيا الوصفية والإقليمية والفلكية ورسم الخرائط. ولكن في إطار الجغرافيا الإقليمية لكل دولة او اقليم على حدة كانت تبرز المعالجات المختلفة القدر لموضوعات الجغرافيا السياسية. وعلى وجه العموم فإن النظرة الجيوبوليتيكية العربية والإسلامية كانت تقسم العالم المسكون (وهو النصف الشمالي من الأرض) الى قسمين رئيسيين هما أوروبا في الشمال وأفريقيا وآسيا في الجنوب، وهم في الحقيقة لم يميزوا بين أفريقيا وآسيا بل اعتبروها كتلة قارية واحدة. ويفصل بين هذين القسمين البحر المتوسط والأسود، ويقتربان في منطقتي جبل طارق وبحر مرمرة. وقد قوي هذا التقسيم انقسام حضاري مماثل: عالم اسلامي عربي الطابع في معظمة جنوب و شرق هذا البحر، و

عالم مسيحي أوروبي في شمال هذا البحر. والاستثناء الوحيد كانت الخلافة الإسلامية في إسبانيا.

وعلى هذا النحو كان الأفكار الجيوبوليتيكية العربية عامة موجهة نحو السيطرة القارية السياسية، والسيطرة التجارية (البحرية والبرية الى المحيط الهندي وشرق آسيا ووسطها وأفريقيا الزنجية) على الهوامش. وبهذا نستطيع أن نقول أن ثمة اختلاف بين الإمبراطورية الإسلامية في أوجها والإمبراطورية الرومانية في أوجها. ولكن هذا الاختلاف يرتبط بموقع القلب والتوجيه القاري فروما كانت تركز على القارة الأوروبية والبحر المتوسط، بينما بغداد تركز على العالم الأفروآسيوي والمحيط الهندي. وبذلك كانت القاعدة الإسلامية كبيرة وامتداداتها الأرضية شاملة لمسطح أرضي وبحري واسع بالمقارنة بروما، وفيما عدا هذا الاختلاف فإن الطرق البرية والبحرية الإسلامية كانت عصب الامتداد الإمبراطوري في كل اتجاه. وكانت الكرة الأرضية الوسطى في الحلقة التي تكون الإطار الداخلي للإمبراطورية الإسلامية. وحدود هذه الكتلة كان جبال طوروس وهضبة ارمينيا وجبال القوقاز وبحر الخزر (قزوين) في الشمال، وساحل البحر المتوسط الشرقي والجنوبي حتى برقة، ثم الإطار الصحراوي الذي يحف ببرقة ومصر، والبحر الأحمر والقرن الأفريقي والبحر العربي حتي بلوخرستان في الغرب والجنوب بينما كانت اطراف السند وخوراسان وما بين النهرين تكون الحدود الشرقية لهذا القلب الداخلي. وإلى جانب ذلك كانت هناك حدودا اخرى تمثل الحلقة الخارجية للعالم الإسلامي تمتد غربا الى اسبانيا وشمال غرب أفريقيا، وجنوبا حتى موريتانيا وسواحل أفريقيا الشرقية وشرقا إلى الهند و تركستان حتى حدود الاستبس.

واخيرا نجد النظرة الجيوبوليتيكية القارية التوجيه منذ الحضارات العليا في الشرق الأوسط والبحر المتوسط والعالم الإسلامي قد تغيرت جذريا على اثر الكشوف الجغرافية، وتحول مركز القوى الى اقاليم الهامش الأوروبي الغربي (البرتغال واسبانيا - هولندا - فرنسا - بريطانيا). وذلك بعد أن اتضح سهولة ومرونة الطريق البحري بعيدا عن التصارعات العسكرية والسياسية للدول القارية الإسلامية، وبعيدا عن متاعب النقل البري وعلى هذا نمت السيطرة البحرية وتسلطت على الأفكار الجيوبوليتيكية، بعد نجاحها في تكوين الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية الواسعة منذ ق ١٦.

٢- الفكر الجيوبوليتيكي الحديث

جاءت محاولات الجيوبوليتيكا الحديثة مع تطور العلوم الجغرافية، وقد كان الفيلسوف الألماني " ايمانويل كانت أول من عالج من المحدثين هذا الموضوع السياسي العالمي فاعرب عن اعتقاده بأن وجود " الدولة العالمية" أمر مؤسس على طبيعة الأشياء، وقد أيد هذا الاعتقاد بالأدلة التالية:

١- ان الطبيعة قد حبت الإنسان بإمكانية السكن والعيش في كل إجراء العالم.

٢- ان الطبيعة قد بعثرت الإنسان نتيجة استمرار الحروب مما ادى الى سكن الناس في معظم الجهات القابلة للسكن

٣- أن العاملين السابقين معا قد اجبرا الإنسان على أن ينهي حروبه دائما بعقد الصلح وإقامة السلام، ولقد رأى " كانت" أن الدول الأوروبية دائمة الحروب فيما بينها بسبب رغبة هذه الدول في إخضاع بعضها البعض، ومن ثم فإن ايجاد اتحاد اوروبي من الدول المستقلة

الحررة يمكن أن يؤدي الى إحلال السلام في العالم (نتيجة لأن أوربا في عصر " كانت " تسيطر على أقدار العالم السياسية).

وعلى عكس الاتحاد العالمي للدول كما رآه كانت في صورة الدولة العالمية، فإن مؤسسي الجغرافيا الحديثة قد اكدوا على مفهوم الإقليمية المرتبطة بالأنماط الإقليمية وقد أصبحت هذه الأفكار الإقليمية أسس الجيوبوليتيكا الحديثة.

وتأخذ الأفكار الحديثة في الجيوبوليتيكا العالم على أنه ينتظم في أنماط من توزيعات اليابس والماء وخطوط تصل هذه التوزيعات فيما بينها. فعلى سبيل المثال ترى إحدى الأفكار الجيوبوليتيكية أن التركيز يجب أن يصب على الكتلة القارية المتكونة من اور آسيا وأفريقيا معا. فهنا ٥٦% من مساحة اليابس العالمي، ٨٤% من سكانه، وحول هذا التكتل الأرضي الكبير مسطحات مائية واسعة تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة اليابس. هذه هي فكرة " الجزيرة العالمية" وواضح أن مركز ثقل هذه الفكرة يرتبط بأكبر مساحة من الأرض اليابسة.

وفكرة اخرى تركز على النصف الشمالي من الكرة الأرضية: أورواسيا وشمال افريقيا و أمريكا الشمالية والوسطى، وهنا نجد ٦٠% من مساحة اليابس الأرضي و ٩٠% من السكان. والتركيز هنا على مسطحات الماء والهواء التي تربط أسيا بأمريكا، وهناك أفكار أخرى عالمية مثل تلك التي تركز على الأطلنطي على أنه رابط بين الأمريكتين واوروبا و افريقيا معا باعتبار هذه القارات الأربع والمحيط الذي يربط بينهم في التكتل الأرضي ذو الأهمية المغزى في العالم. ولا شك أن هذه الفكرة تستمد جذورها من العلاقات التجارية و خطوط الاتصال البحري و الجوي الكثيفة التي تتمركز في الاطلنطي بالقياس الى بقية المحيطات.

وقد ترتبت على هذه الأفكار نظريات استراتيجية مختلفة. فاستراتيجية الجزيرة العالمية تؤكد أن من يحكم قلب اوروسيا قد يحكم العالم. ويرتبط بالجزيرة العالمية كفكرة جيوبوليتيكية نظرية استراتيجية أخرى مغايرة تماما لفكرة قلب العالم. تلك هي الاستراتيجية الخاصة بالتحكم في أطراف الجزيرة العالمية المتمثلة في اشباه الجزر الضخمة حول أوروسيا: اوروبا (كشبه جزيرة لآسيا) والشرق الأوسط والهند وجنوب شرقي آسيا. وتقول هذه النظرية أن من يحكم هذه الأطراف قد يحكم العالم. ونظرية ثالثة تقول أن حكم العالم القطبي قد يؤدي الى النفوذ العالمي. والى جانب هذه النظريات نجد نظرية تقف موقف التوفيق بينهم، فلا هي تطالب بحكم قلب الجزيرة العالمية ولا قطبها أو أطرافها، ولا تدعو الى السيطرة العالمية. بل ترى هذه النظرية ان في الإمكان أحداث تعادل في ميزان القوى العالمية بين قوتين أو ثلاث على المستوى العالمي.

وبغض النظر عن هذه النظريات وتفصيلاتها فإن ما يجب أن نتذكره هو ان كل الاستراتيجيات في الماضي والحاضر ترتبط بظروف الزمان والتكنيك الذي يصله الإنسان، كما يرتبط بالأوضاع الجغرافية.

وأصول النظريات الحديثة ترجع إلى القرن الماضي على يد مؤسسي الجغرافيا الحديثة: الكسندر فون همبولت وكارل ريتير. وقد أكد كلا من هذين العالمين أن هناك علاقات متبادلة بين الإنسان والدولة والمحيط الطبيعي، وقد طور كارل ريتير (١٨٠٤) افكار في صورة تقسيمات إقليمية داخل الكرة الأرضية الموحدة، فهو اولاً يقسم العالم الى قسمين أساسيين الأرض (القارات) الماء (المحيطات) والحدود بين هذين القسمين هو دائرة عظمى تمر من بيرو الى جنوب آسيا. ثم قسم ريتير اليابس الى قسمين هما العالم القديم والجديد،

ويتميز العالم القديم بتشابه مناخي كبير لأنه يمتد امتداد كبيرا مع درجات الطول اي من الشرق الى الغرب على طول دوائر عرضية محدودة. أما العالم الجديد فتظهر فيه اختلافات مناخية أكبر لأنه يمتد من الشمال الى الجنوب امتداد كبيرا.

وعلى هذا النحو يتناول ريتز القارات كل على انها وحدة طبيعية كاملة واخيرا يصل الى اقسام ذات شخصية داخل كل قارة، وكذلك قسم ريتز المحيطات الى حوضين هما الاطلنطي و الباسيفيكي. وقد فسر الجغرافي الفرنسي ارنولد جوية Guyot , آراء ريتز في منتصف القرن ١٩، ووصف أن العالم القديم بأنه عالم الجبال والهضاب وإن سهولة محدودة الاستغلال، بينما يتصف العالم الجديد بثروة السهول. كذلك قال في مجال المفاضلة بين المحيطين الأطلنطي و الباسيفيكي، أن الأول هو أكثر ملاحه، وأن حوضه تسوده البحار الداخلية وان سواحله ذات انحدارات هينة، بينما الباسيفيكي في رأيه هو أكثر المحيطات محيطا و انحدارات سواحله سريعة وعنيفة.

وقد كان "جوية " أول جغرافي حديث يؤكد أهمية الموقع المركزي للقارة الأوروبية داخل المحيط الذي هو في الحقيقة الطريق الرئيس في العالم وقد نبعت أفكار "جوية" الجيوبوليتيكية من ريتز الى القارات على أنها كل متكامل طبيعي. وواحد من أهم أفكار "جوية" في هذا الموضوع هو أن زعامة العالم اخذه في الانتقال من أوروبا الى امريكا الشمالية. والمبدأ الثاني عنده أن القارات تنتظم في ثلاث مجموعات مزدوجة واحدة الى الشمال والثانية جنوبها، وان الشمالية تعطي الجنوبية حضارتها ومدينتيها، كما انه يعتقد أن أسيا كانت مهد الحضارة وأن أوروبا المكان الذي نضجت فيه الحضارة وان امريكا الشمالية هي نقطة النهاية العظمي لهذه العملية الحضارية، وكذلك

أعرب جوية عن اعتقاده - في اسلوب صوفي غامض - بان وحدة السلالة وروابط الديانة المسيحية والقرب المكاني هي الأسس التي تجذب وتصنع وحدة القارات الشمالية.

الجيوبوليتيكا الخضراء

ظهر الاهتمام الواسع بالحديث سياسيا عن إدارة إيكولوجية الأرض أو كنوع جديد من الجيوبوليتيكا الشعبية في الولايات المتحدة بين الحركات الإيكولوجية المحلية والقومية في الستينات. ومع ذلك، أصبح الأمر أكثر وضوحا في التسعينيات من القرن الماضي، بعد نهاية الحرب الباردة، فبعد الانتصار على الشمولية الشيوعية، أصبحت الولايات المتحدة محكومة بقيادة يرون الآن "الأرض في الميزان". ويقولون إن الإيكولوجيات العالمية يجب أن تحقق ما هو الأفضل، وليس الأسوأ، لصالح البشرية ويمثل الاقتصاديون والصناعيون والقادة السياسيون المجال الاستراتيجي للنظام العالمي بعد ١٩٩١، والذي يجب أن تتنافس عليه كل الدول للسيطرة على التنمية المستقبلية للاقتصاد العالمي، وذلك بتطوير تقنيات جديدة، والسيطرة على مزيد من الأسواق، واستغلال كل الأصول الاقتصادية الوطنية. وفي الواقع، تتراوح ظاهرة الدول الفاشلة من وجود تشريعات غير عملية مثل رواندا والصومال وأنجولا، إلى وجود كيانات مكبلة مثل أوكرانيا أو أفغانستان أو كازاخستان، ويرجع ذلك إلى الانتهاكات البيئية الحادة الناتجة عن الإخلال الشديد بالطبيعة بسبب المحاولات غير الفعالة لتحقيق النمو الاقتصادي.

وهكذا فإن أخذ الإيكولوجيا في الحسبان يولد سلسلة من الخطابات عن البيئة التي تستند إلى كل من الأخلاق والرشادة أيضا. فمع مواجهة الإنسانية لحدود النمو، ودوى "الفتنة السكانية"، أصبحت

الإيكولوجيات والبيئات شيئا أكبر من أن نحكم عليه أخلاقيا، فهي أشياء يجب أن تديرها الحكومات. وكما يقول فوكو، تطورت الإيكولوجيا إلى إمكانات عامة تتطلب إجراءات إدارية، ويجب أن يتحمل مسئوليتها خطاب تحليلي، كما اتضح من هذه الظواهر البيئية أنها أصبحت مسألة انضباط، وليس كبح الخلل، بل تعظيم منظم للقوى الفردية والجماعية

ويقول أوتواتيل إن الجيو- بوليتيكا لا تمثل ضغطا ثابتا، ولكنها غير مستقرة وغير محددة، ويجب ألا نعتبرها حقيقة فهي مجرد مسألة ويسمح تقسيم الجغرافيا إلى "جيو - بوليتيكا" كما يرى أوتواتيل، بفصل الجيوبوليتيكا من ارتباطها التاريخي في السياسة الواقعية . ثم البحث عن ارتباطات جديدة في الجيوبوليتيكا وسط معانيها الغامضة غير المحددة، وتسمح الممارسات العملية غير الموضحة والمتجسدة في الجيو- بوليتيكا لهذا التجمع من ممارسات، وقيم المفاهيم بافتراض واكتساب انتشارات عملية جديدة في أماكن أخرى وفي أوقات أخرى، بعيدا عن تقاليد الدبلوماسية / الامبريالية / العسكرية. إذ إن التطور الكامل "للنظام السياسي المغلق" على المستوى العالمي والذي وصفه هالفورد ماكيندر "بعصر ما بعد الكولومبية". لم يثبت وجوده الكامل في التصور السياسي الجماعي حتى ١٩٦٨ عندما عادت أبوللو بصورها الملونة للأرض وهي تسبح وحدها في ظلام الفضاء وبينما أثبتت الحربان العالميتان الأولى والثانية إغلاق معظم المجال الأرضي أمام التوسع البري السهل، فإن إعادة التصور الإيكولوجي للكوكب كأرض سباحة في الفضاء في ٢٠ يوليو ١٩٦٩ عندما هبط نيل أرمسترونج على القمر - أكدت أخيرا اعتقاد ماكيندر أن ما كان يعتبر جيوبوليتيكا يجب أن يحول انتباه رجال الدولة في كل أنحاء العالم من

التوسع الأرضي إلى الصراع على الكفاءة النسبية وتظهر حماسة ماكيندر- تلك الحماسة البريطانية الفيكتورية الفريدة المنشغلة برفاهية مستقبل الإمبراطورية والأمة - في أفكاره عن الكفاءة النسبية في عالم أوائل التسعينات التنافسي والمتشابك بصورة متزايدة، فقد قادته نزعاته الامبريالية المحافظة إلى القلق على مدى قدرة الإمبراطورية البريطانية على إدارة أصولها الأرضية التي اكتسبتها بصعوبة في زمنها الجديد القائم على الاعتماد المتبادل المعقد.

ويتزايد ظهور الإيكولوجيا كاستعارة جيوبوليتيكية في نفس الوقت الذي خمدت فيه شرارة الألفية في العالم الشيوعي أخيرا، مما جعل العالم كله محصورا بصورة ما في الأنماط الثابتة للتصنيع والتحضر المتزايد. وقد وصل الانتقاد الشيوعي للرأسمالية والهجوم الرأسمالي المضاد ضد الشيوعية إلى مأزق أيديولوجي في الستينات، ولكن يمكن إخضاع النظامين لفقد إيكولوجي لكفاءتهما النسبية، فمع بزوغ يوم الأرض في ١٩٧٠، لم يعد الكثير من الناس في الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي يعتقدون الأمل على تحول اشتراكي حقيقي للاقتصاد والمجتمعات الصناعية القائمة، وبدأ يظهر القلق الجديد على الأمن واستمرارية أنماط الحياة الاستهلاكية الجديدة التي أثبتت أنها أكثر جاذبية من الأنماط الإنتاجية التي قدمتها الستالينية الجديدة في الخطاب السياسي في أشكال الفكر الإيكولوجي. ففي الإيكولوجيا هناك أصدااء وانعكاسات محملة بمقترحات لرؤية "عالم نهاية القرن" عند ماكيندرز.

وفي الحقيقة نجد أن الجيوبوليتيكا مع الإيكولوجيا تستطيع للمرة الأولى أن تدرك شيئا من التناسب الحقيقي للملامح والأحداث على مسرح العالم الواحد، وقد تحاول البحث عن معادلة تعبر عن جوانب

معينة للتفسير الجغرافي في تاريخ العالم، وهذه الهياكل الإيكولوجية الجديدة يجب أن يكون لها قيمة عملية لأنها تضع بعض القوى المتنافسة في السياسة الدولية المنظورة وهكذا فإن نظرة ماكيندر الجيوبوليتيكية يمكن أن تمهد لمعيار جديد للقيمة العملية للرؤى البيئية التي تدفع الاقتصاد والسياسة الدولية المعاصرة، ومن ثم فإن الجيوبوليتيكا الخضراء ستكمل منطق التصور الامبريالي العرقي عند ماكيندر بعولمة أسلوبها الإداري حتى أصغر الكائنات في أبعد المناطق من المحيط الحيوي للأرض حيث ترى الجيوبوليتيكا الخضراء - مثل ماكيندر- أن:

"اقتصاد العالم الآن معروف ومشغول ومغلق أمام كل النوايا والأغراض، فقد أصبح العالم مكانا واحدا موحدًا من فضاء مشغول، ونظام فضاء مغلق (كسفينة فضاء مغلقة) حيث يكون لأي حدث في أي جزء منها نتائج في بقية الأجزاء الأخرى فلم يعد ممكنا أن نعالج الصراعات المختلفة على الفضاء بمعزل عن بعضها البعض، لأن كلا منها يمثل جزء من نظام عالمي للفضاء مغلق، فقد أصبح عالم التفاعلات الدولية عالميا الآن "

ومع أخذ هذه الافتراضات العملية في الاعتبار، فإن "الصراع على الكفاءة النسبية" يمكن أن يصبح الفكرة المسيطرة على الاقتصاد السياسي البيئي، الذي يمكن مساندته جيدا بإعادة فحص دراسات معهد وولدووتش لنظم الأرض في التبادل الإيكولوجي الاقتصادي.

وإذا اعتبرنا البيانات بمثابة مناطق جيوبوليتيكية جديدة، فإنه يمكن مراقبتها للحكم على مدى نجاحها أو فشلها النسبي في ضوء مقاييس رياضية مجردة للاستهلاك، وحصص المكاسب أو الخسائر القومية من

خلال كثافة وسرعة وكمية السلع والخدمات المتبادلة في نظم الاستهلاك الكبير التي تكون المجال التقني.

وقد طرحت هذه القراءات الجيوبوليتيكية الجديدة للبيئة خطابات جديدة عن المسؤولية الاجتماعية على الرأي العام، بما في ذلك الجيو-بوليتيكا الخضراء الناعمة لإدارة كلينتون بقوانينها الخادعة ذات الأثر الإيكولوجي المحدود. وكان التعهد الرئاسي بنشر الطاقة الأمريكية كمؤسسة حماية بيئية يتزايد ويتناقص طوال ربع القرن الماضي، ولكن في ١٩٩٠ جعل الرئيس كلينتون هذه الجيو-بوليتيكا الخضراء جزء لا يتجزأ من منهجه العالمي للالتزام. ومن أجل تأكيد قيادة أمريكا في عالم ما بعد الحرب الباردة، والانتقال من عصر الصناعة إلى عصر المعلومات، ومن عالم الحرب الباردة إلى القرية العالمية، يؤكد الرئيس كلينتون :

"إننا نعلم أننا في الخارج نتحمل مسؤولية تقديم الحرية والديموقراطية لدفع الرفاهية والحفاظ على كوكبنا ... في عالم يتلاشى فيه بشكل مستمر ذلك الخط الفاصل بين السياسة الداخلية والخارجية ... حيث يتأثر مستقبلنا الشخصي والأسرى والقومي بسياساتنا البيئية في الداخل والخارج. فمصالحنا في الداخل لا تنفصل ببساطة عن جهودنا لدعم مصالحنا حول العالم. فيجب أن يكونا شيئا واحدا إذا أردنا أن نكون آمنين حقا في عالم القرن الحادي والعشرين"

وتظهر هذه الجهود لربط النمو الاقتصادي بالمسؤولية الإيكولوجية بصورة أكثر انتظاما في التأملات البيئية لناناب الرئيس آل جور. حيث يذهب جور إلى أن تأسيس هذه الجيوبوليتيكا الخضراء يوضح "أن مهمة استعادة التوازن الطبيعي للنظام الإيكولوجي للأرض" تؤكد أيضا على اهتمام أمريكا طويل الأجل بالعدالة الاجتماعية، والحكم

الديموقراطي، واقتصاديات السوق الحر، ويمكن اعتبار السلطة الأخلاقية التي تظهرها هذه الإيكولوجيا الرسمية بمثابة التزام متجدد لما كان يعتبره جيفرسون بمثابة حقوق عالمية وليست أمريكية فقط: الحياة، الحرية، وتحقيق السعادة. ومع ذلك، يؤكد "جور" على مستوى آخر أن الاستراتيجيات العالمية الأمريكية بعد الحرب الباردة يجب أن تؤسس "علاقة طبيعية وصحية بين الإنسان والأرض" ليحل التوجه البيئي محل الاستغلال البشع للطبيعة.

ويأخذ برنامج "جور" لحماية الأرض منحى جيوبوليتيكا عندما ينادي بإعداد مشروع مارشال عالمي "لوضع التنمية المستدامة" في قلب السياسة الإيكولوجية. وكما يقول جور، انضمت عدة دول معا في ذلك المشروع التاريخي فيما بعد الحرب العالمية الثانية لإعادة تنظيم كل مناطق العالم وتغيير طرق حياتها.

ويركز مشروع مارشال العالمي - مثل مشروع مارشال القديم - على الأهداف الاستراتيجية والأنشطة والبرامج التي يمكن أن تزيل الاختناقات المعرقة للأداء الصحي للاقتصاد العالمي حاليا .. وذلك من أجل تلبية الحاجات الإنسانية وتشجيع التقدم الاقتصادي المستدام، حيث يتم إعادة إدماج الأشكال الممكنة للاستدامة الإيكولوجية - في الاستهلاك الضخم - في برنامج فعلى لأيدولوجية نمو اقتصادي جديدة، ويصبح الحفاظ على استدامة الطبيعة بالحفاظ على الاستهلاك من نظمها الإيكولوجية في الجيوبوليتيكا الخضراء هدفا رئيسا للسياسة الخارجية الأمريكية.

ويقول نائب الرئيس جور الأشياء الصحيحة عن تغيير فروضنا الاقتصادية عن الاستهلاك غير الذكي، ولكن حده الأدنى للتنمية المستدامة يوجد في استدامة النشاط الأمريكي والصناعة والعلم من

خلال أشكال استهلاك واعية إيكولوجيا، ونظرا لأن أمريكا تمثل الاقتصاد الرأسمالي القائد للعالم، يستنتج جور أن الولايات المتحدة عليها التزام خاص باكتشاف طرق فعالة لاستخدام طاقة قوى السوق للمساعدة في إنقاذ بيئة العالم، وقد حشد نائب الرئيس جور مجموعة صغيرة من حوالي أربعين رجل وامرأة، معروفين بصورة غير رسمية باسم تكنوقراط جور، لمساعدته على هذا المزيج العقلي الفريد بين التنظيم مرتفع التقنية والتوجه البيئي مرتفع المستوى للسباق الرئاسي لعام ٢٠٠٠ ومهما كان ما يوجد في الطبيعة ولا يمكن وضعه تحت هذه المراقبة عالية التقنية، فإنه سوف يطرح على الانترنت كمجال مناسب للمحاكاة الرقمية وأكد نائب الرئيس جور مؤخرا هذه الاتصالات الأيديولوجية بالاتصالات والبيئة من خلال تكليف وكالة ناسا بتقديم صور للأرض سابحة في الفضاء على الانترنت. وسوف تداع هذه الصور والتي تحمل عنوان كل الأرض كل الوقت حية على الشبكة العنكبوتية من سفينة فضاء صغيرة تقع في مكان ما بين الأرض والشمس (A1 : Sawyer 1908) ولا يزال لدي جور صور مكبرة للأرض من أبولو ١٧ معروضة في مكتب الجناح الغربي في البيت الأبيض، وهو يدعى الآن أن هذه التغذية الحية المستمرة لهذه اللقطة للأرض من سفينة فضاء، تتبع "ناسا" سيكون لها قيمة علمية هائلة.

وبالرغم من الجدل حول قيمته العلمية، فإن هذا النظام الفضائي للمراقبة له آثار جيوبوليتيكية حقيقية، فقد أدى تأكيد المراقبة البيئية في الخطابات الجيوبوليتيكية الخضراء في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين إلى تغيير سلوك كثير من المؤسسات والجهات الحكومية نحو الطبيعة، ونظرا لأن الأرض في حالة توازن كما يقول آل جور- فإن

الاستبعاد الميداني للعديد من التكاليف البيئية لتحقيق بعض الفوائد الاقتصادية أصبح أقل انتشارا في معظم الدول حول العالم. إن لم يكن من حيث المبدأ على الأقل، ومع ذلك، فإن احتساب الأصول والخصوم بطريقة أكثر دقة يوضح أيضا فهما جيوبوليتيكية جديدا للعالم، إذ يجب على المرء تجاوز البريق الأخضر الناتج من وثائق مثل "تقرير برونتلاند أو جدول أعمال القرن الحادي والعشرين"، التي تدعي أن الإنسانية مستعدة لوقف حربها ضد الطبيعة وبداية عهد جديد من التعايش السلمي مع التوسع الطبيعي للأرض والكائنات غير المستأنسة. ففي الحقيقة نجد أن هذه المبادرات الدبلوماسية غالبا- مثل العديد من التصورات الأخرى للتقنية المستدامة والنمو المتوازن أو التحديث الإيكولوجي تظهر صحة موقف جيمسون فيما بعد الحداثة، وهو موقف تكون فيه عملية التحديث كاملة وتسير في الطبيعة نحو الخير وكذلك بوضع القبول العام للمعهد لدى كثير من الحكومات صدى بعد تأثير عملية تكوين البيئة الأساسية للكوكب على دمجها العلمي التقني للمجالين الحيوي والتقني.

نجح مؤتمر ريو دي جانيرو البيئي في ١٩٩٢ في إقناعنا بمبادئ أجندة القرن الحادي والعشرين، كما أقتنعنا المؤتمر بالطبيعة المتكاملة والمتبادلة للأرض وهو ما أكد على أن الأرض بيتنا.

وهكذا فإن فرض مراقبة عالمية على الأرض يمثل أحد أشكال "بناء بيت عالمي" يجب مراقبة عملياته ومدى تقدمه، وذلك من خلال مجموعتين من المراجع المتفق عليها حاليا، والممثلة في سجلات الاقتصاد وسجلات الإيكولوجيا.

٣- الفكر الجيوبوليتيكي الغربي:

على الرغم من كل هذه السمات التي تعطي الفكر الجيوبوليتيكي وحدة واستمرارية، فقد ظهر داخل الفكر الجيوبوليتيكي الغربي عدد من الـ Weltanschauungen المتميزة على صعيد التفسير، ويمكن كشف ست منها:

- القطبية الثنائية

- الطرفية

- القطبية الثلاثية

- المناطقية

- المركزية

- متعددة الاقطاب

في الرؤية ثنائية القطبية، ينقسم العالم بشكل أساسي بين قطبين كبيرين يملكان القوة. وبإمكان المراكز الأساسية للسلطة أن تتغير في مجرى التاريخ، ولكن تبقى هناك حالة شبه دائمة من النزاع والمواجهة. أشهر معتنقي هذا التفسير كان H. Mackinder ولا يزال مفهومه حول "قلب الأرض" Heartland هو الأكثر إحياء من بين ما وضعه. فهو يسلم بالتعارض التاريخي بين القوة البحرية والقوة الأرضية - تملك هذه الأخيرة خط دفاع أخير - على الأقل في بداية القرن، في القلعة البعيدة والمنيع لـ "قلب الأرض" الموجود في قلب آسيا. وقد احتفظت هذه النظرية بمكان مهم حتى أيامنا هذه، كما أنها مارست قدرة قوية ومتفاوتة من الجذب بحسب ظروف اللحظة.

بشكل عام، تمت محاربة هذه النظرية من جانب أصحاب النظرية الطرفية، تلك التي هذبها في الأربعينات Nicholas Spykman الذي جعل مركز السلطة العالمي الفعلي في الحزام الطرقي الكبير أو Rimland الذي يتشكل من الهلال المحيط بالقارة الأوراسية (Eurasien)، الفكرة هي أنه إذا كان العالم البحري والعالم القاري قد استطاعا اعطاء الوهم بتشكيل المركزين الجديدين للسلطة العالمية، فإنهما يعانيان من مصاعب ذات شأن للاستمرار في الاضطلاع بهذا الدور، فهما على المدى المنظور، يملكان ميلا ليصبحا طرفيين إزاء السلطة المترسخة في Rimland. فضلا عن ذلك، كان موضوع رهان الصراعات الدولية الأكثر عمقا هو السيطرة الكلية أو الجزئية على ال Rimland الغنية بالرجال كما بالموارد، والواقعة في مركز رقعة السياسة الجيوستراتيجية.

أما أطروحة الأقطاب الثلاثة، فإنها تفترض تقطيعا ضمنيا على الأقل، للسطح الجيوبوليتيكي للعالم حول ثلاثة مراكز كبرى للقوة بدلا من اثنين. وهي تملك أوجه شبه مع المدرسة الطرفية التي تميز بالقدر نفسه ثلاث مناطق كبرى (Macroregions) جيوبوليتيكية - البحرية والقارية والحزام الطرقي - ولكنها تختلف عنها بدعوتها لوجود توازن في ما بينها يمتلك ديمومة معينة. إن بزوغ وضع ثلاثي الأقطاب أدى إلى تدخل قوة ثالثة في الترسيم الثنائية القطبية، كرد فعل على تقسيم العالم الذي أدى إليه ذلك. هذه القوة الثالثة تمثل محاولة غير موزونة وإيجابية لمنع هذا الوضع من أن يتعزز، وتقترح حلا يقوم على التبدل الواقعي. وإذا نجحت في إقامة قاعدة قوتها، فإن هذه القوة الثالثة يمكنها أن تبلغ وضعها تملك فيه القدرة على تحدي أحد المتصارعين الموجودين على الساحة، وافترضية إزاحتها والحلول مكانها كمركز

كبير للسلطة. هكذا، يمكننا اعتبار نظرية الأقطاب الثلاثة محاولة لإدخال توازن بين ثلاثة مراكز للسلطة العالمية، وطريقة لمواءمة النظام ثنائي القطبية مع التطور الحقيقي لعلاقات القوى التي تضمن له هكذا قدرا من تأجيل (نهايته). إن مقولة Mitteleuropa كما تم إدراكها في بداية هذا القرن، تقدم لنا مثلا بإدراجها قطب قوة جديد بين الدوائر البحرية والقارية بغية منعها متزافرة من السيطرة على العالم.

يضع أنصار نظرية المناطق (Zonaliste) المراكز الطبيعية للقوة العالمية في قلب المناطق المعتدلة وشبه الاستوائية (Subtropical) في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية، جاعلين هكذا من المناخ المحدد الأساسي للأنساق الجيوبوليتيكية في العالم، من هذا المنظار، فإن البلدان الأكثر أهمية هي بلدان أميركا الشمالية وأوروبا، إلى جانب الاتحاد السوفيتي السابق واليابان. وبحسب James Fairgrieve تملك بلدان آسيا، حيث تسود الرياح الموسمية أيضا، القدرة اللازمة لكي تكون جزءا من نظام القوة المحدد في هذا الجزء الشمالي من الكرة، إن سيطرة الشمال قد طرح ضمنا أيضا في نظريات ال Geopolitiker الألمانية. فقد كانت بارزة في أفكار K . Haushofer الذي قسم العالم إلى مناطق توسع كبيرة مدعوة أن تضطلع بدور الحامل (Support) للهيمنة التي تمارسها ثلاث أو أربع أمم من الجزء الشمالي للكرة. وخلال السبعينات ظهر إلى العلن التفاوت الشاسع الذي كان على تقرير Brandt (مستشار المانيا الغربية السابق) أن يبرزه بين البلدان الغنية في المناطق المعتدلة الشمالية "بلدان الشمال"، والبلدان الفقيرة ذات المناطق المدارية والاستوائية "بلدان الجنوب". ومن هنا المصطلح المثير للجدل "شمال - جنوب" الذي تم اختلافه للدلالة على الانقسام الرئيسي والأخطر للعالم المعاصر

والذي تنبغي مهاجمته بالحاح، إذا أردنا توقي الكوارث السياسية والاقتصادية.

هذه الفكرة بكليتها تم اختصارها في مجسمات الخرائط، وأشهرها تلك التي صاغها Arno peters. ومع الصين إلى جانب قوى "الشمال" ظهر "خماسي الأطراف، (Pentagone) الذي اقترحه هنري كيسنجر وآخرون، إثر افول نفوذ القوتين العظميين في العالم. ويمكننا تصور هذا الكتلة مثل مجموعة ضخمة من القوى الشمالية الممزقة بالشقاقت الداخلية، ولكنها تحتفظ بموقعها المسيطر إزاء باقي العالم، وفي الوضع الحالي، فإن هذه الكتلة المتحركة قابلة أيضا للانفجار والغرق في العنف، كما بالسير نحو حالة أكثر استقرارا.

تأتي تاليا المدرسة المركزية التي تستند إلى التعارض بين المركز والطرف، وتعتمد خصوصا على أفكار كل من , Modelski و Wallerstein . إن نواة سياسية اقتصادية للعالم تؤلفها البلدان الرأسمالية الغربية هي التي تستغل أطرافا يمثل العالم الثالث فيها الجسم الأساسي. ونميز بين الاثنين عالما شبه طرفي يضم البلدان ذات النمو المتدني أو في طور النمو في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي والبلدان المتوسطة والشرق الأوسط، ويتعزز الوضع المسيطر للغرب بتحكمه بالرأسمال العالمي، ويتفوقه التكنولوجي والشبكات الاجتماعية الاقتصادية القاهرة التي يحوزها لكي يمارس نفوذه، بما فيها المؤسسات العابرة للقوميات، والتي تتمركز في أوروبا وأميركا الشمالية.

أخيرا المدرسة متعددة الأقطاب التي تنفي وجود احتكار طبيعي للقوة يتمركز بين يدي منطقة معينة من العالم، ترى في المقابل أن مراكز القوة العالمية تنقلت خلال العصور، فالمنطقة المعنية التي

شكلت الطرف خلال عصر ما، أصبحت المركز في العصر التالي، ولدينا الحق في التفكير أن هذه السيرورة تملك حظوظا كافية لتستمر، لكن، وحتى يكون بإمكاننا رؤية نظام عالمي مستقر، يفترض وجود ما يطلق عليه Saul Cohen إسم "توازن دينامي".

إذا كان صحيحا أن كلا من هذه المدارس الستة من التفكير تبحث عن تفسير الطبيعة الحقيقية لنظام العالم، فإنه يمكن في هذه الأثناء أيضاً ربطها بمنظور للتطور أو للنمو، معتبرين انها لا تمثل حقائق حصرية يتم تبادلها بقدر ما هي تفسيرات لبعض الفترات فقط، والتي لا تأخذ كل قيمتها إلا في نوع من الاستخلاص. ومهما يكن الأمر، فإن مقولة التغير والحركة ملازمة للمدارس الستة، وهي في خلفية نظرتها. وتأمل بالتقدم نحو حالة مرضية أكثر للأشياء.

٤- تطور الجيوبوليتيكا العربية والاسلامية

كانت الجيوبوليتيكا الإسلامية بمدلولها العام، تقسم العالم المسكون (النصف الشمالي من الأرض) دائرتين رئيسيتين هما أوروبا في الشمال، وأفريقيا وآسيا في الجنوب. وهي لم تميز حقا بين أفريقيا وآسيا، بل اعتبرتهما كتلة قارية واحدة، خصوصا أنه يربط بينهما بحران (المتوسط والأسود) يلتقيان في منطقة بحر مرمرة ومضائق الدردنيل. وقد برر هذا التقسيم، تنظيم حضاري للمجال بين "دار الحرب" و"دار الإسلام": عالم إسلامي يغلب عليه الطابع العربي جنوب البحرين وشرقهما، وعالم مسيحي أوروبي في الشمال. وكان الإستثناء الوحيد للخلافة الإسلامية في الأندلس، مشيرة الى المفهوم الحضاري - العقيدي للمجال الذي سيصبح على أيدي العثمانيين عقب فتح منطقة البلقان، مركز المنطقة الوسيطة بين الشرق والغرب.

على هذا النحو، ركزت الجيوبوليتيكا العربية - الإسلامية على السيطرة السياسية القارية، والسيطرة التجارية (البحرية - البرية في المحيط الهندي وآسيا الشرقية والوسطى وأفريقيا الزنجية) على الهوامش. وكانت بغداد في أوج الإمبراطورية الإسلامية تركز على العالم الأفروآسيوي والمحيط الهندي، فيما ارتكزت روما في ذروة إمبراطوريتها على القارة الأوروبية والبحر المتوسط. لذلك كانت القاعدة الإسلامية كبيرة، وامتداداتها الأرضية شاملة مسطحا برياً بحرياً واسعاً بالمقارنة مع روما. وباستثناء هذا الاختلاف الذي يتصل بموقع القلب والتوجه القاري، كانت الطرق البرية والبحرية عصب التمدد الإمبراطوري في كل اتجاه.

الكتلة الأرضية الوسطى كانت الحلقة المكونة لـ "الصومعة الداخلية" للإمبراطورية الإسلامية، علماً أن حدود هذه الكتلة طاولت جبال طوروس وجبال القوقاز وبحر الخزر (قزوين) في الشمال، وسواحل الحوضين الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط حتى برقة، ثم الإطار الصحراوي الذي يلف مصر وبرقة، والبحر الأحمر والقرن الأفريقي، والبحر العربي حتى بلوشستان. وشكلت أطراف السند وخراسان وبلاد ما وراء النهر، الحدود الشرقية لمنطقة القلب الداخلية هذه، فيما كانت الحلقة الخارجية للعالم الإسلامي تمتد غرباً حتى إسبانيا وشمال غرب أفريقيا، وجنوباً حتى موريتانيا وسواحل أفريقيا الشرقية، وشرقاً حتى الهند وتركستان التاريخية.

النظرة الجيوبوليتيكية إلى منطقة الحضارات الكبرى في الشرق الأوسط الإسلامي، تغيرت جذرية عقب الكشوف الجغرافية وتحول مراكز القوى إلى أقاليم الهامش الأوروبي الغربي (البرتغال، إسبانيا، هولندا، فرنسا، بريطانيا). وعلى هذا تنامت القوة البحرية، وسيطرت

على الأفكار الجيوبوليتيكية، بعدما نجحت في تكوين الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية.

لكن يسجل للجامعة العثمانية المتعددة القومية، أنها كانت إمبراطورية قارية غير استعمارية دامت في ظل سلالة بني عثمان ٦٤٤ عاما من عام ١٢٨٠ إلى عام ١٩٢٤. وطوال هذه الفترة المديدة، كانت الجامعة العثمانية الإمبراطورية النموذج للمنطقة الوسط من القارة الأوراسية بين سلالة هابسبورغ في الغرب، وسلالة تسينغ المنشورية في الشرق.

وعندما بلغت أوسع تمدداتها أواخر القرن السابع عشر، كانت الامبراطورية العثمانية تغطي مجالا واسعا جدا من غرب قارة أوراسيا إلى شمال قارة أفريقيا، وأقامت مركزها جنوب شرق شبه الجزيرة الأوروبية في أوراسيا، وغرست قدما لها في شبه جزيرة البلقان وأخرى في شبه جزيرة الأناضول، لكنها تركت كتلتها الجانبية تنجح نحو الجنوب في اتجاهين: الجزيرة العربية وشمال أفريقيا.

وهكذا كانت العتبات الجنوبية للإمبراطورية، على سواحل قارة ثانية هي أفريقيا على الرغم من ان الجزء الأساسي استلقي على قارة واحدة هي أوراسيا. وكان المجال البحري يغطي جزءا كبيرا من المجال الإجمالي، شاملا كل الحوض الشرقي للمتوسط والبحر الأسود، وهما قلبه، فيما الإطار الخارجي غربا، جنوب الحوض الغربي للمتوسط حتى حدود المغرب وشرقا معظم الواجهة الغربية لبحر الخزر بما فيها ساحل داغستان، وجنوبا شرقا لجهة البحار الشرقية، نصف الضفة الغربية للخليج وجنوب الساحل اليمني للمحيط الهندي، والقسم الأكبر من البحر الأحمر، أي كل شاطئ الجزيرة العربية حتى خليج عدن، وكل الساحل المصري والسوداني على البحر الأحمر وإريتريا.

أما المجال القاري للإمبراطورية، فإن مركزه منطقة البلقان، الأناضول، وإطاره الخارجي في اتجاه عقارب الساعة في المجر ورومانيا وبسارابيا وأوكرانيا والقرم والقوقاز وارمينيا وأذربيجان وكردستان ولورستان والعراق وسوريا وسواحل الجزيرة العربية ومصر وليبيا وتونس والجزائر.

وكان قلب الامبراطورية يخفق بين بحر إيجه والبحر الأسود، في المثلث المشكل من المدن الكبرى الثلاث: تسالونيك و إسطنبول وإزمير.

وثمة حضارة عثمانية واحدة (بالمعنى المادي لكلمة حضارة) هي من مكونات الحضارة الأوسع للمنطقة الوسيطة بين الشرق والغرب. والحضارة العثمانية هذه التي حركت مجتمعا متعدد القومية، ومتعدد الثقافة، لم تكن عابرة للقوميات فحسب، بل توحيدية بكل معنى الكلمة، ما جعلها تضطلع بدور المركز للمنطقة الوسيطة.

وها ان الشرق الأوسط يستعيد توازنه التاريخي في العقد الأخير من القرن العشرين، عقب انهيار الامبراطورية الروسية - السوفياتية وهي آخر الامبراطوريات الأوروبية الكبرى، واستقلال الجمهوريات المسلمة الست في آسيا الوسطى والقوقاز. وقد تكون عودة هذا "الشرق الأوسط التاريخي"، أحد أبرز المتغيرات في بنية الشرق الأوسط كما تصورها الغرب مطلع هذا القرن.

كذلك، إن الكتلة الإسلامية لن تعود كما كانت قبل تفكك الاتحاد السوفيتي وغياب لروسيا كلاعب رئيسي على الساحة الدولية، بعدما انفتحت أبوابها لاستقبال ست جمهوريات هي تاريخيا وحضاريا ودينيا جزء من الشرق الأوسط، بقدر ما تعتبر سمرقند وبخارى جزءا منه.

وإذا كانت احدى النتائج الإقليمية الأكثر وضوحا وجذرية لانتهااء الحرب الباردة وزوال الخط الفاصل المصطنع بين شمال الدائرة الحضارية الاسلامية والجنوب، هي إعادة تحديد مفهوم الشرق الأوسط باعتباره حلقة الربط بين الشرق والغرب ونقطة التحول بين القارات الثلاث - اوروبا وآسيا وأفريقيا - فإن هذا التحول يستتبع أمرا حيويا هو إعادة الاعتبار الى الجيوبوليتيكا الإسلامية بعدما فقدت مكانتها لدى جيلين من المفكرين وصانعي السياسة العرب. ذلك أن الجغرافيا السياسية هي وحدها التي تقدم مفتاح الاجابة عن السؤال: لماذا حدث؟ ولماذا هنا؟ ولماذا الآن؟

يقول وليم هاملتون أن الاستراتيجيين في وزارة الدفاع الأمريكية وفي مجلس الأمن القومي الأمريكي، قد تأثروا بنظرية ماكندر، فالعراق عند هم قلب المنطقة العربية الآسيوية، وبحسب رأيه يعني احتلال العراق: السيطرة على البترول، وأن تعين أي حكومة تريدها لتتحكم في خطوط المواصلات الاستراتيجية وتطل على الخليج العربي وتتحكم في الهلال الخصيب، وتصبح المنطقة بحسب رأي هاملتون تحت الهيمنة الأمريكية من القاهرة حتى إسلام آباد، أي أن تكون المنطقة تحت مظلة السلام الأمريكي.

إن احتلال العراق لا يخرج عن نطاق قول نيبور، إن من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على أوروبا، ولكن من الناحية التاريخية إن نقطة الارتكاز الجغرافي العربي إذا أخذنا مفهوم ماكندر هي مصر في الشرق الأوسط، ولذلك كان يتردد في الدوائر الأمريكية، لا حرب من دون مصر، في حالة الصراع العربي الإسرائيلي، ولذلك كان الهدف الاستراتيجي الاسرائيلي عند مناحيم بيغن في كامب ديفيد هو إخراج مصر من معادلة الصراع العسكري بين العرب وإسرائيل في

الشرق الأوسط. ولقد أخطأ العرب آنذاك في عزل مصر لأنهم وقعوا في الفخ الإسرائيلي.

وإذا أخذنا التاريخ الحديث والمعاصر فإن نابليون عندما قام بحملة على مصر والشام ١٧٩٨ - ١٨٠١ كان يريد إضعاف الإمبراطورية البريطانية من خلال قطع اتصالها مع الهند ذرة التاج البريطاني وكانت عبقرية المكان المصري في ذهن نابليون، وبعدها تنبّهت بريطانيا إلى أهمية مصر الاستراتيجية للسيطرة على الشرق الأوسط.

ونجد أن محمد علي باشا في مصر تنبه إلى أهمية جيوبوليتيكا نقطة الارتكاز الجغرافي (Pivot Area) من خلال حملته على الجزيرة العربية (١٨١١ - ١٨١٨) وحملته على اليمن ١٨١٩ والسودان ١٨٢٠ ثم دوره في إخماد الثورة اليونانية ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٤ ومساندته السلطان العثماني، فقد كانت مصر نقطة الارتكاز الجغرافي للدولة العثمانية في ما يسمى بـ "الشرق الأوسط حاليا".

إن زحف محمد علي باشا من نقطة الارتكاز الجغرافي إلى قلب الشرق الأوسط، الهلال الخصيب، أقلق الدول الأوروبية التي وقفت ضده عندما زحف على الأستانة، لأن الزحف المصري من الشام يعني تهديد أوروبا إذا سيطر على آسيا الصغرى، تركيا. ولقد استطاعت الدولة العثمانية في فترات ازدهارها أن تسيطر على ثلث القارة الأوروبية، ولم تصل إلى هذا الغزو الكبير إلا بعد أن سيطرت على الهلال الخصيب ومصر.

إن فرض معاهدة لندن (يوليو ١٨٤٠) على محمد علي باشا وإنهاء الدور المصري في بلاد الشام يؤكد النظرة الاستراتيجية

الغربية لأهمية ارتباط نقطة الارتكاز الجغرافي مع قلب الشرق الأوسط الذي يهدد أوروبا.

ولبيان أهمية العلاقة بين مصر "الارتكاز الجغرافي العربي" والعراق "قلب اليابس" العربي الآسيوي، فإن صلاح الدين الأيوبي قد خرج من العراق ولكنه انطلق لتحرير المقدسات من مصر عندما استطاع فهم الأهمية الاستراتيجية لنقطة الارتكاز، فتحرك لتوحيد القلب والشام والعراق ثم اتجه نحو الجزيرة العربية ونسج خيوط العلاقات التاريخية مع المغرب العربي.

قد تكون رؤية صلاح الدين الأيوبي لنقطة الارتكاز الجغرافي وقلب الشرق الأوسط ماثلة في الأذهان الأوروبية وبخاصة لدى صانعي القرار في السياسية الخارجية الغربية، ولأهمية خطر نقطة الارتكاز الجغرافي. ومن هنا نجد أن رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون يكتب في مذكرة له إلى سفيره في الأستانة عام ١٨٤٠ يشرح أهمية وجود اليهود في فلسطين من أجل احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي مصر "محمد علي" من خلال دورها في الهلال الخصيب: "إن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته يشكل سدا ذريعا في وجه مخططات شريرة يعدها محمد علي أو من يخلفه".

إن رسالة بالمرستون إلى السفير البريطاني في القسطنطينية تدخل في باب الاستراتيجية البعيدة المدى (Grand Strategy Planning)، نظرة بعيدة المدى إلى المستقبل، وكيف يمكن أن تشكل القوة العقائدية لنقطة الارتكاز الجغرافي إذا تحركت خطرا على المصالح البريطانية التي أخفاها تحت ستار خطر الارتكاز الجغرافي على الأستانة.

إن محمد علي باشا كان مسلمة ألبانيا وكان في مصر والية عثمانية له طموحاته عندما بنى مصر سواء من خلال تحديد رؤية إسلامية أو قومية. ونلاحظ أن البارون اليهودي روتشيلد يكتب في عام ١٨٤٠ في خطابه إلى رئيس الوزراء البريطاني السابق الذكر يبين خطر نقطة الارتكاز الجغرافي ويربطها بالبعد القومي العربي ويبين أهمية وجود دولة يهودية من أجل احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي العربي على أوروبا والغرب، فيقول "إن هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليسا كافيين لأن هناك قوة جذب بين العرب. وهم يدركون أن عودة مجدهم القديم مرهون بإمكانيات اتصالهم واتحادهم، إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض، فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر والعرب في آسيا، وكانت فلسطين دائما بوابة الشرق، والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر في هذه البوابة، لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه، وإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور، وليست تلك خدمة لليهود يعودون بها إلى أرض الميعاد مصداقا للعهد القديم ولكنها أيضا خدمة للإمبراطورية البريطانية ومخططاتها، فليس مما يخدم الإمبراطورية أن تتكرر تجربة محمد علي سواء بقيام دولة قوية في مصر أو بقيام الاتصال بين مصر والعرب الآخرين".

إن قول روتشيلد قبل قرن تقريبا من قيام إسرائيل ينم عن وعي استراتيجي بالمنطقة العربية وبدور مصر والعرب في آسيا أي الهلال الخصيب والجزيرة العربية، فهو يطرح خطر قوة مصر سواء أكانت قوة عقدية أم قوة مادية ثم خطر الاتصال المصري مع الهلال الخصيب وكأنه يعيدنا إلى قراءة صلاح الدين الأيوبي واستراتيجية جمع مصر

والشام والجزيرة أو يعيدنا إلى السلطان المملوكي قطز في معركة عين جالوت لذا يرى روتشيلد أن ما تحقق في ما بعد ولا يزال مستمرة هو عزل نقطة الارتكاز الجغرافي العربي عن القلب العربي الآسيوي.

إن دور نقطة الارتكاز مع قلب الشرق الأوسط ارتبط بالأيديولوجيا، فقد كانت الفكرة الرابطة من صلاح الدين أو قطز رابطة دينية وكذلك كانت في عهد محمد علي باشا رابطة توحيد أيديولوجي قومي أو ديني، ولكن نلاحظ أيضا أن نقطة الارتكاز الجغرافي كانت لها أهمية ودور مؤثر في القرن العشرين، دور عدم الانحياز ودعم حركات التحرر الأفريقية ثم القومية العربية؛ كانت مصر نقطة ارتكاز جغرافي أعطتها دورة رائدة على مستوى العالم الثالث، وأحد أعمدة دول عدم الانحياز التي أكسبتها أهمية استراتيجية في نظر القوى العظمى ، وكانت حملة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر من خلال رؤية خطر دور نقطة الارتكاز الجغرافي في الجزائر ودعم الثورة الجزائرية أو الوقوف ضد مخططات بريطانيا في منطقة قلب الشرق الأوسط، حلف بغداد، ودعم حركات التحرر في منطقة الجزيرة العربية وأفريقيا. وعندما قامت الوحدة بين مصر والشام (١٩٥٨ - ١٩٩١) استنفرت القوى الغربية الأوروبية والأمريكية وإسرائيل لمواجهة خطر هذه الوحدة بخاصة لارتباطها بالمد القومي وهي تدل على وعي استراتيجي قد يكون أكثر من وعي النخبة السياسة العربية ومبنية على التجربة الألمانية والإيطالية عندما قامت الوحدة في كليهما وهددت ألمانيا أوروبا بالسيطرة عليها بعد أن كانت الولايات الجرمانية ممزقة، فقادت بروسيا حملة الوحدة الألمانية.

وإذا نظرنا إلى حرب ١٩٦٧ وبغض النظر عما قيل حولها ، فهي تخطيط استراتيجي لإحباط دور نقطة الارتكاز الجغرافي العربي

لإضعافه وابعاده عن نطاقه العربي الآسيوي أو الجناح الغربي الأفريقي.

وكان نيكسون وبياعز من هنري كيسنجر قد تبني استراتيجية للحرب بالوكالة (Proxy Forces). وبحسب مبدأ نيكسون في الشرق الأوسط اعتبر إيران شرطي الخليج العربي في عهد الشاه، ولكن بحسه الجيوبوليتيكي كان ينظر إلى نقطة الارتكاز الجغرافي العربي "أرض الكنانة"، فقد كانت سياسة مصر قائمة على عدم الانحياز وأقرب إلى الاتحاد السوفيتي في التعاون السياسي وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧، ولذلك كان الهدف الاستراتيجي لكيسنجر إبعاد نقطة الارتكاز عن الاتحاد السوفيتي ثم جرّها إلى الجانب الغربي، فكانت سياسة الخطوة خطوة وخروج السوفيت قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ نقطة البداية في الاستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية في احتواء خطر نقطة الارتكاز الجغرافي على إسرائيل باعتبارها أكبر قوة عربية - وتاريخها في جميع الفترات التاريخية يثبت ذلك - وهذا ما تحقق في ما بعد. تراجع الدور العربي بعد مصر دولية وإقليميا وفي عدم الانحياز وفي منظمة الوحدة الأفريقية بعد أن كانت مركز ثقل عدم الانحياز وأفريقيا.

أما بالنسبة إلى القلب العربي - كما سماه هاملتون كما ذكرنا سابقا - فإن القلب العربي الآسيوي كان قد وقف ضد اجتياح الثورة الإيرانية منطقة الخليج العربي، فقد استطاع العراق سواء بقرار سياسي داخلي مستقل أم ببيعاز من إدارة كارتر أن يدخل الحرب لاحتواء الثورة الإيرانية وتأثيراتها. وعلى الرغم من الإنفاق العسكري للدول البترولية فإنها لولا قوة القلب لم تستطع أن توقف الزحف الثوري الذي كان في عنفوانه، ولكن بعد نهاية الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٨ كان هو الخطر المتمثل الذي سوف يهدد المصالح الاسرائيلية والأمريكية وكان

لا بد من القفز إلى القلب بعد احتواء نقطة الارتكاز الجغرافي ونشهد الآن تفتيت القلب وإنهاء فكرة القومية من القاموس السياسي العربي بحل حزب البعث والجيش العراقيين وطمس الهوية العربية وهذا تماما ما اتفق عليه في استراتيجية إسرائيل في الثمانينيات ١٩٨٢ ثم التقرير الاستراتيجي الذي تم تقديمه عام ١٩٩٦ إلى نتنياهو تحت عنوان "استراتيجية إسرائيل عام ٢٠٠٠".

إن التقرير الأول حول استراتيجية إسرائيل ١٩٨٢ يؤكد طرحه تقسيم المنطقة العربية إلى كانتونات سياسية وعلى رأسها العراق إلى ثلاث دويلات، أما تقرير ١٩٩٦ فإنه يؤكد صراحة إنهاء فكرة القومية العربية باعتبارها خطرا على التوازن الإقليمي وعلى مستقبل إسرائيل، وكما كانت فكرة القومية قوة وراء بروز عبد الناصر وشعبيته في الوطن العربي والدور القيادي لنقطة الارتكاز الجغرافي فإنه لا بد من الانتهاء كليا من هذه الفكرة في منطقة القلب العربي الإسلامي.

العالم العربي.. كتلة جيوبوليتيكية تنتظر إعادة بعثها

الجيوبوليتيك معرفة في خدمة الدولة، ودليل لتعظيم مصلحتها وقوتها؛ فقد ارتبطت أفكار كل منظر بمصلحة الدولة التي ينتمي إليها؛ لذلك يعد تطوير الشخصية الجيوبوليتيكية العربية مرتبطة بخلق مدرسة جيوبوليتيك عربية. وتملك الثقافة العربية والإسلامية مقومات ذلك؛ فقد كانت رائدة في علم الفلك والجغرافيا والرحلات والفنون العسكرية ووصف الأقاليم والمدن، بل حتى إن البرتغاليين اجتازوا بحر عمان، وأوجدوا حلا لمشكلة شكل قارة إفريقيا المجهولة منذ عصور عن طريق ملاح عربي اسمه ابن ماجد، الملقب بالمعلم، والذي عرض عليهم خريطة الهند، ومختلف الأدوات الملاحية التي يستعملها العرب.

وقد امتلك العلماء العرب منذ قرون روح البحث الجغرافي والكتابة عن الجغرافيا والشعوب، وتركوا في ذلك تراثا منقطع النظير.

وفي مواجهة تصدعات الإقليم العربي تستطيع الأمة العربية صياغة مشروعها الجيوبوليتيكي، الذي يحقق الأمن القومي العربي، ويصنع تشكيلا استراتيجيا موحدا قادرا على تعزيز تأثير الإقليم، وإخراجه، تدريجيا، من الهامش. إن استعادة العالم العربي كتلته الجيوبوليتيكية ستسمح بتمييزه عن كتل جيوبوليتيكية ومجالات استراتيجية محيطة تملك مكونات حضارية ومشروعات جيواستراتيجية مغايرة، يمكن إما أن تتصارع، وإما أن تتعاون معها، وتشكل بعض الدول العربية المحايدة لهذه الكتل "دولا عازلة" (Buffer States) وشريطا حدوديا يرسم حدود المنطقة العربية، وإن ضعف هذه الدول سيسمح بتغيير خطها الاستراتيجي، وحتى عمق شخصيتها في حالة نجاح الكتل الأخرى في النفاذ والسيطرة. ومن بين هذه الكتل نذكر مجال البحر الأبيض المتوسط، الذي يريد بمشروعاته أن يسحب الدول العربية فيه، وخصوصا المغربية، إلى البعد الأوروبي، مثل مشروع "الاتحاد من أجل المتوسط" الذي بادر به الرئيس الفرنسي، نيكولا ساركوزي.

وهناك أيضا كتلة تركية تريد استرجاع مجال الإمبراطورية العثمانية بشكل أيديولوجي وسياسي وعسكري مباشر، وهو ما حصل مع سوريا والعراق، وإن قدر لمشروع التدخل أن ينجح؛ فسنجد الأتراك على حدود الأردن ولبنان. كما أن هناك كتلة إيرانية قد تسحب الهوية العربية إلى هوية آسيوية وشيعية، وحتى أوراسية إسلامية، وهنا يشكل العراق، ذو المساحة الواسعة والبعد القومي العربي، الحاجز المحوري والواقعي الطبيعي لدول الخليج، وبعض الدول

العربية. أما الكتلة الإفريقية (غير العربية وغير الإسلامية) فتظل ضعيفة وبعيدة التأثير في العالم العربي، ولكنها قد تنجح في سحب بعض الدول، أو انتزاع جزء منها، خصوصا إذا علمنا أن إفريقيا ما زالت مجالا لنفوذ القوى الغربية والقوى الاستعمارية السابقة التي تهيمن على قرارات بعض الأنظمة الحاكمة، وقد حصل الأمر مع السودان، حيث تم انتزاع جزء منه تمسك بالهوية المسيحية المستقلة. ويبقى الصومال وجيبوتي يصارعان للاحتفاظ بالعمق العربي والإسلامي، خصوصا أنهما يظهران في خريطة جامعة الدول العربية بشكل معزول.

ولكنها قد تنجح في سحب بعض الدول، أو انتزاع جزء منها، خصوصا إذا علمنا أن إفريقيا ما زالت مجالا لنفوذ القوى الغربية والقوى الاستعمارية السابقة التي تهيمن على قرارات بعض الأنظمة الحاكمة، وقد حصل الأمر مع السودان، حيث تم انتزاع جزء منه تمسك بالهوية المسيحية المستقلة. ويبقى الصومال وجيبوتي يصارعان للاحتفاظ بالعمق العربي والإسلامي، خصوصا أنهما يظهران في خريطة جامعة الدول العربية بشكل معزول.

لكن الأشد خطورة هو اصطناع دولة إسرائيل في الجغرافيا العربية، وربطها بالقوى الغربية العالمية؛ وبذلك تشكل، برغم صغر رقعتها، مجالا غربيا متمائزا ثقافيا ودينيا عن الحضارة العربية والإسلامية. وتبذل إسرائيل اليوم، بدعم من بعض اللوبيات العالمية، جهودا لافتة للنظر في تغيير العلامات والمرجعيات الثقافية العربية لمصلحة علامات غربية وغربية باستعمال أدوات عدة: الترويج والتفاخر بالديمقراطية مقابل ممارسات الحكم العربية، وجلب أعراق مختلفة من العالم، وتشويه التجانس الديمغرافي، فضلا عن مشروعات

الاستيطان المتسارعة، وإقامة مهرجانات ومسيرات لها، والنفوذ الإعلامي والديني، ومهاجمة قيم الأسرة العربية. وتتطلب محاصرة هذا المجال الجغرافي وجود استراتيجية عربية موحدة تعمل على تأمين الجغرافيا العربية من العدوان الإسرائيلي وقوته الغاشمة، ويتم ذلك من خلال تعزيز الأمن القومي المصري، خصوصا الأمن في سيناء، والاستفادة من خبرة مصر في تسيير ملف القضية، ودعم الوجود الفلسطيني، وعودة اللاجئين لتعمير الأرض، وتعزيز الوحدة السياسية الفلسطينية، ومساعدة الأردن مادية، وتقوية دوره في محيطه الإقليمي، وتسوية قضية الجولان المحتل، وتأمين لبنان وحمائته من المطامع الإسرائيلية، والعمل على تنفيذ مشروعات اقتصادية عربية لاستغلال المياه وموارد الطاقة في المنطقة. ووحدها كتلة جيوبوليتيكية عربية قادرة على تحقيق ذلك، ووضع إسرائيل في عزلة إقليمية.

ونؤكد في هذا الصدد أن غياب هذه الكتلة سيجعل المنطقة العربية عرضة لتسميات ومخططات جيوبوليتيكية خارجية، من أخطرها ما سمي "الشرق الأوسط الكبير" الذي أدخل المنطقة العربية ضمن أهداف استراتيجية تتصل بمطامع الغرب في وسط آسيا وجنوبها. وكذلك لا يمكن إهمال أن سياسة الدول تبنى على المصالح، وهي محدد أساسي للسياسات الخارجية، وأن أي أيديولوجيا من دون مصالح تبوء بالفشل؛ فأوروبا نجحت في الوحدة الاقتصادية قبل الوحدة السياسية.

وبناء عليه يمكن بناء هذه الكتلة الجيوبوليتيكية العربية بخلق مشروعات اقتصادية تكون مدخلا لميلاد الكتلة السياسية الاستراتيجية، ولا يحتم على هذه الأخيرة أن تكون تيلوروكراطية بالمطلق، ولا

تالاسوكراتية بالمطلق، وإلا عادت إلى حقبة صراعات الحرب الباردة، وجلبت بانحيازها التام إلى هذا الطرف أو ذاك صراعات عالمية إلى المنطقة. وإنما يحتم عليها تأسيس كيان متمايز مستقل يستطيع تحقيق مصالحه من خلال العلاقات البراجماتية مع هاتين القوتين، وعبر تنويع الحلفاء والمحاور، واجتناب الدخول في الصراعات الحاصلة بين القوى الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين).

ويمكن التعبير عن هذا المسعى بتشكيل "كتلة عدم الانحياز الجديدة" ذات البعد العربي والإسلامي. لكن مع هشاشة القوة العربية، وعدم وصولها إلى هذا المشروع بعد، تفرض عليها المصلحة الاستراتيجية في الوقت الراهن انتهاج استراتيجية "التوازن المرن"، الذي يعني قدرة الدولة على تغيير المواقف والانحيازات تحت ظروف ومقتضيات دولية معينة، أي - بلغة ثنائية الجيوبوليتيك- القدرة على المزج بين قانون البر وقانون البحر، والتوازن الحذر بين التالاسوكراتيا والتيلوروكراتيا، مع مراعاة توزيع القوة بين الدول الكبرى. وسيسمح هذا التوازن للدول العربية بتحقيق الاستقرار، وتنمية اقتصادها وقوتها، وتفادي الكثير من الأزمات والصراعات؛ تمهيدا لبروزها الكامل كوحدة أساسية في النظام الدولي.

جيوبوليتيك النظام الإقليمي الخليجي

تحتاج دول الخليج والعالم العربي بشكل عام إلى دراسة خاصة وواسعة عن موقعها ضمن البناء الجيوبوليتيكي للعالم، ولكن سنحاول باختصار شديد الإشارة إلى بعض العناصر، وسنعطي بعض تصوراتنا الجيوبوليتيكية الخاصة في هذا الشأن، وهي وجهة نظر ومقدمة بحثية متواضعة قابلة للإثراء أو النقد.

ويشكل الخليج العربي إقليمًا فرعيًا (Sub - region) وملتقى تقاطع القارات الثلاث: إفريقيا وأوروبا وآسيا، وهو بوابة آسيا نحو إفريقيا، وأوروبا نحو المحيط الهندي، بل سيظهر الخليج على الخريطة، إن أضفنا إليه بلاد الشام، كقارة مستقلة. وتتوفر منطقة الخليج على عناصر قوة متعددة تصنع لها أكثر من جيوبوليتيك: أرضها مهد الإسلام (جيوبوليتيك المقدس، أو جيوبوليتيك روحانية)، والموارد النفطية والغازية (جيوبوليتيك اقتصادية)، وأرضها مهد العروبة (جيوبوليتيك القومية العربية)، وتملك أقوى إعلام عربي (جيوبوليتيك إعلامية)، كما يمكن عدها من الناحية الجغرافية، وقياسًا بثنائية البر والبحر، عبارة عن قوة برية تيلوروكراتية، بحيث يحمل الكثير من خصائصها مثل ثبات القيم والخصائص المحلية والالتزام بنزعة المحافظة. ولو عدنا إلى تقسيمات شملت فهو يمثل البهيموت الذي يرمز إلى الصحراء والأرض، والبهيموت ذكر (ربما يتقاطع ذلك مع الذكورية العربية، التي تجسد نظامًا ثقافيًا).

أما من الناحية الاستراتيجية؛ فمنطقة الخليج العربي، ومعها العالم العربي كله، كتلة برية خاصة لا تنتمي إلى القارة التيلوروكراتية المواجهة للبحرية الأطلسية التالاسوكراتية، وقد يطرح السؤال النابع من موقف شائع: كيف للخليج أن يكون تيلوروكراتية وهو يقيم علاقات استراتيجية مع التالاسوكراتيا، وبالأساس مع الولايات المتحدة الأمريكية؟ والإجابة تكون بأن الدول الخليجية نجحت في إقامة "التوازن المرن" بين القانونين، واحتفظت بروحها وعمقها الديني والتاريخي والحضاري في مزج وتجانس مدهشين بين قيم الصحراء والأرض، وقيم الحداثة والليبرالية الاقتصادية وقانون البحر، حتى إن تطور الإنجازات المعمارية الهائلة في دولة الإمارات العربية المتحدة،

ومبادراتها الثقافية وانفتاحها على الغرب، دفعت إيف لأكوست إلى أن يعدها شكلا من "عروبة ما بعد الحداثة"، كما أن دول الخليج باشرت علاقات استراتيجية نوعية مع روسيا والصين إدراكا منها أنها تشكل طبيعى من جنوب غرب آسيا، وأنها معنية بشؤون القارة الآسيوية، وتتم هذه العلاقات من دون أن يخل الخليج بالشراكة مع الولايات المتحدة الأمريكية ونظام التالاسوكراتيا، ويظل مستفيدا من ديناميكية العولمة لما توفره من مبادلات اقتصادية عالمية وتكنولوجية متطورة. وإذا تكاملت صيغة هذا التوازن الخليجي على صعيد الهوية والاستراتيجية البراجماتية مع صيغة التوازن التي تمثلها مصر في وسط العالم العربي، والجزائر والمغرب، فسيتشكل نموذج للكتلة الجيوبوليتيكية العربية المستقلة.

واستطاع النظام الإقليمي الخليجي، بعد أزمة الخليج الثانية، الحفاظ على استقراره، والنأي بنفسه عن بعض تعقيدات البيئة الدولية. وبعد موجة ما سمي "الربيع العربي" برزت معطيات جديدة فرضت عليه أن يتعامل مع واقع ما بعد هذا "الربيع"، والذي أجبره لأول مرة على مناقشة قضايا داخلية لم تكن مطروحة من قبل بشكل جدي، ويتعلق الأمر بالحفاظ على أمن كيانه ضد مخاطر صعود الحركات الإرهابية المسلحة، وانتقال قضاياها مع إيران من الملف النووي إلى التنافس الميداني في الساحات العراقية والسورية واليمنية.

لكن التحدي الأبرز كانت قد مثلته أزمة قطر التي بدأت في عام ٢٠١٧ مع بقية دول الخليج بشأن سياساتها الخارجية واحترامها أو تناغمها مع السياسات الخليجية المشتركة، وبدأ العالم يناقش لأول مرة تماسك واستمرارية مجلس التعاون لدول الخليج العربية، هذه

المنظمة التي استطاعت أن تكون رمزا للتكتل الإقليمي الناجح. وفي هذه النقطة يمكننا التأكيد أن دولة قطر لا يمكنها تحت أي ظرف أن تدير ظهرها لعمقها الخليجي، أو أن تربط مصيرها ببعيد تركي أو إيراني أو أوروبي، لحتميات الجغرافيا أولا، وثانية بصفقتها جزءا من البر الخليجي، وغلق المملكة العربية السعودية لحدودها معها سيجعلها جزيرة معزولة في البحر. أما دول الخليج فهي الأخرى معنية بالحفاظ على تماسكها، وحل الأزمة بمختلف السبل.

ومن الاعتبارات الجيوبوليتيكية، التي تدفع إلى تسوية الأزمة القطرية:

١- الحفاظ على تماسك الكتلة البرية الخليجية، التي تواجه تحديات تقسيمها بفصل قطر عنها، إضافة إلى العراق واليمن اللذين أصبحا بؤرتي توتر تحيطان بهذه الكتلة، بدل أن يسهما في امتدادها.

٢- يمثل مجلس التعاون لدول الخليج العربية أنجح تجربة إقليمية للأمن والتكامل الإقليمي منذ الحرب الباردة؛ فقد فشلت تقريبا كل تجارب العالمين الثاني والثالث بعد نهاية الحرب الباردة. والمجلس هو التنظيم الوحيد في العالم العربي المتناسك والمؤثر، حتى أكثر من جامعة الدول العربية، والصراعات داخله ستؤثر في آخر معقل للقوة العربية، بعدما تفككت باقي الأقاليم بفعل الربيع العربي، أو بسبب التدخلات الخارجية، والخلافات القطرية القطرية. وبالتالي إن قدر وخسر العالم العربي المجلس؛ فسيفقد مشروعه للكتلة الجيوبوليتيكية العربية.

٣- كانت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية تشكل محورة جيواستراتيجية متميزة، وانسحاب إحدى دوله إلى محاور خارجية

سينقل صراعات المحاور الإقليمية والعالمية إلى جغرافيا الخليج، بل إنه سيفتح المجال لتدخل عسكري خارجي قد يسعى إلى موازنة قوة الدفاع الخليجية، وقد أسهمت أزمة قطر في ذلك؛ فحضرت تركيا، وإيران تنتظر، وبعض قوى الغرب تساوم بالدبلوماسية، أو تنتهز الفرصة (ألمانيا مثلا).

والتحدي الآخر للخليج مصدره اليمن؛ فهذا البلد يقع في الإقليم الخليجي، ولا تتصل حدوده بإقليم آخر عدا دول الخليج، وحدوده الأخرى مفتوحة على البحر الأحمر وبحر العرب، ويشكل بذلك جزءا من الهندسة الأمنية الخليجية. فاليمن لم يستطع منذ عقود تحقيق الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية بما يؤهله لأن يصبح عضوا في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ويسمح باكتمال الكتلة الخليجية، بل عصفت بمجتمعه وبنائه السياسية والعسكرية الصراعات القبلية المعقدة والتدخلات الأجنبية، وأصبح مفككة. ولا يؤثر هذا المعطى في أمن اليمن الوطني فقط، بل يمس كل أمن الخليج ومصالحه الاستراتيجية، ناهيك عن تهديدات القرصنة البحرية التي تعرض الملاحة التجارية الإقليمية والعالمية للأخطار؛ ولذلك كانت اختيارات المجلس الاستراتيجية التدخل من طريق "الحرب المحدودة الوقائية" لترتيب الأمور السياسية في اليمن، والعمل على إزالة النفوذ الإيراني، والحفاظ على فرادة الكتلة الخليجية وخصوصياتها.

إن تماسك الخيارات الاستراتيجية الخليجية سيمكن من اتساع ميدان تأثير هذا الإقليم ليصل إلى إفريقيا؛ فاليمن يحاذي في مضيق باب المندب جيبوتي، ويشكل نافذة لنفاذ منتجات الدول الخليجية إلى إفريقيا، وتكتسي جزيرة ميون الواقعة على مدخل باب المندب أهمية استراتيجية بالغة، يمكن لها أن تدخل، مع اليمن ككل، في مشروع

اقتصادي عالمي واعد هو «طريق الحرير الجديدة»؛ ما يسمح للخليج
بربط إفريقيا وآسيا.

ولقد صاغ حسين العسكري، أحد الخبراء من حركة لاروش العالمية، رؤية اقتصادية متكاملة لدمج المنطقة العربية في هذه الطريق، ونقل لنا أنه كان يتم تداول فكرة مشروع بناء جسر إلى جيبوتي عبر مضيق باب المندب بعد إنجاز دراسة جدوى جادة في عام ٢٠٠٨ قامت بها شركة الاستشارات الهندسية الدنماركية كوفي (COWI) بتمويل من "شركة الشرق الأوسط للتنمية" في دبي Middle East Development LLC؛ وانطلاقاً من اليمن شرقاً عبر عمان يمكن بناء رابط عبر مضيق هرمز إلى إيران وجنوب آسيا بحيث ترتبط آسيا وإفريقيا بشكل مباشر عبر رابط بري». وللأسف لم يتم ذلك مباشرة نتيجة الأوضاع الأمنية المتدهورة في اليمن والنزاع مع إيران، لكن إن تم المشروع؛ فستشكل للخليج سوق واسعة تنفذ إلى إفريقيا، وتمتد حتى موانئ المحيط الأطلسي؛ وهو ما يسمح كذلك بفك عزلة جيبوتي كما ذكرنا سابقاً، وتحفيز دخول إريتريا إلى جامعة الدول العربية.

وأمام أهمية هذه المعطيات يمكن تأسيس قاعدة عسكرية خليجية، ونشر سفن عسكرية وفرقاطات لمراقبة بحر العرب وتأمين الملاحة وحركة النقل الدولية من القراصنة، وقد تنبّهت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ذلك؛ فأقدمت على تأسيس قاعدة عسكرية جوية في ميون تسمح بتأمين حواف الكتلة البرية الخليجية، وأنشأت أخرى في ميناء بربرة في الصومال بما يسهم في أمن البحر الأحمر، وفضلاً عن ذلك تقيم هذه الخطوة توازن قوى مع الحضور العسكري الأجنبي في المنطقة (الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، الصين اليابان)، والأهم

أنها ستسمح مستقبلا لجهة الساحل الشرقي للخليج بتأمين مشروع «مدينة نيوم» السياحي، الذي باشرت فيه المملكة العربية السعودية، أو تأمين تجارة طريق الحزام والطريق التي انخرطت فيها مصر والسعودية، سواء من ناحية الشمال، أو "منطقة الخليج العليا" عبر الخط البري، أو ناحية الجنوب عبر الخط البحري (خط المحيطين الهادي والهندي). أو الإسهام في تأمين مشروع "بناء نفق أو جسر عبر مضيق تيران يربط بين جنوب سيناء عند شرم الشيخ والجزيرة العربية. وربط سيناء غربة ببقية أجزاء مصر وإفريقيا"، إن تجسد مستقبلا.

وينطبق هذا الوجود العسكري على الجزر الإماراتية الثلاث "أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى" المتنازع عليها مع إيران؛ فهي تصلح لأن تكون قواعد أو منشآت عسكرية تؤمن الساحل الشرقي للخليج؛ فالمساحات الصغرى هي أيضا شأن جيوبوليتيكي.

وكما يحتمل للجغرافيا أن تكون مصدرة للصراع؛ فهي مفتاح للتعاون أيضا. وتشكل دولة الإمارات العربية المتحدة بالنسبة إلى الخليج أقرب نقطة إلى إيران لجهة مضيق هرمز، وهي بوابة الخليج نحو الصين، وما دام لا يمكن انتزاع إيران من الخريطة، فإن استحقاقات الجوار تملئ التعامل معها؛ فتتعامل السياسة الخارجية الإماراتية مع إيران بتوازن استراتيجي حذر، وتدرك أنه على الرغم من القلق الأمني المتعلق بسلاح إيران النووي؛ فإن هناك آفاق للتعاون الإقليمي والتبادل التجاري.

ولذلك نتصور أنه ضمن مشروع الحزام والطريق الجديدة، الذي تشكل إيران جزءا منه، يمكن أن تصنع دولة الإمارات العربية المتحدة خطة ينطلق من الخليج إلى جنوب آسيا، وصولا إلى الصين، ويمر

عبر إيران، خصوصا أن العلاقات الخليجية - الصينية أخذت مستويات متطورة، بل تثير غيرة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي. كما يمكن لإيران أن تكون منفذة لخط تجاري ينطلق من دولة الإمارات العربية المتحدة أو الخليج ليصل إلى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وحتى إلى روسيا. ولكن مع غياب ذلك في الوقت الراهن تشكل باكستان المنفذ الاستراتيجي المتاح الدولة الإمارات العربية المتحدة، والخليج عموما، للوصول مباشرة إلى الصين، خاصة أن الصين تمول في باكستان مشروع بناء مسار جنوبي لطريق الحزام، والطريق يصل إلى بحر العرب؛ وهو ما يسهم في ربط الكتلتين البريتين، ليس اقتصادية فحسب، بل التقاء مجال حضارتين عريقتين (الحضارة العربية والإسلامية، والحضارة الآسيوية).

٥- الجيوبوليتيكا من الحرب للسلام

إن إحدى كبرى مهمات الجيوبوليتيكا الجديدة هي إذا، التصدي لتحديد كيف يمكن الرسو على نظام عالمي سلمي، وذلك بإحلال التفاهم والتوافق مكان القوة والهيمنة. فبالنسبة لشخصيات كبيرة من (مدرسة) الجغرافيا السياسية، مثل Vidal de la blache و Albert Demaugeon اللذين كتبا خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، أن الحل يقوم في خلق "تفاهم إقليمي" يفضي إلى "مجموعات" دول تعمل مشتركة للدفاع عن مصالحها المتبادلة. من جانبه اقترح Goblet إبدال النظام الدولي القديم ب "نظام دولي من المبادلات الحية والمتنامية، ومن المحاولات التجريبية".

فالجيوبوليتيكا التقليدية تهتم في المقام الأول بالمواجهة، هذا إذا لم تبحث دائما عما يشجعها، وفي الحدود الدنيا تهتم بوسائل تلاؤمها مع نتائج المواجهة وإدخال أو آليات أمن في العالم المنقسم. إننا ندرك

اليوم ضرورة تغيير مذهب هذا الفرع من العلم من الحرب نحو السلم. فالنموذج المثالي حتى اللحظة الراهنة ما زال في إطار الوصفات، وهو يقترح وسائل الانتقال من النزاع إلى التعاون، بدلا من بحثه - على غرار ما تفعله المدارس الأخرى من التفكير - عن فهم وتفسير وقائع السلطة العالمية.

والنتيجة هي أنه حين تم، تحت تأثير بعض التخصصات الفرعية، إنزال تفسيرات الفعل الجيوبوليتيكي من هرم السلطة والنخبة والميدان العسكري إلى أفعال الجماهير، بتنا نشهد في الكتابات الأكاديمية والإعلامية استعمالات تؤكد أن الجيوبوليتيك ابتعدت كثيرا عن موضوعاتها ومنهجيتها ومصطلحاتها الكلاسيكية، وباتت تتسم بالفوضى والغموض، بل انتقلت من دراسات الحرب إلى موضوعات السلام والتفاعلات الاجتماعية وكل ما يختص بعواطف الجماهير والتأثير في أفعالهم، وما يندرج ضمن استراتيجيات الحياة اليومية تحت ما يعرف بالجيوبوليتيك الشعبية (Popular Geopolitics) فأصبح لدينا، مثلا، جيوبوليتيك العواطف و جيوبوليتيك السينما، وبحوث قد تبدو غريبة عن هذا الميدان، وتظهر كيف أن المصطلح أقيم في موضوعات تبتعد عن شكل الصراعات والتنافسات المعروفة في الشؤون العالمية، فهناك من ناقش: جيوبوليتيك الحشرات، و جيوبوليتيك الذوق، و جيوبوليتيك الإشارات. وعلى الرغم من أهمية هذه العناصر في التنقيب عما يحدث على خريطة العالم؛ فإننا نعتقد أنه تم التركيز عليها بما يخرج الجيوبوليتيك عن «واقعيته» و«توصياتها العملية»، وأبعادها العسكرية والاستراتيجية.

ولكن هذه الاستعمالات المتعددة، وأحيانا المتناقضة، وهذا «التهافت» على الجيوبوليتيك، تبرز كيف أن المتخصصين ما زالوا

يعدونها نموذجة تفسيرية متميزة يساعد على فهم تعقيدات السلوكيات الدولية، وطريقة لتحليل المضامين السياسية. ومن جهة أخرى عززت مساعي إحياء الجيوبوليتيك، ومحاولة تقديمها بهوية مسالمة، من جاذبيتها، وأزالت سمعتها السابقة. ويرى بيتر تايلور وكولن فلنت أن هذا الإحياء اتخذ ثلاث صيغ مختلفة: أولاً، أصبحت الجيوبوليتيك مصطلحة شعبية مثيرة، خصوصاً مع تكرار ورود المصطلح على لسان كيسنجر. ثانياً، اتخذ عملية الإحياء شك "أكاديمية من خلال الدراسات الجغرافية التاريخية الداعية إلى مراجعة (revisionist) الجيوبوليتيك القديمة، وإعادة إجراء البحوث في جغرافيا الموضوعات التقليدية في العلاقات الدولية، ودمج الاقتصاد السياسي في الجيوبوليتيك، خاصة موضوعات الهيمنة، وعمل بعض الباحثين على تطوير جيوبوليتيك نقدية تستخدم التفسيرات ما بعد البنيوية في الممارسات الجيوبوليتيكية. ثالثاً ارتباط حركة الإحياء بجماعات الضغط من المحافظين الجدد ودعاة الحرب. ويمكن إضافة أن هذا الإحياء لم ينفصل عن تطورات منهجية ونقاشات أستمولوجية حصلت في نظرية العلاقات الدولية.

وفي الحقيقة تظهر هذه المناقشة أن الجغرافيا صمدت أمام التحولات التاريخية؛ فعلى عكس من قال إن توزيع خريطة العالم سببى على التدفقات الاقتصادية فقط، وليس حدود الدول، مثلما افترضه كينيثي أوهمي عن نهاية الدولة القومية، وعن بروز تغيرات جوهرية تجعل حركة الاقتصاد العالمي تنحدر لنفسها خطوطاً خارج الخرائط السياسية التقليدية، يبدو أن هناك حتميات جغرافية ظاهرة وخفية لا تزال تحدد استراتيجيات الدول واختيارات الأفراد. إن العالم، وهو يشهد "انتقام الجغرافيا" من جديد، مدعو إلى استكشاف

ما ستقوله الخرائط عن الحروب والصراعات المقبلة، وتوزيع الجماعات العرقية، ونقل الأسلحة، والهجرة، والبيئة، والعمليات الإرهابية، أو عن العلاقات المترابطة بين المناطق والقوة الاستراتيجية والأمن والحدود؛ لتبقى في ذلك الجيوبوليتيك نظاماً ومنهجية "لا تهزم".

ثالثاً: إنفول الجيوبوليتيكا:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا، صار ينظر إلى الجيوبوليتيك على أنه مثال للتوظيف الخاطئ للجغرافيا في السياسة، وبلغ هذا الإشكال مبلغاً كبيراً عندما أخذ ينظر إليه باعتباره علم زائف وحامل لأيديولوجيا عدائية؛ فقامت معظم الدول بمنع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك في جامعاتها؛ باعتباره علمين مشبوهين يسعيان إلى بذر العداة ويكرسان الأطماع القومية.

استبعدت الجيوبوليتيكا أكاديمياً لمدة عقود في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبذلك حرمت الجغرافيا السياسية من ميراثها المرموق، وأصبحت سمعة الجيوبوليتيكا سيئة نتيجة للأثر البالغ الذي خلفته المدرسة الألمانية للجيوبوليتيكا في ثلاثينيات القرن العشرين على الجغرافيا السياسية، ويوجه اللوم إلى الجيوبوليتيكا الألمانية لأنها من وجهة نظر البعض تخلت عن الموضوعية لتبرر الخطط العدوانية للتاريخ الألماني الثالث في سياسته الخارجية، ويرى بعض الدارسين (ص ٢٢٠ ماهر) أن هذا الاتهام بالذاتية والتحيز لا يقتصر على الجيوبوليتيكا الألمانية، لأنه قاسم مشترك لكل الميراث الجيوبوليتيكي، ألمانيا كان أو غير ألماني.

تزعم المقالات التي صدرت عن المدرسة الجيوبولتيكية الألمانية في ثلاثينيات القرن العشرين أنها تركز على أساس علمي لأنها تقوم على جمع وتنظيم البيانات واستقرائها، إلا أن الجيوبولتيكيين من خارج ألمانيا يرون أن تعاليم هوسهوفر واتباعه لم تنحو الناحية العلمية، فالكثير من الكتاب الألمان أهملوا الحقائق التي لا تتفق والآراء التي كانت مدرسة الجيوبولتيكا الألمانية قد كونتها سلفا، ويرى بعض الدارسين (ماهر ص ٢٢٠) أننا إذا نظرنا إلى الجيوبولتيكا نظرة شاملة لوجدنا أن مظهرها العلمي ينحصر فقط في دراسة النواحي الجغرافية للدولة بطريقة موضوعية، أما الاقتراحات المتصلة بالسياسة الخارجية، فمرهونة بالأسس ووجهات النظر التي يحددها الأفراد أنفسهم.

ولعل من العوامل التي زادت من تدهور الجيوبولتيكا الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية هو ارتباطها في الأذهان بنظام حكم مهزوم، اتبع سياسة خارجية كارثية، وهكذا أصاب بعض التقريع والتوبيخ الجغرافيا السياسية بصفة عامة والجيوبولتيكا بصفة خاصة.

رابعا: نهضة الجيوبولتيكا:

توجد الآن في الولايات المتحدة و المملكة المتحدة منطلقات بحثية جديدة للدراسة و التحليل الجيوبولتيكي من منظور معاصر يطلق عليها اسم (الجغرافية الانتقادية (Critical Geopolitics - ، او كما يسميها تايلور) بالجيوبوليتكس البديلة (Geopolitics Alternative ، أو (الجيوبوليتكس الارثيذوكسية (Orthodox Geopolitics - كما يطلق عليها اوتوتل . ومن ابرز كتاب هذا النهج الجديد هم : جيرويد اوتوتل، جون اولوغلن ، جون أكنيو، كلاوس دودز، وسيمون دالبي.

تشكك هذه المجموعة من الباحثين الجيوبولتيكيين بالمفاهيم الجيوبولتيكية (التقليدية) ، بما في ذلك نظمها الكوكبية ، لأنها مبنية فقط على اساس القوة في العلاقات الدولية ، ويعتقدون بأن دراساتهم لا تؤسس لمدرسة جديدة في الفكر الجيوبولتيكي ، بل يرون فيها مجموعة واسعة من الأفكار المترابطة الساخطة على مفاهيم القوة المجردة في التحليل الجيوبولتيكي السابق.

أن أصحاب الجيوبولتيكس أانتقادي يرون، أيضا ، ان هناك العديد من المتغيرات الجديدة التي هي خارج نطاق المقومات الجغرافية بدأت بأداء فعلها المؤثر الى الأحداث السياسية ، وهنا يدخل العامل التكنولوجي و بخاصة تكنولوجيا الإعلام و الاتصالات ثم ظاهرة الثقافة التكنولوجية العالمية ، والعولمة ، والثورة المعلوماتية التي اقتحمت كل البيوت في دون استئذان للسلطات والدكتاتوريات الحاكمة ، و بخاصة في الدول النامية ، باعتبارها ثقافات عابرة للحدود.

نشأت هذه المدرسة بسبب نقدها المرير لكون الجيوبولتيكس التقليدي كان يعتبر (الجغرافيا) العنصر المهم الوحيد في ممارسات و تطبيقات القوة في العلاقات الدولية وفي السياسة الخارجية للدول . لذا يقول اوتوثل : ان الجيوبولتيكس أانتقادي يقف على النقيض من ذلك لأنه مشروع نظري مشكلاتي يضع الهياكل القائمة لمكون القوة و المعرفة محل اختبار وتحليل، عكس القوالب السابقة المتحجرة . ويرى كلاوس دودز ان هناك خمسة موضوعات لابد ان تؤخذ بنظر الاعتبار في التحليلات الجيوبولتيكية المعاصرة هي:

١- انتهاء الحرب الباردة.

٢- الشركات المالية و المعلوماتية.

٣- التجزئة و الدولة ذات السيادة.

٤- الإقليمية.

٥- وسائل الإعلام و حالات الطوارئ الإنسانية (الكوارث) والحروب.
من هنا يتضح ان كل المهتمين بالجيوپولتيكس الانتقادي يركزون على دور تكنولوجيا الإعلام في تحفيز و تشجيع السكان(الناس) علي القيام بأفعال سياسية محددة، وفي هذا المجال يقول دودز أيضا :

هناك نوع جديد في تكنولوجيا وسائل الإعلام و الاتصالات غيرت من سرعة و كثافة التغيرات السياسية الكوكبية لأنها تخلق قدرة للمتابعين من الأكاديميين والسياسيين في تفسير و توضيح أوضاع العالم ، فالمسافات حول العالم غيرتها طبيعة و سرعة تكنولوجيا الاتصالات، فالتلفزيون، حسب رأي البعض، حول المسافة الجغرافية الى مسافة كاذبة .

ويرى اوتوثل ان الجيوپولتيكس ليس علماً انفرادياً، بل هو علم جماعي وعلم واسع اجتماعياً و حضارياً ، لذا فهو اكبر في ان يقرر نتائجه رجل واحد، كما في الجيوپولتيكس التقليدي، لأن ذلك يتطلب دراسة حالات تقع خارج حدود الدولة أو في داخلها.

ويضيف كلاوس دودز أيضا : يحاول العديد من الباحثين ، سعيًا وراء إيجاد تعريف محدد للجيوپولتيكس، كممارسة منطقية ، التركيز على كيفية استنتاج عواقب الأحداث التي من خلالها يستطيع مختصوا او مخططوا الأمن أقلمة السياسة الدولية او تحديد توجيهاتها مكانياً ، وفي هذا المجال يقول ان هناك نوعين من الجيوپولتيكس : الأول يعتمد على الجيوپولتيكس الشكلي او المنهجي Formal Texts وهي الآراء التقليدية الخاصة بمنظري الجيوپولتيكس التقليدي . والثاني : الجيوپولتيكس العملي (practical) الذي يستنتج عواقب الأحداث بعد وقوعها ليصاغ منها الخطاب الخاص بالسياسة الخارجية. وهو

مايتبناه كتاب الجيوبوليتكس الانتقادي. أي أنهم استبعدوا كلية ما آلت إليه نظريات ماكندر، وسبايكن، ودي سيفر سكي الكوكبية التي كان العالم يجد تطبيقاتها الحادة في سنوات الحرب الباردة ١٩٤٥ - ١٩٩٠.

مع كل ما تقدم نقول : لا يمكن للجيوبوليتكس الانتقادي ان يبطل كل ما جاءت به الجيوبوليتيكا الكلاسيكية او التقليدية او الارثيذوكسية ، كما يسميها الآن أصحاب هذه المدرسة الانتقادية ، وفق رؤيتهم المتعلقة بالصراع الدولي لأحداث ما بعد انتهاء الحرب الباردة . بل نجد ان الطريق الأسلم، لفهم العوامل المحركة للأحداث و تحليلها بشكل سليم ، هو في اخذ ما يصلح للتفسير و التحليل من النظريات و الفرضيات الجيوبوليتيكية الكلاسيكية ، مع الأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات المستخدمة الموجهة او المؤثرة في الحدث السياسي ، لأن تراث الجيوبوليتكس الكلاسيكي هو جزء هام من الثقافة والمعرفة الجيوبوليتيكية . لذا يعتقد بيتر تايلور، ان الجيوبوليتكس الانتقادي يمثل ، هو الآخر ، جزء من الانعطاف (ما بعد الحداثة) في الجغرافية البشرية ، وان هؤلاء المنتقدين للجيوبوليتكس الكلاسيكي لا غنى عنهم في أي حقل من حقول البحث العلمي . كما انه ليس هناك أي سبب يمنعنا من ان نقلب الحال و نستخدم استبصاراتهم في إغناء جغرافيتنا السياسية القائمة على نهج النظم العالمية ، فهي جميعاً من تراث الجغرافية السياسية . وكل الأفكار تفهم و تحلل ضمن سياقاتها التاريخية و القومية وفي إطارها الجغرافي .

ينفق الاهتمام الحديث بالتواريخ النقدية للجغرافيا مع الاهتمام المتجدد بالأفكار الجيوبوليتيكية. حيث حاول ظهرت كتابات حملت عنوان "الجيوبوليتيكا النقدية" محاولة الجمع بين تفسير التغيير

السياسي المعاصر والتقييمات النقدية للبيانات والتفسيرات الجيوبوليتيكية، ويعود هذا الاهتمام إلى دراسات نقدية متفرقة لجيوبوليتيكا الحرب الباردة وتقارير الاضطرابات الاقتصادية الجغرافية. ومع ذلك، تضاعفت هذه الدراسات خلال تسعينيات القرن العشرين، ودفعت الجيوبوليتيكا إلى قلب حوارات الجغرافيا البشرية المعاصرة.

وقد اعتمد ظهور الجيوبوليتيكا النقدية على الاعتراف بأن جغرافيات السياسة العالمية لم تكن حتمية ولا ثابتة، ولكنها كانت تتحدد ثقافيا وتستمر سياسيا من خلال الخطابات والممارسات الاستعراضية لفنون الحكم، ولتحقيق هذا الهدف، أعاد أوتواتيل وأجنيو صياغة مفهوم الجيوبوليتيكا على أنها خطاب يشمل مكونين متداخلين، فأولا هناك "الجيوبوليتيكا العملية" لفن الحكم اليومي، حيث ينقسم العالم إلى مناطق ذات صفات وخصائص متخيلة - مما يؤدي إلى وجود تشكيلة من أماكن "الخطر" أو "التهديد" أو "الأمان" التي تشكل السياسة الخارجية. وثانيا، هناك "الجيوبوليتيكا الرسمية" التي يضعها المفكرون الأميون الذين يقدمون النظريات والاستراتيجيات التي توجه وتبرر فن حكم الجيوبوليتيكا العملية، وقد أثبتت المؤسسة العسكرية والسياسية للولايات المتحدة في الحرب الباردة أنها مجال خصب جدا للدراسة، حيث انتقد دالبي وأوتواتيل وأجنيو الخطاب الجيوبوليتيكي الأمريكي الذي صور الاتحاد السوفيتي على أنه خطير ومهدد وتوسعي، وقد أدى هذا إلى إضفاء المشروعية على ميزانيات الدفاع الأمريكية، وعلى سياسات الاحتواء والتدخل في مناطق أخرى من العالم، ومن المثير للسخرية أن هذه العروض البسيطة كانت جغرافية وأحادية البعد، بينما كان يفترض أن تقوم على معارف خبيرة

ولم يكونوا في حاجة إلى التقدم المرعب لكي يحققوا الفعالية السياسية، لأنه في حالة غياب الانتقادات الهامة، يظل الخطاب الجيوبوليتيكي بلا تحد حقيقي.

وقد طرح أوتواتيل ودالبى أربع نقاط إضافية تميز الجيوبوليتيكا النقدية، وذلك في مقدمة كتاب "إعادة التفكير في الجيوبوليتيكا" - Rethink ing Geopolitics، وهو كتاب حديث يستكشف مجال الجيوبوليتيكا النقدية بصورة أوسع، فبعد إعادة التأكيد على أهمية تقسيم العالم حسب فن الحكم، تمثلت النقطة الثانية في توضيح كيف أثرت هذه الممارسات الاستعراضية على سياسات الهوية حيث يدعيان أن التقسيمات المفروضة بين الذات المحلية و"الآخر" تظل قائمة بسبب التخيلات الجيوبوليتيكية والحدود المادية والمعنوية التي تقسم العالم إلى "مجالنا" و"مجالاتهم".

ثم خلص أوتواتيل ودالبى ثالثا إلى أن المعارف الجغرافية ليست حقا مطلقا قاصرا على النخبة السياسية ومستشاريها ووثائقها السياسية، بل إن "الثقافات الجغرافية" تجد التعبير عنها أيضا في المجالات اليومية في التلفزيون والسينما والقصص والصحف ونظام التعليم الرسمي والسياسية المعتادة للقومية العادية، وكما أن التواريخ النقدية تتناول الآن الثقافات الشعبية، فإن المعارف الجيوبوليتيكية الشعبية أيضا تعد على أهمية كبيرة، وذلك لأنها تساهم في إنتاج وتداول التفسير الجغرافي "السائد" الذي يؤثر على الرأي العام.

ففي الأرجنتين مثلا، لعب نظام التعليم الرسمي والكتب الدراسية الجغرافية أدوارا مهمة في تكوين التخيلات الجغرافية للمواطنين والمعتقدات السائدة المؤكدة على ضرورة استرداد أقاليم مثل جزر ملفين، وذلك حتى تحقق الأرجنتين التنمية والتقدم والعدالة السياسية.

ووصل أوتواتيل ودالبي إلى النقطة الرابعة، فذهبا إلى القول بان الممارسات الفكرية والفروض المعرفية الكامنة في الفكر والممارسات الجغرافية تحتاج إلى البحث العميق بدلا من تقبلها بلا نقد. ويتمثل أحد عناصر هذا النقد في دراسة سياسة التصور أو الرؤية، حيث تنادى نصوص جيوبوليتيكية كثيرة بضرورة وجود تصور ورؤية شاملة، ولكنها نادرا ما تدرس مدى حقها في إعلان أماكن معينة على أنها "قلب الأرض أو مناطق هامشية" أو "نطاقات تصادم القوى" . "shatterbelts" .

ويظهر اتجاه أكثر تكاملا في الجيوبوليتيكا يشير إلى أن هذه النظرات، التي يفترض أنها متميزة، فشلت في التعرف على فروض وخيالات الجيوبوليتيك. وعلى سبيل المثال، يوضح بحث حديث عن حالة النوع والجيوبوليتيك كيف أن النظرات النوعية والعرقية للمراقبين الجيوبوليتيكيين في أوروبا وأمريكا الشمالية أكدت أن معرفة العالم السياسي لم تكن محايدة (كما يدعي البعض) ولا خالية من تحيزات معينة وهكذا فإن الجيوبوليتيكا النقدية يجب أن تدرس كيفية تصور الخبراء الجيوبوليتيكيين للعالم، مما يضمن أن تعرض الادعاءات الجيوبوليتيكية بامتلاك الحقيقة والرؤية المتميزة على أنها جزئية وشخصية.

وأخيرا، يناقش أوتواتيل ودالبي "التفسير الموضوعي" للجيوبوليتيكا في إطار المعايير الاجتماعية والمكانية والسياسية والتقنية لنظام الدولة الحديثة، ونظرا لأن الفكر الجيوبوليتيكي كثيرا ما يواجه المسائل الملحة المتعلقة بالحكم والتي تواجه الدول في إدارتها وتنظيمها لأقاليمها، فإن التعرف على هذه السياقات ونقدها يصبح مهمة أساسية.

ولذلك فإن الاعتقاد بأن التمثيل الجيوبوليتيكي للسياسة العالمية يستحق الاهتمام الشديد له في حقيقة الأمر جزء أصيل من صميم الجيوبوليتيكا النقدية، لأن هذا التصوير للعالم هو الذي يساعد على تشريع وتقنين السياسات الخارجية، ففي الوقت الذي بدأت فيه هذه الدراسات في عرض الفروض والتمثيل المكاني لفن إدارة الدولة، أصبحت الجيوبوليتيكا النقدية أكثر تقدماً من حيث أطرها التحليلية ومحتواها، حتى أن بعض النقاد يشكون اليوم من أن التركيز على مفاهيم مثل تحليل الخطاب، والتمثيل، والمعنى، والهوية، قد تم الإفراط فيه على حساب قضايا الاقتصاد السياسي، بينما ينزعج آخرون من أن مصطلح الجيوبوليتيكا ذاته لم يدرس بصورة كافية، أو من أن تحليل الخطاب الجيوبوليتيكي كان محمداً بصورة ضيقة ويرى البعض الآخر أن تركيز إنلو على أدوار النساء التي تؤثر في الجيوبوليتيكا العملية لازال في حاجة إلى دراسة دقيقة، ولا بد أن نتذكر أيضاً أن ييفز لاکوست Yves Lacoste تنبأ بالعديد من اهتمامات الجيوبوليتيكا النقدية في المجلة الفرنسية هيروودوت في سبعينيات القرن العشرين.

ولا يتوقف الموضوع عند هذا الحد، بل إن الجغرافي الفرنسي دومنيكو مويسي (Dominique Moisi)، في كتابه Geopolitics The of emotions يرى أن جيوبوليتيكية العواطف، هي الأخرى، تلعب دوراً بارزاً في تحريك السلوك السياسي البشري، ويرى أن الصراعات العاطفية اليوم برزت لتعبر عن الهوية القومية في عالم العولمة، حتى بدت وكأنها ذات تأثير هام على الجيوبوليتيكا فالعواطف (Emotion)، حسب رايه، تعكس درجة الثقة (confidence) التي يمتلكها المجتمع نفسه، أي إنها درجة الثقة التي

تحدد قدرة المجتمع على النهوض بعد تعرضه لأية أزمة، ومنها يبرز التحدي والاستجابة والتأقلم (Dominicue Moisi, 1910, P.1).

ويرى كذلك أن هناك ثلاث عواطف اساسية مؤثرة في جيوبولتيكية المسار السياسي هي:

١- الخوف و ٢- الأمل و ٣- الإذلال، وان السبب في هذا الاختيار هو ان العواطف الثلاث هذه، من دون العديد من العواطف الأخرى، ترتبط مباشرة مع فجوة الثقة (confidence) التي أشار إليها والتي هي بمثابة العامل المحدد لكيفية مواجهة الأمم والسكان للمخاطر التي يواجهونها، وفي بناء علاقاتهم مع بعض.

فالخوف كما يقول، يمثل غياب الثقة في العلاقات الدولية، او الثقة الحرجة عند اللذين فقدوا الأمل بالمستقبل، لتوقعهم بان المستقبل سيكون اكثر خطورة. أما الأمل، فعلى النقيض من ذلك، فهو تعبير عن الثقة والقناعة بان اليوم أحسن من الأمس، وان غدا سيكون افضل من اليوم، والقناعة هي ضد الاستسلام.

اما الإذلال فهو الإحساس بالمدلة، والمدلة تتحول أحيانا، كما يعتقد، الى سلاح دبلوماسي، وهو يلعب بأحاسيس الأمم المقهورة. فالإحساس بالإذلال هو الذي يدفع الإيرانيين، في مفاوضاتهم مع الولايات المتحدة، الى إثارة التدخل الأمريكي لإسقاط حكومة مصدق عام ١٩٥٣. كما أن إدانة البرلمان الأرمني للإبادة الجماعية التي تعرض لها الأرمن على يد الترك العثمانيين واعتبارها إبادة عرقية، وشعور تركيا بالطرق الأرمني والإيراني من الشرق قد يكون من اسباب انفتاح تركيا نحو البلدان العربية رغم الإذلال الذي تشعر به من مواقفهم السابقة من الدولة العثمانية، كما أن مساعدة القوات الخاصة

الفرنسية (الكوماندوز) في تحرير البيت الحرام من احتلال الإرهابيين عام ١٩٧٩ هي مذلة اشعرت الملوك وأمراء الخليج بحاجتهم للمساعدة والعون الغربي

من يقرأ كتاب (الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبوليتيكي العالمي) سيطلع على التنوع الكبير والتراث الهائل للجيوبوليتيكا، ومدى تنوع المواقع التي ترعرعت فيها مع كل هذا فان تراثها غير واضح في بعض تعبيراتها، لذا أدت المراجعات النقدية للطروحات الجيوبوليتيكية للعالم اثناء الحرب الباردة الى ظهور ما اصبح يعرف باسم الجيوبوليتيكا النقدية.

فالجيوبوليتيكا ليس علما خاصا بالبريطانيين، او الأمريكان، ولا الألمان لوحدهم، بل انه علم ترعرع في عدة بيئات سياسية متأثرا بالأفكار الأساسية لفرديريك راتزل، ورودولف كلين، فهناك اليوم جيوبوليتيكا المانية، وانكليزية، وفرنسية، ويابانية، وهندية، واسبانية، وأرجنتينية وغيرها من البلدان. وكما يقول ويكرت (كل امة لديها الجيوبوليتيكا الخاصة بها).

ففي ايطاليا، برزت الأفكار الجيوبوليتيكية في جامعة تريستا عندما قبل الجغرافيون هناك قبول الجيوبوليتيكا كتخصص علمي معتمد في تحليلاتهم الجغرافية السياسية على النمط الألماني، نظرا لتأثرهم بتلك المدرسة. ومن هذا المنطلق صدرت مجلة باسم الجيوبوليتيكا Geopolitica في أعوام ١٩٣٩ - ١٩٤٢، وكان هدفها دعم الأفكار الجيوبوليتيكية للشعب الايطالي وفتح افق فكري يمكن أن يتطور من خلاله التحليل الجيوبوليتيكي الايطالي للأحداث، ومع أن هذه المجلة اختفت بانتهاء عهد النازية والفاشية، الا أن علم الجيوبوليتيكا برز مرة اخرى هناك من خلال دورية جديدة منذ عام ١٩٩٢ تدعى (لا

يمس)، التي تعني التخوم، كرست صفحاتها للجيوبوليتكس وتحليل خيارات السياسة الخارجية الايطالية المعاصرة، واستطاعت هذه المجلة ان تكسب شعبية كبيرة في ايطاليا (ديفيد أتكينسون، ص ١٦٥).

اما في اليابان، فقد تأثرت المدرسة الجيوبولتيكية اليابانية في البداية بأراء هاوسهوفر الجيوبولتيكية، ويظهر ذلك بوضوح من خلال تحالف اليابان مع المانيا في الحرب العالمية الثانية، ومع أن هذه المدرسة التزمت الصمت، لفترة ليست بالقصيرة، بعد الحرب العالمية الثانية اثر قيام الدولة بتدمير العديد من الوثائق بعد استسلام اليابان في تلك الحرب فقد تعرض الجيوبوليتكس للإهمال لدرجة الانكسار والذبول. لكن ما أن حل عام ١٩٥٧ حتى عقد المؤتمر الإقليمي لاتحاد الجغرافيين الدولي في اليابان، وكان ذلك أول حدث من نوعه بنظمه الجغرافيون اليابانيون بعد عقدين كاملين من الانعزال الثقافي. وكان ذلك حدثا مهما لتطوير التواصل الوجداني لدى الجغرافيين اليابانيين، جغرافيا وجيوبولتيكيا، حيث تخلق الفكر الجيوبولتيكي نهائيا عن المنهج المتعصب او القومي المتطرف والجمود العقائدي العسكري، بل تمحورت حول فكرة المصالح الاقتصادية العليا ومصالح المؤسسات التجارية الكبرى والنظام السياسي الديمقراطي.

وفي فرنسا ازدهر الجيوبوليتكس عبر مجلة ذات نهج جيوبولتيكي يساري تدعي (هيروودوت) التي ظهر العدد الأول منها في عام ١٩٧٩ تخليدا لاسم المؤرخ اليوناني هيروودوتس وكان يرأس تحريرها الجغرافي بيفر لاکوست مدير المعهد الجيوبولتيكي الفرنسي. يقول لاکوست، موضحا مفهومه الطبيعة وروح الجيوبوليتكس، كما يلي: مهما كان الامتداد الإقليمي، وتعقد البيانات الجغرافية، فان (الموقف الجيوبولتيكي يعرفه المتنافسون على القوة ذات النطاق

الواسع، بعلاقات القوى القائمة بين مختلف اجزاء الإقليم المقصود، وذلك في فترة محددة من التطور التاريخي، والمتنافسون على القوة هم اولاً: الدول الكبيرة والصغيرة التي تتصارع على امتلاك أقاليم معينة او السيطرة عليها، ولكي نفهم التنافس أو الصراع الجيوبولتيكي، لا يكفي أن نحدد ونصور المشكلة المطروحة، بل لا بد من فهم أسباب وافكار الأطراف الرئيسية - حكام الدول، قادة الحركات الإقليمية والانفصالية والاستقلالية، فكل منهم يؤثر في الراي العام الذي يمثله ويتاثر به، إذ أن دور الأفكار، حتى الخاطئة، مهم جدا في الجيوبولتيكس لانها تفسر المشروعات وتحدد الاستراتيجيات مثل البيانات المادية.

ونظرا لهذا التباين الواضح في وجهات النظر التحليلية للأحداث في الجيوبولتيكس الكلاسيكي والنقدي المعاصر، فقد توصل المؤتمر الذي عقده قسم الجغرافية بجامعة دارهام البريطانية في من عام ٢٠٠٨ الى توصية توفيقية تقول: (هناك عدة مدارس فكرية في الجيوبولتيكس، وان الجيوبولتيكس النقدي هو احداها، مع أن الجيوبولتيكس النقدي لا يزال بحاجة الى تحديد مفهومه بدقة).

مع كل ما تقدم نقول: لا يمكن للجيوبولتيكس الانتقادي أن يبطل كل ما جاءت به الجيوبولتيكيا الكلاسيكية او التقليدية او الأرثوذكسية، كما يسميها الآن أصحاب هذه المدرسة الانتقادية، وفق رؤيتهم المتعلقة بالصراع الدولي لأحداث ما بعد انتهاء الحرب الباردة. بل نجد ان الطريق الأسلم، لفهم العوامل المحركة للأحداث وتحليلها بشكل سليم، هو في اخذ ما يصلح للتفسير والتحليل من النظريات والفرضيات الجيوبولتيكية الكلاسيكية، مع الأخذ بنظر الاعتبار المتغيرات المستخدمة الموجهة او المؤثرة في الحدث السياسي، لأن تراث الجيوبولتيكس الكلاسيكي هو جزء هام من الثقافة والمعرفة الجيوبولتيكية، لذا يعتقد بيتر تايلور: أن الجيوبولتيكس الانتقادي

يمثل، هو الآخر، جزء من الانعطافة (ما بعد الحداثة في الجغرافية البشرية، وان هؤلاء المنتقدين للجيوبولتيكس الكلاسيكي لاغنى عنهم في اي حقل من حقول البحث العلمي، كما أنه ليس هناك أي سبب يمنعنا من ان نقرب الحال ونستخدم استبصاراتهم (الطازجة) في اغناء جغرافيتنا السياسية القائمة على نهج النظم العالمية، فهي جميعا من تراث الجغرافية السياسية، وكل الأفكار تفهم وتحلل ضمن سياقاتها التاريخية والقومية وفي إطارها الجغرافي.

جدول (٢) أنماط الجيوبولتيكس كما تدرسها الجيوبولتيكا النقدية

النمط الجيوبولتيكي	هدف البحث	الاشكالية	الامثلة الميدانية
الجيوبولتيكي المنهجي	الفكر الجيوبولتيكي والثقافة الجيوبولتيكية	الأفكار والمؤسسات وسياقاتها الفكرية والثقافية	ماكندر ونظريته الجيوبولتيكية والسياقات الامبرالية
الجيوبولتيكي العلمي	الممارسات اليومية لأنظمة الحكم	المنطق الجيوبولتيكي العملي في تصور وصياغة السياسة الخارجية للدولة	حرب البلقان وتأثيرها على السياسة الخارجية الأمريكية في البوسنة
الجيوبولتيكي الشعبي	الثقافة الشعبية، وسائل الاعلام والفهم الجغرافي للناس	الهوية القومية، بناء تصورات لأشخاص وأماكن أخرى	دور وسائل الاعلام في ابراز حالة البوسنة في البيوت الغربية (التلفاز)
الجيوبولتيكي العملي	الحالات الجيوبولتيكية المعاصرة	العمليات الكوكبية والميول والتناقضات	كيف تعمل العولمة والثورة المعلوماتية وحالة المجتمع على تغيير نمط الجيوبولتيكس

خامسا: النظام الجيوبولتيكي العالمي:

لم يعد صانع السياسة الدولية ينظر للعالم إلا باعتباره وحدة استراتيجية كبرى مقسمة إلى مناطق كلوحة الشطرنج، وبالتالي يحسب تحركاته عليها. ولهذا سنحتاج لرؤية رقعة الشطرنج ونفهمها كمقدمة لمعرفة طرق التموقع الاستراتيجي فيها.

العالم أصبح رقعة شطرنج كبرى، ومسرحا لتقلبات وتحركات القوى الواقعة على هذه الرقعة. وهو يعني أن عدد اللاعبين كبير، فهناك كثير من الاحتمالات والسيناريوهات المحتملة لتحركات القوى المختلفة، ولكن القدر المتيقن هو أن تحريك أي قطعة من قطع الشطرنج يؤثر على بقية القطع.

والقوى من ناحية أوزانها النسبية تتفاوت تفاوتا كبيرا، فهناك القوى الأعظم، وهناك قوى عظمى، وهناك قوى إقليمية كبرى، وهناك قوى مؤثرة، وهناك قوى تسعى للدخول في السباق، وهناك مناطق ذات وزن نسبي قليل، وهناك مناطق ارتكاز السياسات قوى أخرى، وهو ما يعطيها دورا معينا.

هكذا تطور الفكر السياسي المتعلق برؤية العالم. ونحتاج أن نرسم قصة التنفيذ بما يناسب رسم صورة في ذهن القارئ للأحداث الجارية والمستقبلية، والتي هي في الجوهر امتداد لحركة تنفيذ هذه الأفكار.

سنبدأ بالقوى الكبرى في حركتها التاريخية، لنرى كيف ساهمت في تشكيل عالمنا المعاصر، وبأي مؤهلات قامت بذلك؟

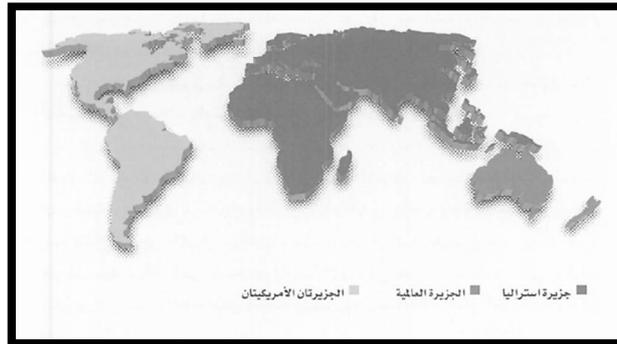
إذا كان العالم منذ فجر البشرية، وحتى إمبراطورية المغول العظمى، تشكل بفعل القوى المستوطنة في شرق أوراسيا (أوربا وآسيا)، فالعالم الجديد ومنذ القرن السادس عشر ستلعب فيه دول غرب أوراسيا الدور الأكبر قبل أن تنتقل القوة للابتعاد عن أوراسيا عبر انتقالها للجزر الكبرى بريطانيا وأمريكا. وبما أن المسار طويل

ومعقد ويمتد لقرون طويلة بتفصيلاتها التي لا تخدم البحث الذي نحن بصدده، سنقتصر على المحطات الكبرى التي شكلت العالم الذي نعيشه، ولنبدأ بفهم مسرح الحدث أو الجغرافيا التي هي أم السياسة.

الأرض الكبرى

لنتعرف أولا على الجزء المعمور من العالم اليوم (رقعة الشطرنج) وأهم مربعاته تبعا لنظر الفاحص الجيوبوليتيكي (ضع خريطة العالم أمامك وانظر إليها) وانس للحظة التفصيلات والخطوط المتعرجة التي تشتت الذهن، وستجد نفسك أمام أربع جزر كبرى أساسية (الجزيرة هي قطعة أرض تحيط بها المياه) هما على الجانب الشمالي الأمريكتان (الشمالية والجنوبية) وهما على شكل مثلثين قاعدتهما للأعلى ورأسهما للأسفل، يربطهما ذيل يمتد من المثلث العلوي للمثلث السفلي.

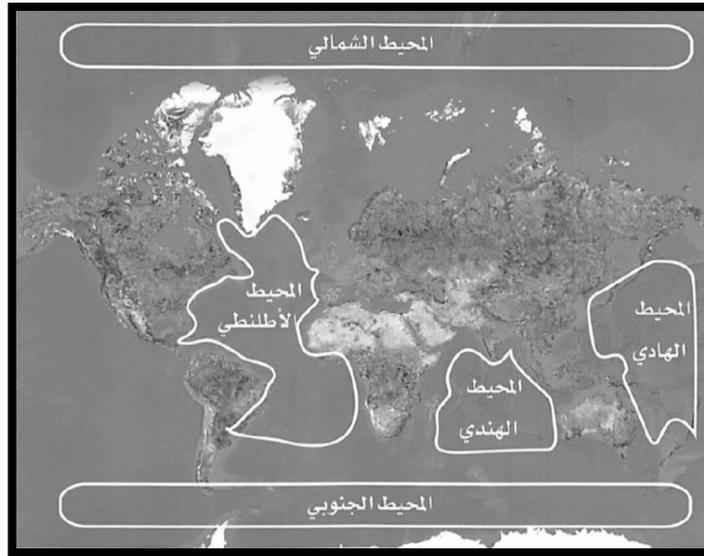
وسنجد لو حركنا النظر لليمين قليلا جزيرة عملاقة مكونة من ثلاثة فصوص (فص أوربي وفص آسيوي وفص أفريقي) وسنطلق على الجزيرة الكبيرة أوراسيا أو (أفروأوراسيا) وهي أكبر جزر العالم، ويمكن أن نسميها (الجزيرة العالمية بهذا المعنى) وهناك جزيرة أخرى تبدو وكأنها قطعة سقطت من أوراسيا وخلفت وراءها قطعة صغيرة شكلت جزرا وذيولا لهذا الحدث. هذه القطعة هي أستراليا.



شكل (٢) التوزيع الجيوبوليتيكي لليابس

البحار الكبرى

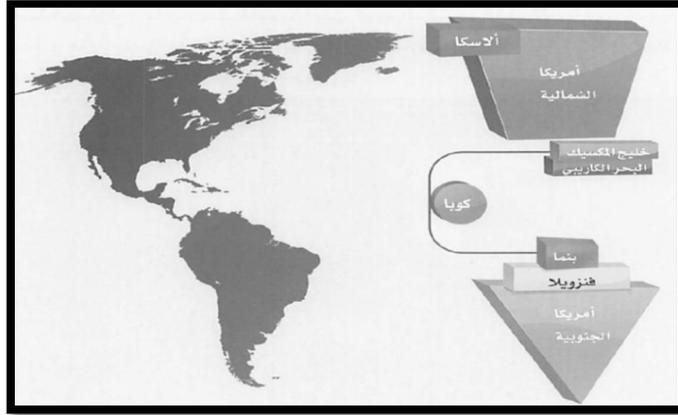
وبعد أن عرفنا الجزر الكبرى، لننتعرف على المسطح المائي الذي يحيط بها، فهو جزء من قطعة الشطرنج العالمية. فكما يتضح من الشكل (٣) عند النظر لأقصى الجهة اليمنى من الخارطة، وأقصى الجهة اليسرى من الخارطة ترى مكتوبا عليهما المحيط الهادي لأنك تنظر لشكل مسطح وهو في أصله كرة أرضية تم نشرها.



شكل (٣) التوزيع الجغرافي للبحار الكبرى

الآن انتقل للمنطقة بين الأمريكتين وبين الجزيرة العالمية لترى المحيط الأطلنسي (اتلانتيك). يمكنك أن تنظر الآن لأعلى الصورة لترى المحيط الشمالي وهي منطقة متجمدة، وأسفل الصورة لترى المحيط الجنوبي والقارة المتجمدة الجنوبية (آنتركتيكا)، وأمريكا الشمالية بمكوناتها كندا وأمريكا وأمريكا الوسطى، هي أشبه بكنغر يستعد للقفز

على أوروبا وآسيا ويقف برجليه على صخرة كبيرة هي أمريكا الجنوبية كما في الشكل (٤).



شكل رقم (٤) موقع وشكل الأمريكيتين

الأمريكيتين " نظرة أولى "

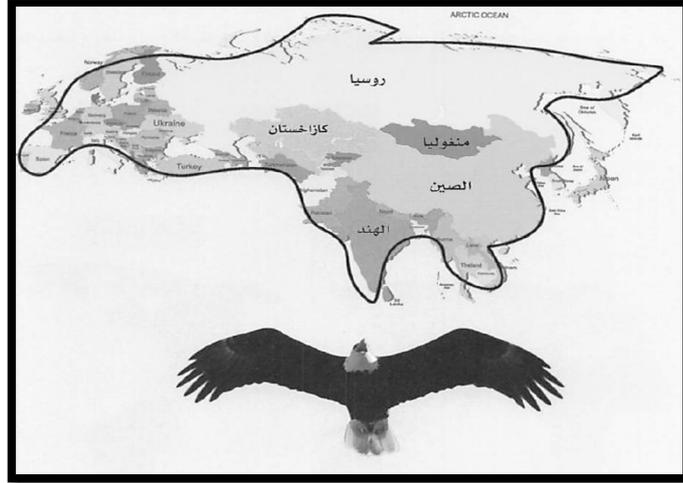
لننظر إلى الأمريكيتين الشمالية والجنوبية كما في شكل (٤) السابق، ونركز النظر فقط على الذيل الذي يربط بين الأمريكيتين، وهو أشبه بحرف C باللغة الإنجليزية وسنجد موقعين في غاية الأهمية: جزيرة صغيرة تسمى (كوبا) وتقع في بطن حرف C، وذيل حرف C مكتوب عليه بنما (حتى نتذكر قناة بنما) وبطن الحرف أعلاه يشغله خليج المكسيك، وأسفله يشغله ما يطلق عليه البحر الكاريبي.

انظر الآن للمنطقة التي تقع تحت كوبا وستجد فنزويلا، وهي تقع في قاعدة المثلث السفلي (أمريكا الجنوبية) وفي شكل مقابل للطرف الأمريكي في أعلى حرف ال C.

صعد النظر لأعلى المثلث العلوي (أمريكا الشمالية) وانظر للزاوية اليسرى من هذا الجزء وسترى، ألاسكا، ولا يفصل بينها وبين روسيا سوى مضيق بيرنج.

النسر الاوراسي

بالنظر للشكل التالي رقم (٥):



شكل رقم (٥) النسر الاوراسي

نجد الشكل يبين النسر الروسي وجناحه الأيمن الممتد في أوروبا. خذ مسافة من الخريطة الأوراسية (أوروبا وآسيا). تأمل جيدا النسر الكبير ورأسه وجناحيه الروسيين وامتداداته الأوروبية.

رأسه الذي يلتفت للجهة الشرقية (شبه جزيرة تيمير) وجناحاه، يمتد أحدهما ليلاص ممر بيرينج في الجهة الشرقية، ويصل للبرتغال في الجهة الغربية عابرا آسيا إلى أوروبا. وتشكل سهول سيبيريا الشمالية والوسطى أعلى صدر الطائر، يلتفت صدره العملاق المكون من الصين لجهة المحيط الهادئ ليواجه خطا من الجزر تمثله اليابان وجزر أخرى.

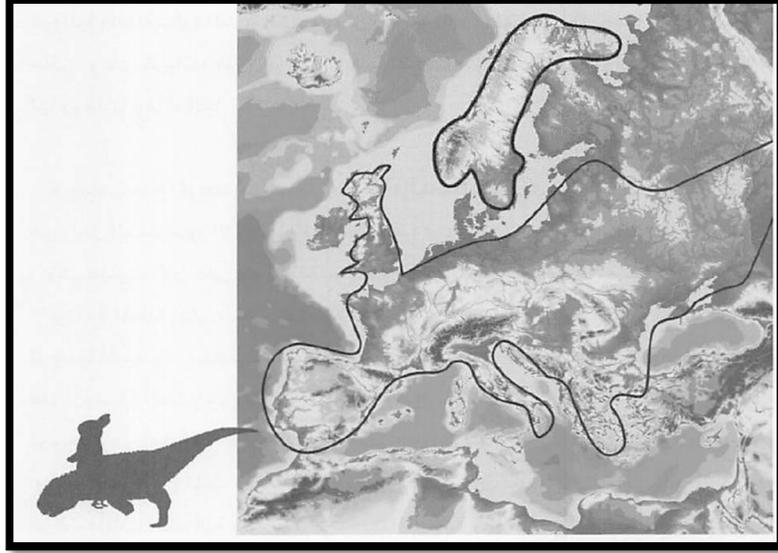
وسنجد الطائر يقف على رجلين هما الهند من ناحية، وجنوب شرق آسيا والتي تعرف بالهند الصينية (كمبوديا ولاوس ومينمار

وتاييلاند وفيتنام وماليزيا، وتتبعها بقية الجزر الصغرى مثل سنغافورة، والكبرى مثل إندونيسيا... إلخ). والمهم هنا أن تعرف الهند، والهند الصينية كرجلين يقف عليهما الطائر. ولننظر بعدها لذيل الطائر وهو يمتد من باكستان وأفغانستان، ويمتد عبر إيران لينتهي بتركيا.

الفص الأوروي

انظر للشكل التالي رقم (٦): الشكل يبين الديناصور الأوروي، حاملا لأرنب، وهو يقف على قدميه الخلفيتين، مطلا على المحيط الأطلنطي وأمريكا.

رأس الديناصور مكون من عين واسعة تطل على المحيط الأطلنطي (البرتغال) وبقية الرأس هي (أسبانيا) وقد مال برأسه على المغرب يهم بقضم جزء منه. ولننظر المنطقة الرقبة والأكتاف سنجد فرنسا، ومثلث الظهر هو (بلجيكا وهولندا) أما مؤخرة الديناصور فهي ألمانيا، أما ذيله فعليه الدنمارك، ثم انظر لساقه الأمامية وستقع عينك على إيطاليا وهي تستقبل بمقدمة حافرها جزيرة صقلية، وأما رجل الديناصور الخلفية فتبدو أطول كما هو متوقع في الديناصورات، وهي موقع اليونان، ومنها تبدأ دول البلقان. منها ألبانيا - مقدونيا - بلغاريا والدول الثلاث تصطف أفقيا على الحرف الأعلى لليونان من شاطئ البحر الأدرياتيكي إلى شاطئ البحر الأسود. ثم تتربع فوقها جمهورية الجبل الأسود، وعلى حرفها الأعلى تتربع كرواتيا المطلة على البحر الأدرياتيكي، والبوسنة والهرسك للداخل من غير منفذ مائي. وعلى كرواتيا فوق حرفها الأعلى تقع سلوفينيا. وأحيانا تضاف لها رومانيا ومالدايفيا.

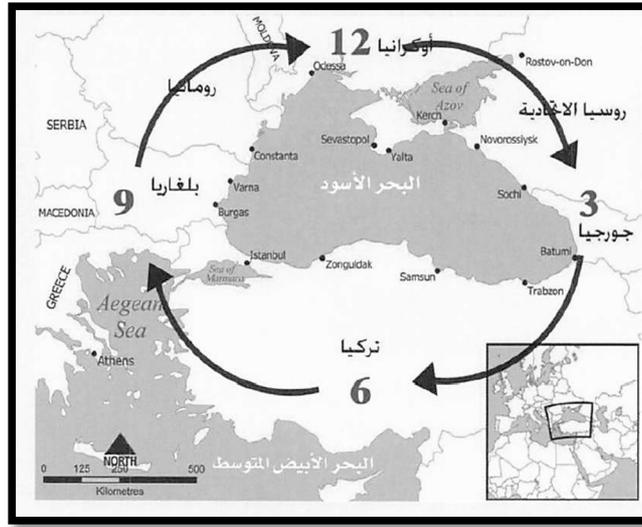


شكل (٦) يوضح الفص الاوربي

المهم أن تعرف أن دول البلقان هي رجل الديناصور الأوروبي الخلفية، وهي منطقة توتر عرقي مقلق لأوروبا. ركز عينيك الآن على مؤخرة الديناصور وهي ألمانيا، وانظر لأربع كتل متجاورة: بولندا المطلة على بحر البلطيق من الشمال، وركز عينيك على بولندا واتجه لروسيا البيضاء، ستجد نفسك تقترب من موسكو وتحت روسيا البيضاء ستجد بقعة في غاية الأهمية لروسيا وهي أوكرانيا. ها نحن قد تحدثنا دون أن نشعر عن كتلة في غاية الأهمية، هي أوروبا الشرقية.

تحت هذه الكتلة الشرقية بحر صغير على شكل مثلث، ولعلك عرفته البحر الأسود (وسمي البحر الأسود لأنه تعلوه دائما سحب من الغيوم سوداء وكان الناس يخافون من ركوبه)، وهو بحر في غاية

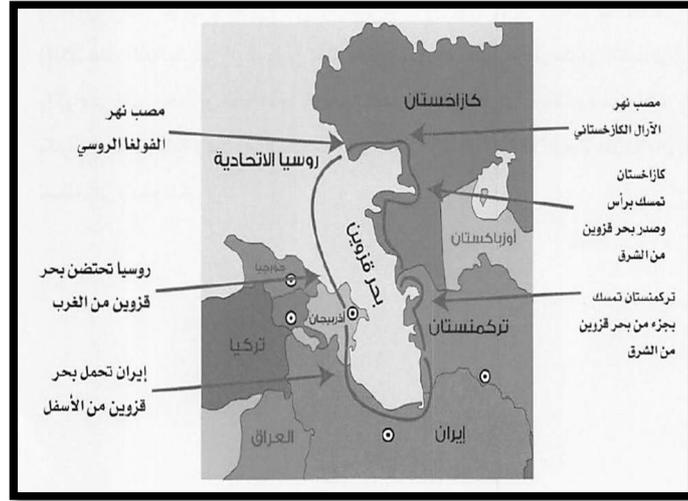
الأهمية الاستراتيجية كمنفذ لواحدة من القوى الكبرى في العالم، وهي روسيا وهو المخرج الوحيد لها للوصول للبحر الأبيض المتوسط عبر مينائها العتيد (نوفوريسيك) وتجاورها وتشارك معها فيه خمس دول أخرى. فلو بدأت مع عقارب الساعة عند السادسة، ستجد تركيا وهي تتحكم في مضيق البوسفور الذي يمرر السفن من البحر الأسود إلى بحر مرمرة (سمي بذلك لأن حوله مناطق لإنتاج رخام المرمر)، ومن مرمرة تعبر السفن عبر مضيق الدردنيل إلى بحر إيجه إلى البحر الأبيض المتوسط، وتليها مع حركة عقارب الساعة بلغاريا ورومانيا وأوكرانيا، ثم روسيا ثم جورجيا. ولسهولة فهم منطقة البحر الأسود تذكر فكرة المثلث على رأس تركيا، وتحيط به دول يمكن معرفتها مع دوران عقارب الساعة. كما يتضح من الشكل (٧).



شكل (٧) الدول المحيطة بالبحر الاسود

بحر قزوين " علامة الاستفهام "

من الشكل رقم (٨) يتضح:



شكل (٨) بحر قزوين علامة الاستفهام

وهو بحر صغير تصب فيه المياه القادمة من نهر الفولجا الروسي، ونهر الأرال المار بأراضي كازاخستان. ويمكنك أن ترى إيران تحمل هذا البحر، وروسيا تحتضنه من الميسرة، وكازاخستان تأتي إلا أن تمسك برأسه وصدرة من الجهة اليمنى، وتترك بقيته لتركمانستان.

ولكن ما الذي يجعله مهما إلى هذه الدرجة؟ إنه النفط الذي يحتمل أنه يرقد تحته، والبعض وعبر بعض التقديرات يرى أنه يتفوق على منطقة السعودية والكويت والعراق، وهذا لم يثبت بعد، ولكن لو ثبت فسيكون بؤرة توتر عظمى في العالم. والمكتشفات الحالية من البترول والغاز تطرح بدورها أسئلة حول طرق التصدير، والأراضي التي يجب أن تمر منها في ضوء الصراعات بين دول المنطقة وطموحاتها. ولذلك سنطلق عليه (علامة الاستفهام) لأن أنظار كل القوى تتجه إليه. وحن الأوان للنظر إلى البقع الكبرى.

روسيا

انظر للشكل التالي رقم (٩) وأمعن النظر الآن إلى هذه السحابة التي تشبه رأس النسر وجناحيه وبعض صدره، والتي تظلل آسيا وتمتد من أواسط أوروبا حتى أقصى نقطة في الشرق على المحيط الهادئ، هنا تقع روسيا.

وروسيا في شمالها بحار متجمدة غير صالحة للملاحة، وليس لها منفذ للمياه الدافئة إلا عبر البحر الأسود مرورا بمضيق البوسفور ثم الدردنيل، ثم بحر إيجه ثم البحر الأبيض المتوسط. (وضع مؤلم لقوى عظمى).

حين تخرج الأساطيل للبحر الأبيض المتوسط، فالموانئ التي كانت صديقة لروسيا هي ليبيا وسوريا وحين انتزعت منها ليبيا لم تبقى إلا سوريا.

على حافتها الغربية تتصل بأوروبا، وسترى دولا كانت تشكل جزءا من الاتحاد السوفيتي سابقا، ستري أوكرانيا وفوقها روسيا البيضاء، وفوقها لاتفيا وليتوانيا، وفي ظهر هذه المجموعة ستجد بولندا وألمانيا بالترتيب. وستسمع عن هذه الكتلة كثيرا في الحديث عن الدرع الصاروخي، وعن توسعة حلف الناتو والاتحاد الأوروبي.



شكل (٩) الوضع الجيوبولتيكي لروسيا

الآن ركز النظر في الحدود الشرقية، ستري روسيا وهي تمتد
خرطوما كبيرا تتساقط منه جزر صغيرة على الجزيرة اليابانية،
وسترى خرطوما آخر يغرز إبرة في أعلى كوريا الشمالية.

أما الحدود الجنوبية لروسيا فهي من اليمين تتشكل من تماس
صغير كالدبوس مع كوريا الشمالية، ثم حدود مستعرضة مع الصين
تنتهي بحدود كازاخستان، ثم جزء من بحر قزوين، ثم تنتهي الشوط
قصير على ظهر جورجيا.

وهنا توقف قليلا أمام زحمة الدول تحت كازاخستان. فالمسافة بين
حدود روسيا في اتجاه الخليج العربي حيث منابع النفط تمر عبر
كازاخستان، أوزبكستان، تركمنستان، إيران، وكل تقدم لروسيا وبأي
شكل هنا يعنى الاقتراب من مناطق النفط.

إذا أرادت روسيا الوصول للمحيط الهندي حيث المياه الدافئة
فعلينا العبور عبر كازاخستان أو أوزبكستان أو طاجيكستان أو
تركمنستان ثم أفغانستان، وبعض هذه المنطقة المستقلة عن الاتحاد
السوفييتي كجمهوريات حديثة التكوين، هي منطقة عدم استقرار فهي
تحيط ببحر قزوين مخزن البترول القادم، وتنتشر داخلها الصراعات
العرقية والتدخلات من القوى الكبرى المحيطة: روسيا وإيران وتركيا،
وتتطلع لها الصين والهند، وتتطلع لها أوروبا من خارج القارة، ومن
خارج الجزيرة العظمى تتطلع لها الولايات المتحدة الأمريكية.

الصين:

بعد أن تأخذ مسافة من الخريطة الأوراسية (أوروبا وآسيا) تأمل
جيدا طائر الكندور كبير الرأس الذي يلتفت للجهة الشرقية (شبه
جزيرة تيمير الروسية) وجناحيه اللذين يمتد أحدهما ليلاص ممر

بيرينج في الجهة الشرقية، ويصل للبرتغال لو مددت البصر للجناح، ولكنه عمليا يتوقف عند أوروبا الشرقية في الجهة الغربية عابرا آسيا إلى أوروبا. لنركز الآن على صدر النسر وهو الصين.



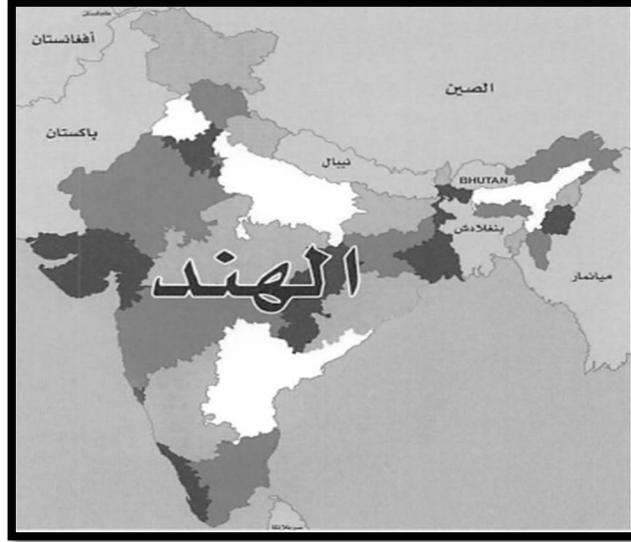
شكل (١٠) الوضع الجيوبولتيكي للصين

لو نظرت لرأس التنين في منشوريا، وهو فاغر فاه، متجها إلى روسيا وقد احتضن هضبة منغوليا كأنه يتقي بها الروس، وقد أسند رقبتة وظهره للمحيط الهادي، بينما مؤخرته الصلبة جبال الهملايا تصله مع الهند الصينية (فيتنام ولاوس وبورما وبوتان والنيبال) والهند وباكستان وأفغانستان وطاجيكستان وقرغيزستان وكازاخستان، وهو جوار متوتر باستمرار بسبب النزاعات العرقية والدينية والاقتصادية.

والصين بذلك تواجه بسواحلها على المحيط الهادي حزاما أوجدته الجغرافيا وحددته وظيفيا أمريكا، وهو اليابان والفلبين وكوريا الجنوبية وأستراليا عن بعد.

الهند

تبدو الهند كنتوء كبير يظهر من القارة، مثلث قاعدته للأعلى وتتصل بمؤخرة التين الصيني، وقمته تنغمس في المحيط الهندي على حافته العليا تقع النيبال وتأخذ جزءا من حده الأيمن أو الحرف الشرقي الأعلى بنجلاديش، ومقابلها في الجانب الأيسر أو الغربي باكستان، أما قمة المثلث فتقابلها جزيرة مشاغبة هي سريلانكا. كما يتضح من الشكل (١١).



شكل (١١) الوضع الجيوبولتيكي للهند

الشرق الأوسط

منطقة الشرق الأوسط في الاصطلاح. ويقصد بها المنطقة التي تشمل آسيا الغربية وشمال إفريقيا، وخاصة في الاستخدام الأمريكي، وقد تممد استخدامه ليشمل أفغانستان وباكستان والقوقاز ووسط آسيا، وهو يستخدم بالتناوب مع مصطلح الشرق الأدنى لأوروبا.

وقد مر المصطلح برحلة طويلة من الاستخدامات، فأحيانا يعني فقط الصراع العربي الإسرائيلي، وأحيانا الدول العربية حتى ليبيا، وأحيانا أخرى يقصد به الدول الممتدة من أقصى العالم العربي وصولا إلى بورما.

وأول من نحتة هم الإنجليز سنة ١٨٥٠ في الهند، ثم استخدمه ألفرد ماهان سنة ١٩٠٢ ليصف المنطقة بين الجزيرة العربية والهند. ومن دراسة صراع بريطانيا والروس كإمبراطوريات للنفوذ في وسط آسيا، حدد ماهان منطقة القلب و الصراع بأنها الخليج العربي، وسمي المنطقة المحيطة به الشرق الأوسط. وقال إنه بعد قناة السويس فهذه المنطقة هي الأهم لبريطانيا لمنع تقدم الروس إلى الهند

بمعنى آخر الشرق الأوسط مصطلح فضفاض تدخل فيه مناطق وتخرج بحسب القوة التي تستخدمه، وهو حين يتسع يصل من الشمال الإفريقي لحدود الهند، وحين يضيق يتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي ودول المنطقة المعنية به. وهذه المنطقة اليوم عند البعض تحتوي على قلب العالم المتعلق بالطاقة، وبالتالي تضاعفت قيمتها الاستراتيجية في عيون العالم.

نظرة للجزيرة العربية والخليج

وهي منطقة قليلة الكثافة السكانية بشكل مذهل بالقياس المساحة الأرض، ومنطقة ترقد على مخزون نفطي هائل، ومخزون من الغاز لا يقل أهمية، وبالتالي تتوفر فيه خاصيتان:

الأولى: قلة الكثافة السكانية، بمعنى قلة القدرة على الدفاع الذاتي.

والثانية: خاصة جذب القوى العالمية لرائحة النفط والغاز المسيلة
للعاب كل القوى المحيطة والعالمية.

تشكل الهشاشة السكانية في الخليج والجزيرة وفسيفساء الدول
الموجودة على خارطتها ككيانات صغيرة، فرصة للوجود الغربي في
المنطقة لحماية ما يعده الغرب مصدره الأكبر للطاقة.

وبالتالي فتوفير الحماية عبر التحالف والقواعد والتسهيلات
للغرب، هو طريق هذه الدول لحماية ذاتها من الكيانات الإقليمية
العلاقة المحيطة بها.

باستمرار هناك تخوف محلي وعالمي من احتمال طمع إحدى
الدول الإقليمية كإيران في الحاضر، والعراق قبل تفكيكه للسيطرة على
مناجم النفط وتنفيذ ذلك. وربما كان هذا هو أحد أسباب تفكيك العراق
وتدميره، وحصار إيران في الحاضر.

المحيط العربي وعلاقته بالجزيرة والخليج

ورغم أن دول الخليج والجزيرة مرتبطة حضاريا ودينيا بالمحيط
العربي والإسلامي الكبير، والممتد لبقية مناطق الجزيرة العربية،
كاليمن والعراق والشام ومصر والشمال الإفريقي، وهي كتلة بشرية
كبيرة، مازال هذا العمق الاستراتيجي البشري والاقتصادي، في دائرة
القوة المحتملة، لا القوة المتحققة. وبين عالم الإمكان بالقوة والإمكان
المتحقق يوجد عالم الإرادة، وهو عالم لا يزال معطلا في كثير من
أجزاء هذا الوطن الممتد.

المحيط الإسلامي الإقليمي والجزيرة والخليج

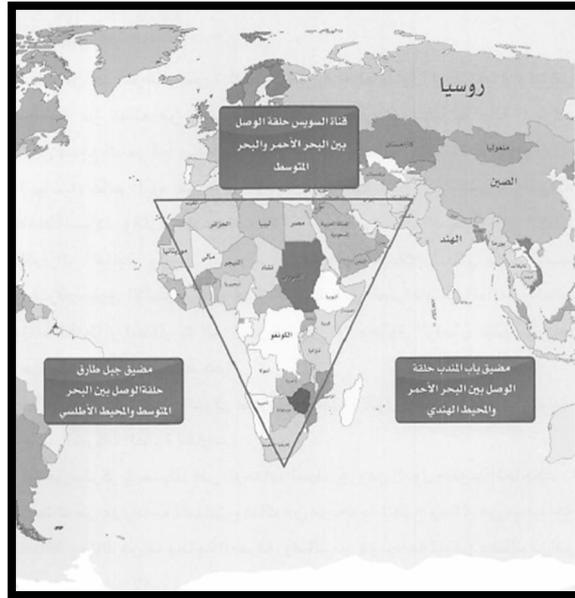
وفي هذا النطاق سنجد دولتين طموحتين، هما إيران وتركيا، ونجد تحديا كبيرا أمام المنطقة وهو الاحتلال الصهيوني لفلسطين. والمنطقة كلها أمام تحد رئيس وقائم، وهو المشروع الصهيوني المدعوم غربيا، وهو مشروع معقد بنيويا يجمع بين العنصرية الصهيونية، وبين المنظور الديني اليهودي، وبين الالتحام بالغرب ثقافيا ومعرفيا، وبين الامتداد العلمي التقني الغربي، وبين الدور الوظيفي لصالح المشروع الغربي، وبين وضع نفسه في سياق أزمة الضمير التاريخي الغربية، وبين خطورته في ذات الوقت وخاصة اليوم على المصالح الغربية، وبالأخص شكله الحالي الرافض لأي تسوية معقولة للنزاع، والتكاليف الباهظة التي يحتاجها للاستمرار في وجه الأزمات التي يمر بها الغرب وقابليته لتحمل عبء إضافي.

وفي هذا السياق تظهر المصالح الفردية للقوى الإقليمية الكبيرة كتركيا وإيران، وطموحاتها لتوسعة النفوذ، وقدرات التدخل في المحيط، وما تسببه الحساسيات الدينية والمذهبية والقومية من توترات مضافة على الجزيرة، وصناع القرار فيها.

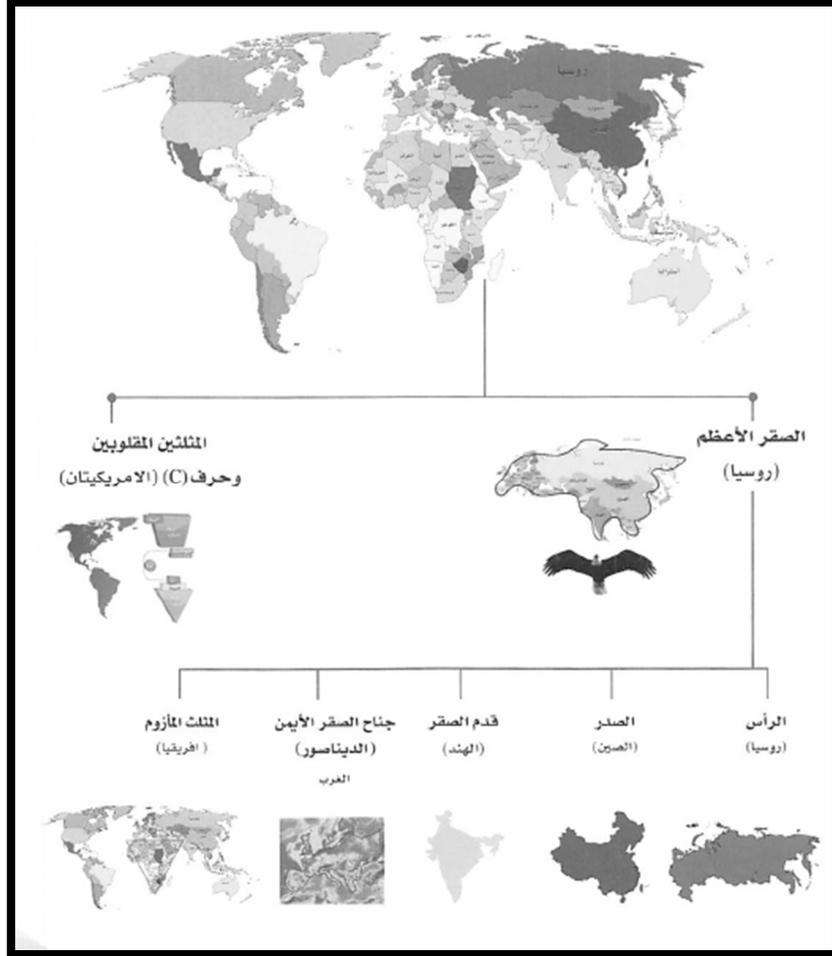
إفريقيا

القارة البكر، وهي عبارة عن مثلث كبير قاعدته للأعلى (مثلثه مثل مثلث الأمريكيتين والهند) أو كأنه مثلث مقلوب، أعلى نتوء في قاعدته تشكله تونس، وقمته على رأس الرجاء الصالح، وتمثله جنوب أفريقيا وعلى طرفه الغربي سترمق المغرب واشنطن الأمريكية على جانبي الأطلسي، وهي أول الدول التي اعترفت بأمريكا حين ميلادها.

وستقابل موريتانيا خليج المكسيك والبحر الكاريبي وكأنها قد انفصلت عنه البارحة، وتقابل فيه البرازيل خليج غينيا وكأنها انفصلت عنه البارحة أيضا. بقايا قصة انفصال القارات ما زالت شواهدا باقية، وعلى الطرف الشرقي للمثلث نتوء هام يطل على باب المنذب وهو الصومال، وباب المنذب هو مضيق بين جيبوتي واليمن، والبوابة للعبور إلى المحيط الهندي من البحر الأحمر.



شكل (١٢) أفريقيا المثلث المقلوب



شكل (١٣) الجغرافيا الناطقة

العالم من الجغرافيا للجيوبولتيك – من السكون للحركة

ها نحن قد عرضنا صورة للعالم وهو في حالة سكون (جغرافيا)، ولننتقل للحديث عن العالم من زاوية (الجيوبولتيك) أو الجغرافيا في حالة الحركة ، وحتى تصبح الجغرافيا حية فهي تحتاج لحركة الإنسان، أو لنقل الحركة الوحدات السياسية، عالم اليوم هو عالم غريب ! فمن جهة تبدو فكرة الدولة القومية كاملة السيادة، وفكرة العضوية في الأمم المتحدة والشكل الديموقراطي لاتخاذ القرارات العالمية، وتطور البشرية في مناداتها بالسلام العالمي ونبذ العنف واحترام حقوق الإنسان، ومن جهة أخرى تنتشر الصراعات في العالم، والعالم يزداد تسلحا والتدخل في الدول يزداد شراسة، وحقوق الإنسان تبدو أسوأ أحوالها، فماذا يفسر ذلك كله؟

واللاعبون على المسرح الدولي متنوعون، فمنهم الدول، ومنهم المنظمات الدولية ومنهم الشركات العابرة للقارات. ونحن سنركز حديثنا على الوحدات السياسية، وهي الدول متنوعة الحاجات.

فهناك من هو بحاجة للموائى، وهناك من هو بحاجة للقمح، وهناك من هو بحاجة للطاقة، وهناك من هو بحاجة للمعرفة، وهناك من هو بحاجة للبشر، وهناك من هو بحاجة للممرات الآمنة لبضائعه.

الدول مختلفة التوجهات

فهناك دول لا طموح لقياداتها ونخبها، وهناك دول عندها أيديولوجيا أو دين أو شعور قومي، أو شعور بالخطر على مستقبلها، لديها دافع قوي يجعلها لا ترضى بما عندها، بل تتطلع لما في أيدي الآخرين.

الدول تتصارع على ما تعتقد أنه موارد نادرة، في حين تعتقد أن البترول سلعة فاضية تتصارع عليها، وحين تعتقد أن المياه سلعة ناضبة تتصارع عليها.

وتحت ذريعة الأمن القومي، ترتكب كل الموبقات، وتستخدم كل وسائل السياسة الظاهرة والخفية كما يوضحها جدول (٣)، فالوسائل الظاهرة الناعمة، الإعلام والدعاية السياسية والدبلوماسية والتحالفات قد تتصاعد للإغراءات المالية أو للعقوبات المالية والحصار الاقتصادي، وقد تتصاعد للحصار العسكري والتهديد والتنفيذ الجزئي أو الكامل للحرب، أما الوسائل الخفية فهي حروب الاستخبارات والتجسس والاعتقالات والانقلابات والثورات والتلاعب بالمعلومات، وكل ذلك في عرف السياسة الدولية مبرر بالمصلحة القومية العليا.

جدول (٣) وسائل وأدوات الصراع السياسي

وسائل وأدوات خفية	وسائل وأدوات ظاهرة
* حرب الاستخبارات.	* الحملات الإعلامية الضاغطة
* العمليات القذرة - اثاره الفتن	الموجهة، والدعاية السياسية.
والقلاقل الداخلية- العرقية.	* الضغوط السياسية المباشرة
* الاغتيالات السياسية.	والغير مباشرة، عبر الدول الصديقة
* الثورات.	والموالية.
* حرب المعلومات.	* التحالفات السياسية.
	* الاغراءات والعقوبات الاقتصادية.
	* التهديد واستخدام القوة العسكرية.

ودول العالم يمكن أن توضع على ستة مستويات:

*** المستوى الأول:** دول المبادرة أو اللاعب النشط وهو يتمتع بثلاث مواصفات:

أولاً: يمتلك ارادة وطنية (لا يخضع لشروط الخارج).

ثانياً: يمتلك القدرة والإمكانية لصالحه (قادر على توفير التكاليف الضرورية للفعل).

ثالثاً: أن يكون مستعداً للخروج من موطنه بغرض تغير الوضع الجيوبوليتيكي، وهي دول قليلة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وربما فرنسا.

الجيوبوليتيكية الروسية المعاصرة " دراسة حالة"

ترجع الملامح الأولى " للجيوبوليتيكا الروسية المعاصرة " إلى سنة ١٩٩١، حينما نشر دوغين مقالاً بعنوان " حرب القارات (The War of The Continents) ، الذي تضمن تصورات دوغين الجيوبوليتيكية الكبرى للعالم، حيث وصف فيه ذلك الصراع الجيوبوليتيكي القائم آنذاك بين نمطين مختلفين من القوى العالمية: القوى البرية أو "روما الخالدة" التي تركز على مبادئ عديدة، مثل: الدولة المستقلة، والجماعة المحلية، والمثالية، وتفوق الخير المشترك. في المقابل توجد حضارات البحر، أو "قرطاجة الخالدة" التي تركز على مبادئ مختلفة، مثل: النزعة الفردية، والنزعة المادية، إضافة إلى ميزة التجارة. وبحسب تصور دوغين، فإن "قرطاجة الخالدة" كانت قد تجسدت تاريخياً في أثينا الديمقراطية، والإمبراطورية الألمانية والبريطانية كذلك، أما اليوم، فهي ممثلة بالولايات المتحدة، في حين

تجسّدت "روما الخالدة" في روسيا. وبالنسبة له، فإنّ الصراع بين هذه النمطين من القوى سوف يظلّ قائماً إلى أن يتمكّن أحد الطرفين من تدمير الآخر كلياً، ولا يمكن لأيّ نمطٍ من النظم السياسية أو أيّ مقدارٍ هائلٍ من التجارة البينية بين الطرفين أن يتمكّن من إيقاف هذا الصراع. لذلك، فمن الأفضل أن تُسارع روسيا (الخيرة) إلى هزيمة أمريكا (الشريرة) مثلما يقول، كما ينبغي أن تأخذ الثورة المحافظة (Conservative Revolution) مكانتها في التاريخ كانت تلك هي الملامح الأولى لأوراسية دوغين الجديدة، التي عزّزها بشكلٍ مفصّل سنة ١٩٩٧، حينما أصدر كتابه ذائع الصيت "أُسُسُ الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، الذي كان بمثابة إنجيل الأوراسيين الجدد في القرن الجديد.

آمن دوغين دوماً" بالأوراسية الجديدة "بوصفها عقيدة تحمل خلاصاً لكلّ المشكلات التي تُعانيها روسيا، بل خلاصاً لكلّ مشكلات الإنسانية، بنفس الشكل الذي آمن به أتباع الماركسية أو الماوية... إلخ، بقدرة هذه العقائد على فعل ذلك، بل وادّعى أنّ الأوراسية الجديدة ستكون العقيدة القائدة في المستقبل، التي ستجعل من روسيا قوةً عظيمة، ومع هذه النبوءة آمن دوغين أنّ الأوراسية ينبغي أن تكون بمثابة "الأنوار الشمالية" للرئيس فلاديمير بوتين ومساعديه، التي ستساعده جنباً إلى جنبٍ مع القادة العالميين، على صياغة إمبراطورية أوراسية وتشكيلها، كما أنه آمن بقدرة النظام الحالي على أن يكون خارطة طريق لتجديد الشباب الروسي.

في سعيه لمواجهة طموحات الهيمنة الأمريكية العالمية، يدعو دوغين روسيا لأن تتجنّب التحوّل إلى مجرد ملحق للإمبراطورية الأمريكية، إذ عليها في نظره أن تسعى إلى إيجاد مراكز متعدّدة للقوة،

لا ينبغي أن تكون مرتبطة بالولايات المتحدة وعولمتها، وأن ترى فيها مركزًا، ولكن عليها خلق "فضاءات كبرى" عديدة موحدة عبر شبكة من التحالفات بين دول عديدة، ومثل هذا "الفضاء الكبير" من شأنه أن يُنتج مركزًا (جديدًا) للقوة. يرى دوغين هنا وجود العديد من مراكز القوة، أو ما يشبه الإمبراطوريات (الصغيرة) الناشئة في المستقبل، يمكن أن تكون مثلًا الاتحاد الأوروبي أو اتحادات مختلفة، أو دولًا منفصلة في آسيا تشمل اليابان، والهند، و"إسرائيل"، وتركيا، وبالطبع إيران التي يراها دوغين حجر الزاوية لتحالفات أوراسيا، وأكثر حلفاء روسيا أهمية إن لم تكن الأهم على الإطلاق. ينظر دوغين إلى الصين أيضًا باعتبارها حليفًا محتملًا في مواجهة الولايات المتحدة، إلا أنه ينظر للصين باعتبارها حليف الملائم الأخير. في الحقيقة، إن نظرة دوغين لعلاقات الصين مع أوراسيا نظرة ذات شك بالرغم من الموقع الجيوبوليتيكي الأوراسي الواضح للصين.

إنّ نشاط الصين التجاري الكبير مع الولايات المتحدة إلى جانب إمكانية توسعها الديمغرافي في الشرق الروسي البعيد وسيبيريا، كلّ هذه المسائل لا تزال تثير مخاوف دوغين. مع ذلك، لا يزال دوغين يأمل أن تحدث ترتيبات جيوبوليتيكية ذكية، من الممكن أن تجذب الصين إلى ائتلافٍ مناوئٍ لأمريكا ونشاطاتها الجيوبوليتيكية الخطرة. على سبيل المثال، يقترح دوغين أن توجه الصين طموحاتها نحو الجنوب بدلًا من الشمال باتجاه روسيا. لذلك وبحسب دوغين، على أغلب دول أوراسيا أن تحشد جهودها ضدّ هذا العدو المميت لكلّ شعوبها، وهو الولايات المتحدة، وأن تعمل على تشكيل تكتلاتٍ دولٍ، شبه إمبراطورية، ومنها تكتل الدول المسلمة، الذي سيكوّن إمبراطوريات قوية، مستقلة ونووية. على روسيا أن تساعد هذه

"الإمبراطوريات النووية"، وأن تعمل على نقل أسلحتها النووية إليها. ويرى دوغين أيضًا، أنّ على طبيعة الجيش وشكله أن يكونا متوافقين مع اتجاه السياسة الخارجية للبلد، وموقعه الجيوبوليتيكي.

أما فيما يتعلّق بعلاقة روسيا بشعوب أوراسيا، ولاسيما شعوب الاتحاد السوفيتي السابق، فيرى دوغين أنّ بإمكان روسيا أن تُدمج حضارات مختلفة كثيرة، وينبغي أن يكون شكل هذه الرؤية الحضارية الأوراسية مشابهًا لنظيرتها في الإمبراطورية المغولية الكبرى مع جانكيز خان. في الحقيقة، الروس هم حلفاء الإمبراطورية المغولية، التي كانت عابرة للثقافات والإثنيات بطبيعتها الخاصة. يهتم الروس بحسب رؤية دوغين بالإمبراطورية الأوراسية العظمى، ولا يهتمون برفاه دولة روسيا الصغيرة بمجموعاتها الإثنية الخاصة. علاوةً على ذلك، لا يهتم الروس بمركزية هذه الإمبراطورية، كما يحتاج دوغين بأنه في ظروفٍ معيّنة قد يُحيل الروس دور الزعيم الإمبراطوري إلى مختلف الجماعات العرقية، في مثل هذه الحالة، فإن موت روسيا سيكون في نفس الوقت فعل حياة، سوف تموت روسيا فقط لأجل نقل مهمتها الإمبراطورية إلى شعبٍ آخر.

وعلى الرغم من الدور العظيم للروس في بناء الإمبراطورية، فإنه إذا ما ألغى الروس دورهم التاريخي فإنّ البلاد سوف تؤول إلى الزوال. في الحقيقة، ومن دون إمبراطورية لا يمكن لروسيا أن تُوجد، سوف تنهار ببساطة. إلا أنّ اختفاء روسيا لن يؤدي إلى نهاية فكرة الإمبراطورية الروسية العظمى، سوف يتولّى شعب (أوراسي) آخر زمام القيادة، ولا يمانع دوغين من رؤية الأوكرانيين في موقع القيادة الأوراسية.

أخيراً، وإذا أردنا أن نُميز أوراسية دوغين عن الأوراسية التقليدية التي تبناها كثيرٌ من الجيوبوليتيكيين الروس في سنوات العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، فإنَّ إيديولوجية دوغين إيديولوجية مناهضة للغرب، مناهضة لليبرالية، هي إيديولوجية توليتارية، أيديوقراطية (Ideocratic) وتقليدية اجتماعياً. قوميته ليست قومية سلافية التوجّه (بالرغم من أنّ الروس لهم مهمة خاصة في الوحدة والأرض) إلا أنها مرتبطة أيضاً بالقوميات الأخرى لأوراسيا. كما أننا نجده يروّج لنظرة صوفية، روحية، عاطفية، خلاصية.

وتختلف الأوراسية الجديدة لدوغين بشكلٍ كبير عن فكر الأوراسيين السابقين أولاً، ففي تصوّر دوغين لأوراسيا أنّها أكثر اتساقاً من سابقتها وكأنها لم تكن من قبل. على سبيل المثال، بينما آمن سفيتسكي بأنّ الدولة الروسية- الأوراسية ينبغي أن تمتدّ من سور الصين العظيم في الشرق إلى جبال كاربيثيان في الغرب، فإنّ دوغين يؤمن بأنّ الدولة الأوراسية يجب أن تدمج كلّ دول الاتحاد السوفيتي السابق، أعضاء الكتلة الاشتراكية، وربما حتّى إنشاء محمية عبر كلّ أعضاء الاتحاد الأوروبي. في الشرق، يقترح دوغين التوجّه البعيد قدر الإمكان عبر إدماج كلّ من منشوريا، كسينغ سيانغ (Xinxing)، والتبت، ومنغوليا، بل حتّى يقترح في النهاية بالتوجّه جنوب شرق نحو المحيط الهندي. وبدلاً من تضمين أوروبا في أوراسيا، فقد اضطر دوغين إلى إعادة صياغة العدو، ففي الفكر الأوراسي الكلاسيكي كان العدو متمثلاً في أوروبا الرومانية-الجرمانية، أمّا في نسخة دوغين، فيتمثّل العدو في الولايات المتحدة، في مقابل أنّ الأوراسيين الكلاسيكيين فضّلوا الولايات المتحدة، بل وعدّوها نموذجاً يُحتذى به، وامتدحوا كلّاً من قيمتها، وقيمها

الاقتصادية، وعقيدة مونرو، وعدم عضويتها في عصبة الأمم. هناك نقطة اختلافٍ أخرى جدية، هي موقفه من الفاشية وألمانيا النازية، فحتى قبل الحرب العالمية الثانية عارض الأوراسيون الكلاسيكيون الفاشية، ووقفوا ضدّ معاداة السامية الراديكالية. وفي المقال كذلك أشاد دوغين "بدولة إسرائيل" الفاشية؛ نظرًا لتمسّكها بمبادئها المحافظة، إلا أنه أيضًا تحدّث عن الارتباط بين الصهيونية والنازية، كما قال بشكلٍ ضمني إنّ اليهود استحقوا دولتهم بسبب الهولوكست وحسب، مُقسّمًا إياهم إلى "يهود سيّئين" و"يهود جيّدين"، الجيّدون هم الأورثوذكس ويعيشون في إسرائيل، أمّا السيّئون، فيعيشون خارج "إسرائيل".

ينبغي الإشارة في النهاية إلى أنّ الفكرة الأوراسية الجديدة لدوغين ليست فكرةً جيوبوليتيكيةً محضة، وإنما تستند إلى أسس وخلفياتٍ فلسفيةٍ بدت واضحةً جدًّا في كتابه الحديث: النظرية السياسية الرابعة الذي يُعدُّ بمثابة العماد الفلسفي لمنظور دوغين الجيوبوليتيكي.

"عالم دوغين- بوتين": الأوراسية الجديدة في السياسة الخارجية الروسية المعاصرة:

العلاقة بين الأكاديمي اللامع ألكسندر دوغين والرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين لم تكن وليدة الصدفة إطلاقًا، كما أنّ محاولات دوغين للتأثير في صانع القرار الروسي بدأت قبل أن يبرز اسم فلاديمير بوتين على الساحة السياسية الروسية، إذ خاض دوغين مسيرةً حافلةً بالنضال السياسي-المدني في شبابه، ولاسيّما في الزمن الحرج الذي كانت تعيشه الساحة السياسية الروسية عقب سقوط الاتحاد السوفيتي، ومرحلة الهشاشة والانتقال

السياسية طيلة عقد التسعينيات، حيث عمل برفقة زملائه على تشكيل حزب سياسي يدعو إلى عقيدة سياسية جديدة، على الدولة أن تتبناها حتى تخرج من وضعها الذي تعيشه الآن، وهي عقيدة " الأوراسية الجديدة". بدأ منذ ذلك الوقت نجم دوغين يتصاعد بشكل مستمر، رغم معارضته لكثير من الأمور في النظام القائم زمن يلتسين، إلا أنه تمكن من تحقيق نوع من السلام التام مع هذا النظام بشكل متبادل. ومع تلك الثقة التي كانت ممنوحة له، بدأ دوغين يحاضر في مؤسسات تعليم عُليا صُممت لتوليد النخبة الروسية.

في سنة ١٩٩٩، حاضر دوغين في مدرسة تقوم بتدريب الضباط المستقبلين لجهاز الاستخبارات الروسية (FSB) خليفة KGB ، فقد كان يُخبرهم آنذاك أنّ على الضباط الروس أن يتصرفوا كموظفين روس حقيقيين، ولا ينبغي عليهم احتساء الكحول الغربي، وتدخين السجائر الغربية، أو قيادة عربات غربية الصنع. وحينما وصل بوتين إلى الحكم، صار دوغين أكثر قرباً من مؤسسة الرئاسة.

وبدا واضحاً أيضاً تأثير دوغين في كلام بوتين نفسه، الذي صار يتكلم بلغة قريبة جداً من اللغة التي يتكلم بها دوغين وأتباعه. وفي أثناء خطابه الوطني سنة ٢٠٠٥، كرر بوتين كلمة بكلمة المبادئ الأساسية للمنظور الأوراسي. على سبيل المثال، نظر إلى سقوط الاتحاد السوفيتي على أنه "الكارثة الجيوبوليتيكية العظمى للبلد"، كما أكد "أنّ لروسيا مهمة خاصة في القارة الأوراسية"، وعطى بوتين في سياسته الخارجية اهتماماً كبيراً بعلم الجيوبوليتيك، فاقترب من أوروبا، وواجه الولايات المتحدة؛ لأنّ الغرب ليس واحداً في نظره بعلم الجيوبوليتيكا وفي تصوّر دوغين قبل كل شيء. لقد عبّرت سياسته عن وعي هويّاتي وجودي، خصوصاً وأنه مارس التدخّل الحاسم -كما

تُقرّر نظرية دوغين - في المجال ما بعد السوفيتي (جورجيا، وأوسيتيا الجنوبية، وأبخازيا، وأوكرانيا).

وعلى الرغم من انتقادات دوغين لبوتين بين الفينة والأخرى، فيما يتعلّق بسياسته الليبرالية الاقتصادية، وأيضًا بسبب تعاونه مع الغرب- إلا أنه عدّه الرئيس الأمثل لتطبيق أفكاره، والحليف الراسخ له.

وفي شهر مارس ٢٠١٨، فاز الرئيس فلاديمير بوتين مرّة أخرى بعهدة جديدة، ليستمر نفوذه في روسيا المعاصرة قرابة عقدين من الزمن، تمكّن فيها من إعادة روسيا الفيدرالية إلى ساحة القوى الدولية الفاعلة من جديد. وكان هذا الفوز بدوره انتصارًا للنزعة الأوراسية الجديدة في روسيا التي سيتنامى تأثيرها وتأثير صاحبها ألكسندر دوغين في صانع القرار الروسي بشكلٍ مستمرّ، وليست الأزمة السورية الراهنة إلا أحد أكبر الأدلة المُحاجة بذلك.

ولا يزال الرئيس فلاديمير بوتين يرى في هذه الأزمة أزمة صفرية، ومعركتها إحدى أهمّ المعارك المعاصرة للتيلوكراتيا ضدّ التالاسوكراتيا الجديدة على حدّ تعبير دوغين، فالحلم الروسي القديم بالوصول إلى المياه الدافئة والدفع -من تمّ- بقوى البحر بعيدًا عن إقليمها صار حلمًا قريبًا جدًّا، وإسهام دوغين فيه بات واضحًا أيضًا مع تفاني الروس في دعم نظام الأسد السوري بشكلٍ مستميت بسبب نصائحه واستشاراته الحاسمة. ولن يُبالغ إذا قلنا إنّ شخصية كمشخصية ألكسندر دوغين سوف تقف على قدم المساواة إلى جانب شخصيات جيوبوليتيكية كبيرة حفظها وسيحفظها تاريخ العلاقات الدولية.

*** المستوى الثاني:** دول القابلية وهي دول تمتلك القدرات والإرادة، ولكنها ما زالت تلعب في حيز ضيق، لم تظهر بعد قدراتها على المسرح الدولي بعيداً عن حدودها، ومنها الصين والهند.

جيوبوليتيكية الصين تجاه ميانمار" دراسة حالة"

إذا كان بعض منظريّ السّاسة الأميركيين قد وسموا العقد الأول من القرن الواحد والعشرين بمشروعهم المسمى "القرن الأميركيّ الجديد" وبعضهم تقلّد مناصب إدارية وأمنية رفيعة في إدارة بوش الابن ودعموا سياسة "ريجانية" قائمة على التدخل العسكريّ المباشر لإدارة العالم من أفغانستان إلى العراق وتبنوا "الفوضى/ العماه" استراتيجية لهم لتحقيق أهدافهم، فإنّ العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين بدأ ينحو اتجاهاً معاكساً في سقوط الأحادية القطبية وبزوغ تعددية قطبية نشهد إرهاباتها اليوم بما يسم هذا العقد الحاليّ بعقد "الموائئ الدافئة".

هذا وتعتبر الحرب الروسية الجورجية (٢٠٠٨) نقطة البدء في هذا التحول واستكمل ذلك في أزمة القرم (٢٠١٤) حين طلب الرئيس بوتين بموجب المادة (١٠٢) من مجلس الاتحاد الروسيّ السماح له باستخدام القوة العسكرية لاستعادة الاستقرار للقرم... حيث أبدت روسيا خشيةً من إقدام السلطات الجديدة في أوكرانيا - المدعومة أوروبياً - على إلغاء معاهدة أسطول البحر الأسود أو المساس ببناها التي تضمن بقاء الأسطول الحربيّ الروسيّ في ميناء سيفاستبول للعام (٢٠٤٢) مع بقاء ما يقارب (٢٥) ألف جنديّ روسيّ في هذا الميناء.. أمرٌ يُشكّل ضربةً قويةً لطموحات بوتين الدولية سيما البحرية منها باعتبارها شرطاً لازماً لعودة مكانة روسيا الدولية وهو ما رأيناه بوضوح في أزمتيّ جورجيا وسورية حيث لعب الأسطول البحريّ

الروسيّ في البحر الأسود أدواراً بالغة الأهمية...ضمنت لروسيا عودةً مظفرةً إلى مسرح الكبار...ولكنّ روسيا غير قادرةٍ بمفردها على إسقاط الأحادية الأميركية بل هي بحاجةٍ ماسةٍ إلى القوة الاقتصادية الصينية، فالصين كثاني أكبر اقتصادٍ عالميٍّ عادةً ما صنفت بأنها قوةٌ قادرةٌ على تغيير النظام الدوليّ ولكنها قانعةٌ بنسقه الراهن، ولكن قناعتها تلك لم تجنبها ويلات الصراع مع الخصم الأميركيّ، ولم تجنبها نهائياً الوقوع في "فخ ثوسيديس" الذي يفترض بأنّ خوف قوةٍ قائمةٍ (الولايات المتحدة) من صعود قوةٍ منافسةٍ (الصين) وعدم الرغبة في التعاون بينهما سيؤدي حتماً إلى الوصول إلى فخ الحرب، فمنذ العام (٢٠٠٩) والعلاقة بدت متوترةً مع الولايات المتحدة وعمدت الأخيرة إلى فرض شبه حصارٍ بحريٍّ عليها عبر نشر أساطيلها في المحيطات الدولية لعرقلة التجارة الصينية.

ومع العام (٢٠١٣) بدأت الصين بالتحرك نحو القطبية الكاملة سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً من خلال مبادرة "حزام واحد - طريق واحد" التي أطلقها الرئيس الصيني شي جين بينغ، وتهدف لتطوير وإنشاء طرق تجارية وممراتٍ اقتصادية تربط أكثر من ٦٠ بلداً، وعلى غرار أهمية ميناء سيفاستبول في القرم لروسيا ظهرت أهمية ميناء أراكان في ميانمار على خليج البنغال بالنسبة إلى استراتيجية الصين الجديدة، فالميناء يمنح الصين الوجود الاستراتيجي في المياه العميقة للمحيط الهندي، بعد أن كانت دولة حبيسةً على المحيط الهادئ؛ كما يوفر هذا الممر منفذاً بحرياً للمقاطعات النائية في الجنوب الأوسط للصين على المحيط الهندي.

انطلاقاً من ذلك، قامت الصين بتوسيع الشراكة الاقتصادية مع بورما للاستفادة من منافذها البحرية لتأمين التدفقات النفطية للصين

عبر خليج البنغال في حال فرض حصارٍ اقتصاديٍّ على منطقة بحر الصين الجنوبي الذي يشهد توتراتٍ عسكريةٍ مع الولايات المتحدة، هنا يظهر التشابه بين المينائين سيفاستبول وأراكان بالنسبة لروسيا والصين باستراتيجيتهما باتجاه تحويلهما نحو القطبية الدولية.

هذه الأهمية الحيوية للإقليم الذي يسكنه عرقية الروهينجا ذات الأغلبية المسلمة، حولته إلى نقطة اصطدامٍ جيوبوليتيكيٍّ مع واشنطن، ولكن في الحالة الروسية كانت القوة العسكرية الروسية حاسمةً باتجاه استعادة القرم مع وجود أغلبيةٍ سكانيةٍ تؤمن البيئة اللازمة للعودة، بخلاف وعكس الحالة في إقليم راخين حيث تتواجد القوة الصينية العسكرية القادرة على الحسم ولكن لا تتوفر البيئة الحاضنة لها حيث يقطن الإقليم أقلية الروهينجا المسلمة، وما يجري اليوم من أحداثٍ هي مؤسفةٌ بطبيعة الحال تفتح الباب واسعا لخطط واشنطن المجربة سابقاً وهي حروب الجيل الرابع عبر استخدام ما يسمى "الجهاديين الإرهابيين" لزعزعة الاستقرار في بورما ولاحقاً الانقلاب عليهم والتدخل المباشر ضدهم بذريعة "مكافحة الإرهاب"، كما حدث في أفغانستان - مثلاً - وبطبيعة الحال فليديها الكثير من الأدوات المهزومة التي سحبتهم من سورية للزج بهم في أتون الأحداث الجارية في ميانمار.

هذا الوضع المأزوم في الإقليم الذي يشكّل بديلاً استراتيجياً عن قناة "ملقا البحرية" التي تهيمن عليها القوات العسكرية الأميركية تضع الصين أمام تحدياتٍ اقتصاديةٍ وأمنيةٍ جديّةٍ وتعرقل طموحاتها التجارية الدولية في ظل بزوغ ارهاصات حربٍ تجاريةٍ مع واشنطن قد تنقلب حرب عملاتٍ دولية، وتنحصر خياراتها في ثلاث أنماط من السلوك السياسي والعسكري أحلاها "مر".

النمط الأول هو نمط استخدام القوة العسكرية الصينية المباشرة في مواجهة هذه التنظيمات المتطرفة التي بدأت بالوفود إلى الإقليم بتواطؤ تركيٍّ أميركيٍّ، وهو أمرٌ صعبٌ ومستبعدٌ نتيجةً عاملين:

- الأول التوتر الحاصل بين الجيشين الصيني وجيش ميانمار على خلفية أحداث (٢٠١٦) وطلعات سلاح الجو التابع لميانمار فوق الحدود الصينية.

- والعامل الثاني هو الأثر العكسي للتدخل فقد يكون هذا التدخل هو أقصى طموح تبغيه واشنطن لأنه يسمح لها بتحويل الصراع الصيني مع "الجهاديين الإرهابيين" إلى حربٍ دينيةٍ تستخدم فيها الإيغور المهزومين و العائدين من سورية لتقويض استقرار إقليم تركستان الشرقية (شينجيانغ) ونقل الحرب إلى الداخل الصيني، واستعداد أقاليم تركستان الغربية للصين بما يقوّض المساعي الصينية في استراتيجية حزام وطريق، وذلك في سيناريو مشابهٍ لاستخدام وتوظيف تنظيم القاعدة الإرهابي في مواجهة الاتحاد السوفييتي إبان الحرب الأفغانية (١٩٧٩-١٩٨٩).

أما النمط الثاني من السلوك فهو النمط الأمني من خلال دعم صيني لحملةٍ أمنيةٍ لقوات الجيش في ميانمار على متمردي الروهينغا وهم (جيش تحرير روهينغا أراكان "أرسا") دون التدخل العسكري المباشر، وهو نمطٌ لن يفي بالغرض لأنّ حجم الاستقطاب والشحن الإعلامي خصوصاً الإعلام الخليجيّ الحاصل على خلفية تلك الأحداث ستزيد مشاعر الكراهية ضد الصين وتخلق البيئة الملائمة أيضاً لنشاط الحزب الإسلامي التركستاني الأويغوري سيما بعد عودة فرعه الإرهابي في سورية في الداخل الصيني، فالإعلام الصيني العربيّ

منخفض التأثير ولن يجري الحملات التحريضية ضد البوذيين
الحاصلة اليوم.

وبالانتقال إلى النمط الثالث من السلوك فهو نوع من "العقلنة
السياسية" متعددة المستويات في الأحداث بدءاً من التعامل الإنساني
مع تداعيات الصراع كمستوى أول عبر استقبال عشرات الآلاف من
اللاجئين المسلمين وتقديم الدعم الإنساني الأمر الذي يسمح للصين
بتقويض فرضية الحرب الدينية والتطهير العرقي، والمستوى الثاني
دبلوماسي عبر دعوة الأطراف المعنية إلى وقف إطلاق النار فوراً لمنع
تصاعد الاشتباكات، وإعادة الوضع إلى طبيعته في منطقة الحدود في
أقرب وقت ممكن والسعي لبلوغ اتفاقية سلام شاملة كانت قد انطلقت
في العام (٢٠١٥)، إلا أن هذا النمط وهو الحاصل حالياً قد يشجع
منظمة "أرسا/ جيش تحرير روهينغا" على طلب مزيد من الصلاحيات
ومكتسبات الحكم الذاتي بما يمهد للانفصال مستقبلاً، وبالتالي تأتي
النتائج بعكس المصالح الصينية.

شاءت الظروف الدولية أن يلعب الموقع الجيوسياسي المهم
(ميانمار) في القارة الصفراء دوراً رئيساً في الاستراتيجية الصينية
سواء من خلال ممر بري من الصين إلى الخليج العربي والبحر
المتوسط، أو من خلال ممر بحري يسمح لواردات الصين أن تأتي
بعيداً عن الأساطيل الأميركية، ولكن الظروف التاريخية والسياسية لن
تسمح للصين بنمذجة سيناريو القرم الروسي المتشابه في الأهمية
الجيوبوليتيكية مع إقليم أراكان ومينائه الحيوي، وما يعقد الحسابات
الصينية أن هذا التحدي الجيوبولتيكي والتحدي الاستراتيجي الكوري
سيكونان حاسمين في رسم شكل القوة الصينية حاضراً ومستقبلاً،
فنجاحها في ضبط الوضع في الإقليم سلمياً وحل الأزمة الكورية

سيؤهلها للعب أدوار إقليمية ودولية حاسمة في الصراعات الدولية ويسقط الانتقادات الدولية في عدم امتلاكها ثقافة القطبية الدولية وأدواتها و عجزها عن إدارة الأزمات الدولية، ولكن فشلها في حلّ أزمة الروهينغا سيما إن اقترن مع فشل دبلوماسيٍّ لأزمة الجزيرة الكورية سيأتي بنتائج عكسية على الصين ليس من الناحية الجيوبولتيكية فقط بل سيحول دون بلوغها مرحلة القطب الفاعل دولياً فالاقتصاد هنا لن يكفي، لأنها ستفقد الثقة الدولية بإمكانياتها السياسية فلا أحد يرغب بحصول كوارث نووية جراء قذّة الخبرة الدولية في التعامل مع الأزمات العسكرية، فكيف لفاقد الشيء أن يعطيه انطلاقاً من فشلها في حلّ أزمة تعني أمنها القومي مباشرة.

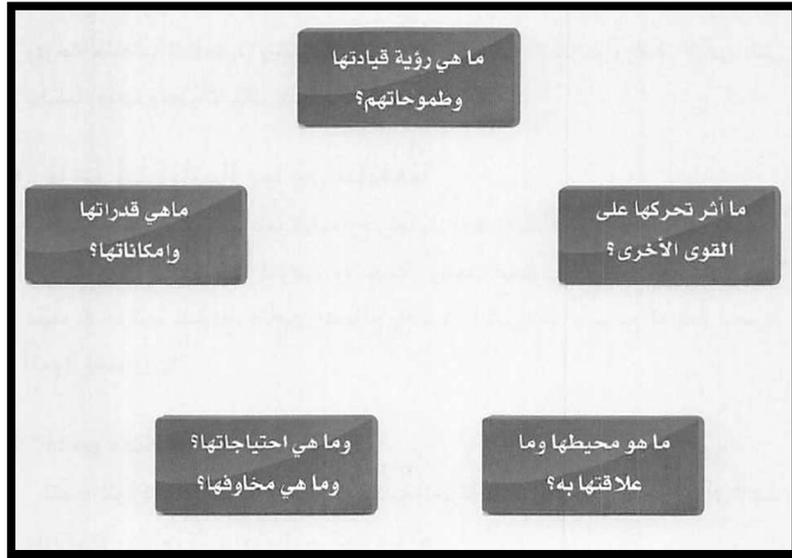
*** المستوى الثالث:** دول الطموح الإقليمي وهي دول لا تؤهلها قدراتها الكلية مثل الموقع والحجم والموارد والمعرفة على اللعب على مستوى عالمي، ولكنها تمتلك الطموح والقدرات الإقليمية، كتركيا وإيران على سبيل المثال.

المستوى الرابع : دول المسرح وعليها تلعب الدول من المستوى الأول (دول المبادرة)، وهي دول لا تمتلك قيادتها الرؤية ولا الدافع ولا القوة، ولكنها تقع في موقع حساس مؤثر على بعض اللاعبين الاستراتيجيين، أو تمتلك بشكل ما موارد يحتاجها طرف استراتيجي ما. كأفغانستان وباكستان وغيرها كثير.

المستوى الخامس : دول الخمول وهي دول تمتلك الإمكانيات، ولكن لسبب أو لآخر تفتقد الدافع، وتبقى في الظل أو كدولة تابعة لمركز مسيطر كبريطانيا واليابان في الحماية الأمريكية.

المستوى السادس : وهو مستوى جديد وهو دول الحضور وهي ظاهرة جديدة ربما تتعاضد في المستقبل، وهي دول ليست لها معطيات التاريخ والجغرافيا، ولكن تمتلك قيادات طموحة وبعض الإمكانيات، وتمارس دورا إقليميا مؤثرا بشكل ما كنموذج قطر مثلا.

وحيثما ننظر استراتيجيا للاعبين من الدول نلتفت لأمر يمكن أن نطلق عليها الأسئلة الاستراتيجية للفاعل السياسي (الدولة) ومنها كما يتضح من الشكل التالي رقم (١٤):



شكل (١٤) الأسئلة الاستراتيجية للفاعل السياسي كدولة

وتحركات اللعب الاستراتيجي تؤدي إلى واحدة من ثلاث أشياء مع الطرف الآخر كما يتضح من الشكل التالي رقم (١٥):

١- معادلتته استراتيجياً	وهو ما وسم تحركات روسيا وأمريكا أثناء الحرب الباردة. (صعود الروس على القمر يستدعي صعود أمريكا)
٢- مشاركته استراتيجياً	وهو ما وسم تعاطي أمريكا مع فرنسا مثلاً (الاشتراك بدلاً من الصدام في أفريقيا)
٣- السيطرة عليه استراتيجياً	وهو ما تم في اليابان وألمانيا مثلاً بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم

شكل (١٥) نتائج الصراع الاستراتيجي

الفصل الثالث

نظريات ومدارس الجيوبولتيك

أولاً: الجيوبولتيك نظام علمي مفتوح

أولاً: نظريه القوه البريه

ثانياً: نظرية القوه البحريه

ثالثاً: نظرية القوه الجويه

رابعاً: من الجيوبولتيك إلى الجيو – عولة

أولاً: الجيوبوليتيك نظام علمي مفتوح

كانت معرفة الجيوبوليتيك وممارستها تسعيان إلى فهم التوسع المكاني أو تحقيقه، وقد عملت النظريات الكلاسيكية على وضع الشروط والاقتراحات اللازمة لرجال الدولة والحرب من أجل السيطرة على الأقاليم، وتوسيع جغرافيا الدولة القومية، وأوضحت كيف أن السياسات الخارجية ترتبط بالاحتميات الجغرافية، فمنذ بدايات القرن التاسع عشر أرست المدرسة الألمانية على يد فريدريك راتزل (عام ١٨٤٤-١٩٠٤)، والمنحدرة من تقاليد المدرسة العضوية، المبادئ والشروط الطبيعية لتوسع الدولة، بصفتها كائنا طبيعيا ينمو ويتوسع؛ فدعت إلى ضرورة اتساع إقليم الدولة بقدر نمو سكانها، وتوسع نشاطهم الاقتصادي، وأكدت أنه ما دام "التوسع الإقليمي متصلا في طبيعة الدول" يكون ضمان القوة والبقاء هو الأولوية. وقد انتقل راتزل من مبدأ "الكفاح من أجل الوجوده Kampf ums D ein إلى "الكفاح من أجل المجال" Kampf um Raum من خلال الربط العضوي بين المجتمع والأرض والدولة، ويقول في ذلك، واصفا علاقة حركة البشر بالحياة "بين حركة الحياة، التي لم تهدأ أبدا، وإقليم الأرض (Raum)، الذي يبدو ثابتا، ينشأ التناقض. ويولد الخروج من هذا التناقض الكفاح من أجل المجال (space). ففي البداية استطاعت الحياة سريعا التوسع، والاستيلاء على سطح الأرض (Boden) بصفته ملكية خاصة بها، ولكن عندما بلغت الحياة منتهي هذا السطح بدأت مرة أخرى في الانبثاق، ومنذ ذلك الوقت، والحياة تناضل باستمرار مع الحياة على كامل وجه الأرض من أجل المجال، إن تعبير "الكفاح من أجل الوجود" الذي أسىء استخدامه وفهمه كثيرا. لا يعني

في المقام الأول سوى الكفاح من أجل المجال. فالمجال هو الشرط الأول للحياة، وعليه تقاس سائر الشروط، وفوق كل ذلك شرط الرزق. وكذلك نبه هاوسهوفر السياسيين إلى ضرورة توسيع مجال ألمانيا، وتخفيف عبء الكثافة السكانية الخانقة عن مدنها، واستعادتها لما فقدته في مؤتمر فرساي، فيؤكد للقادة الألمانين مثلا أهمية هذه المقاربة وأنه يجب على كل من له صلاحية إعادة تشكيل شعبة في مجال حيوي كافي ومقدس أن يحس بالمسؤولية بصفته إنسانا مؤثرا في العالم. وتفيدنا قواعد الجيوبوليتيك في بحث وضع الدول ضمن النطاق الجغرافي العالمي، وتحديد مصادر القوة داخل الأقاليم وخارجها، ونظرة إلى أن الجيوبوليتيك الكلاسيكية كانت تنطلق من مركزية الدولة وقرارات النخب، وأن العولمة غيرت مفهوم الحدود، والنظرة إلى طبيعة الصراعات ووظيفة الدولة، بدا أن الجيوبوليتيك يمكن أن تكون في خدمة السلام، وأن ترتبط بالمشروعات المدنية التي تمس الجماهير الواسعة، وأن تكون مسالمة وعلمية وبعيدة عن الأيديولوجيا والتوسع النازي الذي ألصق بها، وذلك ما رمى إليه آيسايا بومان خلال الحرب العالمية الثانية في تفريقه بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك وهو كذلك ما حاول شاول بونار كوهين القيام به في تفريقه بين جيوبوليتيك كلاسيكية أو ماضية ونيوم جيوبوليتيك.

وفي الحقيقة، فإن ما يروج له بأنه جيوبوليتيك السلام يسعى ضمنا إلى استعمال آليات أخرى للهيمنة عن طريق استخدام الثقافة، والإعلام، والجيو - اقتصاد، والتقنية، وما بات يعرف بالقوة "الناعمة" أو "القوى الذكية" هي بما يعطي الحروب والصراعات مشروعية أكبر، أو يجعلها غير مرئية للرأي العام، وتدفعنا هذه الاعتبارات إلى التأكيد أن هذا الميدان ليس محايدا بالرغم من

الموضوعية والعلمية اللتين يمكن أن يظهر بهما؛ فقد ارتبطت الجيوبوليتيك باستراتيجيات الدول والحكومات ومساعدتها إلى السيطرة على الأقاليم، وخوض الحروب على ما تعده مصالح حيوية وشرطا للمحافظة على القوة القومية، أو تعظيمها.

ومن هذا المنطلق يبقى ما أكده مؤسس الجيوبوليتيك الفرنسية المعاصرة، إيف لاكوست، ذا دلالة؟ وهو الذي قال إن "الجغرافيا هدفها، أولا وقبل كل شيء ، صناعة الحرب"، فهي ترتبط بالأيديولوجيا: إلى جانب أنها أداة ممارسة وسلطة في يد الدولة. وينقل إلينا لاكوست ما نصه: "لا يعني أن الجغرافيا تصلح العمليات العسكرية فقط، بل لتنظيم الإقليم أيضا ليس للاحتراز في المعارك التي يجب أن نخوضها ضد هذا العدو أو ذاك فقط، بل تصلح كذلك لمراقبة البشر بشكل أفضل أينما يمارس جهاز الدولة سلطته". وقد أسهم لاكوست فيما مضى في التوعية بفائدة التحليل الجيوبوليتيكي على مستوى النخب والجماهير، وأسس لأجل ذلك مجلة هيرودوت (Herodote) المستمرة في الصدور إلى اليوم، وحاول قبله أول مدرس ومؤلف كتاب في الجيوبوليتيك بفرنسا في عام ١٩٣٦ جاك أنسل (Jacques Ancel) تأسيس مدرسة فرنسية ضد المدرسة الألمانية، وقد ترافع في اجتماع السلام في فرساي عام ١٩١٩ عن حق فرنسا في إقليم الألزاس واللورين بانتهاج أسلوب المحاجة الجغرافية.

وفي سياق مواز عمل رواد التفكير الجيوبوليتيكي الأمريكي على بلورة نظريات تسمح بسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على نطاقات جغرافية جديدة، وإعادة تعريف الحدود العالمية بما يتماشى والهيمنة الجيواقتصادية المرجوة منها. فقد وضع منظر القوة البحرية والضابط

في الكلية الحربية البحرية الأمريكية، ألفريد ثاير ماهان (عام ١٨٤٠-١٩١٤) بحوثه في خدمة بلده، وواجه الكونجرس من أجل إتمام بناء أسطول بحري حقيقي، ومن المبدأ والالتزام أنفسهما أكد سبيكمان أن "الجغرافيا هي المحدد الرئيسي لتشكيل سياسة قومية؛ لأنها دائمة؛ ولأن المحددات الجغرافية للدولة ثابتة نسبية وغير قابلة للتغيير، وغدت طموحاتها الجغرافية مطابقة لما كانت عليه في قرون سابقة، ولأن العالم لم يحقق بعد الوضعية المرضية التي لا تدخل فيها احتياجات البعض في صراع مع البعض الآخر، تظل هذه الطموحات مصدرا للاحتكاكات الخصومات" وأضاف في مقالة مطولة نشرها في جزأين عن "الجغرافيا والسياسة الخارجية" تأثيرات حجم الدولة وموقعها الإقليمي منظورا إليه من خلال الجوار المباشر في سياستها الخارجية، كما عقد مقارنات بين مزايا الدول الشاطئية والبرية. وبعدها بسنة، وبالاشتراك مع أبي رولينز، عدد في مقالة من جزأين "الأهداف الجغرافية في السياسة الخارجية"، وعلى رأسها التوسع، ثم التحكم في الحدود (وهي علاقات قوة)، وفي الأنهار والوديان، وتأمين الوصول إلى البحر، والتوسع المحيطي عبر البحار.

وبما أن أساس الدولة القومية هو الإقليم؛ فإن سياسات الحكومات تعمل على تماسكه وتعزيز مكانته ضمن الأقاليم الأخرى، كما تضيف عليه هوية قومية؛ وهو ما سماه هاوسهوفر "الشخصية الجيوبوليتيكية" للدولة؛ فالاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية توضع للدفاع عن جغرافيا الدولة و"شخصيتها"، وتشتغل الرؤى الجيوبوليتيكية كمرجعيات لذلك، وعلى لسان كولن غراي: "كل سياسة هي جيوبوليتيك، وكل استراتيجية هي جيواستراتيجية"، ويضيف "أنه لا مفر من الجيوبوليتيك والنظرية الجيوبوليتيكية، بما في ذلك

الجغرافيا التي يجب أن يرتبطا بها. إن الحكومات وعقل الأفراد في المحصلة تفكر جيوبوليتيكية" وهو ما يجعل الشأن الجغرافي شأنًا سياسيًا وأمنياً واستراتيجياً.

ومن خلال ما تقدمه الجيوبوليتيك إلى الدولة والسلطة، واستراتيجيات القوى الكبرى، نفترض أن عنصر "المدى الحيوي" Lebensraum الذي اقترحه المؤسسون الأوائل للجيوبوليتيك الألمانية لم يختف، وإنما يتم التعبير عنه وفق أشكال "ناعمة" قد تراعي مسائل العولمة، وتوازن القوى، والقانون الدولي، وضغوط الرأي العام، ومن بين هذه الأشكال: المصالح الحيوية، مناطق النفوذ، مسرح العمليات، نطاق الحرب على الإرهاب، حق التدخل؛ فقانون القوى العالمية هو البحث عن مناطق لتمد فيها نفوذها، وفي المقابل تبحث القوى المتوسطة أو الضعيفة عن مجرد البقاء وحفظ المكانة؛ لذلك مهما تلونت الجيوبوليتيك تحت أسماء نقدية مختلفة، تبقى في النهاية مرتبطة بالدولة، وبما ابتدعته المدرسة الكلاسيكية. ويدعم هذا الطرح بحث أولاً تونندار الذي تؤكد فيه عودة خطابات الجيوبوليتيك الأنجلوساكسونية إلى ميراث الجيوبوليتيك الألمانية والسويدية، وبالخصوص مفاهيم رودولف تشيلين عن العرق والإقليم، وهو ما تجسد لاحقاً في أطروحة صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون، الذي وضع حدوداً عرقية ودينية للحضارات، وتفترض أن رؤية تشيلين العرقية للسياسة العالمية ولتوسع ألمانيا، التي يجب عليها إقامة اتحاد ما بين الدول يدمج الأعراق السلافية الغربية من سكان أوروبا الوسطى لمواجهة هيمنة روسيا، تنطبق على سياسة حلف الناتو، وتؤكد أن "التشابه بين أفكار تشيلين وتلك الأفكار التي تشكل حلف الناتو أمر مدهش". ونفهم من كل ذلك أن التفكير الأمريكي المعاصر

(خصوصا النقدي منه)، الذي قدم نفسه بديلا لجيوبوليتيك التوسع، ظل وفيها للمدرسة الكلاسيكية، فمثلا كتاب كولن غراي عن القوة العظمى (The Geopolitics of Super Power، 1988) يتضمن استخدامات ضمنية لنظريات ماكيندر.

ويبدو جليا أنه مهما تغيرت طبيعة الفواعل وأشكال الصراعات والحروب تبقى الجيوبوليتيك تنطلق من مركزية الدولة، ومن مادية الجغرافيا وحتميات الطبيعة، ويبقى الباحثون مكرهين على استعمال المناهج الواقعية في ظل وجود أشكال تقليدية للصراع الجغرافي، وعلى اعتماد أساسيات التفكير الجيوبوليتيكي الكلاسيكي الواقعي (realist geopolitical thought) ومبادئ الواقعية من مركزية الدولة، وفوضوية النظام الدولي، وتوازن القوى، والمصلحة القومية، لتفسير صراعات القرن الحادي والعشرين وحروبه.

ثانيا: قانون الجيوبوليتيك التيلوروكراتيا مقابل التالاسوكراتيا (صراع البر والبحر)

انقسم رواد الجيوبوليتيك المؤسسون انطلاقا من اللوحة الجيوبوليتيكية القائمة على التمييز بين عالم التيلوروكراتيا وعالم التالاسوكراتيا إلى منظري القوة البحرية، ومنظري القوة البرية. وأسهمت خبرتهم العلمية والعسكرية في تشكيل تفسيراتهم وتصوراتهم عن الشروط الجيواستراتيجية التي تسمح لدولهم القومية بتحقيق المكانة ضمن الخريطة العالمية المنقسمة بين هذين العالمين.

فالأميرال ماهان، المعروف بأبي البحرية الأمريكية، صاغ شروط السيطرة الاستراتيجية على البحر، وعلى حركة التجارة البحرية العالمية، من خلال تقسيم العالم إلى مدن بحرية وأخرى برية، ودمج

العوامل الجغرافية ضمن استراتيجيات الحرب البحرية / البرية. ففي كتابه الأساسي "تأثير القوة البحرية عبر التاريخ خلال الفترة ١٦٦٠-١٧٨٣"، تتبع تطورات الحروب البحرية، وتحولات الصناعة العسكرية البحرية، ومجالات تنافس الإمبراطوريات آنذاك للسيطرة على الطرق البحرية في المحيطين الهادئ والأطلسي، واستنتج أن عناصر القوة البحرية الأمة معينة تتمثل في موقعها الجغرافي، وفي الهيئة الفيزيائية، بما في ذلك العلاقة مع الإنتاج الطبيعي والمناخ، واتساع الإقليم، وعدد السكان، وخاصة الشعب، وشكل الحكومة، وطابع المؤسسات السياسية. ومن مجموع هذه العناصر بين كيف أن تمتع، أو عدم تمتع، الدول بمجموعة من النطاقات البحرية قد يسهم، أو يمنع حيازتهم قوة بحرية، إن صيغة ماهان تبين، قانون سببي، قدرة "نظام الطبيعة" على صوغ الأسس الجغرافية للقوة، وهو المنطق الذي دفعه إلى تعداد الشروط والمزايا والكفاءات التي يجب أن يتصف بها رجال البحرية الأمريكية؛ بما يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بتطوير أسطولها الضعيف، فقد كان ماهان جد مستاء من هذا الأسطول الذي بدا له ضعيفا مقارنة بالأساطيل الأوروبية، مثل أساطيل البحرية الفرنسية والإسبانية والإنجليزية، وقد وصف البحرية العسكرية لبلاده آنذاك قائلا: "إن السفن الحربية للولايات المتحدة الأمريكية ستكون في الحرب مثل طيور الأرض غير قادرة على الطيران بعيدة عن الشواطئ". وقد تم الإصغاء إلى نصائحه ونبوءاته، وأصبحت البحرية الأمريكية لاحقا، ومعها حلف الناتو، يملكان الأدوات العسكرية البحرية الفانقة.

وعلى غرار ماهان لاحظ عالم الجيوبوليتيك البريطاني السير هالفورد جون ماكيندر التوازنات التاريخية الحاصلة بين قوى البر

وقوى البحر، وقد أشار في كتابه "المثل الديمقراطية والواقع"، (نشر في عام ١٩١٩) إلى وجود نظرتين / إرادتين تحاولان السيطرة على مجريات الأحداث العالمية. النظرة الأولى هي نظرة رجال البحر، وقد تطرق إلى القوى البحرية التي وجدت في البحر الأبيض المتوسط، وعد البحر "الحقيقة الجغرافية الأولى"، وأنه مركز الحضارة الأول الذي انطلق من العالم ما قبل الإغريقي في بحر إيجه، وشرح كيف أن صراع البر والبحر جسده الصراع ما بين سيزار وروما، الغرب اللاتيني والشرق اليوناني، ونقل لنا ماكيندر أيضا القوة البحرية التي تحلت بها إنجلترا عبر التاريخ، وكان قد ابتدع مصطلحه قلب الأرض (Heartland) في هذا التاريخ (عام ١٩١٩)، قاصدا به كتلة الأوراسيا، إضافة إلى مصطلح الجزيرة - العالم، (World - Island)، ومصطلحات أخرى ذات صلة.

أما النظرة الثانية فهي نظرة رجال البر، ويرى أن المنطقة المحورية "قلب الأرض" عدوة الحرية ومبادئ الحضارات البحرية، كما أبدى تخوفه من اتصال هذه المنطقة بالمناطق الغربية والجنوبية وصولا إلى قناة السويس، أي المناطق الواقعة في محيط "الجزيرة - العالم"؛ وهو ما يهدد في نظره الملاحة والتجارة البحرية الغربية وأمن العالم. ورأى ماكيندر أن الحضارة البحرية تتوافق مع حرية التجارة والمثل الديمقراطية، أما الحضارة البرية فتجيء نقيضا لذلك، وفي مقالته المشهورة، التي نشرها في عام ١٩٠٤ بعنوان "المحور الجغرافي للتاريخ"، عقد مقارنة بين تطور الطرق البحرية، والطرق البرية التي تطورت بفعل بناء السكك الحديدية على امتداد أرض أوراسيا الواسعة، وقد أبدى ماكيندر تخوفه من سرعة التنقل والحركة هذه، وأن تقيم روسيا حلفا مع ألمانيا بما يهدد الدول البحرية. وكذلك

يتوافق ما شرحه ماكيندر حول مبدأ وحدة البحار في بحر واحد (الموجودة في العهد القديم، والتي تبناها أولا ماهان) مع استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة الكلية على المحيطات، وعولمة الأطلسية المعسكرة.

ومن هنا انطلقت أفكار الفيلسوف والحقوقي الألماني كارل شميت، الذي خصص كتابا بعنوان "الأرض والبحر"، يصف فيه أشكال الصراع بين حضارتي البر والبحر، وكيف تجسد ذلك تاريخيا في صراع مدن حوض البحر الأبيض المتوسط، وصراع روما مع بيزنطة وقرطاجة. وقد تلون الصراع بصيغة مذهبية جسدها الكالفينية والكاثوليكية، ثم هيمنت بريطانيا على البحر، بالتحالف مع القراصنة، واختارت الخروج من القارة الأوروبية والامتداد، وقد خصصت لنفسها جزيرة ستنتطلق منها حركة صناعية وأساطيل هائلة وملاحة كبيرة، وترتب على ذلك تحولات في حياة البشر. وقد جسّد ذلك "السفينة" في مجابهة "البيت"، و "الحركة" مقابل "الاستقرار"، ولذلك؛ فما يطلعنا عليه شميت حول البر والبحر ليس مجرد حقيقتين جغرافيتين متماتلتين، بل عالمان متابيان يملكان منطقتين متقابلين بين نوموس الأرض ونوموس البحر، وباعتبار شميت لاهوتية؛ فقد عبر عن ذلك باستخدام مصطلحات البهيموت (حيوان البر) واللويثان (حيوان البحر، وهي انثى)، كما أورد العهد القديم عن ارتباط البهيموت بحياة البر، ووصف شكله وقوته (سفر أيوب)، وعدد أيضا ما يميز اللويثان من خصائص القوة والجبروت (سفر أيوب). وفيه يسيطر البهيموت على الصحراء (الأرض) وهو ذكر، بينما تحكم اللويثان البحر.

وإضافة إلى ذلك ربط شमित هذه المواجهة بين البر والبحر بالتوتر الكوني بين الشرق والغرب، ويؤكد لنا أن "المواجهة بين العالمين القاري والبحري، تلك هي حقيقة كونية في أساس تفسير الثنائية الحضارية التي تولد دائمة التوتر الكوني، وتفرز عملية التاريخ بكاملها" ويتخذ ديالكتيك الصراع هذا طابعا جغرافيا كونيا يتصف باستمرارية الحروب بين عفويتين حضاريتين تشكلان الوجود الإنساني: عفوية البر و عفوية البحر، وقد نبه إلى أن هذا الصراع "لا يبلغ ذروته الكونية التاريخية النهائية إلا عندما تصل الإنسانية إلى استثمار الكرة الأرضية بكاملها"، وهو ما ينطبق على عالم اليوم الذي لم يعد فيه شبر في اليابسة أو البحر إلا وتم النفاذ إليه، أو تدور الصراعات فيه، حتى في القطب الشمالي شبه الخالي من السكان، ومن جهة أخرى يؤكد شमित أن التناقض الكامل بين الأرض والبحر، بين الشرق والغرب، قد تحقق لحظة عقد التحالف الأطلسي سنة ١٩٤٩، وضمن هذه اللوحة من المجابهة تسعى الأطلسية إلى السيطرة على البر من جهة البحر، أما إذا قرأنا هذا التناقض منهجية الجيوبوليتيك، فستجد أن عالم الجيوبوليتيك الروسي والفيلسوف ألكسندر دوغين، وهو القارئ الجيد لشमित، قد طبق ببراعة افتراضاته، خصوصا فيما يتعلق بالصراع بين روسيا الأوراسية والغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أكد الكلاسيكيون أن هذه الثنائية لا تعبر عن تباين فيزيائي فقط، فالتالاسوكرانيا تملك شخصية حضارية وأنظمة سياسية ثقافية واقتصادية تختلف عن تلك الموجودة في التيلوروكراتيا، والكتلة الأولى أكبر تاريخية من الثانية، التي هي في نظرهم ضد الحرية والديمقراطية والحدثة واقتصاد السوق، ويمكن أن نرصد بعض

التباين الاقتصادي استدلالا بما كتبه كايلان: "إذا ألقينا نظرة فاحصة على قائمة أضعف الاقتصادات في العالم، فستلاحظ النسبة المرتفعة للبلدان غير الساحلية، بينما الدول ذات الدخل المرتفع تقع في مناطق خطوط العرض الوسطى والعليا".

وبالرغم من ذلك يبقى التحدي المركزي الذي يواجه هذا المنطق: هل تخضع شؤون هذا العالم المعقد لهذه الثنائية فقط، خصوصا أننا نشهد في عصر العولمة حركة تحول رهيبية من الجيوبوليتيك إلى الجيو- اقتصاد الذي أحدث تحولات مهمة في شكل القوة والدبلوماسية، ونوعية التهديدات. كما افترض ذلك إدوارد ليتواك وتعيش أيضا عصر جغرافيا اتصالية connectography تعيد رسم الخرائط والحدود الفاصلة، وترجح جغرافيا وظيفية على جغرافيا سياسية؟ إننا نؤكد أنه بالرغم من التحولات المنهجية في علم الجيوبوليتيك، والاعتماد على العناصر الرمزية والثقافية التي تتركها تمثلات الأفراد على حركتهم في الوسط الجغرافي، كما تبنت ذلك المدرسة النقدية، والتي في رأي أحدهم "تسعى إلى إلغاء ثنائية الأرض والبحر من العلاقات الدولية، وفتح المجال للعالمية"، فإن قوانين الجيوبوليتيك الكلاسيكية ما زالت تؤثر في شكل السياسات العالمية الراهنة، فثنائية البر والبحر لا تزال مستمرة في الكشف عن خبايا العلاقات الدولية، ودوافع الصراع على الجغرافيا بين الشرق والغرب، وبين عوالم سيادية وأخرى مفتوحة، وبين قوى هيمنة وقوى تعددية قطبية. وإن صحت هذه الإسقاطات يمكن التعبير عنها في الصراعات الجيوبوليتيكية الحالية بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا في ظل تأكيدات متنوعة لعودة سياسات الحرب الباردة، المرحلة الذهبية التي جسدت ثنائية البر والبحر. ويضاف إلى ذلك أن الأزمة الأوكرانية، وربط جزيرة القرم

بروسيا من جديد، دفعا إلى إحياء مقولة الهارتلاند أو قلب الأرض والأوراسية، كما كشف خروج بريطانيا من الكتلة الأوروبية عن طريق الاستفتاء الشعبي (Brexit) عن تأكيد الهوية الأطلسية لبريطانيا، ربما لأن البريطانيين لم يشعروا يوما أنهم أوروبيون، بل أطيوني يرتبطون بخصائص المحيط الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية أكثر من الانتماء إلى الاتحاد الأوروبي.

وكان كارل شميت قد ناقش من قبل، باستفاضة، كيفية انفصال إنجلترا عن القارة الأوروبية، وتشكيل جزيرتها الخاصة بها بخصوصيات ومعايير سياسة بريطانية مميزة لا تتوافق وبقية الدول الأوروبية. ٦ وإن نجح حلف الناتو في الاستمرار في "تشبيك" الدول الأوروبية ضمن إطار علاقة ما عبر أطلسية؛ فالمبادرات الأوروبية المتتابعة لتشكيل سياسة أمنية ودفاعية أوروبية مشتركة أو مستقلة، والنقاش اليومي الحاصل حول هوية أوروبا، لدليل واضح على هذا التباين.

ونجد أن السياسات والأيدولوجيات والاستراتيجيات، حتى إن اتخذت لها تعريفات ثقافية؛ فهي لا تعبر عن نفسها إلا بطريقة جغرافية ومادية، فما العالم إلا مسرح جغرافي، ولسنا سوى "سجناء الجغرافيا" كما يدل عنوان كتاب جديد، يوضح فيه صاحبه في المقدمة أنه "لطالما شكلتنا الأرض التي نعيش فوقها؛ فقد طبعت شكل الحروب والقوة، وتطور الشعوب السياسي والاجتماعي، والتي تسكن تقريبا كل جزء من المعمورة، وقد يبدو أن التكنولوجيا باستطاعتها تجاوز المسافات التي بيننا على مستوى الفضاء الذهني والفيزيائي، ولكن من السهل نسيان أن الأرض التي نعيش فوقها، والتي نعمل ويكبر فيها أطفالنا، هي جد مهمة، وأن خيارات هؤلاء الذين يقودون سبعة

مليارات نسمة من هذا الكوكب سيتشكلون دائما، بدرجة أو بأخرى، بالأنهار، والجبال، والصحاري، والبحيرات والبحار التي تقيدنا جميعا، كما كانت دوما"؛ لذلك تبقى الجيوبوليتيك الكلاسيكية تملك أدوات التحليل القادرة على فهم الظواهر الجديدة، ومعالجة موضوعات قد يبدو للوهلة الأولى، أنها تتخطى هذه الأدوات. فعلى سبيل المثال يرى عالم الجيوبوليتيك الروسي ألكسندر دوغين أن انتخاب دونالد ترامب هو عودة إلى حركة المحافظة الأمريكية العتيقة، وإلى الروح والعمق الأمريكي والقومية والدولة والشعب (شعار أمريكا أولا) ضد مستنقع العولمة والليبرالية، وهذه "الجيوبوليتيك الرأسية" (vertical geopolitics) التي تتجلى في عهد ترامب هي عودة إلى النظرية الواقعية. ويظهر في هذا الوضع الجديد أن دوغين يحيد عن بعض أفكاره الراجحة حين يعترف في هذا المقال بإمكانية تقارب روسي-أمريكي في عهد ترامب، لكن فكرته الأساسية هنا هي التركيز على عودة مركزية الدولة.

ولكن هل يعني كل هذا أن خريطة الدول والعالم سيعاد تشكيلها، وأن الجيوبوليتيك ستستخدم كدعوة لخلق حروب جديدة؟ إننا نؤكد أن القوى الغربية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، لا تزال تتعامل مع الشؤون العالمية وفق مقولات الجيوبوليتيك الكلاسيكية، ولا يزال حلف الناتو يضع خططه اعتمادا على نصائح ماكيندر، وصولا إلى بريجنسكي والمحافظين الجدد. وأمام هذا الواقع لا يكون أمام الدول والقادة سوى تعميق الفهم بهذا الفرع المعرفي، وتعزيز القوة العسكرية وفاعلية الجيش، وصياغة الرؤى الاستراتيجية، فما دامت القوى الكبرى تختار الحرب، فالقوى المتوسطة أو الضعيفة مرهونة بهذا الاختيار، هذا إن لم تكن أقاليمهما مسرحا للحروب. وإن الداعين

إلى "نهاية الجيوبوليتيك" محقون في عدها معرفة ارتبطت بالإمبريالية البريطانية وقوى أخرى كألمانيا، وانتشرت عالميا فيما بعد، وهم يناضلون لتأسيس عالم متضامن تصوغه إرادة الإنسان الخيرة، وتشكله الدول المنخرطة في نظام اقتصادي بديل ومتكافئ، وهم أيضا محقون في اعتبار الاعتراف بحتمية الصراع بين الجغرافيات هو دعوة إلى الحرب، لكن ما يغفلونه، من ناحية، هو أن العالم منذ عصر الحروب البلوبينيزية إلى الوقت الراهن مستمر في صراعاته وحروبه على المناطق الجغرافية. ومن جهة أخرى؛ فإن كل نظام دولي عبر التاريخ شهد قوى عظمى تتبع سياسات إمبراطورية وإمبريالية مهيمنة، تود تحقيق السيطرة الإقليمية. وما دام الفكر الجيوبوليتيكي الكلاسيكي نافذة في بعض استراتيجيات القوى الكبرى وقوى أخرى، وتحقق على مدى أكثر من قرن؛ فإنه يتحتم علينا أن نتعرف إلى هذا الفكر وإلى "عقول الدول". وقد تدفع الجيوبوليتيك إلى الحرب، ولكنها كذلك تسهم في توازن القوى، واستقرار النظام، وتحقيق الأمن والردع.

وما يعزز استمرار الجيوبوليتيك هو استمرار سياسات المدى الحيوي، التي عرفت تحولات بفعل تطورات في ميادين مختلفة، برغم "تثبيت" رقع الدول الجغرافية بالقانون الدولي، حيث يمكن التعبير عن هذا المدى بأشكال أخرى تجسدها نشاطات إنسانية، اقتصادية وسياسية وثقافية، سواء داخل إقليم الدولة أو خارجه. وتعد قدرة الدولة القومية على تسيير هذه النشاطات ومراقبتها، في الجغرافيات التي تتحرك عليها، دلالة على قدرة هذه الدول على التحكم بهذا المدى؛ فعلى سبيل المثال يمثل تعامل الحكومة العراقية المركزية مع استفتاء إقليم كردستان، والحسم العسكري - المدني السريع، نموذجا

للتحكم في المدى الحيوي الداخلي، ودليل انتصار "جيوبوليتيك مادية واقعية" على "جيوبوليتيك خطابية" مارسها رئيس الإقليم مسعود البارزاني. وقد تم ذلك في ظل القانون، وبقوته، وتحت عين الاستراتيجية؛ فالفعل الجيوبوليتيكي هو الآخر يستنفذ عناصر مشروعيته قبل دخوله حيز التنفيذ.

ثالثاً: المدارس الفكرية لعلم الجيوبوليتيك:

بعد أعمال "فريدريك راتزل" و "رودولف كيلين" أهتم الكثير من الأكاديميين ومن أعضاء أركان الجيوش بهذا العلم وتحريره الذي يوفرها خدمة البلدان ويمكن لنا تمييز بين الأربع مدارس : المدرسة الألمانية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة البريطانية، والمدرسة الفرنسية.

١- المدرسة الألمانية:

الجيوبوليتيك الألماني أو (Geopolitik)، التي تركز على أعمال "راتزل" (١٨٤٤-١٩٠٤) والتي أدت إلى ميلاد مدرسة برلين، ظهرت الجيوبوليتيك هنا مع ميلاد الرايخ الثاني في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، الذي يسعى إلى توفير الشرعية الإقليمية وتعزيز قوتها، وهي تتأثر بشكل كبير بواسطة المقاربات الطبيعية أو البيئية كتلك المتعلقة بالجغرافيا، Carl Ritter، أو المقاربات الاجتماعية بين يدي البيولوجي الفيلسوفي Ernst Haeckel صاحب مصطلح "الإيكولوجي".

المقاربة الجغرافية "لراتزل"، تبين أن الجيوبوليتيك، تسعى لإثبات أن الدولة المحور الأساسي للعمل الجيوبوليتيكي، ويعرفها على أنها "كائن حي يولد، وينمو، ويصل تطوره الكامل، ثم يتدهور

ويموت". فالدولة من أجل العيش ومواصلة الحياة، يجب أن توسع من حدودها الإقليمية وتعزز قواها وتمتد أكثر. يقول "راتزل" أن "ألمانيا" يجب أن تعيش لتصبح إمبراطورية حقيقية، وبالتالي لديها أراضي محدودة. لهذا فمن الضروري أن على سياسة الدولة وضع سياسة فعالة تحسب لزيادة قوة الدولة. وبالتالي فإن زيادة القوة تحتاج إلى تطوير الأراضي، والفضاء، والفضاء المعيشي، المجال الحيوي مصطلح ابتدعه "راتزل"، وسط الحياة (غالبا ما تترجم كمساحة المعيشة).

وضع أتباع "راتزل" هذا النظام الجديد في خدمة الأمير وسيتم تنفيذه تحت حكم الرايخ الثالث. فهم يوفرون للنظام النازي مقاربة خرائطية للعالم، أين تتواجد "الشعوب الكبرى" والقوى الكبرى تتقاسم وتتبادل وظيفة التحالف تتقاسم العالم عن طريق التحالف والتسلسل الهرمي العنصري للشعوب. هذا Geopolitik يعمل ضد فكرة حق الشعوب في تقرير المصير الصادرة عن الجامعة La Société des Nations SDN.

من بين أتباع "راتزل" نذكر "كارل هاوسهوفر" (١٨٦٩-١٩٤٦) الذي ترجم أعمال "راتزل" وخاصة مفهوم مجال حياة الدولة إلى وسيلة لتبرير ضرورة توسيع الرأي وضرورة تقسيم العالم إلى أربعة مناطق :

١- منطقة أوروبا، والتي تحمل أفريقيا والشرق الأوسط والتي يجب أن تخضع لسيطرة ألمانيا.

٢- منطقة أمريكا: تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- منطقة روسيا: والتي تشمل آسيا وسط آسيا تسيطر عليها روسيا

٤- منطقة آسيا: والتي تشمل أقصى الشرق الأقصى (الصين) وجنوب

شرق آسيا والمحيط الهادي الشمالي تحت سيطرة اليابان هذا التقسيم من العالم يساعد مواجهة الحصار الأنجلوسكسوني. ثم جاء الحزب النازي الألماني ليجعل من جيوبولتيك مفهوم مجال حيوي تيرير السياسة الدولية الألمانية وتفجير الحرب العالمية الثانية.

كما هذب أو عدل "هاوسهوفر" مفهوم مجال حياة الدولة وتصور الفضاء كهدف للهيمنة. وبعد هزيمة عام ١٩١٨، أصبح واحدا من المطربين للسلطة الألمانية. ويتطلع "كارل هاوسهوفر". هذا التطبيق من قبل النظام للسياسة يعتبر أن الدولة كمنظمة أو هدف للهيمنة والنظام طبق خلال الحرب العالمية الثانية. وتبعا لهذه التقسيمات، في نهاية الحرب، الجيوبولتيك، كما هو الحال في ألمانيا وجميع أنحاء العالم حضرت (محظور) من الأوساط الأكاديمية والدول الكبرى في صالح نمج أخرى إلى العالم.

٢- المدرسة الأمريكية: ،

نحن مدينون للمؤرخ المجري "إيميل الرايخ" على ظهور هذا المصطلح في إنجلترا عام ١٩٠٢ وبعد ذلك في عام ١٩٠٤ في كتابه "أسس أوروبا الحديثة". ومبنية على أعمال قائد البحرية "ألفريد ثائر ماهان" والقوة البحرية: (١٩١٤ - ١٨٩٣) صحفي وأستاذ العلوم السياسية Alfred Thayer Mahan et le sea power و "نيكولاس سبيكمان" (١٨٩٣-١٩٤٣) اللذان درسا علاقة التطور التكنولوجي للحضارات وهيمنة الدول على فضاءات وتحت التأثير القوة للمدرسة البريطانية ركز على دراسة سياسة القوة البحرية وسياسة الاحتواء لألمانيا وروسيا.

تعرف هذه المدرسة قوة الدولة (في هذه حالة المملكة المتحدة) من خلال السيطرة على البحار أو المحيطات نظرية (الامبراطورية البحرية).

٣- المدرسة البريطانية:

تبني هذه المدرسة على ما يسمى بنظرية الامبراطورية البحرية حيث يرى الأدميرال هالفورد ماكيندر (١٩٤٧-١٨٦١) Halford Mackinder فقد صمم الكوكب ككل يتكون من المحيط العالمي والجزيرة العالمية (أفريقيا، آسيا، أوروبا)، والجزر الكبيرة أمريكا أستراليا. وفقا "لماكيندر" للسيطرة على العالم يجب السيطرة على قلب الجزيرة العالمية (وأساسا قلب هذه الجزر) وذلك بالسيطرة على وسائل النقل بواسطة سكك الحديدية في أوروبا الوسطى غرب سيبيريا ونحو البحر الأبيض المتوسط، والشرق الأوسط، وجنوب آسيا. لأن الامبراطورية البريطانية كانت دوما قوة بحرية (بنيت على السيطرة على المحيطات) لكي تبقى رائدة عليها السيطرة على البر من خلال التحكم في وسائل النقل عن طريق السكك الحديدية (وهذا ما نصت عليه المدرسة الألمانية). شعار هذه المدرسة لخصه البحار الإنجليزي "والتر رالي" Walter Raleigh (من يسيطر على البحر يسيطر على التجارة العالمية، ومن يسيطر على التجارة يملك الثروة ومن يملك الثروة يملك العالم كله)

المقاربة الجيوبولتيكية geopoliticienne البريطانية تشير إلى الرغبة في الهيمنة على العالم من خلال التجارة، والسيطرة على البحار، والآن البر. ليس فقط من الجيوبولتيك الألمانية، ولكن أيضا أول الملاحين، والجيوبولتيك وفقا "لماكيندر" توضع من منظور التنافس بين السلطة البحرية البريطانية والسلطة الألمانية، من خلال مراقبتها وسيطرتها على أوروبا الوسطى، بالإتجاه نحو مراقبتها

وسيطرتها على المحور الجغرافي الحقيقي للعالم (انظر نظرية هارتلاند).

٤- المدرسة الفرنسية:

في "فرنسا" كان التنظير الأول لهذا العلم تنظيرا نقديا، ولكن فيما بعد سيلقى اهتماما كبيرا على يد الجغرافيا الشهير "إيف لاکوست".

يعرف "إيف لاکوست" الجيوبوليتك الحديثة على أنها "دراسة التفاعلات بين السياسة والأراضي الأقاليم، والمنافسات والتوترات التي تحد مصدرها أو تطورها في المنطقة".

Elisee Reclus (١٨٣٠ - ١٩٠٥) يعتبر واحدا من رواد الفكر الجيوبوليتيكي الفرنسي وذلك من خلال كتابه "الجغرافية العالمية الجديدة". فهو يتوافق مع "راتزل"، الذي يرى الجغرافيا من خلال منظور عالمي، لكنه يتعارض معه، كون "راتزل" يعتقد أن الجغرافيا ليست ساكنة، بل تتطور وفقا أو بدلالة بعدها الاجتماعي.

أساس المدرسة الفرنسية للجيوبوليتك هو رد على المدرسة الألمانية لمفهوم الجيوبوليتك، وفقا "إيف لاکوست"، واحدة من أعمال "بول فيدال دي لابلاش" (١٨٤٥-١٩١٨)، والد المدرسة الفرنسية للجغرافيا، ويجب تحليل شرق فرنسا (١٩١٧) كهيكل أو عمل أو كتاب للجيوبوليتك بقدر ما يفسر "فيدال دي لابلاش" لماذا عضوية /انتماء الألزاس واللورين إلى فرنسا.

من أهم مفكريها Fernand Braudel، وهي كذلك ترى أن الدولة ككائن طبيعي يجب أن يسعى إلى الحياة والنمو في وسط التنافس مع الدول الأخرى.

رابعاً: النظريات الجيوبوليتيكية:

١- نظرية القوى البرية

راتزل

يعد راتزل (١٨٤٤ - ١٩٠٤) أول من درس وعالج المكان والموقع معالجه منسقه ووازن بين الدول وقد أكد راتزل على وجود روابط قوية بين القوى القارية والقوى السياسية.

فالتطور الفعلي لعلم الجيوبولتيك بدأ مع القران التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين مع المفكر فريديريك راتزل - Frederik Ratzel الملقب بأب الجغرافيا السياسية إذ يُعد أول من استخدم مصطلح الجغرافيا السياسية في مؤلفه "الجغرافيا السياسية" عام ١٨٩٧، حيث آمن راتزل بأفكار داروين Darwin - في التطور البيولوجي وصاغ من خلالها نظريته في تحليل قوة الدولة، فالدولة بالنسبة له كائن حي يستمد خصائصه من جغرافيته، وبما أن الكائن الحي ينمو فيكبر فتضيق ملبسه فيضطر لتوسيعها كذلك الدولة، ستضطر إلى توسيع حدودها السياسية وزحزحتها كلما زاد عدد سكانها وتعاضمت طموحاتها، فحدود الدول حدود زنبقية قابلة للتوسع والانكماش ويجب على الدولة دائما أن تحافظ على رغبتها في التوسع لأن أي تراجع أو انكماش يجعلها عرضة للالتهام من قبل دول أخرى أقوى (البقاء للأقوى).

ولكي تنمو الدولة وتتطور حدد راتزل سبعة قوانين أطلق عليها "قوانين تطور الدول" وهي:

١. أن رقعة الدولة تنمو بنمو الحضارة أو الثقافة الخاصة بالدولة.

٢. يستمر نمو الدولة إلى أن تصل إلى مرحلة الضم بإضافة وحدات أخرى.

٣. حدود الدولة هي التي تحميها لابد من الحفاظ عليها.
٤. تسعى الدول في نموها إلى امتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسية.
٥. الدافع للتوسع يأتي من الخارج.
٦. الميل العام للتوسع ينتقل من دولة إلى أخرى ثم يتزايد و يشتد.
٧. نمو الدولة عملية لاحقة لنمو سكانها.

وَأمن بأن المساحة الكبيرة ضرورة لنمو الكائن الحي، ويضفي الموقع صفات مميزه على المساحة. أما الحدود فهي جلد الكائن الحي وهي علامه النمو أو الاضمحلال.

وقد وسع راتزل القانون السابع فقال إن: هذا الكوكب الصغير "الأرض" لا يتسع إلا لدولة عظيمة واحدة). وذكر راتزل إن استغلال المساحات الكبيرة ستكون أهم ظاهرة سياسية في القرن العشرين.

وأكد على أن تاريخ العالم ستتحكم فيه الدول الكبيرة المساحة كروسيا في أوراسيا والولايات المتحدة في أمريكا الشمالية.



شكل (١٦) الدولة من وجهة نظر راتزال

رودولف كيلن ١٨٦٤ - ١٩٢٢

جغرافي عمل استاذاً بإحدى جامعات السويد، وهو صاحب الفلسفة المعروفة " بأن القوه أهم من القانون ". وإن الضرورة لا تعرف القانون. وتنبأ بأن دولاً عظمى ستنشأ في آسيا وأفريقيا وأوروبا وتنبأ بأن السيادة ستنتقل من القوى البحرية إلى القوى البريه التي ستتحكم يوماً في البحار.

وقد نشر كيلن كتابين أولهما عام ١٩١٧ باسم " الدولة مظهراً من مظاهر الحياة " والثاني عام ١٩٢٠ بعنوان " الأسس اللازمة لقيام نظام سياسي " ويرتكز هذان الكتابان على خلفية تمتد أصولها إلى الفلسفة العضوية.

وقد طور كيلن أبحاثه إلى ما عرف فيما بعد باسم نظرية الدولة، وقد قسم الدراسات المرتبطة بالدولة إلى:

- ١- الجيوبوليتيكا Geopolitics أي الجغرافيا السياسية للدولة
- ٢- الديموبوليتيكا Demopolitika أي السكان والدولة
- ٣- الإيكوبوليتيكا Eckopolitika أي الموارد الإقتصادية والدولة
- ٤- السوسيوبوليتيكا Sociopolitika أي التركيب الإجتماعي والدولة
- ٥- الكراتوبوليتيكا Kratopolitika أي حكومة الدولة

كارل هوسهوفر ١٨٦٩ - ١٩٤٦

جغرافي ألماني نال درجة الدكتوراه عن جغرافية اليابان عام ١٩١١ خدم في الحرب العالمية الأولى في الجيش الألماني وارتقى فيه

حتى نال مرتبة لواء، وعين عام ١٨٩٥ مدرساً للجغرافيا والتاريخ بمعهد ميونخ، ثم أسس معهد الجيوبوليتيكا بميونخ وبعد وصول هتلر للحكم عين هوسهوفر رئيساً للأكاديمية الألمانية.

لقد آمن هوسهوفر بأن الحياه للدولة الكبيرة. أما الدولة الصغيرة فمصيرها الزوال وكان مؤيداً لمبدأ (مونرو) في نصف الكره الغربي (بيان أعلنه الرئيس الأمريكي جيمس مونروفي رسالة سَلّمها للكونجرس الأمريكي في ٢ ديسمبر ١٨٢٣م. نادى مبدأ مونرو بضمان استقلال كلّ دول نصف الكرة الغربي ضد التدخل الأوروبي بغرض اضطهادهم، أو التّدخّل في تقرير مصيرهم). وكان يعتقد أن العالم مصيره لثلاث حكومات: الولايات المتحدة في الغرب واليابان في الشرق وألمانيا في أوروبا وإفريقيا.

وقد آمن بالشعار الذي دفعه اليابانيون: التوسع الإقليمي واختزال الضغط السكاني وآمن بأن الدولة كائن حي. واعتقد أن الدولة يجب أن تتبع سياسة الاكتفاء الذاتي.

وقد رأى أن الدولة هي التي يتوفر لها عدد أكبر من السكان ومعدلات مواليد مرتفعة ووجود موائمة تامه بين السكان وتربه الوطن وتوازن بين سكان الحضر وسكان الريف، وقد نظر لحدود الدولة كالعضو المغلق للكائن الحي قابل للتغير والنمو والاضمحلال أما من الناحية العسكرية فقد رأى ان القوه العسكرية تعتمد على ثلاثة أركان " الجيش، الأسطول، الطيران". وقد أكد على المشاة بوصفهم هم الذين يمسون بالمجال الأرضي " ومن آرائه أن الدول الصغيرة المساحة لا تصلح للدفاع بل الهجوم لتتنقل المعركة إلى داخل أرض الخصم" أما البلاد الواسعة المترامية الأطراف كروسيا فتستطيع الدفاع

بعمق وقد حذر ألمانيا من فتح جبهتين في آن واحد كما حذرهما بالأبداً بالإعلان عن الحرب لتجنب وصمة إشعال نارها. كما أكد أن الاحتلال العسكري للمجال الأرضي ينبغي أن يكون احتلالاً كاملاً حتى يتسنى القضاء على حرب العصابات ولم يحد فكرة الاستيلاء على المدن بل محاصرتها وأكد على أن تدريب المقاتلين ينبغي أن يتمشى والبيئات التي سيقاوتون فيها أرضاً ومناخاً.

وقد رأي هوسهوفر بأن الدول الموجودة في قلب الأرض يجب أن تتكفل وأن تشرف دوله قويه واحده على هذا الجزء من العالم. وبالطبع كان فإن ألمانيا هي الدولة المقصودة.

هالفورد ماكيندر ١٨٦١ - ١٩٤٧

يعد هالفورد ماكيندر من المفكرين الاستراتيجيين العظماء وقد تبوأ هذا المركز الفريد لنظريته المعروفة بنظريه (قلب العالم) ويرجع الفضل لرجاحة أفكاره لتكوينه الموسوعي الهادف. فقد درس ماكيندر علوم الحياة والتاريخ والقانون والطبوغرافية والاستراتيجية والجغرافيا فلا غرابه أن تؤهله خلفيته العلمية ليكون دبلوماسياً متميزاً وعاملاً بارعاً وجغرافياً يشار له بالبنان.

وحظى ماكيندر باهتمام كبير من الجغرافيين والسياسيين بسواء لمحاضراته عن الارتكاز الجغرافي للتاريخ في الجمعية الجغرافية البريطانية عام ١٩٠٤ فقد أثارت هذه المحاضرة نقاشاً استمر نصف قرن من الزمن وقد أثرت على أفكار كيلن وهوسهوفر وأثرت في الاستراتيجية الألمانية عام ١٩٤٠ وعاد ماكيندر وعدل نظريته عام ١٩١٩ في كتابه " المثل الديمقراطية والحقيقة " ويعود لها مرة ثانية

في عام ١٩٤٣ في ضوء الأحداث المشهورة في الحرب العالمية الثانية وكان عمره وقتذاك ٨٣ سنة.

وقد لاحظ ماكيندر ان ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية مغطاه بالمياه في حين أن مساحة اليابسة لا تتجاوز ربع إجمالي مساحة العالم ولاحظ اتصال البحار ببعضها البعض فأطلق عليها المحيط العالمي World Ocean كما أطلق على اليابس القديم اسم جزيرة العالم World Island تشغل ١٦/١ من مساحة العالم واعتبر أن أمريكا الشمالية واللاتينية وأستراليا بمثابة جزر تحيط باليابسة تغطي نحو ١٢/١ من مساحة الكرة الأرضية، وتتكون الجزيرة العالمية من أفروأوراسيا يتوسطها البحر المتوسط وقد أشار إلى أن ١٦/١٤ من سكان العالم يقطنون هذه الجزيرة أما الجزر المحيطة فيسكنها ٦/١ من السكان ويسكن الجزر الخارجية أمريكا الشمالية واللاتينية وأستراليا نحو ١٦/١ من سكان الكرة الأرضية.

وقد أطلق ماكيندر على المنطقة الوسطى من الجزيرة اسم منطقه الارتكاز Pivot Area عدل فيما بعد إلى منطقه القلب Heartland يمتد هذا القلب من نهر الفلغا غرباً إلى شرق سيبيريا. ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبولوجستان في الجنوب.

ويغلب طابع السهول على المناطق الشمالية والوسطى والغربية ولا يتخللها سوى جبال الأورال وتنصرف مياه القلب داخلياً صوب المحيط المتجمد الشمالي ويقع غالبية منطقة القلب في روسيا وجزءاً من غرب الصين ومنغوليا وأفغانستان وإيران عدا مناطقها الساحلية.

وقد أضاف ماكيندر بتعديله الثاني مناطق جديدة إذ مد حدود منطقته القلب إلى شرق أوروبا حتى نهر الألب وتمتاز منطقة القلب بأنها منطقة سهليه ذات تصريف داخلي وتعد قلعه دفاعيه وأفضل نموذج للدفاع بالعمق كما أنها محاطه من الشمال بمسطح مائي متجمد أغلب أيام السنه ويشكل منطقته حمايه طبيعية للقلب.

وقد أشار ماكيندر إلى منطقة ارتكاز أخرى وسماها منطقة القلب الجنوبي وتضم إفريقيا جنوب الصحراء وتعد الصحراء حصناً طبيعياً للفصل بين الجنسين الأبيض والأسود وأنها ذات تصريف داخلي من الهضبة الداخلية إلى أنهار النيجر والكونغو والزمبيزي والأورانج والمببوبو.

وتتصل المنطقتان عبر الدول العربية التي تمتد من النيل غرباً إلى العراق شرقاً وهذا خطأ واضح وقع فيه ماكيندر لأن بلاد العرب تمتد إلى أبعد من هذه الحدود وقد أشار أحد الباحثين العرب إلى هذا الخطأ.

وقد أطلق ماكيندر على الأراضي الساحلية اسم الهلال الداخلي وتمتاز منطقة الهلال الداخلي بأن أنهارها تتصرف نحو البحار الصالحة للملاحة وتتكون من المناطق الساحلية والأرض العربية والصحراوية في الشرق الأوسط والمناطق الموسمية في آسيا.

أما الحلقة الخارجية فأطلق عليها الهلال الخارجي وتتكون من أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وإفريقيا جنوب الصحراء وأستراليا وليست هناك دولة تستحق الإشارة في نطاق الهلال الخارجي سوى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واليابان.

والملاحظ أن ماكيندر لم يعط الولايات المتحدة أهمية خاصة عام ١٩٠٤ إلا أنه أعطاها مثل هذه الأهمية بتعديله عام ١٩٤٣ ولعل من المفيد أن نشير إلى أن ماكيندر قد تخوف من نشوء دولة في القلب فتمكن من تكوين امبراطوريه عالميه وبذلك تصبح جزيرة العالم قاعدة مهمه بريه وبحريه وجويه يدين لها العالم بأسره بالولاء وكان يرى أنه من الممكن ذلك لو أن ألمانيا أتحدت مع روسيا اتفاقاً أم غزواً.

واعتقد ماكيندر أن سلاح الجو لصالح القوه البريه أهميه أكثر من القوه البحريه وأكد أن استخدام الطرق البحريه لا يتم إلا من خلال إشراف القوه البريه وقد أكد أن عهد الدول البحريه قد أنتهى وأن تاريخ العالم ليس إلا صراعاً بين القوى البريه والقوى البحريه وإن السيادة ستكون للدول البريه.

ولخص ماكيندر نظريته في :

(أ) من يتحكم في شرق أوروبا يتحكم في قلب الجزيرة العالمية.

(ب) من يتحكم في القلب يتحكم في الجزيرة (جزيره العالم أفروا أوراسيا).

(ت) من يتحكم بالجزيرة يتحكم بالعالم.

وفي تعديل عام ١٩٤٣ أكد ماكيندر أن التهديد للقلب من الاتحاد السوفيتي (سابقا) وليس من ألمانيا وأكد أيضاً أن الموقف السياسي للقوى العالمية لا يعتمد فقط على الموقع الجغرافي للقلب وإنما أيضاً على البناء الصناعي كما استحدثت مصطلح الحوض الأوسط شمال الأطلسي بين غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة الأمريكية وأكد

ماكيندر بأنه لو خرج السوفييت بالحرب العالمية الثانية سيصبحون أعظم قوه برية في العالم على انه يحسن بنا الإشارة إلى ماكيندر عام ١٩٤٣ نقل الأهمية الجيوبولتيكيه للقلب من مجرد الاعتماد على الموقع والتلاحم الأرضي وسهولة الحركة للقوى القارية إلى الاعتماد على السكان والعمران والموارد والخطوط الخلفية للحركة والمهم أن ماكيندر قد وضع تصوره من وجهه نظر الباحث الإنجليزي الذي يحاول أن يلفت نظر السلطة في بريطانيا إلى إمكانيه ظهور قوه عالميه برية لا تستطيع القوه البحرية الإنجليزية الوصول إليها.

وقد وجهت عدة انتقادات لنظريه ماكيندر منها إغفاله للأوصاف التقنية المتطورة فمنعه المحيط المتجمد الشمالي لم تعد قائمه بعد اكتشاف كاسحات الجليد والغواصات التي تسير تحت الغطاء الجليدي كما أن اكتشاف الأسلحة المتطورة والصواريخ والأسلحة النووية بالذات ما يغير من منعه منطقه القلب.

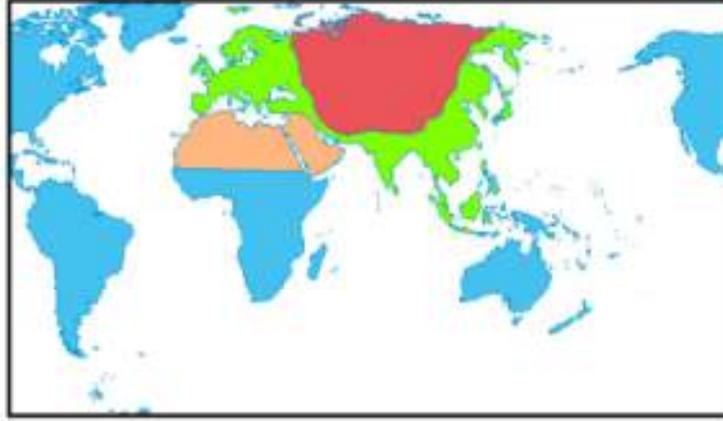
وفي رأي بعض المفكرين ومنهم مينج Mining أن ماكيندر لم يوفق حين حدد قلب الأرض والهلالين طبقاً لمعيار الموقع بالنسبة لليابس والماء وأنه كان من الأجدر تحديده على أساس المعيار الحضاري لأنه أكثر ثباتاً وبالنسبة للرمالند الهلال الأوسط فقد قسمه مينج إلى قسمين (الهلال الأوسط القاري، والهلال الأوسط البحري) واعتمد الجانب الوظيفي أساساً للتمييز بينهما وفي رأي مينج أن من يسيطر على قلب الأرض يمكن أن يسيطر على بعض دول الأطراف بينما يرى ماكيندر أن من يسيطر عليها كلها يمكنه السيطرة على العالم كله.

وهناك مسألة تضاف وهي أن المركزية الشديدة التي تتسم بها
سويداء الارض ليست عاملاً في صالحه؛ لأنها تصبح عرضه للهجوم
جوا وهذا يعني أن سلاح الطيران يقلل كثيراً من أهميه موقعها
الجغرافي.

ويرى فيرجريف أن اليابسة عبارة عن جزيرتين عظيمتين هما
جزيرة متوازية الأضلاع تمثل العالم القديم وجزيرة أخرى عبارة عن
الأمريكتين وكتاهما تقعان في محيط عظيم وينقسم متوازي الأضلاع
إلى قسمين تفصلهما الصحراء أكثر مما يفصلهما البحر.

مما سبق نلاحظ أن ماكيندر كان دائم التغيير في حدود قلب العالم
ونظرته للعالم ككل، إذ لقد كان على علم تام -كجغرافي - بأن استغلال
الإنسان لمحيطه الطبيعي كان دائم التغيير، وأن المحيط الطبيعي كان
أيضا يتغير، لذلك فنكاد نجزم أن ماكيندر كان سيرسم -لو عاش بيننا
اليوم- لوحة جيوبوليتيكية جديدة لعالم اليوم، محددا منطقة إقليم
جيواستراتيجية جديدة لهذا العالم، فكما يقول ماكيندر نفسه: "أن لكل
قرن جيوبوليتيكا".

نظرية ماكيندر - قلب الأرض



- المنطقة المركزية (قلب الأرض) [Red]
- الهلال الداخلي [Green]
- الصحراء [Orange]
- الهلال الخارجي [Blue]

شكل (١٧) نظرية ماكيندر - قلب الارض

وعموماً فإن مخططي الاستراتيجية في الغرب يقرون بأن ماكيندر كان على حق في أفكاره فألمانيا لم تتمكن من السيطرة على المنطقة الحاجزة بين الجرمان والسلاف، وأصبحت الأراضي الممتدة من البحر البلطي إلى بلاد البلقان في دائرة النفوذ السوفيتي سابقا الذي يسيطر على منطقة القلب وأثرت آراء ماكيندر في خطط السوق الأنجلو أمريكية فكل الأحلاف ابتداءً من حلف الأطلسي إلى حلف جنوب شرق

آسيا ما هي إلا محاولات مخططة لتطويق منطقة القلب والسيطرة على الهلال الداخلي المحيط بها في حينه.

والحقيقة أن أحداثاً جديدة طرأت على دول العالم بعد سنين الحرب العالمية الثانية تثير الشكوك حول أداء وصحة تطبيقها في عصرنا الحالي ومن هذه الأحداث ما تشهده المنطقة العربية وما شهدته مناطق جنوب شرق آسيا وظهور الصين الشعبية قوة تحظى بمرتكات طبيعية وبشرية تؤهلها أن تكون قوة عالميه في منطقه الهلال الداخلي وتربع الولايات المتحدة الأمريكية على عرش السيادة العالمية كإمبراطوريه وحيدته بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحلفائه عام ١٩٨٩ واصبح العالم أحادي القطب.

٢- القوة البحرية

في مستهل الحديث عن القوه البحرية لا بد من التمييز بين القوه البحرية والقدرة البحرية فالقوه البحرية تعني القوه المقاتلة والمسلحة بالأسلحة البحرية الرئيسة التي بمقدورها إنجاز العمليات المستقلة أو المشتركة التي تساهم بها صنوف أخرى من القوات المسلحة كالقوات الجوية والدفاع الجوي والقوات البريه أما القدرة البحرية فتعني القوات البحرية مضافاً إليها جميع السفن التجارية وتسهيلات البحرية كالموانئ البحرية ومنشأتها الأخرى.

وقد ظهر مفهوم القوى البحرية في مجال السياسة الجغرافية منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث تصاعد دور الولايات المتحدة الأمريكية في السياسات الدولية ويقف القائد البحري الأمريكي (الفريد ماهان) بمقدمه رواد القوه البحرية.

الفريد ماهان ١٨٤٠ - ١٩١٤

يعد الفريد ماهان ١٩٤٠ - ١٩١٤ من أشهر المؤرخين في القوه البحرية وذلك لان خلفيته في هذا الميدان تستند إلى الإعداد العلمي الذي أحرزه من خلال دراسته في الأكاديمية التي تخرج فيها عام ١٨٥٩ وبعد هذا التاريخ أصبح ضابطاً في البحرية الأمريكية وتدرج في سلم الرتب العسكرية إلى أن وصل رتبة أميرال بحري وبعدها تقاعد في عام ١٩٠٨. وله ثلاث كتب هي:

- تأثير القوه البحرية في التاريخ بين سنة ١٦٦٠ - ١٧٨٣ والمنشور عام ١٨٩٢.
- تأثير القوه البحرية في الثورة والإمبراطورية الفرنسية ١٧٩٣ - ١٨١٢ والمنشور عام ١٨٩٢.
- القوه البحرية في علاقتها مع الحرب عام ١٨١٢.

حينما يكتب ماهان عن القوه البحرية فإنه يعني القوه العسكرية التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب دون أن يعني مجرد الأسطول البحري ومن ثم فإن التحكم في البحار يعني لديه التحكم في القواعد البريه التي تمتاز بالمواقع الاستراتيجية المتحكمة في النقل البحري والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة وعمق خلفيتها الأرضية ويرى أن الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا بين ١٧٦٠ - ١٨٣٠ دفعت الدول الأوروبية إلى الاستعمار السياسي وتكوين مستعمرات لها فيما وراء البحار لتصريف فائض إنتاجها من السلع المصنوعة وللحصول على المواد الخام المتنوعة لمصانعها ولتوفير المواد الغذائية لسكانها الذين تزايدت أعدادهم واستدعى هذا إنشاء الأساطيل التجارية الضخمة لنقل التجارة والركاب

بين الشرق والغرب وتطور الملاحة البحرية نتيجة لإحلال الحديد محل الخشب في صناعه السفن ولاستخدام البخار في تسييرها بدلاً من الشراع وقد عمدت دول أوروبا إلى إنشاء الاساطيل الحربية لحراسة السفن التجارية من القراصنة والعدوان وهكذا أصبحت البحار والمحيطات شرايين تصل بين المستعمرات وبين الدول الأوروبية صاحبه السيادة عليها وأخذت أهميه الطرق البحرية تتزايد ورأت بعض الدول الأوروبية ضرورة السيطرة على بعض المواقع الاستراتيجية على طول الطرق البحرية لحراستها ورأى ماهان أن إنجلترا لها اليد الطولى في كل ذلك نظراً لموقعها الجذري المنعزل مما يجعلها بعيدة المنال على القوى الأوروبية المختلفة الموجودة على اليابس الاوروبي وإن موقع بريطانيا الجغرافي يمكنها من السيطرة على خطوط الملاحة من وإلى شمال أوروبا وقد أصبح لها أسطولاً حربياً ضخماً يتعذر على الدول الأوروبية القارية أن تنشئ مثله.

وهذا يعني أنه بإمكانها حصار موانئ القاره الأوروبية وقت الضرورة والدفاع عن الجزر البريطانية وفي الوقت ذاته لم يكن بمقدور أية دولة أوروبية إعداد جيش بحري للدفاع عن أرضها بسبب موقعها البري ويشير ماهان إلى أن قيام قوه بحريه في أية دولة يتطلب قيام وتوفر بعض العوامل حددها بما يأتي:

١. الموقع الجغرافي للدولة:

ويعني به موقعها البحري فيما إذا كانت تقع على بحر واحد (أحاديه الموقع) أو على بحرين أو أكثر كما يؤخذ بنظر الاعتبار صلاحية هذه البحار للفعاليات الملاحية وسهولة اتصالها ببعضها وبأعالي المحيطات ويشترط على الموقع البحري أن يمكن الدولة من

السيطرة على الطرق التجارية الهامة حتى يستطيع التصدي لعدو منتظر قد يهدد نطاقها الإقليمي.

فالنشاط العسكري لأي قطر بحري مثلاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنوع البحر الذي يقع عليه القطر فيما إذا كان مفتوحاً أم مغلقاً فالبلدان الواقعة على سواحل البحر البلطي تتأثر من الناحيتين التجارية والعسكرية إذا ما سيطرت دوله أجنبيه على مداخل هذا البحر وقد دلت أحداث الحرب العالمية الثانية على ذلك حينما سيطرت القوى النازية الألمانية على بحر الشمال مما أدى إلى فرض نفوذها على بحر البلطي وضياح سيادة بلدان هذا البحر لذا أصبح موقع السويد والدنمارك يعد من أفضل المواقع.

٢. طبيعة سواحل الدولة:

وفي هذا الجانب لا يؤخذ طول الساحل بنظر الاعتبار وإنما نوعيته وصلاحيته لإنشاء الموانئ فكلما كان الساحل متعرجاً تكثر فيه الخلجان العميقة، أصبح جذاباً لسكان ظهيره ومشجعاً لهم لركوب البحر والاتصال ببقية أقطار العالم، فالاتحاد السوفيتي سابقاً مثلاً يمتلك سواحل طويلة ولكن معظمها غير صالح لنشاط بحري، بينما سواحل النرويج تكثر فيها الأودية العميقة المحمية الممتدة مسافات طويلة إلى قلب الدولة وقد ساعدت صلاحيتها للملاحة وفقر اليابس على تطور نشاط بحري واسع جلب لها مؤثرات حضارية من مناطق بعيدة وقد عدّ ماهان كثرة الموانئ في سواحل الدولة مصدر قوة وغنى وقد ميز بين نوعين من السواحل هما:

(أ) الساحل الذي أدت حركات الرفع في قشرة الأرض إلى ظهوره وهذا لا يكون عادة مستقيماً خالياً من التعاريج الأساسية من رواسب هشة

وهذا النوع من الساحل لا يصلح لنشاط ملاحى مثل ساحل المكسيك ودلتا النيل.

(ب) الساحل الهابط والذي أدت حركات تكتونية إلى هبوطه وأبرز ما يميزه هو كثرة الخلجان العميقة وهناك أصناف من هذه الخلجان وهي كلها صالحة للنشاطات الملاحية ولا تعيق تطور حركة الملاحة.

٣. صفات ظهير الساحل:

ويقصد بها أراضي الدولة التي تقع خلف خط الساحل فإذا كانت هذه الأراضي ذات مساحه كبيره وتتمتع بثروات طبيعية وفيرة تكفي لسد حاجة مجموع سكان الوحدة السياسية فهي تصبح عامل جذب للسكان نحو الداخل وبذلك يكون التوجه الجغرافي للدولة داخلياً عبر اليابس وليس نحو البحر حتى وإن كان موقعها بحرياً وتطل على سواحل طويلة ومن أمثلة ذلك فرنسا فهي تقع على ثلاثة بحار المتوسط والأطلس الشمالي ولكن مع هذا فهي ليست دولة بحرية، وذلك لن خبراتها الداخلية كثيره جذبت السكان إلى الاشتغال في البر وعدم اللجوء إلى البحر كسباً لمعيشتهم وفي حالة فقر الظهير بالموارد نوعاً ما فإنها تعمل على طرد السكان وتوجيههم نحو البحر للحصول على غذائهم وكسب معيشتهم اليومية ومن هذه الدول مثلاً إيطاليا واليونان وهذه تحدد فعاليات القطر ونشاطه من ناحيه السكان.

٤. مساحة الدولة وعدد سكانها:

ومن المحفزات الرئيسة لبناء القوه البحرية كبر المساحة وكثرة السكان إذ يرى ماهان أن لهذين العنصرين إمكانية تنوع الموارد الطبيعية داخل المساحة الكبيرة للدولة وكذلك قدرة القوى البشرية المتمثلة بعدد السكان في بناء الأساطيل البحرية وفي استعمالها

وصيانتها كما أن المساحة الكبيرة ووقوع الدولة على أكثر من بحر واحد يزيد من احتمالات تواجد السواحل الطويلة والصالحة للملاحة.

٥. الخصائص القومية لسكان الدولة:

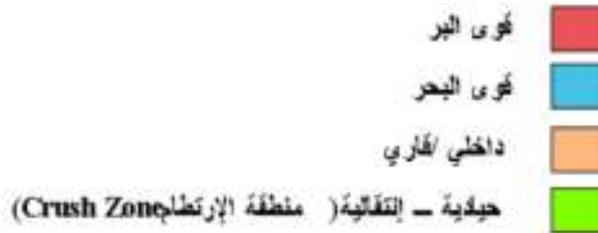
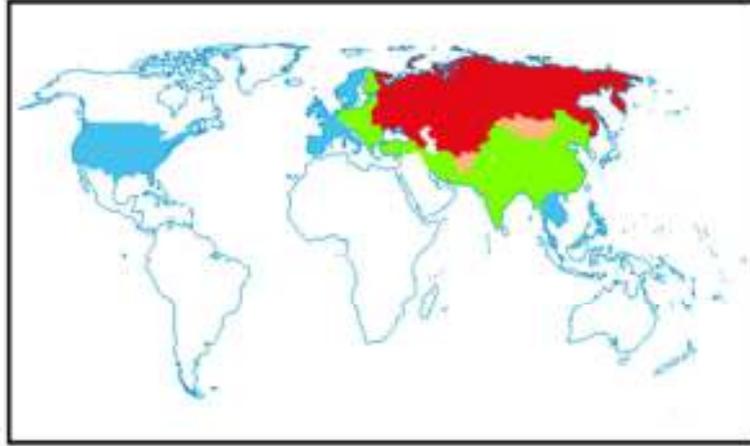
ومن الشروط المهمة التي يراها ماهان ضرورة لبناء أية قوه بحريه هي معرفة رغبة السكان وميلهم لركوب البحر إذ أن هذا الشرط يعد حجر الزاوية في إقامة صرح التجارة البحرية الكفيلة بتجميع الثروات الضرورية لبناء القوة البحرية.

٦. توجه السلطة الحاكمة :

تعتمد رغبة السلطة الحاكمة في التوجه نحو البحر لخلق قوه بحريه وفي النهاية على توفير كافة الظروف الطبيعية ودرجة ملائمتها وتفاعل ذلك مع الخصائص الاجتماعية التي يمتاز بها سكان تلك الدولة وقد انطلق ماهان في نظريته عن الخصائص الجغرافية للولايات المتحدة الأمريكية حيث جاءت مطابقة للمعايير التي وضعها أساساً لبناء القوه البحرية وكأنه أراد خدمة المصالح الأمريكية بالدعوة إلى التوسع خارج حدود نطاقها الاقليمي واشترط لهذا التوسع بناء قوه بحريه مؤلفه من عدة اساطيل كبيره حتى يكون بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية ضمان الدفاع القومي ضد أي حصار بحري يوجه ضدها بصفقتها جزيره قاريه. وكان يرى ضرورة احتلال الولايات المتحدة الأمريكية جزر هاواي لأنها تمثل قاعدة عسكريه أماميه يمكنها استخدامها لصد أي هجوم يأتي من القاره الآسيوية كما أكد على ضرورة فتح قناة بين الأمريكيتين تصل المحيط الهادي بالمحيط الأطلسي ونبه أنه لا يمكن المحافظة على سلامة هذه القناة دون أن يكون للولايات المتحدة الهيمنة التامة على البحر الكاريبي وفي القسم الشرقي من المحيط الهادي وقد تحقق فعلاً ما ذهب إليه ماهان من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت ومن المظاهر الأخرى

للتوسع الاقليمي الذي نادى به ماهان بعد أن استولت الولايات المتحدة الأمريكية على جزيرة بورتريكو عام ١٨٩٨ اثر حربها مع اسبانيا وايجاد منطقه جوانتانامو جنوب شرق كوبا عام ١٩٠٣ لمدة ٩٠ عاماً . وفي عام ١٩٧٧ اشترت من الدانمارك جزائر فرجين واستولت على جزيرة نافاسا إلى الجنوب من كوبا واستأجرت من جمهورية نيكاراغوا جزيرتي كورن الكبرى والصغرى وأن جميع هذه المواقع كان الغرض منها حماية موقع قناة بنما. أما في نطاق المحيط الهادي فقد استولت على Midway عام ١٨٥١ واشترت الاسكا من روسيا ١٨٦٧ وضمت إليها جزر هاواي عام ١٨٩٨ بقرار من الكونجرس وبذلك ضمت لها مفتاح الدفاع عن القطاع الشرقي لهذا المحيط.

نظرية ماهان - القوى البحرية



شكل (١٨) نظرية ماهان - القوى البحرية

٣- نظرية القوة الجوية

كان لظهور عصر الطيران والفضاء دوراً بارزاً في تشكيل مفاهيم جديدة في جغرافية العلاقات الدولية فقد طرح بعض من كتب في مفهوم القوة الجوية آراءه في هذا المجال منهم A - Macleish في مقال نشره عام ١٩٤٢ بعنوان " أتوقع النصر " أشار فيه إلى أن بمقدور الطائرات أن تغير جغرافية العالم وأشار بالدور الذي تلعبه القوة الجوية في إحراز النصر وقد حذر من ألمانيا واعتبرها القلب الذي يقع في إحراز العالم وتوقع سيطرة القوة الجوية على منطقة القلب على جزيرة العالم وسيطرة القوة الجوية من سواحل جزيرة العالم على البحار وان القوة الجوية يمكن أن تخضع الجزر الواقعة عبر البحار، وفي عام ١٩٤٤ نشر جورج رينر Renner آراءه منها أن الطرق الجوية قد ربطت بين القلب الأوراسيوي وقلب أمريكا الشمالية الأصغر منها عبر المنطقة القطبية وتتصف منطقة القلب هذه بأنها مهددة من إحدى القوتين السوفييت يشكلون مصدر تهديد القطب في أمريكا والعكس صحيح ويمكن أن تكون قاعده عالميه لأنها قريبه من الدائرة القطبية وعليه يمكن أن تصبح المنطقة القطبية الشمالية بؤرة الحركة ومفتاح النفوذ العالمي.

وترجع أولى هذه الأفكار إلى الطيار الروسي الكسندردي سفيرسكي الذي ساهم في الحرب العالمية الأولى ثم عمل بعد ذلك ببناء الطائرات وتطويرها فقد نشر بحثاً بعنوان القوة الجوية مفتاح البقاء عام ١٩٥٠ فرسم خريطة للعالم بمسقط قطبي للمسافات والانحرافات الصحيحة وتبعاً لخريطته هذه يقع النصف الغربي للعالم في جنوب القطب بينما يقع النصف الشرقي (أوراسيا - أفريقيا) في شمال نقطة القطب وهذا يعني تقسيم العالم إلى عالم قديم وعالم جديد وقد عدت أمريكا اللاتينية

مصدراً للخامات الأمريكية وهي في الوقت ذاته منطقة السيادة الجوية للولايات المتحدة الأمريكية أما السيادة بالنسبة للسوفييت فتتمدد جنوب إسبانيا وجنوبها الشرقي وإفريقيا جنوب الصحراء أي أن هذه هي المناطق التي يمكن أن تصل إليها السيطرة الجوية من العملاقين. أعتبر (سفرسكي) منطقة تداخل السيادة الجوية لكل من أمريكا الشمالية واتحاد السوفييت هي منطقة المصير وتمثل مناطق التداخل الجوي انجلو امريكا منطقة القلب في أوارسيا وأوروبا البحرية شمال إفريقيا والشرق الأوسط (الوطن العربي) ويمكن تحديد هذه الآراء على النحو الآتي:

١/ من يملك السيادة الجوية يسيطر على مناطق تداخل النفوذ (منطقة المصير).

٢/ من تتحكم بمنطقة المصير يسيطر على العالم.

وتعد آراء سفرسكي استكمالاً لآراء رينر لكنها تختلف عنها في نتيجتين تتعلقان بمسقط الخريطه التي اعتمدها سفرسكي إذ أدى هذا المسقط إلى إبعاد أفريقيا عن أمريكا الجنوبية بشكل لا ينطبق مع واقع الحال على خريطة العالم وقد ترتب على هذا الابتعاد أن جعل كل من القارتين في حوزة القوة الجوية للسوفييت والامريكتين على التوالي والاختلاف بينهما ينبع من أن الأول طيار يرى العالم من الجو أما رينر فهو يقرأ خارطة مسطحة أمامه بينما في واقع الحال تبتعد أفريقيا عن الولايات المتحدة بذات المسافة التي تبعد به أمريكا الجنوبية عنها أضف إلى ذلك أن سفرسكي اعتقد أن منطقة القطب الشمالي هي آخر منطقة في العالم كله واعتقد أن قوه واحده تستطيع أن تسيطر عليها إذا ما كانت تملك السيادة والتفوق الجوي على كل نظائرها في حالة

نشوب حرب جويه شامله وقرر أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقا والمملكة المتحدة هي الدول المؤهلة لكي تكون قوه عظمى.

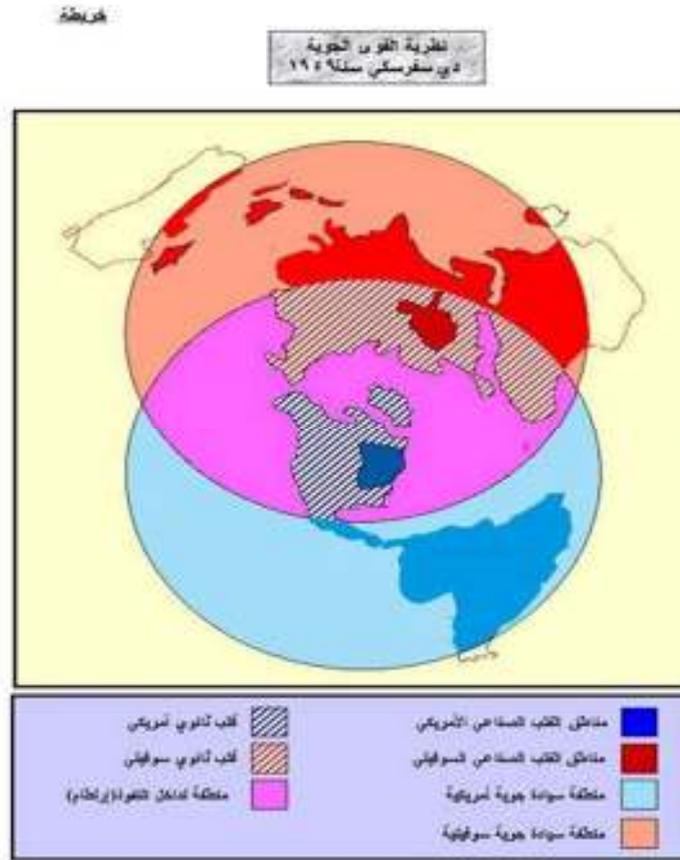
ولكن الواقع بناء على ذلك يمكن أن يخلق أيه دوله أخرى تكون هي صاحبه السيادة طالما أن هناك تطورات رهيبه في تكنيك ومواصفات سلاح الطيران في العالم الآن، هذا وقد أوصى سفيرسكي الولايات المتحدة بأن تبني لنفسها قوه جويه ضاربه كما انتقد السياسة الأمريكية الخاصة بإشعال نيران الحروب الإقليمية كحرب فيتنام وحروب الشرق الاوسط وحرب نيجيريا وغيرها فهي تؤدي إلى استنزاف قوة الولايات المتحدة الأمريكية في حين تكون الغلبة للخصم كما رأى في ضرورة تصفية القواعد العسكرية الأمريكية في الخارج لأنها مكلفه اقتصادياً وتقود نظريه سفيرسكي إلى نتيجتين هما:

١/ الانعزال الجوي الذي يوصي بتقسيم العالم تقسيماً معقداً إلى قسمين.

٢/ نظره موحدده للكره الأرضية على أساس أنه في حالة حرب شامله يمكن للقوه المتفوقة جويًا أن تسود العالم بغض النظر عن موقعها الجغرافي.

والحقيقة أن سفيرسكي لم يكن يتوقع عام ١٩٥٠ أن دولاً كثيره ستصل إلى إمكانيات التدمير الشاملة خاصة بعد بروز الأسلحة النووية على مسرح التسليح العسكري ودخولها مجالات القوى الثلاث البريه والبحرية والجوية عن طريق الصواريخ والصواريخ المحمولة والقاذفات والحاملات والغواصات وغيرها كما أن سلاح الجو لا يمكن اعتباره بعداً ثالثاً في مجال القوه طبقاً لوجهات نظر بعض المختصين

فهو عنصر حمايه وتغطيه للقوات البريه والبحريه في الهجوم كما هو في الدفاع والتقدم والانسحاب، وثمة مسألة تضاف وهي أن الرعب النووي على رأي Islessor عمل على استبعاد احتمال قيام حرب عالميه ثالثه ذلك أن التقدم في مجال هذا السلاح التدميري الرهيب عزز من مبدأ التوازن الدولي وقاد للانفراج.



شكل (١٩) نظرية القوى الجوية

خامسا: من الجيوبوليتيك إلى الجيو- عولة:

- التقدم العلمي والتكنولوجي في المجال العسكري قلل من أهمية النظريات السابقة خاصة بعد دخول السلاح النووي والصواريخ بعيدة المدى .

- لذلك تقوم الدول التي تمتلك هذا السلاح بمراقبة الأنشطة والأبحاث النووية من خلال الوكالة الدولية للطاقة النووية لمنع ومعاقبة الدول التي تحاول امتلاكه:-

الدول التي تمتلك السلاح النووي تمنع وتعاقب الدول التي تحاول الحصول عليه.
وذلك بسبب الميزات التي يتمتع بها السلاح النووي والتي من أهمها:

- ١- قوته التدميرية الهائلة.
- ٢- سهولة وسرعة استخداماته لكافة الأهداف زفي أي مكان.
- ٣- يعطي الدولة قوة رادعة ومكانة دولية تنافس غيرها من الدول.

فعندما ناظر “مارشال ماكلوهان” عالم اليوم بالقرية الكونية Global village لم يجانب إطلاقا الحقيقة، فالفضاء الافتراضي الذي يحيطنا بنا من كل جانب نجح إلى حد بعيد في تضيق نطاق الخارطة الجغرافية الكلاسيكية من حيز “الدولة” إلى حيز “القرية” بقواعد لعبة جديدة لا مكان فيها للصغار.

فالنسق السريع للثورة المعلوماتية الحديثة أوقع الجغرافيا والتفكير الاستراتيجي في عدد من الاحراجات والتحديات مما حدي بالعديد من الجغرافيين بالقول بان الجغرافيا تعيش حالة “موت سريري” بفعل امتداد العولمة .

بالفعل عندما أغمض عيني وافتحتها على المواقع الاجتماعية وصفحات النت.. وعندما تقودني سيارتي إلى الوجهة التي اقصدها بتوجيه برمجي جغرافي مثبت.. وعندما تنسج العلاقات بين أفراد ومجموعات وهيئات متواجدة في مناطق متباعدة جغرافياً.. وعندما تدار المعارك الأكثر ضراوة عن بعد بأنظمة الاستشعار ونظم جغرافية رقمية متطورة، فأنى حتما أقف على منصة جغرافية افتراضية البناء، حقيقية الوجود، عابرة للحدود بنقرة أو لمسة واحدة، لا تعترف بالوحدات الترابية السيادية.

فعلى غرار الجغرافيا الكلاسيكية التي تقوم على ديالكتيك الطبيعي/البشرى، تنطلق الجغرافيا الافتراضية من أرض متحركة بتضاريس متنوعة (برمجيات ومواقع ومحركات بحث متطورة...) تتحكم فيه مجموعات ولوبيات متعددة الأجنداث تعمل ضمن مجال افتراضي واسع تدار داخله فعليا عمليات اجتماعية/ثقافية/تجارية. فعبارة "الافتراضي" تحيلنا مباشرة إلى العالم التخيلي *illusoire* الذي لا يمتّ بصلة بالواقع المادي في حين أن العكس هو الصحيح... ففي مفهومه الرقمي يعدّ "الافتراضي" تمثّل للعالم الواقعي بمجموعة من التدفقات والإشارات الكهربائية والبصرية *Flux et Signaux électriques et optiques* الموجودة فعلا.

فالتوأم "السيامي" *Jumeau Siamois* العولمة/الثورة المعلوماتية تمكننا من تصيير *Rendering* جغرافيا/المكان إلى جغرافيا/الشبكة بمنسوب غير مسبوق من الديمقراطية في استخدام الشرائح الخلوية والهواتف الذكية وشبكة الانترنت ومواقع "الارث غوغل" واليوتيوب" و "الفيس بوك" وغيرها من الوسائط الرقمية... بالنتيجة نشهد انتقال قسما من مكتسباتنا الجغرافية من

نطاق الجغرافيا المدرسية Géographie d'école إلى جغرافيا تفاعلية Géographie interactive ومن جغرافيا الخريطة Géographie de la carte إلى جغرافيا الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية Géographie par télédétection التي يسّرت عمل المخططين إلى حد كبير في اتخاذ قرارات ذات البعد المكاني في العديد من المجالات الحياة من مواصلات ونظم اتصالات وزراعة و تخطيط لمدن المستقبل وغيرها.

فاستعاضة "المادي" Matériel "بالمادى" Immatériel في مقاربة مفهوم "المكان" أفقد الثالوث المقدس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك والجيوستراتيجيا) الكثير من بريقه لفائدة جغرافيا كونية توسعية تتوقف استدامتها على مدى قدرتها على استيعاب الآخر المختلف.

فالأفق "الجيوبوليتيكي" المقيد بأغلال "الأرض" و"الدولة" و"السيادة" لم يعد قادرا على مواجهة تسونامي الثورة المعلوماتية الراهنة.. فجميع السياسات الكبرى والسيناريوهات المستقبلية (شرقا وغربا) يتم رسمها شننا أم أبينا وفق اكراهات الجيو-العولمة التي يتقاطع فيها المحسوس بالافتراضي.

صرنا بفضل الفضاء الافتراضي منخرطين ومشاركين في النزاعات العسكرية، ومعاناة الشعوب والكوارث الانسانية. لقد جعلت الانترنت والميديا النزاعات العسكرية أمرا " من شأننا نحن" حينما تناقش موضوع حديث عن هذه النزاعات في كل وقت. صار بإمكاننا رؤية " الجغرافيا الافتراضية" حينما تصير نزاعات كهذه في أماكن بعيدة من الأرض، قريبة منا بفضل الإعلام.

أيضاً يرتبط " التخييل الجيوبولتيكي " بظاهرة تخيل المكان أو ما يسمى بالجرافيا الماورائية، عندما يعترف بإقليم محدد بعينه باعتباره إقليماً مهماً جداً بالنسبة لهم. من الممكن أن يصير بالنسبة لهم ذلك " الوطن المفقود" أثناء النزاع العسكري، حينما تجبر مجموعات من الناس على الرحيل أو التوطن من جديد.

ويعد المكان التخييلي منطقة يريد الناس البقاء فيها أو الاحتفاء بها أو إنشاء منطقة نفوذ بها أيضاً. على سبيل المثال، التصور الروسي " للخارج القريب " مرتبط بانهيار الاتحاد السوفيتي، تم تسمية الإقليم الذي يشمل الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيتي من طرف وزير خارجية روسيا سنة ١٩٩٢م " بالخارج القريب"، وهي الأماكن التي حصلت فيها روسيا على مصالح خاصة، وتعد هذه المنطقة بمثابة مجال حصري للنفوذ الروسي.

الفصل الرابع

تطبيقات جيوبوليتيكية

أولاً: الموقع الحبيس ومشكلاته الجيوبوليتيكية

ثانياً: الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الكوميسا بالنسبة لصر

ثالثاً: هيدروبوليتيكية سد النهضة

رابعاً: جيوبوليتيكية الإرهاب في سيناء

خامساً: العيوب الجيوبوليتيكية لدولة ليبيا وتأثيره على الثورة

سادساً: جيوبوليتيك الأمن الوطني

سابعاً: جيوبوليتيكية الثورات العربية

ثامناً: جيوبوليتيكية نقمة المكان

الموقع الحبيس ومشكلاته الجيوبولتيكية*

دراسة حالة - دولة طاجيكستان

مقدمة:

الدول الحبيسة هي ظاهرة جيوبولتيكية في الجغرافيا السياسية ويقصد بها الدول التي ليست لها اطلالة بحرية، وهي ظاهرة موجودة في أربع قارات من العالم هي: أفريقيا، آسيا، أوروبا، وأمريكا الجنوبية وعددها وصل في الوقت الحاضر إلى (٤٤) دولة العدد الأكبر منها في أفريقيا إذ وصل إلى (١٦) دولة وفي آسيا (١٣) دولة وأوروبا (١٣) دولة وفي أمريكا الجنوبية دولتان كما يتضح من شكل (١). وهذه الدول ظهرت بفعل تقسيم الامبراطوريات والاستعمار والمعاهدات وغيرها. لكن الآثار السلبية التي تعاني منها هذه الدول قد تختلف من دولة لأخرى، إذ إن هذه الدول الموجودة في أوروبا مثلا تختلف عن الدول نفسها بالقارة الاسيوية بفعل التقدم التكنولوجي الذي تعيشه أوروبا فضلا عن قلة المسافة التي تفصل تلك الدول عن الموانئ فضلا عن تطور القطاع النقلي وهذا عكس ما موجود في القارة الاسيوية لذلك فإن الدول النامية أكثر معاناة من الدولة المتقدمة.

تعرف الدولة الحبيسة جغرافيا (بأنها الدول التي تتمتع بموقع قاري يحرمها من ميزة التمتع بأي منفذ بحري يربطها بالبحار والمحيطات المفتوحة للملاحة الدولية) وقد عرفت في اتفاقية الامم المتحدة لقانون البحار على أنها (الدول غير الساحلية التي تتمتع بحرية المرور العابر عبر أراضي دول المرور العابر بجميع وسائل النقل) (عطا الله سليمان، ٢٠١٥، ص ٥٣٨).

* بحث منشور للمؤلف، بمجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، شعبة البحوث الجغرافية والاستشارات التخطيطية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، إصدار خاص، يناير ٢٠١٩ .

وتدور الدراسة التطبيقية حول إحدى هذه الدول وهي دولة طاجيكستان، وتنتمي دولة طاجيكستان الوليدة إلى إقليم آسيا الوسطي الذي يضم إلى جانبها دول كازاخستان و أوزبكستان وتركمانستان وقيرغيزستان، وتبلغ مساحة طاجيكستان ١٤٣,١ ألف كم٢، وهي بذلك تعد في المرتبة الثامنة بين الدول المفككة من الاتحاد السوفيتي من حيث المساحة.

وهي دولة حبيسة في وسط آسيا يجاورها من الشرق الصين ومن الجنوب أفغانستان ومن الغرب أوزبكستان ومن الشمال قيرغيزستان، وجميع تلك الدول باستثناء الصين هي دول حبيسة إذا تجاهلنا وقوع دولة أوزبكستان على بحر أرال الداخلي المغلق.



شكل (٢٠) الدول الحبيسة في العالم حسب القارات

أولاً: المدلول الجغرافي السياسي للدول الحبيسة:

تجاور معظم الدول الحبيسة أكثر من دولة وتعتمد في تصريف تجارتها على الدول المجاورة لها، إذ تعتمد على البحر لتصريف جزء من تجارتها الخارجية فضلاً عما تجنيه منه، ولعل النزاع وعدم اتفاق الدول الساحلية على المياه الإقليمية والمنطقة الاقتصادية خير دليل على ذلك. وتصبح الدول الحبيسة في وضع لا تحسد عليه، إلا إذا

ضمنت حق المرور البريء في المياه الإقليمية والحصول على تسهيلات من موانئ الدول الساحلية ووسائل نقل من هذه الموانئ إلى الداخل أي إنها تبحث عن مجموعة من الضمانات وإلا أصبحت من ناحية الموقف السياسي في عزلة، وقد يترتب على هذا الوضع قيام كثير من النزاعات الحدودية لغرض تأمين ممرات أو منافذ حرة دائمة إلى البحر.

ويعد موقع الدولة من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد قوتها وسياستها الداخلية والخارجية. كما يترتب عليها اتخاذ كثير من القرارات وظهور كثير من النتائج العسكرية والاقتصادية والاجتماعية. ومن الحقائق الثابتة هي أن لكل دولة موقعها الفريد على سطح الأرض حيث يميزها عن مواقع الدول الأخرى. ومن الحقائق الجغرافية أن المواقع ثابتة لكن أهميته متغيرة تماشياً مع التطورات التكنولوجية وخاصة ما يتعلق منها بوسائل المواصلات والحركة.

إذا استثنينا الدول الجزرية نجد أن جميع الدول الأخرى لها خصائص قارية. ويظهر تأثير هذه الخصائص في تشكيل سلوكها الداخلي. إلا إن الصفة القارية تختلف من دولة إلى أخرى من حيث الدرجة. فهناك دول محاطة بحدود أرضية من جميع الجهات وتدعى بالدول الحبيسة وهناك الكثير من الدول القارية لكن لها مسافة قصيرة من الحدود البحرية كالعراق والأردن ويمكن أن يطلق عليها بالدول شبه الحبيسة، وهناك دول حبيسة محاطة بدول حبيسة مثل الدولة محل الدراسة (محمد عبد السلام، ٢٠٠٨، ص).

إضافة إلى صعوبات النقل التي تواجهها الدول القارية، فقد تحرم هذه الدول من إقامة قوة عسكرية بحرية ولذلك فإنها تعتمد في

سياسات أمنها على القوة الأرضية والجوية؛ وقد تتعرض هذه الدول إلى التورط بمشاكل سياسية وعسكرية مع الدول المجاورة لا بسبب اشتراكها معها في الحدود السياسية، وهذه الظاهرة ناتجة عن الموقع القاري بالدرجة الأولى، وتتضاعف هذه المشاكل كلما زاد عدد الدول المجاورة للدول الحبيسة.

تعاني الدول الحبيسة بوجه عام عدة مشاكل تساهم في إضعافها ويتضح ذلك من خلال الآتي:

- ١- معاناتها من العزلة فتقع تحت رحمة الدول المجاورة لها في اتصالها مع العالم الخارجي.
- ٢- ضعف اقتصادها ونشاطها التجاري وارتفاع تكاليف النقل.
- ٣- معاناتها من ضعفها العسكري والسياسي.

ولعل أهم أسباب ظهور الدول الحبيسة على خريطة العالم السياسية هي زيادة عدد الدول المستقلة وقصر طول السواحل البحرية مما أدى لصعوبة في تقسيم السواحل البحرية؛ وهذا أدى بدوره إلى حرمان كثير من الدول من الإطلالة على البحر وخاصة في أفريقيا وآسيا. ولعل من أسباب ظهور الدول الحبيسة أيضا هو انهيار وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق، كذلك محاولة الدول القوية والكبرى في منع الصراع العسكري والمباشر بينها فجعلت كثيرا من الدول الحبيسة كمناطق حماية أو دول حاجزة بين نفوذ تلك الدول؛ وقد أدى إغلاق هذه الدول إلى جعل معظمها دولا ضعيفة من الناحيتين العسكرية والاستراتيجية وجعلها من الممكن السيطرة عليها من خلال الاتفاق مع دول الممر والتي تملك أمر إغلاق منافذها البحرية بوجه تلك الدول في أي وقت تشاء.

وقد أدى ذلك إلى حاجة الدول الحبيسة إلى إبرام اتفاقيات مع الدول المحيطة ووفق الشروط التي تملئها تلك الدول كما هو الحال في منغوليا التي أصبحت تحت سيطرة الصين وبالنتيجة النهائية فقد بقي الدخل القومي لأغلب الدول الحبيسة أقل من الدخل القومي للدول المفتوحة على البحر، أي بمعنى آخر أن الدول الحبيسة هي دول أفقر من غيرها.

الحلول المتاحة للدول الحبيسة:

إن كثيرا من المشاكل التي تواجهها الدول الحبيسة متأتية من انعزالها عن البحر، ولا يمكن أن تحل إلا بالتعاون الإقليمي الذي تسهم فيه الدول المجاورة لها وخاصة الدول الساحلية. فبواسطة هذا التعاون يمكن للدول الحبيسة الحصول على التسهيلات والحقوق الآتية
(Novman J.G Pounds,1959,pp. 256-268) :

أولا: الاستفادة من الأنهار للملاحة الدولية، ترجع فكرة الأنهار الدولية إلى القرن السابع عشر حيث يرتبط بمفهوم (القانون الطبيعي) الذي اعتبر الأنهار طرق حرة أوجدتها الطبيعة لفائدة الإنسان، ومن بين هذه الفوائد استعمالها للوصول إلى البحار والمحيطات، ولا يجوز غلقها بل تركها مفتوحة متكاملة مع عناصر الطبيعة الأخرى. أما مؤتمر فيينا الذي انعقد عام ١٨١٥م فإنه حدد حرية الملاحة في الأنهار الدولية بطريقة عامة حيث توصل إلى قرار يدعو الدول التي يمر خلالها أو يفصل بينها نهر ملاحى، إلى ضرورة التعاون لتنظيم كل ما يتعلق بالملاحة عن طريق تشكيل اللجان وعقد الاتفاقيات بهذا الشأن. وقد وضعت قرارات هذا المؤتمر فيما يتعلق بنهري الراين والميز ونهر شلت وروافدها الصالحة للملاحة، كذلك تنظيم الملاحة في الأنهار

الأخرى كالدانوب في عام ١٨٥٦م وأنهار أفريقيا الوسطى في عام ١٨٨٥م، وتم ذلك بالنسبة للأنهار الرئيسية الأخرى بعد الحرب العالمية الأولى (عبد الأمير عباس الحياي، ١٩٩٥، ص ٧٠).

ثانياً: أما حق المرور فقد ظهر في قرارات مؤتمر برشلونة الذي انعقد عام ١٩٢١م، وبموجبه تم الاعتراف بحق الدول الحبيسة بالمرور عبر أراضي الدول المجاورة أو الساحلية للوصول إلى البحر. وقبلت الدول الساحلية في تقديم جميع التسهيلات الضرورية التي تكفل النقل عبر أراضيها باستعمال مختلف الطرق البرية والبحرية. كما تعهدت هذه الدول بعدم فرض ضرائب إضافية عدا ما تتطلبه حالة ازدحام المرور أو زيادة أجور النقل الناتجة عن المنافسة بين مختلف وسائل النقل التجاري، وقد عقدت كثير من الدول الحبيسة اتفاقيات مع الدول التي تقع على طريقها إلى البحر بهذا الشأن لضمان حق المرور.

ثالثاً: أما تطبيق مبدأ (الميناء الحر) أو (المنطقة الحرة) فإنه نوع آخر من التسهيلات التي تقدمها الدول الساحلية للدول الحبيسة. فقد تحصل الأخيرة على تخصيص منطقة معينة من أحد موانئ الدول الساحلية وتضعها تحت تصرفها، وبموجب هذا المبدأ تعفى بضائع الدولة الحبيسة من الضرائب الجمركية، وفي الغالي يرتبط الميناء الحر بحق المرور أو النقل عبر أراضي الدول الأخرى.

رابعاً: أما الرواق فإنه طريقة أخرى مفتوحة أمام بعض الدول الساحلية للوصول إلى البحر، وهو عبارة عن شريط من الأرض يمتد عبر أراضي دولة ساحلية ويتصل بأحد المرافئ وتنقل سيادته إلى الدولة الحبيسة لذلك فإن أية محاولة لغلق الرواق الأرضي من قبل الدولة الساحلية تعد مخالفة للقانون الدولي، وبهذا تفضل الدولة الحبيسة أن تمتلك هذا الدهليز أكثر من حصولها على امتياز حق

المرور فقط أو على حرية استعمال طريق أحد الأنهار (Richard Hartshorne, 1987, pp. 161-176)

ثانياً: تأثير الموقع الحبيس في الخصائص الجيوبوليتيكية لدولة طاجيكستان:

يعد الموقع من أكثر الخصائص الجغرافية تأثيراً في تكوين شخصية الدولة وتحديد وزنها السياسي ، وتأتي دراسة الموقع الجغرافي في مقدمة المقومات الجغرافية التي تتدخل في تبرير وجود الدولة الجغرافي علي صفحة الخريطة السياسية (محمود توفيق محمود، ١٩٨٧ ، ص٤). فموقع الدولة الجغرافي هو الذي يضعها في قلب حركة الأحداث السياسية والتاريخية ، وهو أيضاً الذي يهمل وجودها في إطار مجتمع الدول ، وينأى بها عن حركة الأحداث السياسية أحياناً أخرى(صلاح الدين الشامي ، ٢٠٠١ ، ص٢٩).

(١) الموقع الفلكي

يعد الموقع الفلكي أحد الخصائص المؤثرة في الوضع الجيوسياسي للدول، وذلك لما له من أثر مباشر وغير مباشر علي مظاهر النشاط البشري في الإقليم السياسي للدولة، إذ يحدد موقع الدولة الفلكي النطاق المناخي الذي تتسم به الدولة ، والذي مازال يمثل المتحكم الأكبر في مظاهر النشاط البشري وتمتد طاجيكستان بين دائرتي عرض ٣٦,٤٠ – ٣٩,٤٠ شمالاً وبين خطي طول ٦٧,٢٠ - ٨٥ شرقاً، أي أنها تمتد عبر ١٨ خط طول و٣ دوائر عرضية ، ولا يسمح هذا الامتداد المحدود علي دوائر العرض بتنوع كبير في الظروف المناخية ، ورغم قلة دوائر العرض إلا أن مناخ طاجيكستان متنوع

ولكنه يدين في تنوعه إلي عامل التضاريس بالإضافة إلي الموقع القاري للدولة.

(٢) الموقع القاري

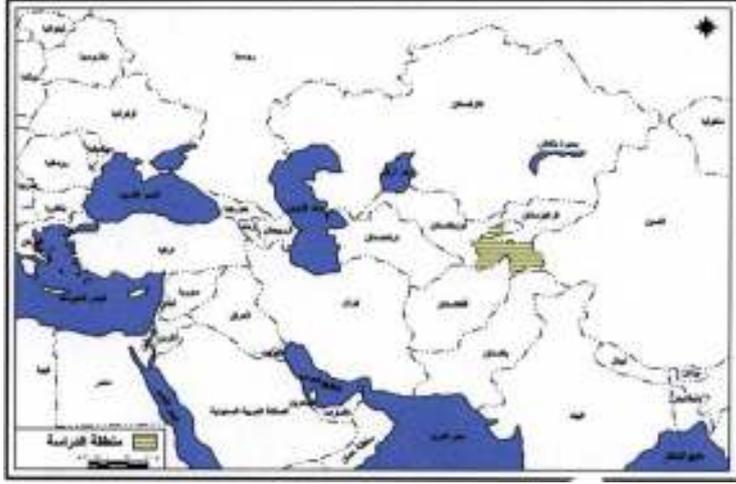
يعتبر موقع الدولة بالنسبة لليابس والماء عنصر مهم في الجغرافيا السياسية للدولة لأنه يعطي الوحدة السياسية شخصية خاصة ويوجه سياستها نحو اتجاهات معينة والدول التي تقع علي مسطحات مائية توصف بأنها دول بحرية أما التي لا تطل علي مسطحات مائية فهي دول برية حبيسة (Dikshit, 1982, P.31).

ويحرم الموقع الحبيس الدولة من فرص الاتصال بشكل مباشر مع أي وحدة سياسية عدا الوحدات الملاصقة لها في الحدود ، الأمر الذي يزيد من اعتمادها علي الدول المجاورة لا سيما من يمتلك منها منفذاً علي البحر(محمد أزر، ١٩٨٢، ص ٥٠).

وتقع طاجيكستان في قلب آسيا أو ما سمي في نظرية " ماكيندر " بقلب الأرض وهي أكثر مناطق العالم قارية وبعداً عن المسطحات المائية. إذ تعد طاجيكستان دولة رهينة المحبسين - إذا جاز التعبير - فهي دولة لا تطل علي أي مسطح بحري ، وتحيط بها دول أخرى من جميع الجهات ، تلك الدول هي : الصين وأفغانستان وأوزبكستان وقيرغيزستان، كما أن جميع تلك الدول باستثناء الصين هي في ذاتها دول حبيسة لا تطل علي مسطحات بحرية إذا ما تجاهلنا وقوع أوزبكستان علي بحر آرال الداخلي المغلق ويوضح الشكل (٢) موقع طاجيكستان بالنسبة للبحار والمسطحات المائية.

ومنذ ما يربو علي قرنين تقريباً رأي عالم الاقتصاد الشهير آدم سميث Adam Smith أن الأجزاء الداخلية من آسيا وإفريقيا هي الأقل نمواً علي مستوي العالم ، وتنبأ بأن صعوبة التجارة الخارجية في هذه الأرجاء سوف تحول دون استفادتها من مزايا وعوائد

التخصص بالمقارنة بجيرانها من الأجزاء الساحلية (Snow, 2003,p.2).



شكل (٢١) موقع طاجيكستان بالنسبة للمساحات المائية

وفي أوائل القرن الحالي رسم تقرير التنمية البشرية (UNDP,2002, pp149-152) صورة قاتمة للدول الحبيسة علي مستوى العالم ، فقد أشار تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٢ إلي ما يلي:

- أن ١٣ من الدول الحبيسة الحديثة هي ضمن الدول ذات التنمية المنخفضة **low development**
- أن تسع من تلك الدول الـ ١٣ تقع ضمن أقل ١٢ دولة في العالم من حيث مؤشر التنمية البشرية.
- أن ١٧ من تلك الدول الحبيسة ومنها طاجيكستان تنضوي في فئة التنمية البشرية المتوسطة **Medium human development**

- جاءت دولة طاجيكستان في المرتبة ١١٢ حسب مؤشر التنمية البشرية (UNDP,2002, pp149-152) بين ١٧٣ دولة تضمنها تقرير التنمية البشرية ، وبلغ مؤشراتها ٠,٦٧.

رأي سميث أنه نظراً لصعوبة التبادل التجاري للدول الحبيسة فإنها سوف تواجه صعوبات في التخصص وفوائده. وقد بني تحليله على صعوبة النقل البري لمسافات بعيدة. وبرغم التطورات التكنولوجية الهائلة في مجال النقل إلا أن ارتفاع تكلفة النقل يحد من قدرة الدول الحبيسة على المنافسة في السوق العالمي مقارنة بجيرانها من الدول الساحلية (Snow, 2003,p.3).

المسافة بين طاجيكستان والبحر

ليست المسافة هي وحدها القادرة على تفسير ضعف قدرة الدول الحبيسة على المنافسة فهناك مناطق في دول ساحلية كبيرة ولكنها تبعد عن البحر بمسافة مساوية أو تزيد على بعض الدول الحبيسة مثل الصين والهند وروسيا. وبرغم أن تلك المناطق تواجه تكاليف المسافة الكبيرة إلا أنها تتمتع بميزة بالمقارنة بالدول الحبيسة وهي أنها غير مضطرة لمواجهة تحديات عبور الحدود كما رأي سميث.

تعد طاجيكستان ثالث أبعد الدول الحبيسة في آسيا عن البحر، ولا يفوقها في ذلك سوى كازاخستان (٣٧٥٠ كم) وقيرغيزستان (٣٦٠٠ كم) ، كما يتضح من الجدول (٤).

ومن بين دول الجوار الأربع لطاجيكستان فإن دولة واحدة فقط هي الدولة الساحلية متمثلة في الصين ، في مقابل ثلاث دول حبيسة متمثلة في قيرغيزستان وأوزبكستان وأفغانستان. ونظراً لوعورة التضاريس في المنطقة الحدية بين طاجيكستان والصين والتي تجعل النقل البري بين الدولتين شديد الصعوبة فإن طاجيكستان توشك أن

تكون دولة مزدوجة الانحباس Double land locked، أي أنها دولة
حبيسة محاطة بدول حبيسة.

جدول (٤) أقرب مسافة بين الدول الحبيسة والبحر في آسيا

الدولة	البعد عن البحر (كم)
لاوس	٦٢٠
أرمينيا	٦٩٣
بوتان	٧٧٥
أذربيجان	٨٧٠
نيبال	١١٦٠
منغوليا	١٦٩٣
تركمانستان	١٧٠٠
أفغانستان	١٩٦٠
أوزبكستان	٢٩٥٠
طاجيكستان	٣١٠٠
قيرغيزستان	٣٦٠٠
كازاخستان	٣٧٥٠

Source: United Nations Conference On Trade And
Development ,Landlocked Developing Countries- Facts and
Figures , New York, 2006,pp2,60.

وتعد مؤشرات التنمية الاقتصادية والبشرية في طاجيكستان أسوأ من نظيرتها في الدول الساحلية، ويمكن أن يرجع الكثير من ذلك إلى اعتماد طاجيكستان كدولة حبيسة على المرور العابر عبر دول أخرى للوصول إلى الأسواق العالمية، ولهذا الاعتماد عدة أشكال هي (Snow, 2003,p.7):

- ١- الاعتماد على البنية التحتية للمرور العابر في الدول المجاورة
- ٢- الاعتماد على العلاقات السياسية مع الدول المجاورة.
- ٣- العملية الإدارية للمرور العابر.

تتمثل البنية التحتية للنقل في شبكة الطرق البرية وخطوط السكك الحديدية وتعتمد طاجيكستان اعتماداً كلياً على البنية التحتية النقلية للدول المجاورة وخاصة دول المرور العابر لنقل بضائعها إلى الموانئ ، ويمكن أن تكون تلك البنية التحتية ضعيفة لعدة أسباب منها: نقص الموارد وسوء الحكم والإدارة و النزاعات و المخاطر الطبيعية، ويوضح جدول (٥) مقاييس جودة البنية التحتية للنقل في الدول الحبيسة في آسيا.

جدول (٥) مقاييس جودة البنية التحتية للنقل في الدول الحبيسة ودول الترانزيت في آسيا

الدولة	مؤشر نسبة الطرق المعبدة في الدولة الحبيسة	مؤشر نسبة الطرق المعبدة في دول المرور العابرة المجاورة	مؤشرة جودة الطرق المعبدة للدولة الحبيسة	مؤشر جودة الطرق المعبدة في دول المرور العابرة المجاورة	مؤشر طول خطوط السكك الحديدية لكل نسمة
أفغانستان	-	-	-	٠,٠١	-
أرمينيا	-	٠,٣٦	-	-	-
أذربيجان	-	-	-	-	-
بوتان	-	-	-	٠,٠٠	-
كازاخستان	-	٠,٦١	-	٠,٠٧	-
قيرغيزستان	-	٠,٦١	-	٠,٠٧	-
لاوس	-	٠,٦٣	-	٠,٦١	٠,٠٠
منغوليا	٠,٤٥	٠,٦١	-	٠,٠٧	١,٠
طاجيكستان	-	٠,٦١	-	٠,٠٧	-
تركمانستان	-	-	-	-	-
أوزبكستان	-	-	-	-	-
نيبال	٠,٩٥	-	٠,٥٨	٠,٠٠	٠,٠٠

Snow.T,& Others, Country Case Studies On The Challenges Facing Landlocked Developing Countries ,UNDP,2003,p,126

وبغض النظر عن الأسباب فإن سوء حالة البنية التحتية يزيد من تكاليف النقل مما يضعف القدرة التنافسية ويقلل عوائد الاستثمار في الدولة الحبيسة.

وكلما كانت البنية التحتية لشبكة الطرق في دول الترانزيت جيدة كلما انخفضت تكلفة النقل بالنسبة للدولة الحبيسة والعكس صحيح.

حدث الطبيعة الجبلية لدولة طاجيكستان من قدرات النقل بالسكك الحديدية في طاجيكستان وزادت من الاعتماد علي شبكات الطرق البرية . ويواجه المرور علي الطرق الدولية التي تربط طاجيكستان بدول المرور العابر عقبة البيروقراطية حتي أنه من الأقوال الشائعة تندرأ في طاجيكستان أنه " لا ينصح بالقيادة علي طرق المعابر الدولية ما لم يكن لديك عشق شديد للبيروقراطية" .

ويواجه كل ممر طاجيكي للمرور العابر عدة عقبات أخري هي

(Snow, 2003,p.76):

١- الممرات الأوزبكية - التي تستأثر بنحو ٨٠% من حركة المرور الدولية الطاجيكية - جميعها معرضة للإغلاق من قبل حكومة أوزبكستان ، مثل هذا الإغلاق عادة ما يستخدم من قبل الحكومة الأوزباكية كسلاح سياسي . فقد أغلقت الطرق لعدة سنوات في أواخر التسعينيات من القرن الماضي ، وفي ديسمبر عام ٢٠٠٠ وبعد إعادة فتح الطرق في أوائل ذلك العام عمدت الحكومة إلي إعادة إغلاق الطرق مرة أخرى متعللة بالإعداد لاحتفالات الاستقلال السنوية.

- ٢- يمثل الطريق السريع Highway إلى قيرغيزستان بديلاً محتملاً وممكناً ، ولكنه محفوف بتكرار العنف علي طول الحدود ، علاوة علي ذلك فإن هذا الخيار غير محبذ لكون قيرغيزستان دولة حبيسة ومعرضة لنفس المشاكل.
- ٣- ممر محتمل عبر أفغانستان سوف يتيح أقصر الطرق إلي البحر لطاجيكستان ، إلا أن ما يحول دون ذلك هو الحرب الأهلية في أفغانستان.
- ٤- طريق محتمل عبر الصين جاري تجهيزه ، ولأن البنية التحتية النقلية للاتحاد السوفيتي السابق لم تكن مربوطة بالصين فحتي عام ٢٠٠١ لم يكن هذا الطريق قد اكتمل.
- ٥- مما يعقد النقل في طاجيكستان سواء الداخلي أو الدولي هو تعرض الدولة لمخاطر الطبيعة مثل الفيضانات والزلازل والانهيارات الأرضية.

ونظراً لطبيعتها الجبلية فإن طاجيكستان تعتمد علي النقل بالطرق البرية (٨٢% من إجمالي البضائع المشحونة عام ١٩٩٧) أكثر من أي دولة من دول ما بعد الاتحاد السوفيتي، ومع تناقص وضعف أهمية التبادل التجاري مع روسيا، فسوف يتحول المزيد من البضائع المشحونة إلي الاعتماد علي الطرق دون غيرها. وقد شيدت شبكة الطرق خلال الحقبة السوفيتية ، وهي شبكة واسعة الانتشار (الأمم المتحدة، ٢٠٠٣، ص٩).

وتعاني الطرق في طاجيكستان من الظروف الجغرافية القاسية harsh geographic conditions فبالإضافة إلي إغلاقها بانتظام

بسبب الثلوج snow ، فإن الطرق تغلق بسبب الانهيارات الطينية mudslides والانهيارات الأرضية landslides والفيضانات.

فالتطريقين السريعين highways الرئيسيين في طاجيكستان (دوشنبه - آيني) ، (قالقوم - خورج) - علي سبيل المثال - عادة ما يتم غلقهما لمدة خمسة إلى ستة أشهر كل شتاء. وللوصول إلى تلك المناطق في الشتاء فإن علي الشاحنات أن تعبر من خلال أوزبكستان، ومن المقدر أن نحو ١٠% من طرق طاجيكستان قد دمر خلال الفترة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٩ بفعل المخاطر الطبيعية من ناحية والحرب الأهلية من ناحية أخرى.

وتعيق التعقيدات البيروقراطية ، والتنظيمات والإجراءات الصارمة عند الحدود حركة المرور العابر لطاجيكستان. وبصفة خاصة عند الحدود الأوزبكية (الأمم المتحدة ، ص ١٠). وتعمل طاجيكستان علي تشييد طريق يربطها بالصين وبطريق قارقورم السريع.

أما عن خطوط السكك الحديدية فهي محدودة للطبيعة الجبلية لمعظم إقليم طاجيكستان ، وباقي خطوط السكك الحديدية التي شيدها الاتحاد السوفيتي موجودة في غرب طاجيكستان باتساع وتربط العاصمة بالمناطق الصناعية ، وبرغم أن البنية التحتية جيدة إلى حد ما ، فإن نظام المرور العابر مشوش بصفة عامة نظراً للفقير الشديد في مجال الاتصالات . وخطوط السكك الحديدية الرئيسة ثلاثة هي (Snow, :2003,p.76)

١ - خط يعبر وادي فرغانة الشمالي من إنديجان Andijan في أوزبكستان عبر كوكاند Khojand في طاجيكستان إلى سمرقند في أوزبكستان.

٢- خط يمر جنوباً من دوشنبه Dushanbe عبر أوزبكستان إلى ترميز Termiz عند الحد الأفغانستاني ثم مباشرة إلى الجنوب من دوشنبه إلى توجل Tugul على الحدود الأفغانية ونظراً لعدم وجود خطوط سكك حديدية في أفغانستان وللعقبات الأوزبكية فإن الطريقين فقدتا أهميتهما.

وفي حين أن تصميم نظام النقل للاتحاد السوفيتي لم يكن مناسباً - إلى حد بعيد - لأنماط التجارة الجديدة" للدول الوليدة في ما بعد الاتحاد السوفيتي ، فإن ذلك يصبح مزدوجاً في حالة طاجيكستان ، ليس فقط لكون نظام السكك الحديدية لا يوفر ارتباطاً مع الممرات التجارية الجديدة مثل الصين ، بل لأن الارتباط التقليدي بروسيا يتطلب الآن المرور بدولة ثالثة.

وتستخدم طاجيكستان موانئ بحر البلطيق وبصفة أساسية ميناء ريجا " Riga " ، والموانئ الروسية مثل نوفورسيسك Novorossiysk ، والموانئ الأوروبية مثل ميناء بريمرهافن Bremerhaven بألمانيا.

وللعلاقات السياسية مع دول الجوار أهمية كبيرة ، لو أن الدولة الحبيسة ودولة المرور العابر المجاورة لها في حالة تنازع مشترك سواء عسكري أو سياسي فمن اليسير على دولة المرور العابر أن تغلق حدودها ، أو أن تعيق حركة التجارة الدولية للدولة الحبيسة، وحتى في حالة عدم وجود نزاع مباشر فإن الدولة الحبيسة هي إلى حد بعيد معرضة لأوهام الدول المجاورة لها.

وعلى الرغم من وجود أساس قانوني لحق الدول الحبيسة في الوصول من وإلى البحر كما يتضح في المادة ١٢٥ الفقرة ١ من

قانون البحر لعام ١٩٨٢ ، فإنه في الواقع وعملياً فإن الفقرتين ٢ ، ٣ من ذات المادة تجعل تحقيق ذلك مرهون بالعلاقة بين الدولة الحبيسة ودولة المرور العابر.

يكفل قانون البحار لعام ١٩٨٢ حق الوصول إلي البحر ومنه وحرية المرور العابر حسب المادة ١٢٥ التي تنص على الآتي (الأمم المتحدة، ١٩٨٨، ص ٦٤):

"تتمتع الدول غير الساحلية بحرية المرور العابر عبر أراضي دول المرور العابر بكافة وسائل النقل . ويتم الاتفاق علي أحكام وصور ممارسة حرية المرور العابر بين الدول غير الساحلية ودول المرور العابر المعنية. ولا تخضع حركة المرور العابر لأي رسم جمركي أو ضريبة.

تأثرت دول آسيا الوسطي - وخاصة طاجيكستان - بمنازعات الحدود **Cross- border disputes** ، فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي تم تقسيم الجمهوريات السابقة علي أساس الحدود الإدارية وكانت تلك الحدود مصدر للعديد من النزاعات كما ساعد علي التوتر الإخفاق العام في التعاون الإقليمي. في حالة تعرض دولة المرور العابر لنزاع أهلي فإن طرق المرور العابر يمكن أن تدمر أو تغلق، مما يتطلب في بعض الحالات تغيير مسار النقل وفي أسوأ الأحيان توقف المرور. ويوضح جدول (٦) مقاييس النزاعات الأهلية والخارجية.

جدول (٦) مقاييس النزاعات الأهلية والخارجية

الدولة	مؤشر طول وحدة النزاع الأهلي	مؤشر طول وحدة النزاع الأهلي في دول الترانزيت	مؤشر طول وشدة النزاع الدولي للدولة الحبيسة	مؤشر طول وحدة النزاع الدولي لدول الترانزيت
أفغانستان	١,٠٠	٠,٧٦	٠,٨٨	٠,٩٧
أرمينيا	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٧٤	٠,٦٠
أذربيجان	٠,٧٠	٠,٨٨	٠,٧٤	١,٠٠
بوتان	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠
كازاخستان	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠
قيرغيزستان	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٣٦	٠,٧٤
لاوس	٠,٤٦	٠,٤٦	٠,٤٤	٠,٤٥
منغوليا	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠
نيبال	٠,٥٤	١,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠
طاجيكستان	٠,٦٧	٠,٨٧	٠,٨٢	٠,٨٣
تركمانستان	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٠٠
أوزبكستان	٠,٠٠	٠,٠٠	٠,٧٤	٠,٨٩

Source _ Snow,T,& Others, Country Case Studies On The Challenges Facing Landlocked Developing Countries ,UNDP,2003,p,126.

وعلى الرغم من انتهاء الحرب الأهلية الدموية في طاجيكستان عام ١٩٩٧ بتوقيع اتفاق السلام بين الحكومة والمعارضة الإسلامية ، إلا أن المنطقة مازالت تشهد وبمستويات مرتفعة التوتر الديني وبصفة خاصة في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، فضلا عن سوء العلاقات الخارجية في المنطقة، والمنازعات الحدودية ، وقد تضافت كل تلك العوامل لتجعل المرور من وإلى طاجيكستان أمر صعب.

وعلاقات طاجيكستان الخارجية غير مستقرة برغم تلقي الحكومة الطاجيكية دعما من حكومات روسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وأوزبكستان ضد المعارضة الإسلامية مثل حزب التحرير، ولاختراق بعض الجماعات الإسلامية للحدود الطاجيكية-الأوزبكية المشتركة والعمل من خلال أراضي أوزبكستان ضد حكومة طاجيكستان، فقد أغلقت أوزبكستان الحدود المشتركة مع طاجيكستان، وزرعت ألغاماً أرضية علي طول الحدود معها.

وترتب علي ضعف تحديد الحدود السياسية في الحقبة السوفيتية درجات عالية من التوتر بين طاجيكستان وأوزبكستان وقيرغيزستان ، والكثير من ذلك النزاع متركز في وادي فرغانه حيث تتنازع الدول الثلاث بشأن الحدود. وشهدت المنطقة العديد من القلاقل الأمنية ، خاصة في منطقة الحدود القيرغيزية - الطاجيكية المشتركة. واتفقت كل من طاجيكستان وأوزبكستان علي نحو ٨٦% من الحدود المشتركة بينهما ، ولكن أي ترسيم إضافي في هذا الحد سوف يكون شديد التعقيد.

والنزاع بشأن الحدود مع الصين تم حله عام ٢٠٠٢ ، عندما تم الاتفاق علي الحد بين الدولتين وهذا تطور إيجابي لأن ذلك الحد هو الطريق الجديد البديل لحركة الترانزيت لطاجيكستان في المستقبل.

وبرغم أن علاقة طاجيكستان مع روسيا علاقة حميمة ، إلا أنها أصبحت أكثر تعقيداً بسبب:

١- فتح طاجيكستان لأجوائها أمام الولايات المتحدة وقواتها الجوية العاملة في أفغانستان.

٢- العدد الكبير من المهاجرين غير الشرعيين من الطاجيك إلي روسيا وقيام روسيا بترحيلهم. أما عن المنظمات الإقليمية فلم تسهم في تحسين بنية المرور العابر.

وخلال الحقبة السوفيتية لم تكن هناك صعوبة في المرور من جمهورية لأخرى في الاتحاد السوفيتي عامة، وكان من السهل التنقل بين طاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وأوزبكستان، فقد كان ذلك يخلو من التعقيدات الإدارية، وكانت تمنح الفيزا الحرة لمدة ٧٢ ساعة حتى أواخر التسعينيات، لتسمح بالمرور دون الحاجة الى تأشيرة، ولكن ذلك لم يعد سارياً للفقر وسوء العلاقات بين دول المنطقة.

(٣) الموقع بالنسبة لدول الجوار

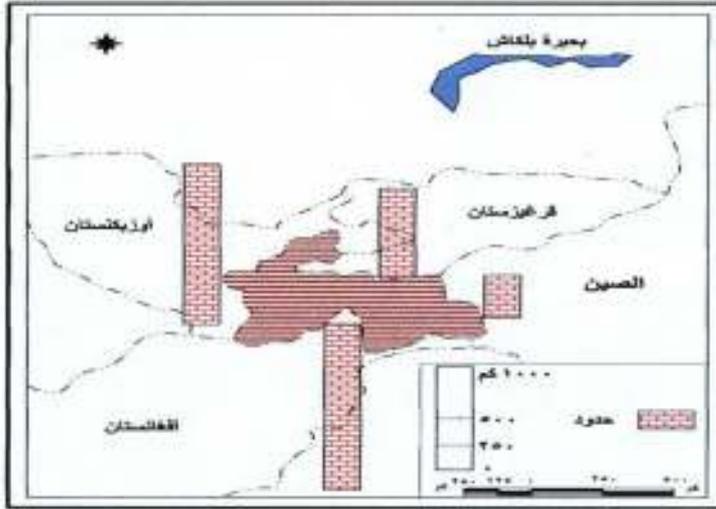
يقصد به موقع الدولة بالنسبة للدول المجاورة لها مباشرة أي التي تشترك معها في الحدود السياسية. والغرض من دراسة الموقع المجاور هو التعرف علي طبيعة العلاقات التي يمكن أن تربط بين الدولة وجاراتها داخل حيز مكاني مشترك، وذلك علي أساس أن هذا النمط من العلاقات له أهمية خاصة في حياة الدول، لأنه يمس مساً مباشراً حاجة الدول الأساسية إلي تأمين سلامة أراضيها ووحدة ترابها.

ويشترك مع طاجيكستان في الحدود أربع دول يمكن تتبعهم مع عقارب الساعة كالتالي: قيرغيزستان من الشمال الشرقي والصين من الشرق وأفغانستان من الجنوب وأوزبكستان من الغرب والشمال الغربي. ويبلغ إجمالي طول الحدود السياسية لدولة طاجيكستان ٣٦٥١ كم، وتلك الحدود السياسية موزعة كما يتضح من الجدول (٧) والشكل (٢٢).

جدول (٧) الجوار الجغرافي للحدود السياسية لطاجيكستان

الدول المشتركة في الحد مع طاجيكستان	طول الحد المشترك كم	% من طول حدود طاجيكستان
الصين	٤١٤	١١,٤
قيرغيزستان	٨٧٠	٢٣,٨
أوزبكستان	١١٦١	٣١,٨
أفغانستان	١٢٠٦	٣٣,٠
الإجمالي	٣٦٥١	١٠٠,٠٠

Source: Library of Congress , Country Profile, Tajikistan, Federal Research Division, 2005, p,3



شكل (٢٢) موقع الجوار لدولة طاجيكستان وأطوال حدودها

تعد أفغانستان صاحبة أطول حدود سياسية مشتركة مع طاجيكستان، ويشكل الحد المشترك بين الدولتين حوالى ثلث الطول الإجمالي لحدود طاجيكستان، وتليها مباشرة أوزبكستان التي تشارك طاجيكستان في نحو ٣٢% من الطول الإجمالي لحدود الأخيرة، وتأتى في الترتيب الثالث قيرغيزستان بحوالى ٢٤% من الطول الإجمالي لحدود طاجيكستان، وأخيراً الصين التي تشارك طاجيكستان في ١١% من حدودها.

ويبلغ الطول المثالي النظري للحدود السياسية لدولة طاجيكستان - علي افتراض اتخاذها الشكل الدائري المثالي- ١٣٤٠,٢ كم، أي أن الحدود الفعلية تعادل مثلي وسبع أعشار مثل الحدود النظرية ، وهو ما يعني أعباء أمنية ودفاعية اضافية نتيجة انحراف شكل الدولة عن الشكل الدائري.

وكلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما كلما زادت الأعباء الملقاة علي عاتق هذه الدولة لقاء تحملها مسئولية إدارة شئون الجوار ، كما أن ذلك يحمل على الجانب الآخر فرصاً أكبر للتعاون ، ونظرياً فإن عدد دول الجوار لطاجيكستان قليل بالمقارنة بدول أخرى، ولكنها من الناحية الواقعية من أكثر دول ما بعد الاتحاد السوفيتي تأزماً من حيث العلاقة مع دول الجوار الجغرافي . فعلي حدودها الشرقية يقع إقليم " سنكيانج" الصيني ذي الأغلبية المسلمة والذي طالما تطلع شعبة للاستقلال عن الصين.

كما أن لها حدود طويلة مع أفغانستان التي تشهد وضعاً غير مستقر منذ الثمانينيات من القرن العشرين منذ انتصار المجاهدين الأفغان علي الاتحاد السوفيتي السابق وصمودهم أمام قوة الروس ، ومروراً ببروز الأصولية الإسلامية علي يد طالبان وأخيراً التواجد الأمريكي في أفغانستان بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وينسحب الموقع بالنسبة للدول الأخرى إلى الموقع من مراكز القوي العالمية أو الدول الكبيرة ذات القدرات العسكرية المتميزة ومنها مثلاً الولايات المتحدة الأمريكية - روسيا - الصين فمن المعروف أن للقوي الكبرى آثاراً علي ما يحيط بها من دول أخرى.

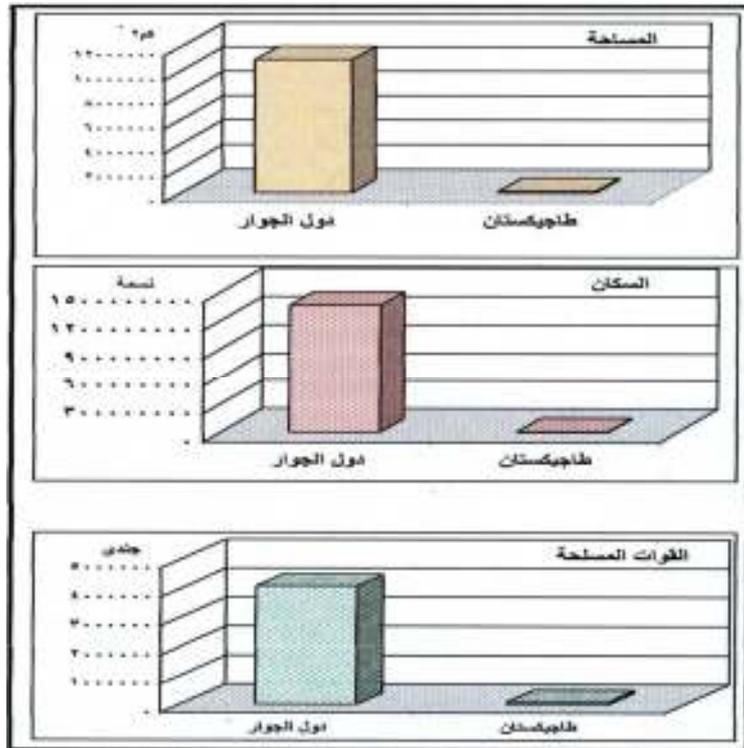
وهذا ما نلاحظه في موقع طاجيكستان حيث تجاورها الصين من الشرق وتقع روسيا قريباً منها ، كما أصبح لطاجيكستان جوار غير مباشر مع الولايات المتحدة وذلك إذا وضعنا في اعتبارنا التواجد الأمريكي في أفغانستان منذ أحداث ١١ سبتمبر، بل أصبح للولايات المتحدة الأمريكية قواعد عسكرية في طاجيكستان وبقية دول آسيا الوسطي وهو ما شكل أول اختراق عسكري للمنطقة Eland, I., (2003, P.3).

وهناك اعتبارات ومعايير جيوبوليتيكية أخرى قد تكون خير معين في توضيح أبعاد التأثير الجيوبوليتيكي لموقع طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار ويوضحها الجدول (٨) والشكل (٢٣).

جدول (٨) معايير الانحدار الجيوبوليتيكي بين طاجيكستان ودول الجوار

النسبة بين طاجيكستان ودول الجوار	اجمالي دول الجوار لطاجيكستان	طاجيكستان	المعيار
٧٦-١	١٠٨٩٠٣٦٠	١٤٣١٠٠	المساحة (كم)
١٩٠-١	١٣٥٨٢٠٠٠٠٠	٧١٦٣٥٠٦	السكان (نسمه)
٤٧-١	٤٠٩٠٠٠٠	٨٨٠٠٠	القوات المسلحة (جندى)

Source: C.I.A., The world fact Book , 2005.



شكل (٢٣) معايير الانحدار الجيوبوليتيكي بين طاجيكستان ودول الجوار

ويتضح من الجدول والشكل أن معيار مساحة طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١ : ٧٦ ، ومعيار سكان طاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١ : ١٩٠ ، ومعيار القوة العسكرية لطاجيكستان بالنسبة لدول الجوار هو ١ : ٤٧ ، وهذا يوضح لنا اختلال التوازن الجيوبولتيكي " المساحي، السكاني، العسكري " بين طاجيكستان ودول الجوار.

(٤) الموقع الاستراتيجي

تقع طاجيكستان ودول آسيا الوسطي في قلب آسيا ، وتحتل بذلك موقعاً استراتيجياً مؤثراً ، جعلها تشغل جانب كبير من الفكر الجيوبولتيكي العالمي ابتداء من هالفورد ماكيندر في نظريه قلب الأرض عام ١٩٠٤ ، ومروراً بجيمس فيرجريف في نظريه منطقة الارتطام عام ١٩٥١ وحتى سبيكمان في نظريه نطاق الحافة عام ١٩٤٤ .

وهذه المنطقة هي ملتقى خطوط تماس جغرافية واستراتيجية كثيرة، أو كما شبهها جوند فرانك أنها ثقباً أسود في منتصف الفضاء الكوني يمتص ويجمع طاقات منبثقة من أركان العالم المختلفة (Andre Gunder Frank., 1992, P.1).

وفي الحقبة السوفيتية كان لموقع طاجيكستان أهمية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفيتي السابق من الناحية الاستراتيجية ، حيث كانت طاجيكستان أهم جمهوريات وسط آسيا السوفيتية الخمس من الناحية الاستراتيجية ، حيث مثلت هذه المنطقة مفتاحاً استراتيجياً وبوابة توصلهم إلى الهند وأفغانستان (خليل عبد المجيد أبو زيادة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٩٠).

كما كان لطاجيكستان أهمية عسكرية كبيرة بالنسبة للاتحاد السوفيتي وذلك لموقعها الجغرافي علي ما يسمي بخصرها الضعيف متمثلاً في المنطقة الجنوبية من الاتحاد السوفيتي ، كما أن طاجيكستان تحتوي علي ثلث احتياطي اليورانيوم الخصب الذي يعتبر أفضل الأنواع لصناعة الأسلحة النووية (فهد العصيمي ، ١٩٩٣ ، ص ١٣).

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ لم تقل أهمية طاجيكستان الاستراتيجية بالنسبة لوريثة الاتحاد السوفيتي وهي روسيا ، حيث تعتبر روسيا حدود طاجيكستان هي حدودها والدليل علي ذلك هو ما أعلنه يلتسن في أغسطس عام ١٩٩٣ بعد شهرين من توقيع معاهدة التعاون العسكري بين روسيا وطاجيكستان حيث ذكر أنه يجب أن يفهم الجميع أن حدود طاجيكستان هي بالفعل حدود لروسيا بل إن الروس يعتبرون هذه المنطقة امتداد لمجالهم الحيوي وحق مكتسب لهم (Dilip Hiro., 1995, P.15).

ولذلك فلا عجب أن يشهد الكرملين منذ التسعينات من القرن الماضي محاولة إعادة وبعث نظرية قلب العالم ، ويري بعض أنصار هذه النظرية اتخاذ قلب اليابسة الأورو آسيوي كنقطة انطلاق جغرافية لحركة عالمية معادية للغرب هدفها النهائي هو طرد النفوذ الأطلنطي وتحديداً الأمريكي من أوراسيا (ماهر حمدي عيش، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٦-٢٣٧).

كما تشكل طاجيكستان ومنطقة آسيا الوسطي موقعاً استراتيجياً هاماً في الفكر الجيوبوليتيكي الأمريكي . فمنذ تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ تحاول الولايات المتحدة التغلغل في هذه المنطقة وذلك لإقامة قواعد لها لتكون قريبة من الصين و روسيا وإيران (لظفي السيد الشيخ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٧).

وليس أفضل من منطقة وسط آسيا- منطقة قلب الأرض - كمكان مناسب تضع فيها الولايات المتحدة دعائمها وتثبت أقدامها وتبني تحصيناتها ولعل هذا ما دفعها للاستيلاء على أفغانستان تحت زعم الحرب ضد الإرهاب ، فأفغانستان من وجهة النظر الأمريكية تعتبر مدخلاً لآسيا الوسطى (أحمد ثابت ، ٢٠٠٢ ، ص ١٣).

الاهمية الجيوبولتيكية لمنطقة الكوميسا بالنسبة لمصر*

المقدمة:

اتجهت العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد فشل نظرية توازن القوى، واندلاع الحرب العالمية الأولى، نحو نمط جديد من التنظيم الدولي القائم على تفعيل العلاقات البينية، وإيجاد القواسم المشتركة التي تلتقي عليها الوحدات السياسية، بهدف إشباع حاجات مواطنيها وتأمين مصالحها الحيوية، وهذا ما اصطلح عليه علماء العلاقات الدولية بالتكامل الدولي (عامر مصباح، 2008، ص07).

وتسعى بعض الدول ذات الظروف الاقتصادية المتشابهة والموقع الجغرافي المتجاور إلى تأسيس تجمعات اقتصادية، وذلك لتحقيق التكامل الاقتصادي - ومن ثم السياسي- فيما بينها، لتحقيق سوية ما تعجز عن تحقيقه منفردة، مستفيدة من مزايا التخصص الإنتاجي والسوق الواسعة والإنتاج الكبير، فضلا عما تجنيه من قدرة تفاوضية أكبر في مواجهة التكتلات الاقتصادية - وربما السياسية- الدولية. وإذا كانت هذه التجمعات اقتصادية في ظاهرها، فهي إلى حد ما سياسية، ذلك لأنها تأسست بقرار سياسي، وهدفها - بدرجة أو بأخرى- تحقيق أغراض سياسية (Pounds, N.,1972, p 347).

وتلعب التكتلات الاقتصادية الإقليمية دورا أساسيا في تحقيق الأهداف والمصالح القومية لدول كل تكتل وتدعم تلك التكتلات الموقف التفاوضي مع الهيئات والمنظمات التجارية الدولية لتحقيق أقصى استفادة في ظل المتغيرات الاقتصادية الدولية التي تقرها الدول والتكتلات الغنية لتحقيق أهدافها .

* بحث للمؤلف، منشور ضمن بحوث المؤتمر الجغرافي الدولي الثاني (التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الإمكانيات وطموحات الشعوب) والمنعقد بجامعة الدول العربية كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، من ٢- ٤ فبراير ٢٠١٩.

ويمكن حصر مستوى التكتلات في خمس صور وهي منطقة التجارة التفضيلية ومنطقة التجارة الحرة والاتحاد الجمركي والسوق المشتركة والوحدة الاقتصادية. ولمواجهة القوى الاقتصادية خارج قارة إفريقيا تضمنت خطة عمل لاجوس الصادرة من منظمة الوحدة الإفريقية ضرورة تحقق التكامل الاقتصادي بين دول الجوار الجغرافي ذات الظروف الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية المتشابهة لتكون في النهاية ما يسمى بالجماعة الاقتصادية الإفريقية. فكانت التجمعات الاقتصادية الإفريقية الهامة مثل (السادك و الايكواس والايماو والكوميسا) ومن ثم فان العلاقات الاقتصادية الإفريقية تتمثل في مساهمة مصر في تلك التجمعات الاقتصادية الإفريقية. لإقامة ترتيبات إقليمية، تعيد هيكلة العلاقات الدولية الاقتصادية؛ وذلك لحماية المكتسبات السياسية وتمهد للتوحد السياسي ومخرجا من الروابط غير السوية مع الدول الاستعمارية والاستعاضة عنها باعتماد جماعي على النفس (محمد محمود الإمام، ٢٠٠٤، ص ١١).

وتعد السوق المشتركة لدول شرق وجنوب أفريقيا (الكوميسا) Common Market For Eastern and Southern Africa من أهم أشكال التعاون الاقتصادي في القارة الأفريقية، وقد اتجهت الدول الإفريقية خلال الفترة الأخيرة إلى التعاون الاقتصادي بين دول القارة بدلاً من الصراع السياسي بين الدول، وقد انضمت مصر لتكتل (الكوميسا) في ٢٩ يونيو ١٩٩٨، وقد بدأ تنفيذ مبدأ المعاملة بالمثل من خلال الإعفاءات الجمركية في ١٧ فبراير ١٩٩٩.

تعد مجموعة " الكوميسا" واحدة من أنجح التكتلات الإقليمية في القارة الأفريقية، والتي تأسست في عام ١٩٩٤م، لتحل محل ما كان يعرف بمنطقة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا والتي

قامت في عام ١٩٨١م في إطار منظمة الوحدة الإفريقية (عبد العزيز، ٢٠٠١، ص ١٤).

ويأتي انضمام مصر إلى الكوميسا عام ١٩٩٨م (وزارة التجارة الخارجية، ٢٠٠٤، ص ١) من بين الأطر التي يتيحها موقعها البري عبر الدائرة الإفريقية، بهدف تدعيم القدرات الاقتصادية المصرية بالاستفادة من الحجم الكبير للأسواق المتبادلة للدول الأعضاء في هذا التكتل، إذ تعد مجموعة الكوميسا واحدة من أفضل التكتلات الاقتصادية الإفريقية.

وقد جاء انضمام مصر إلى الكوميسا نابعاً من إدراك عميق للأهمية الاستراتيجية للمحيط الجغرافي وعلاقات مصر مع دول حوض النيل، وحتمية التواجد المصري في التجمعات الإفريقية التي تضم هذه الدول، وبالأخص التجمعات الاقتصادية، حيث أن عضوية مصر في الكوميسا يتيح لها نطاقاً أرحب من الحركة في مجال فتح الأسواق، والحصول على مزايا نسبية جديدة.

أولاً: منظمة الكوميسا: النشأة والأهداف:

خلال القمة العاشرة لدول منطقة التجارة التفضيلية لشرق وجنوب أفريقيا في ٣١ يناير عام ١٩٩٢م تقرر تطوير المنطقة وتحويلها إلى سوق مشتركة لتكون بداية لتكوين جماعة اقتصادية وبذلك تأسست مرحلة السوق المشتركة لدول شرق وجنوب أفريقيا ودخلت حيز التنفيذ في ديسمبر ١٩٩٤م لتحل محل منطقة التفضيل التجاري لدول شرق وجنوب أفريقيا والتي أنشئت في عام ١٩٨١م وأثناء انعقاد المؤتمر الوزاري "للكوميسا" بالعاصمة المالايه ليلونجوي عام ١٩٩٤م تم التوقيع على نصوص الاتفاقية من قبل ٢٢ دولة: أنجولا، بروندي،

أثيوبيا، لوسوتو، مدغشقر، مالاوي، موزمبيق، ناميبيا، رواندا، سيشيل، السودان، سوازيلاند، أوغندا، تنزانيا، زامبيا، زيمبابوي، موريشيوس، جزر القمر، جيبوتي، الصومال، كينيا، والكونغو الديمقراطية (وزارة الخارجية، ١٩٩٨، ص ١).

ثم انسحبت دول وانضمت أخرى إلى ان وصل عدد الأعضاء ٢٠ دولة فانسحبت دول لوسوتو، موزمبيق، تنزانيا وناميبيا وانضمت إلى كتكتل آخر في أفريقيا. أما الصومال فقد انسحبت نتيجة للظروف السياسية والحرب الأهلية ولم يعد لديها مبادلات تجارية مع الدول الأعضاء، أما الدول التي انضمت فهي مصر، ليبيا واريتريا والأخيرة انضمت بعد استقلالها عن أثيوبيا.

وعن كيفية انضمام مصر انضمام مصر إلى كتكتل "الكوميسا"، فهي في البداية تقدمت للانضمام لمنطقة التجارة التفضيلية لدول شرق وجنوب أفريقيا عام ١٩٩٣م، ولم يتم الموافقة على انضمامها بسبب معارضة السودان نتيجة خلاف سياسي بينها وبين مصر في ذلك الوقت، بالإضافة إلى تحفظ بعض الدول الأعضاء الأخرى على انضمام مصر، وفي نوفمبر من العام ١٩٩٧م دعيت مصر للحضور كمراقب في الاجتماع الرابع لتكتل الكوميسا الذي عقد في مدينة لوساكا بزامبيا "١٩-٢٥ نوفمبر" وفيه وافق المجلس الوزاري لتكتل الكوميسا بالإجماع على انضمام مصر إلى التجمع. وفي اجتماع المجموعة في كينشاسا بالكونغو الديمقراطية عام ١٩٩٨م "في ٢٩ يونيو" أصبحت مصر عضوا كاملا في مقابل أن تتبنى برامج لتخفيض التعريفات الجمركية على السلع الواردة من الدول الأعضاء بالكوميسا ليصل إلى أقل تعريفه مطبقة في تلك الدول، وكذلك إزالة كافة الحواجز الجمركية خلال عام من تاريخ الانضمام تمشيا مع الإجراءات التي اتخذتها الدول

الأعضاء وفقا لنصوص الاتفاقية الخاصة بتكتل الكوميسا (وزارة الزراعة، ٢٠٠٠، ص٧).

وفي مؤتمر قمة "الكوميسا" الذي عقد في مدينة لوساكا عام ٢٠٠٠م " في ٣١ أكتوبر" أعلن عن قيام منطقة تجارة حرة بين دول التجمع في إطار معاهدة إنشاء السوق المشتركة، على أن تلتزم ثلاث عشر دولة بمنح الإعفاء الجمركي الكامل على تجارتها البينية وهي: مصر، كينيا، مالاوي، موريشيوس، السودان، زامبيا، زيمبابوي، جيبوتي، مدغشقر، رواندا، بورندي، ليبيا، جزر القمر. أيضا تلتزم أريتريا، أوغندا، أثيوبيا بتطبيق نسب متفاوتة للإعفاء الجمركي تصل إلى حد ٨٠% ولا تطبق كل من أنجولا، الكونغو الديمقراطية وسوازيلاند أي تخفيضات (وزارة التجارة والصناعة، ٢٠٠٦، ص ٣-٤).

هذا وقد أدى انضمام مصر لتكتل دول "الكوميسا" إلى ارتفاع قيمة التبادل التجاري بين مصر والتكتل، حيث بلغت قيمة صادرات مصر ١٧٥١ مليون دولار عام ٢٠١٦م، في حين بلغت ٥٣٢,٦ مليون دولار عام ٢٠٠٧ إلى مجموعة التكتل، أي بزيادة قدرها ٣٢٩% .

وباعتبار ان لكل تكتل اهداف فقد تحقق أهم أهداف تكتل "الكوميسا" في الوصول إلى تكامل اقتصادي وإنشاء منطقة تجارة حرة عام ٢٠٠٠، وأعقبه الوصول إلى إنشاء اتحاد جمركي عام ٢٠٠٤، إلى أن تم التوصل إلى تعريفه جمركية خارجية عام ٢٠٠٥. وتحوي الاتفاقية نصا على اقامة الوحدة الاقتصادية في القارة الأفريقية بحلول عام ٢٠٢٨م. أما باقي الأهداف فتتلخص في:

- التوصل إلى النمو المتواصل والتنمية المستدامة في الدول الأعضاء، وذلك عن طريق تشجيع هيكل إنتاج وتسويق متوازن ومتناسق.
- دفع عجلة التنمية المشتركة في كافة مجالات النشاط الاقتصادي وكذا التبني المشترك لسياسات الاقتصاد الكلي وبرامجه؛ وذلك لرفع مستويات المعيشة السكانية وتشجيع العلاقات الحميمة بين الدول الأعضاء.
- التعاون في خلق مناخ مواتي للاستثمار المحلي والأجنبي والعاير للحدود.
- التعاون في تعزيز العلاقات بين السوق المشتركة وبقية دول العالم.
- التعاون في مجال دفع مسيرة السلام والأمن والاستقرار بين الدول الأعضاء وذلك لتقوية أواصر التنمية الاقتصادية في المنطقة.

ثانيا: النقل الجيوستراتيجي لمنظمة الكوميسا:

١- الموقع والامتداد:

يقع اقليم "الكوميسا" بأكمله في القارة الأفريقية بين خطي عرض ١٢ ١٦ ٢٧ شمالا، ١٢ ٤٩ ٣٣ جنوبا أي يمتد في ٢٤ ٠٥ ٦١ دائرة عرضية، وهو ما يعني تنوع مناخي كبير بين دول الاقليم فيؤدي إلى تنوع في النبات الطبيعي والغابات وتنوع المحاصيل المزروعة، مما يثري الحركة التجارية لدول الاقليم ويكسبه ثقلا استراتيجيا. كما الاقليم بين خطي طول ٠٠ ٠١ ١٢ شرقا، ٢٤ ٢٩ ٤٩ شرقا.

ويحد الاقليم من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب دول جنوب أفريقيا وبتسوانا وناميبيا، ومن الغرب دول المغرب العربي وتشاد وأفريقيا الوسطى والمحيط الأطلنطي، وهو بذلك يقع على أبعاد بحرية طويلة تساعد على نجاح النقل البحري بين أرجاء الاقليم كما يتضح

من شكل (٢٤). كما يمثل الاقليم أهمية خاصة من الناحية الجيوبوليتيكية؛ لامتلاكه شواطئ على درجة عالية من الأهمية؛ تمتد من بورسعيد في مصر شمالا على البحر المتوسط مرورا بقتاة السويس والساحل الغربي للبحر الأحمر وخليج عدن، وشواطئ أفريقيا الشرقية على المحيط الهندي حتى جزيرة مدغشقر جنوبا. ومن ثم، يشغل إقليم الكوميسا حيزا هاما من سواحل أفريقيا الجنوبية والوسطى على المحيط الأطلنطي في كل من ناميبيا، وأنجولا، والكونغو الديمقراطية. هذه العوامل مثلت ميزه استراتيجية هامة تصارعت عليها القوى الكبرى عبر التاريخ خاصة في ظل الحرب الباردة، وباتت هذه المزايا في يد القوى الإقليمية الأفريقية.



شكل (٢٤) موقع دول الكوميسا

كما أن منطقة الكوميسا تضم بداخلها مجموعة من الاقاليم الاستراتيجية كما يتضح من جدول (٨) وشكل (٢٥) مثل منطقة القرن الأفريقي، التي يقع معظم دولها في منطقة الكوميسا، حيث تضم

منظمة الكوميسا (٦) دول تقع ضمن منطقة القرن الأفريقي وهي: اثيوبيا- اوغندا- جيبوتي- السودان- كينيا- اريتريا وبنسبة بلغت حوالي ٧٥% من دول القرن الأفريقي البالغ عددها (٩) دول. ويُعد القرن الإفريقي المنطقة الشرقية من إفريقيا والمتحكمة بمنابع النيل ومدخل البحر الأحمر الجنوبي وخليج عدن وباب المندب. ومن هنا تأتي أهميته الاستراتيجية والاقتصادية للوطن العربي عموماً - ولاسيما الدول التي يمر نفطها في هذه المنافذ البحرية- ولمصر بصفة خاصة.

جدول (٩) الكوميسا وتداخل المناطق الاستراتيجية

المواقع الاستراتيجية	من دول الكوميسا	خارج دول الكوميسا
منطقة القرن الافريقي	اثيوبيا- اوغندا- جيبوتي- السودان- كينيا- اريتريا	جنوب السودان- الصومال
منطقة حوض النيل	مصر- السودان- كينيا- اوغندا- الكونغو- رواندا- بوروندي- اثيوبيا- اريتريا	تنزانيا- جنوب السودان

المصدر: من اعداد الباحث



شكل (٢٥) الكوميسا وتداخل المناطق الاستراتيجية

وتحتل منطقة القرن الافريقي أهمية استراتيجية وجيوبولتيكية؛ ويؤكد ذلك التنافس الدولي والاقليمي للسيطرة على موارد هذه المنطقة من قبل القوى الحديثة مثل القوى الأمريكية، الفرنسية، الإسرائيلية، الصينية، التركية، والايرائية. وهو ما يمثل خطورة على أمن البحر الاحمر وباب المندب وهو عمق استراتيجي لمصر ومدخل رئيس للسفن التي تعبر قناة السويس؛ ولعل هذا ما يعكس الأهمية الكبيرة لمنطقة الكوميسا بالنسبة لمصر.

كذلك يقع غالبية دول حوض النيل ضمن منطقة الكوميسا، حيث تضم منظمة الكوميسا (٩) دول تقع ضمن حوض النيل وهي: مصر- السودان- كينيا- اوغندا- الكونغو- رواندا- بوروندي- اثيوبيا- وارتيريا بنسبة بلغت حوالي ٨٢% من دول حوض النيل البالغ عددها (١١)

دولة، وهو ما يعكس الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الكوميسا للأمن القومي المصري؛ باعتبار أن الأمن المائي جزء من الأمن القومي ولا ينفصل عنه.

٢- المساحة:

تحتل دول الكوميسا رقعة جغرافية واسعة النطاق تبلغ نحو ١٢,٤ مليون كم^٢، أي حوالي ٤١% من مساحة القارة الأفريقية. كما يتضح ذلك من جدول (١٠):

وتعد المساحة عنصرا من عناصر تقدير قوة الدولة. وتتأثر القيمة السياسية للدولة بالمساحة التي تشغلها ولا يمكن تصور عظمة أي دولة بعيدا عن كبر مساحتها فالدول الكبيرة فيها احتمالات أفضل لوجود اختلافات مناخية وكما أن سعة المساحة قد توفر إمكانات اقتصادية أفضل من الدول الصغيرة (محمد أزهر السماك، ص٩٦). فباتساع المساحة سيتنوع المناخ، وتنوع المناخ معناه تنوع الغلات الزراعية، كما أن اتساع المساحات قد يضم جيولوجيا متعددة. وما يتبعها من صخور مختلفة، ومعادن متنوعة (محمد عبد الغني سعودي، ٢٠٠٧، ص٣٠).

جدول (١٠) توزيع الحجم المساحي لدول الكوميسا

الدولة	المساحة كم ^٢	الدولة	المساحة كم ^٢
انجولا	١,٢٤٦,٧٠٠	موريشيوس	٢,٠٤٠
بوروندي	٢٧,٨٣٤	جزر القمر	١,٨٦٢
اثيوبيا	١,١٠٤,٣٠٠	جيبوتي	٢٣,٢٠٠
مدغشقر	٥٨٧,٠٤١	اريتريا	١١٧,٦٠٠
مالاوي	١١٨,٤٨٤	كينيا	٥٨٠,٣٧٠
رواندا	٢٦,٣٣٨	الكونغو الديمقراطية	٢,٣٤٤,٨٨٥
سيشيل	٤٥٤	مصر	١,١٠١,٤٤٩
السودان	١,٦١٦,٨٦١	ليبيا	١,٧٥٩,٥٤٠
سوازيلاند	١٧,٣٦٣	زامبيا	١١,٢٩٥
اوغندا	٢٤١,٠٣٨	زيمبابوي	٣٩٠,٧٥٩

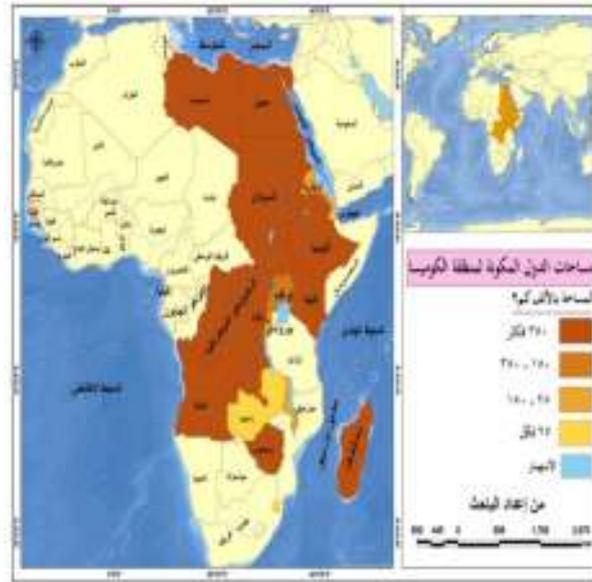
وإذا كان الكل يساوي مجموع أجزائه لذلك وجب معرفة مساحات الدول التي تكون منطقة الكوميسا، ويمكن تصنيف دول منطقة الكوميسا وفقا لمساحتها إلى عدة فئات اعتمادا على جدول (١٠) السابق وشكل (٢٦):

١- دول كبيرة: والتي تتراوح مساحتها بين ٢,٥ مليون كم٢ - ٣٥٠ ألف كم٢ وتضم هذه الفئة تسع دول هي " أنجولا- أثيوبيا- مدغشقر- السودان- زيمبابوي- كينيا- الكونغو- مصر- ليبيا" بنسبة ٤٥% من دول الكوميسا. وتأتي دولة الكونغو في المرتبة الاولى بين هذه الفئة بمساحة بلغت نحو

٢- دول متوسطة: تراوحت مساحتها بين ٣٥٠ ألف كم٢ - ١٥٠ ألف كم٢ وتضم دولة واحدة هي اوغندا.

٣- دول صغيرة: تراوحت مساحتها بين ١٥٠ ألف كم٢ - ٢٥ ألف كم٢ وتضم اربع دول هي " بوروندي- ملاوي- رواندا- اريتريا"

٤- دول صغيرة جدا: وهي الدول التي تقل مساحتها عن ٢٥ ألف كم٢ وتضم ست دول هي " سيشيل - سوازيلاند- زامبيا- موريشيوس- جزر القمر- جيبوتي".



شكل (٢٦) الحجم المساحي لدول الكوميسا

٣- الحجم السكاني:

يعد عدد سكان الدولة مقياسا لقوتها ووزنها السياسي الدولي والاقتصادي إذا توافرت المقومات الأخرى. وأيضا فعامل القوة النفسية له دور مهم في قوة الدولة، لأن عدد السكان يعني حيوية الدولة مما يوحي بالاطمئنان القومي ويبرز الشعور بالتفاؤل (Anwarul, 2006, p. 14). ويبلغ عدد سكان دول الكوميسا ٦٧٤,٣٤٣,٧٤٥ نسمة، واعتمادا على بيانات جدول (١١) وشكل (٢٧) يمكن تصنيف دول الكوميسا إلى:

١- دول كبيرة جدا: والتي تتراوح عدد سكانها بين ٥٠ - ١٠٠ مليون نسمة وتضم هذه الفئة أربع دول هي " أثيوبيا، مصر، الكونغو الديمقراطية، كينيا".

٢- دول كبيرة: والتي تتراوح عدد سكانها بين ٢٥ - ٥٠ مليون نسمة وتضم هذه الفئة أربع دول أيضا هي " السودان، أوغندا، أنجولا، مدغشقر".

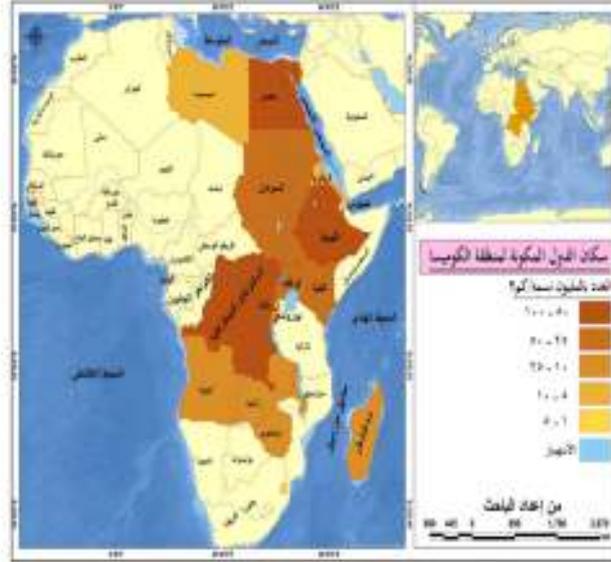
٣- دول متوسطة: والتي تتراوح عدد سكانها بين ١٠ - ٢٥ مليون نسمة وتضم هذه الفئة خمس دول هي " ملاوي، زامبيا، زيمبابوي، رواندا، بوروندي".

٤- دول صغيرة: والتي تتراوح عدد سكانها بين ٥ - ١٠ مليون نسمة وتضم هذه الفئة دولتين هما " ليبيا، اريتريا".

٥- دول صغيرة جدا: والتي تتراوح عدد سكانها بين ١ - ٥ مليون نسمة وتضم هذه الفئة خمس دول هي " سيشيل، سوازيلاند، موريشيوس، جزر القمر، جيبوتي".

جدول (١١) توزيع الحجم السكاني لدول الكوميسا

الدولة	عدد السكان نسمة	الدولة	عدد السكان نسمة
انجولا	٣١,٢٧٧,٦٠٥	موريشيوس	١,٢٦٩,٨٤٣
بوروندي	١١,٣٩٥,٠٩٧	جزر القمر	٨٤١,٥٩٤
اثيوبيا	١٠٨,٨٢٩,٧١٦	جيبوتي	٩٧٨,٥٣٦
مدغشقر	٢٦,٦١٤,٤٨٦	اريتريا	٥,٢٤٨,٥٦٠
مالاوي	١٩,٤٤٠,٢٣٨	كينيا	٥١,٥٨٠,٠٩٩
رواندا	١٢,٦٤٧,١٨٦	الكونغو الديمقراطية	٨٥,٣٥٧,٨٧٧
سيشيل	٩٥,٤٦٩	مصر	١٠٠,٢٦٩,٨٥١
السودان	٤٢,٠١٠,٦٩٦	ليبيا	٦,٥٢٠,٣١٢
سوازيلاند	١,٤٠٣,٣٦٩	زامبيا	١٧,٨٧١,٧٨٨
اوغندا	٤٤,٩٨٦,٧١٣	زيمبابوي	١٧,١٠٤,٦٣٩



شكل (٢٧) الحجم السكاني لدول الكوميسا

٤- التجارة الخارجية لدول الكوميسا:

تعد التجارة الخارجية من العوامل المهمة التي تؤثر على السلوك السياسي للدول، كما تمثل مؤشرا يعتد به لقياس قوتها، فلا شك أن النظم التجارية تتأثر إلى حد كبير بالعوامل السياسية، الأمر الذي يجعل من التجارة الدولية مجالا مهما للدراسات الجغرافية السياسية، حيث يمكن تناول المغزى السياسي لهذه التجارة، سواء على مستوى دولة واحدة، أو اتحاد اقتصادي مكون من عدة دول، ففي الحقيقة يصعب وجود تجارة خارجية لا تتأثر بالعوامل السياسية (Muir, R., 1984, p162).

وعادة ما يتخذ حجم التجارة البينية بين دول التكتل أو التجمع الاقتصادي - مثل الكوميسا- كمؤشر لمدى قوة أو ضعف العلاقات بين هذه الدول. حيث يشير انخفاض مستوى التبادل التجاري إلى أنها لا

تحظى بالحد الأدنى من التماسك، الذي يمكنها من الحفاظ على وحدتها السياسية والاقتصادية (Pounds, op.cit, p305).

أ- التكتلات الأفريقية المتاحة لعلاقات مصر الاقتصادية والتجارية:

إن موقع مصر يتيح لها فرصا متعددة للارتباط بأكثر من مجال مكاني مقترح، كإطار للتعاون الاقتصادي بين التجمعات الإقليمية الأفريقية.

وهناك العديد من التكتلات الإقليمية التي تنتشر في ربوع القارة الإفريقية وهي ظاهرة تعد من أهم السمات التي يشهدها العالم في العصر الحالي (٥)، وتهدف هذه التكتلات إلى تعزيز العلاقات الأفريقية وتفعيل التبادل التجاري وكذا يهدف البعض منها إلى تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي وتركز تلك التكتلات والاتحادات جهودها على الاهتمام بالبنية التحتية والنهوض بالقطاع الخاص وعمليات التمويل والاهتمام بقضايا البيئة وغير ذلك من القضايا الإقليمية. وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض أشكال التعاون التي تجمع كافة دول القارة الإفريقية التي يبلغ عددها أربع وخمسون دولة، لذلك سوف يتم دراسة الأهمية النسبية للتجارة الخارجية الكلية بين مصر والتكتلات الاقتصادية في القارة الأفريقية، هذا ويلزم الإشارة إلى أن مصر عضو في تكتل كل من الكوميسا، والساحل والصحراء (سين وصاد) فقط.

هذا وتشير البيانات الموضحة بالجدول رقم (١٢) إلى أن حجم التجارة الخارجية المصرية لتكتل الكوميسا استحوذ على نحو ٢٧٤٦,٦ مليون دولار بما يمثل حوالي ٢٠,٩% من إجمالي حجم التجارة الخارجية المصرية للتكتلات داخل القارة الإفريقية كمتوسط للفترة (٢٠١٢-٢٠١٦)، يليها تكتلات كل من الساحل والصحراء والاتحاد المغربي حيث بلغ حجم التجارة الخارجية المصرية لهما نحو

٢٦١٨,٣ ، ٢٥٦٢,٩ مليون دولار، بما يمثل نحو: ٢٠% ، ١٩,٥% على الترتيب، أما بقية التكتلات فإن حجم التجارة المصرية لها بلغ حوالى ٥١٩٣,٦ مليون دولار تمثل نحو ٣٩,٦% من إجمالي حجم التجارة الخارجية المصرية للتكتلات داخل القارة الأفريقية كمتوسط للفترة (٢٠١٢-٢٠١٦).

ويتضح مما سبق ان الكوميسا تعد من أهم التكتلات في القارة الأفريقية التي تتعامل معها مصر من حيث الأهمية النسبية للتجارة الخارجية.

جدول (١٢) الأهمية النسبية للتجارة الخارجية الكلية بين مصر وأهم التكتلات الاقتصادية في القارة الأفريقية ٢٠١٦

(القيمة بالمليون دولار)

البيان	الواردات		الصادرات		قيمة التجارة %
	النسبة %	القيمة	النسبة %	القيمة	
الساحل والصحراء*	١٨,٨	٦٣٧,٩	٢٠,٤	١٩٨٠,٤	٢٠,٠
الاتحاد المغربى الكوميسا	١٩,٥	٦٦٢,٢	١٩,٦	١٩٠٠,٧	١٩,٥
ايك**	١٠,٤	٣٥٢,٣	٤,٠	٣٩٣,٢	٢٠,٩
السادك***	١١,٢	٣٨٠,٤	٦,٧	٦٥٢,٦	٥,٧
الساكو****	٢,٩	٩٨,٠	٦,٨	٦٦٥,٢	٧,٩
الايجاد*****	١٣,١	٤٤٤,٨	١٠,٦	١٠٣٢,٥	١١,٣
الايماو*****	٠,٩	٢٩,٣	٢,٤	٢٣١,٥	٢,٠
الإيكواس*****	١,٥	٤٩,٦	٣,٣	٣١٨,٠	٢,٨
السيماك*****	٠,٧	٢٤,٨	١,٩	١٨٠,٦	١,٦
الإيكاس*****	١,٦	٥٤,١	٢,٩	٢٨٦,٧	٢,٦
قيمة إجمالي التكتلات داخل القارة الأفريقية	١٠٠	٣٤٠١,٠	١٠٠	٩٧٢٠,٤	١٠٠

* الساحل والصحراء(السين والصاد) يشمل ٢٩ دولة ومن بينهما ٦ دول مشتركة مع الكوميسا وهى (ليبيا، السودان، اريتريا، مصر، كينيا، وجيبوتى).

** ايك تجمع شرق أفريقيا (EAC) .

*** السادك جماعة تنمية الجنوب الإفريقي.

****الساكو الاتحاد الجمركى للجنوب الإفريقي.

*****الايماو الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول غرب إفريقيا .

*****الإيكواس الجماعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا.

*****السيماك الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول وسط إفريقيا (CEMAC).

*****الإيكاس الجماعة الاقتصادية لدول وسط إفريقيا.

المصدر: الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، المركز القومى للمعلومات ، بيانات غير منشورة.

ب- حجم التجارة الخارجية المصرية مع الكوميسا:

١- الصادرات:

بتحليل الجدول (١٣) يتضح أن حركة الصادرات قد تزايدت من حوالي ٣٣١,٦ مليون جنية عام ١٩٩٣ إلى حوالي ١٣,٢ مليار جنية عام ٢٠١٥، مما يدل على زيادة الاهتمام المصري بالتصدير للدول الأفريقية. وقد تعرضت حركة الصادرات للعديد من التذبذبات والتي يمكن تتبعها كما يلي:

- الصادرات قبل انضمام مصر للكوميسا:

تمثلها السنوات من ١٩٩٣ - ١٩٩٨ وهي الفترة التي سبقت انضمام مصر للكوميسا، فقد بلغ إجمالي صادرات مصر إلى باقي دول الكوميسا ٣٣١,٦ مليون جنية عام ١٩٩٣ زادت إلى ٣٦١,٨ مليون جنية عام ١٩٩٨ بنسبة زيادة قدرها ٩,١%.

جدول (١٣) الصادرات والواردات المصرية قبل الانضمام للكوميسا

السنة	قيمة الصادرات بالألف جنية	قيمة الواردات بالألف جنية
١٩٩٣	٣٣١٥٧٩	٤٨٧٨٦٥
١٩٩٤	٢٦٢٨٧٤	٤٥٠٠١٣
١٩٩٥	٢٨٦٤٤٣,٢	٨١٠٧٥٨,٤
١٩٩٦	٢٦٧٢٢٢,٦	٧٠٨٤٠٥,٨
١٩٩٧	٣٦٠٨١١,٦	٧٢٥٣٣٢,٣
١٩٩٨	٣٦١٨٤٣	٧٣٠٦١٥,٦

من اعداد الباحث.

أما عن التوزيع الجغرافي للصادرات في هذه الفترة، فقد سيطرت عليه دول الجوار الجغرافي مثل ليبيا والسودان؛ ويرجع ذلك إلى قدرة الصادرات المصرية على الوصول لتلك الدولتين، حيث أن مشكلة النقل تعد من أكبر المشاكل التي تعترض طريق الصادرات لدول التكتل (محروس المعداوي،).

وتأتي ليبيا في المرتبة الأولى من حيث صادرات مصر إليها بقيمة ٢١٠,٤ مليون جنيه عام ١٩٩٣ بنسبة ٦٣,٥% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٢٥٤,٩ مليون جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة زيادة قدرها ٢١,١%. يليها دولة السودان في المرتبة الثانية بقيمة ١٠١,١ مليون جنيه عام ١٩٩٣ بنسبة ٣٠,٥% من إجمالي الصادرات، انخفضت إلى ٧١,٨ مليون جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة انخفاض قدرها ٢٩%.

وجاءت دولة مالاوي كأقل الدول من حيث صادرات مصر إليها بقيمة ٩ آلاف جنيه عام ١٩٩٣ زادت إلى ٣٦,٨ ألف جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة ٣٠٨,٩%. ولعل ذلك يرجع إلى طول المسافة بينها وبين مصر والتي تبلغ ٤٨٢٢ كم كما يتضح من الجدول (١٤) الذي يوضح توزيع أطوال المسافات بين مصر ودول الكوميسا.

جدول (١٤) توزيع أطوال المسافات بين مصر ودول الكوميسا

الدولة	المسافة كم
ليبيا	١٢١٣
السودان	١٦٢٤
أريتريا	٢٠٠٠
أثيوبيا	٢٤٤٠
جيبوتي	٢٤٥٢
أوغندا	٣٠٠١
كينيا	٣٢١١
رواندا	٣٤٨٠
الكونغو	٣٦٦٦
مالاوي	٤٨٢٢
زامبيا	٤٨٥١
زيمبابوي	٥٢٢٣
سوازيلاند	٦٠٠٠
متوسط باقي الدول	٤٩٣٣

- حسبت المسافات من نقطة الوسط الهندسي لكل دولة.

- الصادرات بعد انضمام مصر للكوميسا:

تمثلها السنوات من ١٩٩٩-٢٠١٥ وهي الفترة التي تلت انضمام مصر للكوميسا، ويمكن تقسيمها لمجموعة من المراحل وهي:
 - المرحلة الأولى: من عام ١٩٩٩-٢٠٠٤ وقد بلغ قيمة صادرات مصر لدول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ٢٧٤,٥ مليون جنيه عام ١٩٩٩ زادت إلى ١,٤ مليار جنيه عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة قدرها ٤٢١,٧%، وقد يعزى ذلك لدخول مصر اتفاقية الكوميسا عام ١٩٩٨.

جدول (١٥) الصادرات والواردات المصرية بعد الانضمام للكوميسا

السنة	قيمة الصادرات بالألف جنية	قيمة الواردات بالألف جنية
١٩٩٩	٢٧٤٥٤٨,٧	٦٧١٥٧٦,٧
٢٠٠٠	٣٩٣٧٢٢,٦	٨٢٧٢٠٣,٩
٢٠٠١	٤٥١٢٨١,٤	١٧٩٤٣٣٣٧
٢٠٠٢	٦٠٠٨٣٤,٧	١٥٥١٥٤٦
٢٠٠٣	١٤١٦٤٠٣,٨	١٣٤٤٦٤٧
٢٠٠٤	١٤٣٢٤٠٢,٤	١٢٣٤٨٩٩,٧
٢٠٠٥	٢٥٠٦٥١٠,١	١٧٢٨٦٧٢
٢٠٠٦	٢٥٤٥١٩٢,٦	١٣٧٥١٢٠
٢٠٠٧	٣٠٢٠٠٧٦,١	٢٠٥٠٠٣٩
٢٠٠٨	٨٩٤١٦٤٦,٣	٦٢٦٤١٢٣
٢٠٠٩	١٠٥٤٠٤٧٠,٤	٣٩٣٨٢٤٠,٤
٢٠١٠	١٣٧٠٣٨١٢,٩	٥٤٥٣٨٥٢,١
٢٠١١	٩٩٨٢٣٠٧,٨	٥٤٠٥٠٢٢,٥
٢٠١٢	١٥٧٤٩٤٧٨	٥٨١٤٥٥٦,٥
٢٠١٣	١٦٧٢٤٧٢٠,٧	٤٩٩٣٩٦٢,١
٢٠١٤	١٤٥٠٩٤٧٢,٧	٥١٥٦٠٠٨,٢
٢٠١٥	١٣٢٠٩٨٦٤	٤٥٤٥١٦٦,٥

وجاءت دولة ليبيا في المرتبة الأولى من حيث صادرات مصر اليها بقيمة ١٤٣ مليون جنية عام ١٩٩٩ بنسبة ٥٢,٢% من اجمالي الصادرات، زادت إلى ٤٤٠,٤ مليون جنية عام ٢٠٠٤ وبنسبة زيادة

قدرها ٢٠٧,٣% . تلتها دولة السودان في المرتبة الثانية بقيمة ٧٤,٤ مليون جنيه عام ١٩٩٩ بنسبة ٢٧,١% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٦١٥,١ مليون جنيه عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة قدرها ٧٢٧,٣%.

وجاءت دولة جزر القمر كأقل الدول من حيث صادرات مصر إليها في هذه المرحلة بقيمة ١٤١ ألف جنيه عام ١٩٩٩ بنسبة ٠,١% من إجمالي الصادرات المصرية زادت إلى مليون جنيه عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة ٦٢٤,٩%.

– المرحلة الثانية: من عام ٢٠٠٥-٢٠١٠ وقد بلغ قيمة صادرات مصر لدول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ٢,٥ مليار جنيه عام ٢٠٠٥، زادت إلى ١٣,٧ مليار جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة زيادة قدرها ٤٤٦,٧%.

في هذه المرحلة جاءت دولة السودان في المرتبة الأولى من حيث صادرات مصر إليها بقيمة ١,١ مليار جنيه عام ٢٠٠٥ بنسبة ٤٢,٨% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٣,٨ مليار جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة زيادة قدرها ٢٥٨,٨% . وتلتها دولة ليبيا في المرتبة الثانية بقيمة ٨٦٧,٢ مليون جنيه عام ٢٠٠٥ بنسبة ٣٤,٦% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٦,٩ مليار جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة زيادة قدرها ٦٩٠,٣%.

وجاءت دولة جزر القمر كأقل الدول من حيث صادرات مصر إليها في هذه المرحلة بقيمة ٥٠ ألف جنيه عام ٢٠٠٥ زادت إلى ٣,٥ مليون جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة زيادة ٦٧٩١%.

- المرحلة الثالثة: من عام ٢٠١١-٢٠١٥ وقد بلغ قيمة صادرات مصر لدول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ١٠ مليار جنيه عام ٢٠١١، زادت إلى ١٣,٢ مليار جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة زيادة قدرها ٣٢,٣%.

وجاءت دولة ليبيا في المرتبة الأولى من حيث صادرات مصر اليها بقيمة ٣,٣ مليار جنيه عام ٢٠١١ بنسبة ٣٣,٣% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٤,٤ مليار جنيه عام ٢٠١٥ وبنسبة زيادة قدرها ٣١,٨%. تلتها دولة السودان في المرتبة الثانية بقيمة ٣,٢ مليار جنيه عام ٢٠١١ بنسبة ٣٢,١% من إجمالي الصادرات، زادت إلى ٤,٢ مليار جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة زيادة قدرها ٣١%.

وجاءت أيضا دولة جزر القمر كأقل الدول من حيث صادرات مصر اليها في هذه المرحلة بقيمة ٦٦٣,٥ ألف جنيه عام ٢٠١١ زادت إلى ٥,٥ مليون جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة زيادة ٧٢٦%.

١- الواردات:

- الواردات قبل انضمام مصر للكوميسا:

بتحليل الجدول (١٤) السابق يتضح أن إجمالي الواردات المصرية من دول الكوميسا بلغ ٤٨٧,٩ مليون جنيه عام ١٩٩٣ زادت إلى ٧٣٠,٦ مليون جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة ٤٩,٨%.

أما عن التوزيع الجغرافي للواردات في هذه الفترة، فقد جاءت دولة كينيا كأعلى الدول المصدرة لمصر بقيمة ١٧٣,٦ مليون جنيه عام ١٩٩٣ بنسبة ٣٥,٦% من إجمالي الواردات، زادت إلى ٢١٦,٤ مليون جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة زيادة ٢٤,٧%. تلتها دولة ليبيا في

المرتبة الثانية بقيمة ١٧٠,٢ مليون جنيه عام ١٩٩٣ بنسبة ٣٤,٩% من اجمالي الواردات، زادت إلى ٣٠٧,٧ مليون جنيه عام ١٩٩٨ بنسبة زيادة قدرها ٨٠,٧%.

وجاءت دولة رواندا في المرتبة الأخيرة للواردات بقيمة ٤ آلاف جنيه عام ١٩٩٣ زادت إلى ٣٧٢ ألف جنيه عام ١٩٩٨.

- الواردات بعد انضمام مصر للكوميسا:

تمثلها السنوات من ١٩٩٩- ٢٠١٥ وهي الفترة التي تلت انضمام مصر للكوميسا، ويمكن تقسيمها لمجموعة من المراحل وهي:

- المرحلة الأولى: من عام ١٩٩٩-٢٠٠٤ وقد بلغ قيمة واردات مصر من دول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ٦٧١,٦ مليون جنيه عام ١٩٩٩ زادت إلى ١,٢ مليار جنيه عام ٢٠٠٤ بنسبة زيادة قدرها ٨٣,٩%.

أما عن التوزيع الجغرافي للواردات في هذه المرحلة فقد جاءت دولة كينيا أيضا في المرتبة الأولى من حيث الواردات لمصر بقيمة ٢,٧ مليار جنيه عام ١٩٩٩ بنسبة ٤٠,١% من اجمالي الواردات، انخفضت إلى ١٥,١ مليون جنية عام ٢٠٠٤ بنسبة انخفاض قدرها ٩٤,٤%. وتأتي دولة ليبيا في المرتبة الثانية بقيمة ١٩٥,٦ مليون جنيه عام ١٩٩٩ بنسبة ٢٩,١% من اجمالي الواردات، زادت إلى ٢٧٤,١ مليون جنيه عام ٢٠٠٤ بنسبة ٤٠,١%.

وجاءت دولة جيبوتي في المرتبة الأخيرة للواردات بقيمة ٦ آلاف جنيه عام ١٩٩٩ زادت إلى ٦,١ مليون جنيه عام ٢٠٠٤.

- المرحلة الثانية: من عام ٢٠٠٥-٢٠١٠ وقد بلغ قيمة واردات مصر من دول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ١,٧ مليار جنيه عام ٢٠٠٥، زادت إلى ٥,٥ مليار جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة زيادة قدرها ٢١٥,٥%.

في هذه المرحلة جاءت دولة ليبيا في المرتبة الأولى من حيث الواردات لمصر بقيمة ٦٩٠,١ مليون جنيه عام ٢٠٠٥ بنسبة ٣٩,٣% من اجمالي الواردات، زادت إلى ١,٩ مليار جنية عام ٢٠١٠ وبنسبة زيادة قدرها ١٧٥,٩%. وتلتها دولة السودان في المرتبة الثانية بقيمة ٣٧٤,١ مليون جنيه عام ٢٠٠٥ بنسبة ٢١,٦% من اجمالي الواردات، انخفضت إلى ٢٣٤,٩ مليون جنيه عام ٢٠١٠ بنسبة ٣٧,٢%.

وجاءت دولة أريتريا في المرتبة الأخيرة بقيمة ٢٩٣ ألف جنيه عام ٢٠٠٥ بنسبة ٠,٢% من اجمالي الواردات، زادت إلى ١١,٢ مليون جنيه عام ٢٠١٠.

- المرحلة الثالثة: من عام ٢٠١١-٢٠١٥ وقد بلغ قيمة الواردات لمصر من دول الكوميسا في بداية المرحلة نحو ٥,٤ مليار جنيه عام ٢٠١١، انخفضت إلى ٤,٥ مليار جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة انخفاض ١٥,٩%.

وجاءت دولة زامبيا في المرتبة الأولى للواردات لمصر بقيمة ٢,١ مليار جنيه عام ٢٠١١ بنسبة ٣٨,٩% من اجمالي الواردات، انخفضت إلى ٨٨٤,٨ مليون جنية عام ٢٠١٥ وبنسبة ٥٧,٩%. تلتها دولة كينيا في المرتبة الثانية بقيمة ٢ مليار جنيه عام ٢٠١١

بنسبة ٣٧,٢% من اجمالي الواردات، زادت إلى ٢,١ مليار جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة ٤,٥%.

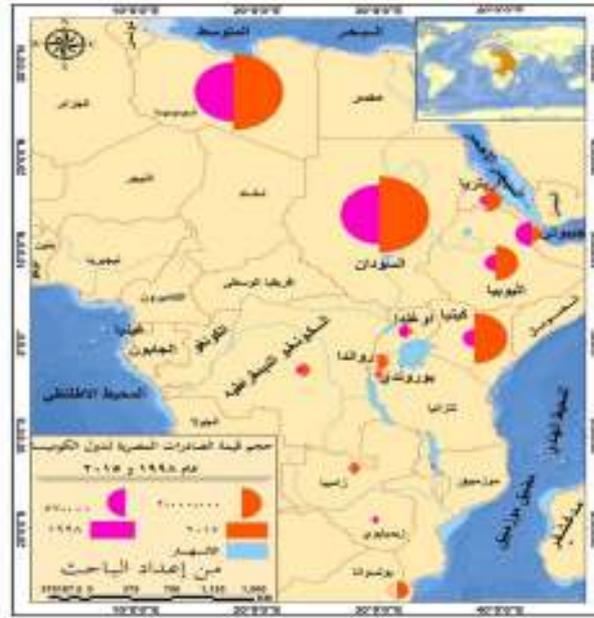
وجاءت دولة سيشل في المرتبة الأخيرة بقيمة ١١٤,١ ألف جنيه عام ٢٠١١ زادت إلى ٤٥٤,٢ مليون جنيه عام ٢٠١٥ بنسبة ٢٩٨,١%.

ومن خلال العرض السابق نلاحظ أن تجارة مصر الخارجية مع دول الكوميسا قد تطورت تطورا ملحوظا وإن اختلفت قيمتها قبل انضمام مصر للكوميسا وبعده كما يتضح من جدول (١٦)، والذي يوضح حجم التجارة الخارجية لمصر مع دول الكوميسا عام ١٩٩٨، وعام ٢٠١٥ م.

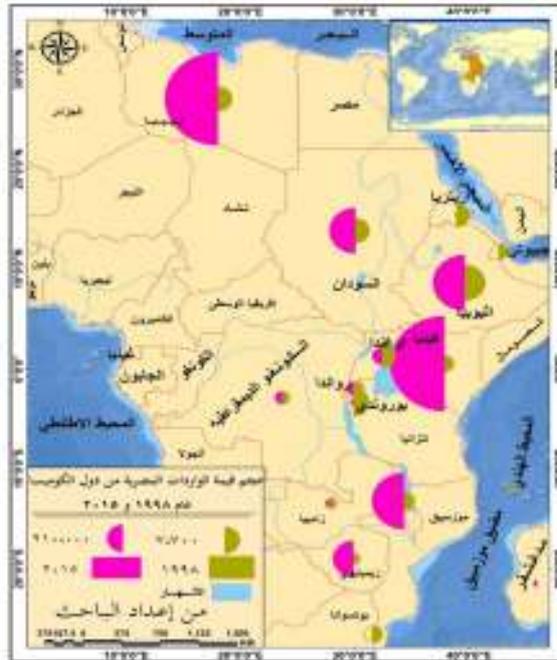
جدول (١٦) توزيع قيمة الصادرات والواردات المصرية لدول الكوميسا
خلال عامي ١٩٩٨، ٢٠١٥ (القيمة بالألف جنية)

الدولة	١٩٩٨		٢٠١٥	
	صادرات	واردات	صادرات	واردات
السودان	٧١٨٢٦,٣	٥٠٢٦٠	٤١٩٦٨١٦,٥	١٤٠٤٩٩,٣
ليبيا	٢٥٤٨٧٦,٢	٣٠٧٦٧٧,٤	٤٣٧٦٣٣٧,٣	٧٥٣٥٢٠,٧
اثيوبيا	٥٦٠٦,٦	٧٤٥٣٣,٩	٨٦٤٢١١,٩	٢٥٨٠٩٦,٩
أوغندا	٣٨٨٤,٢	٧١٤,١	٣٧٨٠,٢١	١١٥٦٢,٥
الكونغو الديمقراطية	١٥١٩,٩	٤٠٨,٥	١٢٢٦٢١,٥	١٧٦٦٧٨
زيمبابوي	١١٦٩,٤	٣٠٩٩,٥	٩٥٢٥٤	١٥١٢,٦
زامبيا	٤٩٢,٢	١٤٥,٣	١٠٧٦٧٩,٩	٨٨٤٨٣٠,٨
مدغشقر	٥٤٦,٨	١١٨,٣	—	—
كينيا	٦٢٤٢,٨	٢١٦٤٢٢,٥	١٨٦٢٥٥٦,٤	٢٠٩٩٤٤١,٧
مالاوي	٣٦,٨	٧٦٠٩٩,١	٢٣٦٢٢,٨	١٠٢٣١٨,٢
سوازيلاند	١٤,٧	—	٢٢٩٩٣٥,٥	٤٤٣,٧
بوروندي	٣٦٠,٩	٨٦,٧	٥١٠٥١,١	١٩١٢,٢
جيبوتي	١٢٤٤٤,٥	١,٥	١٧١٦٤٨,١	٤٩٢٢١,٤
موريشيوس	٥٣٩,٩	٥٤٤,٥	١٤٦٤٧٤,٤	١٧٨٨٦,٦
أريتريا	٢١٨٥,٤	١٣,٩	٣٨٠٦٤٣,٨	٤٣١٩٢,١
رواندا	٩٦,٤	٣٧٢,١	١٧١٣٥١,٣	٧٧٩,٧
سيشيل	—	١١٨,٣	٢٦١٥٦,٨	—
جزر القمر	—	—	٥٤٨١,٤	٣٢٧٠,١

* من إعداد الباحث اعتمادا على: الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء، النشرة السنوية للتجارة الخارجية، أعداد مختلفة.



شكل (٢٨) حجم الصادرات المصرية للكوميسا عامي ١٩٩٨ و ٢٠١٥ م



شكل (٢٩) حجم الواردات المصرية للكوميسا عامي ١٩٩٨ و ٢٠١٥ م

الخاتمة

تمثل منطقة الكوميسا أهمية خاصة لمصر من الناحية الجيوبولتيكية؛ حيث أنها تتمتع بموقع جغرافي متميز؛ حيث إنها تجاور مناطق ذات أهمية مثل العالم العربي، ومنطقة القرن الأفريقي، ودول حوض النيل، أي أنها بمثابة حزام يحيط بمصر، ولعل هذا يستوجب دعم العلاقات بين مصر ودول الكوميسا في كل المجالات.

وفي ضوء ذلك فإنه يمكن التوصية بالآتي:

١- الاهتمام بتوفير وسائل نقل جيدة وتطوير الوسائل الموجودة بين مصر وكل دولة من دول الكوميسا لزيادة الصادرات المصرية لتلك الأسواق. نظراً لوجود تأثير عكسي للمسافة على حجم الصادرات المصرية الزراعية لتلك الأسواق.

٢- إنشاء شبكة للسكك الحديدية تربط الشرق الأفريقي وتسهل الاتصال بين دول الكوميسا.

٣- دراسة متطلبات اسواق الكوميسا والاهتمام بجودة صادرات مصر الى تلك الاسواق حيث ان بارتفاع الدخل الفردي في هذه الدول يقل الطلب على الصادرات المصرية، وهذا مؤشر يعكس عدم جودة تلك السلع والمنتجات المصرية في اسواق الكوميسا، لزيادة الصادرات الزراعية لدول الكوميسا خاصة التي تتمتع مصر فيها بميزة نسبية وتنافسية عالية.

٤- العمل على فتح أسواق جديدة للمنتجات المصرية والحفاظ على الأسواق الموجودة بالفعل، حيث تتركز صادرات مصر الزراعية في عدد محدود من تكتل الكوميسا.

٥- زيادة حجم الاستثمارات الزراعية بين مصر ودول الكوميسا من خلال إقامة مشروعات خاصة وتعزيز دور القطاع الخاص في الدول الإفريقية وتبادل الخبرات بين دول القارة عامة، ودول التكتل خاصة.

٦- استخدام أساليب الدبلوماسية الناعمة، مثل مساعدة مصر في إنقاذ المواطنين الإثيوبيين المختطفين في ليبيا واستقبالهم لهم في مطار القاهرة من قبل الرئيس المصري. كذلك تنظيم مصر بالتعاون مع الوكالة الإقليمية للاستثمار التابعة لمنظمة الكوميسا، مؤتمر "إفريقيا ٢٠١٨" تحت عنوان " تعزيز الاستثمارات البينية الأفريقية" خلال الفترة من ٧ إلى ٩ ديسمبر ٢٠١٨م بمدينة شرم الشيخ.

٧- التوسع في التمثيل الدبلوماسي والقنصلي بين مصر ودول الكوميسا، كذلك تبادل المعلومات والخبرات وعقد الدورات التدريبية حول الأزمات والمنازعات بما في ذلك أسبابها وتأثيراتها المحتملة واقتسام التجارب حول كيفية التصدي لها، خاصة مكافحة الإرهاب - الذي أصبح لمصر دور كبير فيها- والقرصنة والتعاون في محاربة الجريمة المنظمة العابرة للحدود مثل المخدرات وغسيل الأموال والاتجار بالبشر وتهريب الأسلحة.

٨- المساهمة المتبادلة بالأفراد والمعدات في عمليات حفظ السلام التي تنشأ في بعض دول الكوميسا مثل الصومال، وتنفيذ مهام مشتركة للمساعدة في عملية البناء في فترة ما بعد الصراع.

٩- إنشاء ثقافة تعاون قوي من خلال الحوار الفعال وتشجيع التبادل الثقافي وتوأمة الترتيبات من خلال الآداب والرياضات وكذلك عقد مهرجانات ثقافية مشتركة دورية وضمن اتصال أفضل بين مصر والشعوب المكونة للكوميسا، لتعزيز تفاهم أعمق لكل منهما بما في ذلك النقابات العمالية والرابطات المهنية والقطاع الخاص والمجتمع المدني ووسائل الإعلام والمدارس والجامعات والنوادي الرياضية وغيرها.

١٠- إنشاء قناة تليفزيونية تخاطب القارة الأفريقية باللغات مثل لغات، السواحيلية، الهاوسا، الفولاني، الزولو، الامهري، وغيرها من اللغات.

وزيادة الوعي بأهمية القارة الأفريقية ومعرفة قضاياها ونقل صورة إيجابية عن القارة للعالم الخارجي من خلال منصات الإعلام.

وفي النهاية يجب على مصر اتباع استراتيجية "الاستفراق"، ويعنى الاهتمام بالقارة السمراء، وعلم الاستفراق يبتغى تقريب المسافات بين المصريين والشعوب الأفريقية والتأكيد على وحدة الهدف والمصير وتنمية مشاعر التآخي الحميم، وهى مشاعر غير غائبة ولكنها تحتاج إلى دعم وتنمية مستمرة من كل مراكز القوى الناعمة المصرية.

هيدروبوليتيكية سد النهضة *

الأتهار كائن حي له نبض فيض وغيض خلال حياتها. ضبط هذا النبض شيء عرفه الإنسان من قديم، ومارسه بصور شتي، بعضها سلبي يسكن بعيدا عن جموح الفيض، وقليلها إيجابي بإقامة جسور وسدود كنوع من الجراحة لمصلحة الإنسان، لكنها ضارة بحياة النهر.

أولا- الصراع علي المياه في حوض النيل:

لأنواع معينة من الموارد الطبيعية، أو من نتاج النشاط البشري جيوبوليتيكية خاصة. فكلما كان المورد مركزا في مناطق محدودة، يصبح التنافس عليها حادا بين القوي العالمية وشركاتها الكبرى، بينما جيوبوليتيكية الموارد ذات الانتشار في معظم مناطق العالم تصبح هاجسا سياسيا فقط في دول الندرة. كما أن الموارد التي تتناقص أعمارها نتيجة الاستهلاك الجائر تصبح أيضا مجالا لصراعات عالمية بين المنتج والمستهلك، ومجالا للمناورات السياسية بين قوي الاحتكارات المعولمة.

تمثل حقول البترول، والمياه النهرية العذبة طرفي نقيض: فالبترول محدود المكان والزمان، بينما المياه العذبة مورد منتشر علي بقاع كثيرة لا يشكل توترا سياسيا باستثناء حالتين، أولاها أن يجري النهر في أكثر من دولة، فتصبح أنصبة المياه وحرية الملاحة مثار جدل بين دول المنابع ودول المصب. ثانيتهما في أقاليم الندرة، خاصة بلاد المناطق الجافة التي شابتها من القدم مجالات للصراع أدت إلي غزوات كثيرة للسيطرة علي بلاد المياه الوفيرة في الشرق الأوسط، وهي ما قد تؤدي إلي "حروب مياه"، إذا لم تنجح المفاوضات.

* بحث للمؤلف تحت الطبع

حوض النيل خير تمثيل للحالتين معا بين دول المنابع ومصر خاصة، كدولة المصب في وسط بيئة صحراوية جافة منذ آلاف السنين. الفرات بصورة ما مماثل للنيل، حيث المنابع في جبال تركيا، والعراق دولة مصب، وسوريا دولة ترانزيت مماثلة لدور السودان بين إثيوبيا ومصر. وبرغم ذلك، فقد كانت قراءة الناس الفاعلة للنهر، والمناخ، والتربة الفيضية هي أسس تكوين المهاد الأولي للحضارات العليا القديمة علي ضفاف نيل مصر، وفرات العراق، فاكتملت حق المستخدم الأول خمسة آلاف سنة، لكنها أصبحت الآن بؤرة مشكلات المياه بحكم تغير الخريطة السياسية، واستقلال دول الأحواض النهرية، واحتياجات سكانها واقتصاداتها، إلي نمط جديد في استخدام مياه الأنهار قد يناقض الحقوق التاريخية لمياه دول المصب.

نعيش الآن موقفا صراعيا بين إثيوبيا ومصر، أي منبع ومصب. تتصدر مصر ميزان القوة بين دول النيل، وقد هدد الرئيس الراحل أنور السادات باستخدام القوة ضد إثيوبيا، لكن ذلك كان في ظل ظروف علاقات قوية بين مصر وأمريكا، وموقف أمريكي معاد للحكومة الماركسية في إثيوبيا آنذاك. التهديد باستخدام القوة الآن غير ممكن، حيث نقف في موقع عكس زمن السادات. فالعلاقة باردة بين مصر والاستراتيجية الأمريكية التي تناور علي جبهات عديدة، منها مساندة إثيوبيا كجزء من ضغوطها علي مصر.

منذ التسعينيات، اتسمت علاقات مصر ودول منابع النيل بتصاعد مخططات سياسية، تتخذ مطالب اقتصادية، بعضها سيكولوجية تصفية خلفيات تاريخية غير ودية في علاقات ماضية، إلي جانب تحالفات خلفية تصعب اتخاذ مبادرات عملية تربك حلا سلميا بين أطراف النزاع. فاستخدام إثيوبيا سياسة الأمر الواقع يهدف في الحقيقة إلي جر المشاكل إلي مائدة مفاوضات مطولة للحصول علي أقصى ما يمكن من الفوائد لمصلحة إثيوبيا مع محاولة تغيير موقف السودان إلي موقف

الوسيط الأكثر قربا إلي إثيوبيا، مقابل الحصول علي فوائد مائة، وربما هو ما حدث ثانيا.

الحقيقة الجغرافية أن مسار الأنهار الكبيرة بين المنبع والمصب يمر بدولة أو دول وسيطة يمكن أن نسميها اختصارا دول "ترانزيت" نهريّة، ليس بمعنى العبور فقط، بل حق الاستفادة من المياه العابرة بصور عدة. لكن غالبا ما يحدث نوع من الصراع المكبوت أو الصريح بين دول الترانزيت والمصب. حدث ذلك حول نهر الفرات بين سوريا (ترانزيت)، والعراق (مصب). وفي حوض النيل، يصح أن نصنف السودان -شمالا وجنوبا- علي أنهما دولتا ترانزيت، بينما يقتصر المصب علي مصر. وربما لو أخذنا بهذا التوصيف، فإن بعض الأمور تصبح أكثر شفافية وأقرب إلي التعامل السياسي الصريح، بدلا من المواقف الغائمة وتصريحات عن علاقات الأشقاء لا تجدي كثيرا في مواقف اتخاذ القرارات السياسية.



شكل (٣٠) السدود والقناطر الرئيسية بحوض النيل

ثانياً: إسرائيل والصراع في حوض النيل:

المخاطر الحقيقية بالنسبة لمصر والسودان من القوى الخارجية خاصة إسرائيل، مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، تكمن في تنفيذ المشاريع المائية في أعالي النهر " إثيوبيا والبحيرات " ، والتي ليس الهدف منها هدفاً اقتصادياً بقدر ما هو هدف لإضعاف كل من دول المجاري والمصب خاصة السودان ومصر، وتهديد وجودهما بتحجيم أهم موارد نموها وتطويريهما وبقائهما وهو المياه.

وهذا يفسر الجهود الإسرائيلية والأمريكية في إثيوبيا ومنطقة البحيرات.

كان رواد المشروع الصهيوني متيقظين منذ البداية إلى أهمية المياه في نجاح مشروعهم الاستيطاني في فلسطين واستمراره وشعارهم المعروف (حدودك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات) يعني أن البعد المائي كان حاضراً في تكوين الأبعاد الجغرافية للمشروع باعتباره البعد الذي يتوقف نجاح المشروع واستمراره وازدهاره عليه ولذلك وضعت الحركة الصهيونية دائماً التحكم بمصادر المياه في أولوياتها إلى درجة عسكرة المياه وبعد أن نجح اليهود في تحقيق هدفهم الأول وهو إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين شرعوا في السعي إلى تحقيق هدفهم الثاني وهو تعيين وترسيم حدود سياسية وقانونية لدولتهم تحوي ضمنها المناطق الغنية بموارد المياه.

وكان أول رقم حول الحصاة المطلوبة صهيونياً من مياه النيل جاء في المشروع الذي طرحه تيودور هرتزل عام ١٩٠٣، عندما فكر في تأجير سيناء من ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً وحتى خط عرض ٢٩ جنوباً، بموافقة الإنجليز، لمدة ٩٩ عاماً، لتكون وطناً

قوميا مؤقتا لليهود لحين تجهيز فلسطين، وطلب المشروع الذي أعدته لجنة من الخبراء اليهود تمرير ٥١ متر مكعب في الثانية بمضخات، بواقع ١٨٣,٦ ألف متر مكعب في الساعة، و٤,٤ مليون متر مكعب في اليوم، من خلال ثمانية أنابيب قطر كل منها ٢ متر تمر أسفل القناة.

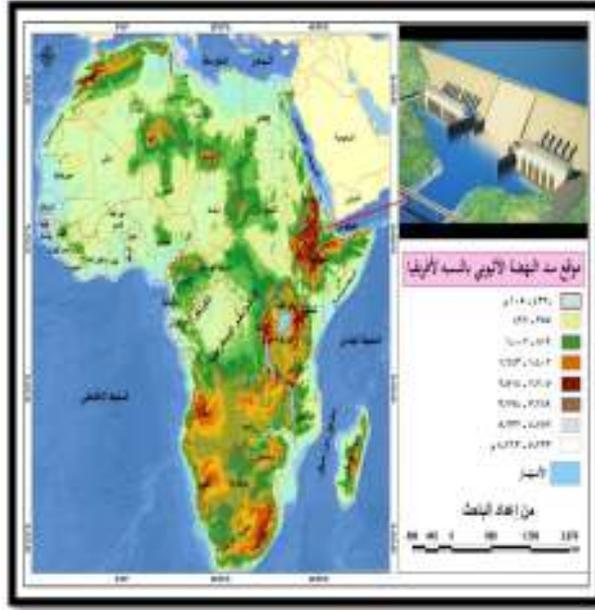
الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل في حوض النيل:-

- محاصرة مصر سياسياً، وتطويق السياسة المصرية في محيطها الإقليمي من خلال التغلغل السياسي، والاقتصادي، والعسكري في حوض النيل.
- الضغط علي مصر عبر دول المنبع لإمدادها بمياه النيل.
- الحصول عل نصيب من الموارد المائية لدول هذه المنطقة الحيوية في إفريقيا.
- تلبية احتياجات الاقتصاد الإسرائيلي من خلال إيجاد سوق بديل.
- الحصول على دعم دول الحوض وتأييدها في المحافل الدولية.
- من الناحية الجيوبوليتيكية يعد موقع دول حوض النيل المتميز على ثلاث ممرات مائية مهمة "البحر الأحمر، البحر المتوسط، قناة السويس.

ثانيا: الموقع الجغرافي لسد النهضة:

يقع سد النهضة في نهاية النيل الأزرق داخل الحدود الإثيوبية في منطقة بني شنقول جوموز بين جبلي Libiyat and Neqor وعلي بعد حوالي ١٤,٥ كم من الحدود السودانية علي مسار النيل الأزرق،

١٠,٥ كم من أقرب نقطة علي الحدود السودانية، ٥ كم من الحدود السودانية من السد المكمل، ٣٥ كم من شمال التقاء نهر بيليس بالنيل الأزرق، ٧٥٠ كم شمال غرب أديس أبابا، وعلي ارتفاع حوالي ٥٠٥ متر فوق سطح البحر عند قاعدة السد.



شكل (٣١) موقع سد النهضة

ثالثا: الموقع الجيولوجي للسد:

يبلغ اتساع مجرى النهر عند السد حوالي ٦٠٠ م، تتدفق فيه مياه النهر في موسم الأمطار، ويصل اتساع النهر في موسم الجفاف إلى حوالي ٩٠ م بعمق ١٠ - ١٥ متر، يقع السد في منطقة يغلب عليها صخور القاعدة لحقبة ما قبل الكامبري والتي تحتوي علي صخور الجرانيت، النيس الجرانيتي والجرانوديوريت، والتي تنتشر على جانبي السد، كما يوجد أيضا صخور البجماتيت والميجماتيت الشديدة التشقق والأمفيبوليت.

وطبقاً لبعض التقارير فإن درجة تحلل هذه الصخور الجرانيتية تختلف من ضعيف إلى شديدة التحلل. كما يوجد أمام السد بحوالي ٢٠٠ م صخور رخامية كربوناتية ضعيفة يجب تجنبها كجزء من أساسات السد. والجزء الآخر يتميز بطبقات من الصخور البركانية البازلتية ذات الفجوات والتشققات التي تمثل أنشطة بركانية متعددة علي مدار ٣٠ مليون سنة الأخيرة، والتي يمكن أن تكون سبباً في حدوث بعض المشاكل للمشروع أهمها تسرب المياه من خلال التشققات والفوالق الناتجة من نشاط الأخدود الأفريقي العظيم، وحدث زلازل نتيجة الحمل المائي الجديد والذي قد يصل إلي ٧٤ بليون طن على صخور بعضها شديد التحلل، وبها تشققات وفوالق نتيجة النشاط الجيولوجي للأخدود الإفريقي علي مدار ال ٣٠ مليون سنة الأخيرة، ويضاف إلي ذلك أيضاً وزن الكتل الصخرية والخرسانة المكونة لجسم السد.

من حيث تسرب المياه من خزان السد، فهناك بعض مخاطر التسرب من خلال الفراغات الموجودة بين حبيبات الحصى المدببة الناتجة من تجوية الصخور الجرانيتية والمنتشرة في قاع النهر والمناطق المنخفضة المجاورة، كما يوجد فائق جنوب غرب جسم السد الرئيس بحوالي ٩ كم، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تفاقم عمق التجوية في الصخور الجرانيتية وتسرب جزء من مياه الخزان بطول حوالي ١,٧ كم على امتداد هذا الفائق. ولذا من الضروري اجراء دراسة دقيقة عن معدل تسرب المياه في صخور الخزان.

رابعاً: تحليل السلوك الهيدرولوجي لإثيوبيا حيال سد النهضة:

تسعى إثيوبيا إلى فرض هيمنتها وسيطرتها الإقليمية من خلال تسييسها لقضية المياه خاصة في ظل بعض الحقائق التي تقتنع بها إثيوبيا وهي على النحو التالي:-

الحقيقة الأولى:

أن الحكومة الإثيوبية على إدراك كامل بهيمنتها الهيدروليكية فهنا تسعى جاهدة لكي توظفها وتحولها إلى هيمنة هيدرواستراتيجية أي هيمنة هيدروبوليتيكية على النظام الإقليمي لحوض النيل فهنا إثيوبيا على وعي كامل بالهيمنة المائية خاصة أن ٨٤,٤% من إجمالي الإيراد المائي السنوي لنهر النيل يتدفق من المنابع الإثيوبية (٧١ مليار متر مكعب من جملة ٨٤ مليار متر مكعب) فأنها ترى أن هذا يشعرها بأنها تمن على مصر بإيرادها المائي وأنها صاحبة الفضل الأكبر في الإيراد المائي لنهر النيل فهي تدرك الحقيقة الجغرافية بأنها ٣٣,٢% من مساحة إثيوبيا تقع في نطاق الحيز الجغرافي لحوض النيل كما أن ١١,٧% من إجمالي حوض النيل يقع على الأراضي الإثيوبية.

والمقصود بالهيمنة الهيدروليكية هي "تنزاع الإيرادات والمصالح السياسية والجيواستراتيجية بين دول المنابع ودول المصب فهنا تستخدم دول المنبع للحصول على مزيد من القوة من خلال أداة المياه بينما تستخدم على النقيض دول المصب قوة للحصول على مزيد من المياه".

فالهيمنة يمكن أن توفر النظام والاستقرار وضمان تدفق المياه للدول الكبرى، وعلى الجانب الآخر، فإن الهيمنة قد تكون مصحوبة بتكاليف باهظة بالنسبة للدول الأضعف في المعادلة مثل عدم السيطرة على القرارات الخاصة بتنظيم وإدارة النهر وهذا يفتح توترات سياسية قد تفتح الباب لدرجات مرتفعة الحدة من الصراع المائي وهذا ما حدث في دول حوض النيل.

جدول (١٧) موارد المياه العذبة المتجددة، ومتوسط نصيب الفرد منها،
بدول حوض النيل

الدولة	إجمالي موارد المياه العذبة المتجددة ٢٠١٣	متوسط نصيب الفرد م٣ / سنة	نسبة الاعتماد على الموارد المائية الخارجية %
مصر	٥٧,٣	٦٨٢,٤٨	٩٦,٩
السودان	٦٤,٥	١٤١٠,٦٧	٧٦,٩
إثيوبيا	١٢٢,٠	١٤٠٩,٧٩	٠
إريتريا	٦,٣	١١٢٨,٨٣	٥٥,٦
بوروندي	١٢,٥	١٤٢٨,٧٣	٠
كينيا	٣٠,٧	٧١٨,١٥	٣٣,١
الكونغو الديمقراطية	١٢٨٣,٠	١٨٤٤٠,٥٣	٢٩,٩
رواندا	٩,٥	٨٤٢,٨٠	٠
تنزانيا	٩٦,٣	٢٠٢٤,٦٠	٩,٩
أوغندا	٦٦,٠	١٨٥٢,٨٤	٤٠,٩
الاجمالي	١٧٤٨,١	٣٩٩٧,٢٠	—

The World's Water, Volume 8, Available

FAO, Review of World Water Resources by Country, 2003

الحقيقة الثانية:-

إثيوبيا تسعى إلى فرض أمر واقع جديد على الأرض من سابق هيمنتها الهيدروليكية على الوضع المائي لحوض النيل وكان ذلك من خلال تشكيل اللجنة الثلاثية لتقييم سد النهضة بعد أن أصر الجانب الإثيوبي على أن هذا أمر واقع؛ بمعنى أنه سد قيد الإنشاء وليس سدا مزعم إنشائه كما يراه الجانب المصري والسوداني عندما كانت مواقفهم واحدة.

ولتحقيق الهيمنة الإقليمية على دول حوض النيل من جانب الطرف الإثيوبي ظل يمارس حربا نفسية غاية في الذكاء وقد نجح في تصدير التوتر المفتعل إلى داخل المفاوضات المصري، وقاموا بتجزئة القضية وتم إقناعه بأن هذه بديهيات ومسلمات لا نقاش بشأنها؛ وأن سد النهضة أصبح واقعا ملموسا؛ فهذا يرجع إلى قصور المنهاج التفاوضي وأدواته؛ وضعف التأثير في المحيط الإفريقي؛ وبشكل غير مباشر ممثل في دوران التفاوض في بيئة غير محفزة ورافضة للدور المصري؛ وأطراف تسعى لتغيير قواعد التعاون المائي على حساب الحقوق المائية التاريخية لمصر؛ كما أن قدرة إثيوبيا على استغلال حالة عدم الاتزان التي كانت تمر بها مصر على مدى الأربعة أعوام الماضية؛ ورغم ذلك تنفيذ مشروعاتها وخططها الداعمة لطموحها الإقليمي على حساب مصر؛ فكان على مصر تحييد عامل الوقت الذي أصبح ضاغطا عليها لاستعادة القدرة على المبادرة والتأثير في بيئة التفاوض؛ وإدخال أطراف وقوى ومؤسسات دولية من شأنها أن تحجم الطموح الإثيوبي وتعلي من معادلة الاستقرار والتنمية في منطقة حوض النيل.

الحقيقة الثالثة :-

قد ثبت أن التحركات الإثيوبية بالانفرادية والأحادية الجانب وعدم التنسيق مع دول حوض وخاصة مصر فهي لم تلتزم بشرط الإخطار المسبق قبل تنفيذ مشروعاتها المائية وتصرف على حقها المطلق في التصرف في جزء النهر الواقع على أراضيها دون الرجوع إلى مصر، إيماناً منها بنظرية "الاختصاص الإقليمي المطلق".

وفي هذا الصدد يؤثر ذلك بالسلب ليس فقط على نمط التفاعلات الهيدرولوجية في الحوض، وإنما على الأمن الإقليمي ككل لدول حوض النيل.

كما أنه سيكون تأثيرات سلبية لسد النهضة على المخزون الاحتياطي التعديني في إثيوبيا، والتي ستسبب في إغراق بعض المناطق التعدينية الغنية بالكثير من المعادن: كالذهب والبلاتين والحديد والنحاس وبعض مناطق المحاجر، والجدير بالذكر أن إثيوبيا ليست غنية بالمعادن باستثناء منطقتين إحداهما في الجنوب على الحدود مع كينيا، والأخرى هي الأغنى في منطقة سد النهضة وهذا يؤكد التعتن الإثيوبي ليس فقط على الجانب المصري ولكن أيضاً الآثار السلبية الفادحة على إثيوبيا نفسها.

ويعد سد النهضة واحداً من أهم الآليات الإثيوبية المهمة التي من خلالها تسعى لتحقيق "حلم الهيمنة الهيدرولوجية" على النهر؛ ولتأكيد هذه الهيمنة مائياً وسياسياً تنوي إثيوبيا بناء ٣ سدود على النيل الأزرق لتتحكم بطريقة غير مباشرة في الحصص المائية المصرية فهنا إثيوبيا تعطي الأولوية لإنشاء المشروعات لتوليد الطاقة

الكهرومائية على روافد النيل والتي تمر بأراضيها وبعض هذه المشروعات تم تنفيذها وبعضها قيد الدراسة.

خامساً: فوائد سد النهضة:

١ - الفائدة الكبرى لإثيوبيا من سد النهضة هي إنتاج الطاقة الكهرومائية ٦٠٠٠ ميغاوات التي تعادل ما يقرب من ثلاثة أضعاف الطاقة المستخدمة حالياً.

٢ - التحكم في الفيضانات التي تصيب السودان خاصة عند سد الروصيرص.

٣ - توفير مياه الفيضان التي تضيع في منطقة الروصيرص بالسودان غير محددة الكمية.

٤ - تنظيم تدفق مياه النيل الأزرق نحو الخرطوم خاصة في حالة تنفيذ مشروعات استقطاب الفواقد من جنوب السودان والتي تقدر بحوالي ٢٠ - ٣٠ مليار م^٣

٥ - توفير مياه قد يستخدم جزء منها في أغراض الزراعة المروية في إثيوبيا أو السودان.

٦ - تخزين معظم طمي النيل الأزرق في إثيوبيا، والذي يقدر بحوالي ٤٢٠ مليار م^٣ سنوياً مما يقلل من تراكم هذا الطمي في خزانات السدود السودانية التي فقدت من ٥٠ - ٧٥% من السعة التخزينية بسبب الاطماء، حجز الطمي في سد النهضة يطيل عمر السد العالي من ٥٠ إلى ١٠٠ عام ليصبح اجمالي ٦٠٠ عاماً.

٧- قلة البخر نتيجة وجود بحيرة السد علي ارتفاع حوالي ٦١٠ إلي ٦٥٠ متر فوق سطح البحر، إذا ما قورن بالبخر في بحيرة السد العالي (١٦٠- ١٧٦ متر فوق سطح البحر).

٨- تخفيف حمل وزن المياه المخزنة عند بحيرة السد العالي، والتي تسبب بعض الزلازل الضعيفة.

٩- تنشيط منطقة السد سياحياً.

١٠- زيادة الثروة السمكية في إثيوبيا.

سادساً: أضرار سد النهضة:

١- فقد مصر والسودان لكمية المياه التي تعادل سعة التخزين الميت لسد النهضة والتي تتراوح من ١٥ إلي ٢٥ مليار م^٣ حسب سعة التخزين الميت، ولمرة واحدة فقط، وفي السنة الأولى لافتتاح السد نظراً لأن متوسط إيراد النيل الأزرق حوالي ٥٠ مليار م^٣ سنوياً، وبالتالي لا يحتاج هذا السد سنوات لمليء البحيرة، بل عام واحد فقط، ولكن الحكومة الاثيوبية أعلنت أنها سوف تدير الوحدات الكهربائية علي مراحل ، وبالتالي فان مياه سعة التخزين الميت (المعلنة من اثيوبيا ١٤ مليار م^٣) يمكن حجزها علي مدار ثلاث سنوات . وهذا الفقد يستوجب معرفة مصر والسودان به من حيث الكمية وموعد التشغيل لأخذ الاحتياطات اللازمة لتفادي أزمة نقص المياه في سنوات المليء.

٢- زيادة فرص تعرض السد للانهييار نتيجة العوامل الجيولوجية وسرعة اندفاع مياه النيل الأزرق والتي تصل في بعض الأيام (أغسطس) إلي ما يزيد علي نصف مليار متر مكعب يومياً ومن ارتفاع يزيد علي ٢٠٠٠ م نحو مستوي ٦٠٠ م عند السد، وإذا حدث ذلك فإن

الضرر الأكبر سوف يلحق بالقري والمدن السودانية خاصة الخرطوم التي قد تجرفها المياه بطريقة تشبه السونامي.

٣- فقد مصر والسودان لكمية المياه المتسربة في صخور الخ ا زن والتي لم تقدر حتي الآن.

٤- انخفاض منسوب بحيرة ناصر بحوالي ١٠ م مما قد يؤثر سلباً علي كمية الطاقة الكهربائية المنتجة من السد العالي (٢١٠٠ ميجاوات).

٥- اغراق حوالي ١٥٠ - ٢٠٠ الف فدان من الاراضي الزراعية القابلة للري حول السد.

٦- إغراق بعض المناطق التعدينية الواعدة بكثير من المعادن الهامة مثل الذهب والبلاتين والحديد والنحاس وكذلك بعض مناطق المحاجر.

٧ - تهجير نحو ٣٠ ألف مواطن من منطقة البحيرة.

٨- قصر عمر سد النهضة والذي يتراوح بين ٥٠ - ٧٠ عاما نتيجة الاطماء الشديد (٢٠٠ - ٣٠٠ ألف متر مكعب سنوياً)، وما يتبعه من مشاكل لتوربينات توليد الكهرباء، ويطول عمر السد اذا أنشأت اثيوبيا سدودا أخرى علي النيل الأزرق نتيجة حجزها لجزء من الطمي.

٩- زيادة فرصة حدوث زلازل بالمنطقة التي يتكون فيها الخزان نظرا لوزن المياه التي لم تكن موجودة في المنطقة من قبل في بيئة صخرية متشققة، والذي يصل إلي ٧٤ بليون طن علاوة علي وزن السد الرئيس والمكمل.

١٠- فقد السودان للظمي الذي يخصب الاراضي الزراعية حول النيل الأزرق والذي يعد المصدر الرئيس لتغذية النباتات، وعدم تعود السودانيين علي استخدام الأسمدة الزراعية.

١١- تلوث مياه بحيرة السد نتيجة تخزينها أعلي صخور غنية بالمعادن والعناصر الثقيلة.

١٢- التوتر السياسي بين مصر وأثيوبيا بسبب هذا المشروع.

جيوبولتيكية الارهاب في سيناء*

تتميز شبة جزيرة سيناء بمكانتها الرفيعة في قلب مصر والعالم، فموقعها الجيوستراتيجي جعلها أحد مفاتيح مصر، فسيناء هي حلقة الوصل بين قارة أفريقيا وآسيا والنقطة الحرجة بين ضلعي مصر والشام.

يشغل مثلث جزيرة سيناء حيزاً استراتيجياً في خريطة التوازنات الدولية والإقليمية منذ فجر التاريخ نظراً لموقعه الحاكم في خريطة الشرق الأوسط ، حيث إنه رقعة اليابسة الوحيدة التي تقسم المنطقة العربية الى شرق وغرب ، وترتيباً على ذلك فهو بمثابة حلقة الاتصال بين الشطرين في ظل الظروف الإقليمية المستقرة ، وسد فاصل بينهما تحت ضغط هذه الظروف السياسية والعسكرية

أولاً: موقع سيناء وأهميته الجيوبولتيكية:

يتحدد الثقل الاستراتيجي لإقليم (ما) بمدى العلاقة بين عاملين جوهريين هما ما يحتويه الإقليم من موارد مادية وبشرية كماً وكيفاً من جهة وموقعه الجغرافي في ضوء أهمية هذا الموقع للأطراف الإقليمية وما تتبناه من سياسات دفاعية وهجومية من جهة أخرى، إضافة الى موقع هذا الإقليم في خريطة اهتمامات القوى العالمية الكبرى.

تمثل سيناء امتداداً صحراوياً يربط آسيا بقارة أفريقيا وهي بهذا إقليم فصل ووصل في آن واحد بين مصر والعالم العربي لذا أطلق على سيناء (الباب الشرقي لمصر) هذا فقد جرى التقليد على تقسيم سيناء ثلاثة أقسام متباينة طبقاً لخصائصها الطبغرافية : سيناء الشمالية ، سيناء الوسطى ، وسيناء الجنوبية .

* بحث للمؤلف تحت الطبع

إن القيمة الاستراتيجية لسيناء تكمن في سواحلها خاصة في منطقة رأس محمد، فساحلي جنوب سيناء (خليجي السويس والعقبة) هما محور الحركة البرية الأساسية على ضليعهما، فمن الساحل الشرقي يمكن تحديد خليج السويس الغربي بل منطقة السويس كلها .

لقد أوضحت معارك سيناء فيما بعد حرب ١٩٦٧م استخدام إسرائيل لسواحل سيناء الغربية كقاعدة للانطلاق وتهديد ساحل خليج السويس مباشرة (هجوم إسرائيل على الجزيرة الخضراء) وتهديدها للزعفران والسخنة خلال حرب أكتوبر، كما أن شرم الشيخ بصفة أساسية يعد المفتاح الاستراتيجي لمثلث شبه جزيرة سيناء، حيث يتحكم تماماً في كل خليج العقبة، خروجاً ودخولاً من خلال مضيق تيران، فضلاً عن تحكمه في السهلين الساحلين بحكم التقائهما هناك.

وهناك ثلاثة خطوط دفاعية أساسية محددة بوضوح كامل في سيناء، تتعاقب من الشرق إلى الغرب، أي من حدود مصر الشرقية حتى قناة السويس على الترتيب.

الخط الأول قرب الحدود ويكاد يوازيها.

خط المضائق من السويس إلى البردويل.

خط قناة السويس نفسها .

ويُعد كل خط من هذه الخطوط بمثابة "خط حياة" لمصر، لذا يحتاج إلى نظرة فاحصة عليه أولاً، ثم بعد ذلك إلى نظرة متكاملة في إطار الشبكة الدفاعية كلها.

ويقع خط الدفاع الأول، قرب الحدود السياسية بدرجة كبيرة، ويمتد أساساً من رأس خليج العقبة حتى زاوية أو كوع البحر المتوسط في

منطقة العريش. يبدأ الخط بطابا ورأس النقب على الخليج في منطقة حرجة استراتيجياً، إذ تتقارب في دائرة صغيرة حدود أربع دول : مصر، وفلسطين المحتلة، (إسرائيل حالياً)، والأردن، والسعودية.

وتمثل رأس النقب مجمع مروحة الطرق الطبيعية والأودية التي تبدأ من العريش ومن رفح ومن جنوب فلسطين. ثم يمتد الخط إلى الكونتيتلا، التي تقع على هضبة عالية مشرفة على المنخفضات والطرق والأودية المحيطة. وهي بهذا نقطة حصينة للغاية، كما تمتلك مصادر المياه الوحيدة في منطقتها. وبعد الكونتيتلا يستمر الخط نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى القصيمة إلى الداخل قليلاً من حدود مصر السياسية. ومنها يتتبع جزر وادي العريش ماراً بأبو عجيلة، وبعدها يحفه جبل لبنى من الغرب، ثم يمر ببئر لحفن التي يصل بعدها مباشرة إلى مدينة العريش. والقطاع الأخير يراوح ارتفاعه بين متوسط إلى منخفض، ويبدو كالعنق أو الرقبة العريضة بين سلسلة مرتفعات وهضاب الضهرة الداخلية وبين البحر المتوسط، ومن ثم يمثل الممر الطبيعي بين سهول سيناء وسهل فلسطين.

والجزء الأكبر منه يخترق نطاق الكثبان الرملية، مما يحدد مسارات الحركة بشدة ويحصرها في خطوط ضيقة على الساحل أو في الداخل.

وعلى الرغم من أن هذا القطاع الشمالي المنخفض لا يتجاوز أكثر من ثلث الخط الدفاعي كله، فإنه يعد بصورة مطلقة مركز الثقل والخطر فيه، لأن نهايات محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة تجتمع عنده: رفح على المحور الشمالي، أبو عجيلة على المحور الأوسط، القصيمة على المحور الجنوبي. فهو بمثابة يد مروحة المحاور، أو ربطة الحزمة، أو "زر" سيناء الاستراتيجي. ولم يكن غريباً لذلك أن

يعتبره بعض العسكريين القاعدة الاستراتيجية الحقيقية للدفاع عن مصر.

بعيداً إلى الداخل، وعلى بعد بين ٣٢ : ٧٥ كم من قناة السويس، يقوم خط الدفاع الثاني والأوسط عن سيناء. ويمتد محوره في قلبها من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وقطباه الطاغيان هما ممر متلا في الجنوب ومضيق الجفجافة في الشمال. أما بقيته فليست أكثر من امتداد لهما على الجانبين حتى البحر شمالاً والخليج جنوباً. إنه أساساً خط المضائق أو الممرات ، ومن هذه الصفة - تحديداً - يستمد أهميته الفائقة.

يبدأ الخط من دائرة رأس خليج السويس، ويشمل منطقة مدينة السويس نفسها، والكوبري والشط، ثم عيون موسى من حولها شمالاً وجنوباً، وربما امتد إلى سدر. ثم يرتبط بمجموعة الأودية الصحراوية المحلية حتى يصل إلى الحاجز الجبلي الأشم والأصم الذي يقف كالحائط المرتفع، جبل الراحة في الجنوب وجبل حيطان في الوسط، ثم جبل أم خشيب فالختمية شمالاً.

وواضح أن الخط جبلي للغاية وبالغ الوعورة والمنعة في القطاع الجنوبي، بينما يتحول إلى بحر من الرمال المفككة والمستنقعات السبخة في قطاعه الشمالي.

وهو من ثم بكامله غير صالح لاخترق أو عبور القوات الميكانيكية على الإطلاق، إلا من خلال فتحاته المحددة بصرامة. وبهذا تحكمه تلك الفتحات الجبلية تماماً، فيحكم هو بدوره حركة أو تقدم الجيوش أو الغزاة، وسواء من شرق سيناء إلى غربها، أو من غربها إلى شرقها.

وهو بهذا الوضع يناظر بين خطوط الدفاع الطولية الثلاثة المحور الأوسط بين محاور الحركة العرضية الثلاثة، كلاهما الأوسط ويتوسط قلب المسرح العسكري الأساسي في سيناء. وعند تقاطعهما بالفعل يتحدد واحد من أخطر مواقع سيناء الاستراتيجية، وهو مضيق الجفجافة. والواقع أن مضيق الجفجافة في جانب، وممر متلا في الجانب الآخر، وما بينهما من ممرات ثانوية، تؤلف في مجموعها منطقة المضائق التي تمثل بغير جدال المفاتيح الاستراتيجية الحاكمة لسيناء كلها.

لهذا كله يُعد هذا الخط بالإجماع الخط الدفاعي الحاكم والفاصل بين الخطوط الثلاثة. فالسيطرة عليه تحدد وتحسم المعركة، سواء عن يمينه أو يساره. فمن يسيطر عليه، يجد الطريق مفتوحاً بلا عقبات تذكر إلى قناة السويس. كما يجد أن المعركة إلى الشرق منه إنما هي بقايا مقاومة لا تلبث أن تكتسح حتى الحدود. أما من يخسره فعليه أن يتوقع الهجوم فوراً على قناة السويس غرباً، أو الاكتساح والارتداد إلى الحدود شرقاً.

أما خط الدفاع الثالث. والأخير أيضاً، فهو قناة السويس، ومنطقة البرزخ بصفة عامة قديماً قبل شق القناة. هي "خاصرة" مصر الاستراتيجية كلها بلا استثناء، حيث يتقارب بحراها أشد التقارب. فهي عنق الزجاجة، وعلى جانبها تبدو سيناء كحجرة أمامية للقاعة الكبرى مصر النيلية. بينما هي نفسها تُعد العتبة أو الباب الداخلي بينهما. والبرزخ يعد من الواجهة الفيزوغرافية استمراراً لسهول شمال سيناء بشقها الشمالي المنخفض والجنوبي المرتفع. وهو يربط في تدرج بين سيناء والدلتا، ممتداً ما بين المنزلة المسطحة في الشمال وخليج القلزم أو السويس في الجنوب. وكان يتوسط هذا البرزخ مجموعات البحيرات الداخلية المغلقة، التمساح والمرّة. وإلى الشمال منها كان

الفرع البيلوزي القديم يخترق البرزخ إلى نهايته عند بيلوزيوم (الفرما) على البحر. وكانت القنطرة على النهاية الجنوبية للبحيرة هي نقطة عبور الفرع.

وإلى جانب هذه الموانع الطبيعية الجزئية، كثيراً ما أقامت مصر الفرعونية والعربية خطأً حصناً يتألف من سلسلة من المخافر والقلاع والمواقع الأمامية.

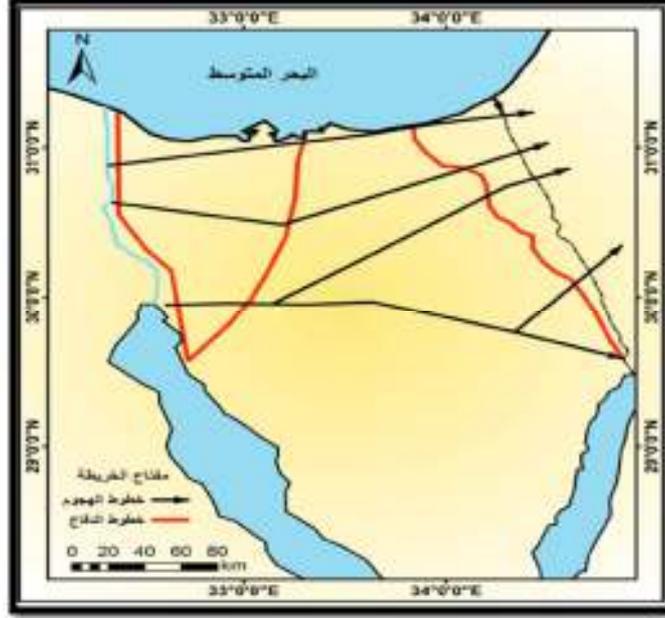
كان آخر وأحدث هذه الخطوط خط بارليف وملحقاته، الذي سحقته مصر في ٦ أكتوبر إلى الأبد. وفيما عدا هذا، كانت مهمة الدفاع عن منطقة البرزخ، تُستقطب نهائياً في نقطتين استراتيجيتين على طرفيه: في الجنوب السويس، وكانت بصيغة أو بأخرى ذات صبغة عسكرية عبر التاريخ دائماً، منذ كليزما (أو كلوزوما، وتعني نهاية الطريق) البطلمية، إلى القلزم الإسلامية حتى السويس الحديثة.

في الشمال فهناك بيلوزيوم القديمة، أو الفرما العربية التي كانت قلعة دائماً ومسرح كثير من المواقع العسكرية الفاصلة في تاريخ مصر، مناظرة في ذلك لرفح والعريش على الطرف المقابل لسيناء. فقد حاصرها عمرو بن العاص عند فتح مصر طويلاً قبل أن تسقط، ثم دمر قلعتها ليؤمن مؤخرته قبل أن يغادرها إلى داخل الوادي.

ومنذ أن شُقت قناة السويس تغيرت الخريطة الطبيعية للمنطقة، ومعها تغيرت الخريطة الجيوستراتيجية. فبعد شق القناة تحول البرزخ الطبيعي إلى مضيق صناعي، وصرفت البحيرات الداخلية إلى البحر ولم تعد مغلقة.

أما إستراتيجياً فقد أصبحت القناة مانعاً مائياً صناعياً وهي في حكم المانع الطبيعي، لاسيما بعد توسيعها المطرد. أصبحت خندقاً مائياً بالغ الطول، وفيه تصب نهايات محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة عند

نهايتها ومنتصفها، أي أمام السويس والإسماعيلية والقطرة على الترتيب.



شكل (٣٢) المحاور الاستراتيجية وخطوط الدفاع في سيناء

ثانيا: خريطة الجماعات الإرهابية في سيناء:

يتركز وجود الجماعات الإرهابية في سيناء في ٣ مناطق هي جنوب الشيخ زويد، ومزارع المطار بالعريش، وشمال وجنوب رفح، فيما بات الظهير الصحراوي لجميع مدن شمال سيناء منطلقا للمسلحين لشن هجماتهم بين الحين والآخر.

ويقع التمرکز الأول للمسلحين في قرى جنوب الشيخ زويد الحدودية، وهي المقاطعة والجورة والتومة والظهير واللفيتات، حيث يستغل الإرهابيون هذه القرى التي يعرفونها جيدا للاختباء داخلها لفترات زمنية محددة.

أما قرى جنوب مدينة رفح فتعتبر الامتداد الصحراوي لجنوب الشيخ زويد، وأهم هذه القرى قرية "المهدية"، وقرية "نجع شبانة"

الحدودية التي اكتسبت شهرة في عمليات التهريب عبر الأنفاق إلى قطاع غزة، بالإضافة إلى قريتي أبوشنار والحسينات.



شكّل (٣٣) التقسيم الإداري لسيناء

وفي جنوب العريش، وتحديدًا منطقة مزارع الزيتون، تنقسم المنطقة إلى جزأين: الأول مزارع الزيتون، والثاني الظهر الصحراوي، غير المأهول بالسكان، وهو أحد الطرق التي يسلكها الإرهابيون للدخول إلى مدينة العريش، أو الانتقال إلى غيرها من المدن في شمال سيناء.

وفي الفترة الأخيرة احتلت منطقة بئر العبد أهمية خاصة لدى الجماعات المسلحة، خاصة المنطقة الصحراوية الحدودية المحصورة بين مدينتي بئر العبد والعريش.

ويرجع خبراء سبب ظهور العمليات الإرهابية داخل منطقة بئر العبد إلى تضيق قوات الجيش والشرطة الخناق على الجماعات

الإرهابية في باقي المناطق. ويأتي حادث الهجوم على مسجد الروضة في بئر العبد، ومقتل أكثر من ٣٠٠ شخص لتسجل المنطقة أكبر هجوم دموي في تاريخ مصر. ومن أهم الجماعات الإرهابية في سيناء:

١- أصحاب الرايات السوداء (التكفير والهجرة):

هي الجماعات الإسلامية المتواجدة في شبه جزيرة سيناء، وقد بدأت نشاطها في وسط سيناء والشريط الحدودي، وأعلنت عن نفسها في العريش، وهي جماعة تتبنى أفكار قائمة على تكفير الحاكم الذي لا يطبق شرع الله، وتتسحب على من دونه من أركان نظام حكمه، وصولاً إلى قاعدة المجتمع البعيدة عن شرع الله، ونشطت هذه الجماعة في عقد التسعينيات.

وشهدت السنوات الأخيرة ميلاد جماعات متعددة تحمل الفكر نفسه وإن اختلفت في الأسماء، ومنها:

- جماعة أجناد مصر: وهي من أخطر الجماعات الإرهابية في مصر وعملياتها الإرهابية تنفذ في قلب المحافظات وأدرجتها الأمم المتحدة ضمن قوائم الإرهاب.

- وجماعة جند الإسلام: وهي إحدى الجماعات المتشددة التي لها امتدادات في قطاع غزة وتتخذ من جبل الحلال موطناً لها.

- أنصار الشريعة: ذراع القاعدة في شبه جزيرة سيناء.

- أنصار الجهاد: يترأسها عادل جبارة، تتمركز على الشريط الحدودي مع قطاع غزة، متهمه في جريمة قتل الجنود ال (٢٧).

ويطلق أهالي سيناء على أعضاء هذا التنظيم اسم التكفير والهجرة، أو التكفيريين، وتنتشر هذه الجماعات بالمنطقة الحدودية ووسط سيناء، بل في بعض المناطق بمدينة العريش، حيث أعلنت إحدى هذه الجماعات عن نفسها بعد ثورة يناير، مستغلة حالة الفراغ الأمني التي عانت منه سيناء، وأطلقت على نفسها اسم "تنظيم الرايات السوداء".

ولا ترى الجماعات التكفيرية غضاضة في استهداف المدنيين، كونهم أبناء مجتمع كافر لا يقيم حدود الله، وتسبب بعضها في إثارة الفزع بمناطق مختلفة بالعريش خلال الأشهر القليلة الماضية، بعد تعديها على بعض المواطنين وأصحاب المحال، ودعوة بعضها للتطبيق الشرعية بالقوة؛ لذلك لا يحظى أبناء هذه الجماعات بأي تعاطف من أبناء سيناء (حمزاوي، ٢٠١٥).

وينتشر العدد الأكبر من هذه الجماعات في المنطقة الحدودية، خارج المدن، وفي منطقة الوسط، وتمتلك معظم هذه الجماعات أسلحة، لكن بشكل غير تنظيمي، ودون تدريب منظم كالذي تتلقاه الجماعات الجهادية، وتميل معظم الجماعات التكفيرية في شبه جزيرة سيناء إلى الانغلاق على نفسها، ولا تميل إلى الاتصال تنظيمياً بأي جماعات إسلامية أخرى، وتقوم أفكارها على تكفير جنود وضباط الشرطة والجيش بشكل واضح، باعتبارهم جنود الحاكم الكافر، وأدواته لتوطيد حكمه المخالف للدين والشريعة (منيب، مرجع سابق، ١١٣)، حسب أفكارهم، لكنهم لم يعلنوا مسئوليتهم عن أي من العمليات التي استهدفت قوات الجيش والشرطة بالمنطقة الحدودية على مدار الأشهر الأخيرة، وإن أشارت أصابع الاتهام إليهم في بعض الحالات (خيرت، ٢٠١٣).

٢- الجماعات الجهادية:

تنتشر الجماعات الجهادية في رفح والشيخ زويد، وتتلقى تدريبات عسكرية شبه منتظمة، وتنقل السلاح للجهاديين الفلسطينيين، وتتبنى تلك الجماعات أفكار تنظيم القاعدة، لكنها لا تتصل بها تنظيمياً، وتقترب أفكار هذه الجماعات من فكر الجماعة الإسلامية فيما يخص الجهاد باعتباره الفريضة الغائبة عن حياة المسلمين، والهدف من الجهاد من وجهة نظر هذه الجماعات إقامة الدولة الإسلامية، وإعادة المسلمين إلى الإسلام، ثم الانطلاق لإعادة الخلافة الإسلامية من جديد، ولا تأخذ الجماعات الجهادية في شبه جزيرة سيناء شكلاً تنظيمياً واحداً، حيث يتواجد على أرض سيناء عدد كبير منها مختلفة المسميات والأهداف، أشهرها وأكبرها "الجهاد والتوحيد"، و "أنصار الجهاد" و "السلفية الجهادية"، وأحدثها تنظيم "مجلس شورى المجاهدين أكناف بيت المقدس"، و "أنصار بيت المقدس" (علي، ٢٠١٣).

وتنتشر معظم الجماعات الجهادية في منطقة الشريط الحدودي، خاصة مدينتي رفح والشيخ زويد، وفي منطقة الوسط، وترتبط فكرة الجهاد عند هذه الجماعات بالقضية الفلسطينية بشكل أساسي، لكن بعض الجماعات الجهادية انحرفت عن هذه الأفكار إلى فكرة تكوين إمارة إسلامية مركزها سيناء؛ لتكون نواة لدولة الخلافة، وينسب إلى هذه الجماعات مع بعض الجماعات التكفيرية - استهداف نقاط وكمان الشرطة منذ بداية ثورة يناير لمنع عودة الأمن إلى رفح والشيخ زويد، لإحكام سيطرتها على منطقة الشريط الحدودي استعداداً لإعلان الإمارة (خيرت، ٢٠١٣).

٣- جماعة التوحيد والجهاد:

تأسست هذه الجماعة عام (٢٠٠٢) على يد الطبيب خالد مساعد القي مصرعه في مواجهة أمنية، وتعتنق فكرة تكفيرية جهادية قائمة على التوسع في عملية التكفير، ولا شك أن منشأ هذا الفكر أساسا بالعراق وانتقل إلى فلسطين ثم إلى سيناء.

وقد قامت عناصر هذا التنظيم بعدة عمليات إرهابية من قبل في المدة بين عامي (٢٠٠٦ - ٢٠٠٤)، استهدفت من خلالها بعض المناطق السياحية بمنطقة جنوب سيناء، خاصة تلك التي يتردد عليها سائحون من إسرائيل (طابا / شرم الشيخ/ دهب). ومن أشهر قادة عناصر هذا التنظيم حاليا : حمادة أبو شتية، والذي سبق ضبطه في الأحداث المنوه عنها، وقد تم إخلاء سبيله، وكذا أبو منذر الشنقيطي، والذي أصدر فتوى بتكفير محمد مرسي وحكم الإخوان (الشرق الأوسط، ٢٠١٤).

٤- السلفية الجهادية:

مجموعة جهادية تنتهج الفكر القائم على التكفير، وقد أعلنت تلك الجماعة عن نفسها في أعقاب مقتل (٦) من عناصرها في مواجهة مع القوات المسلحة القائمة على تنفيذ العملية (نسر).

ولقد أصدرت الجماعة بيانا شديد اللهجة مفاده أنها ستقوم بقتال الجيش في حال استمرار العمليات بهذه الطريقة في شمال سيناء، وأفصحت أنها تمتلك القدرة والعتاد على مواجهة الجيش حتى عشرين عاما (ميدل ايست أونلاين، ٢٠١٤).

٥- مجلس شورى المجاهدين (أكناف بيت المقدس):

وسبق أن أعلنت مسئوليتها عن إطلاق صاروخين جراد على مدينة إيلات بإسرائيل، وأنها تمتلك أسلحة ثقيلة، كما تبنت الجماعة نفسها التفجير الأخير لخط الغاز قرب مدينة العريش.

٦- جماعة أنصار بيت المقدس:

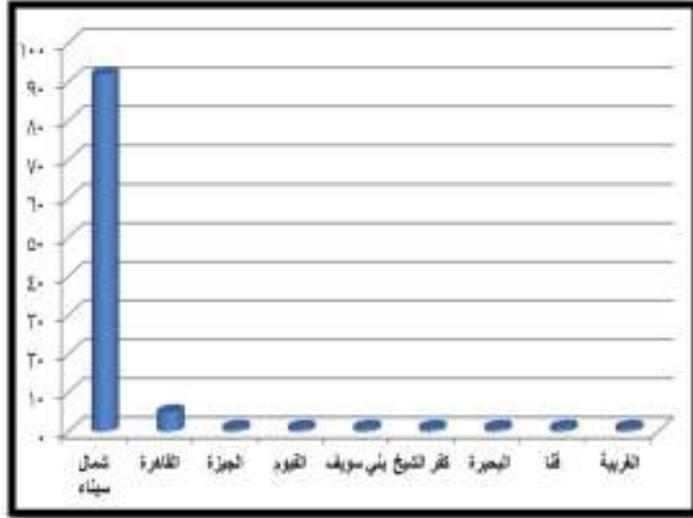
وقد غيرت اسمها رسمياً إلى ولاية سيناء" منذ إعلانها مبايعة تنظيم الدولة الإسلامية، وهي جماعة مسلحة استوطنت في شبه جزيرة سيناء مؤخراً، وقد أعلنت الجماعة مسئوليتها عن العديد من التفجيرات والاختيالات التي وقعت بعد (٣٠ يونيو)، وأعلنت مسئوليتها رسمياً عن تفجير مديرية أمن الدقهلية الذي أودى بحياة (١٥) شخصاً وإصابة أكثر من (١٠٠ آخرين)، ويعتقد أنها تكون المجموعة الرئيسية وراء نشاط الجماعات المتشددة بسيناء، وتقوم الجماعة على تجنيد بدو سيناء بالإضافة إلى المصريين وجنسيات أخرى.

وقد تقاطعت أهداف هذه الجماعات مع عصابات التهريب المنتشرة في شبه جزيرة سيناء، في الخروج عن القانون ومواجهة الدولة المصرية، مستغلة حالة الفراغ الأمني وخبرة هذه الجماعات في عمليات تهريب السلاح والاتجار بالممنوعات والتي تجني من خلالها التمويل اللازم لتغطية نشاطاتها ضد الدولة.

ثالثاً: التوزيع الجغرافي للعمليات الإرهابية:

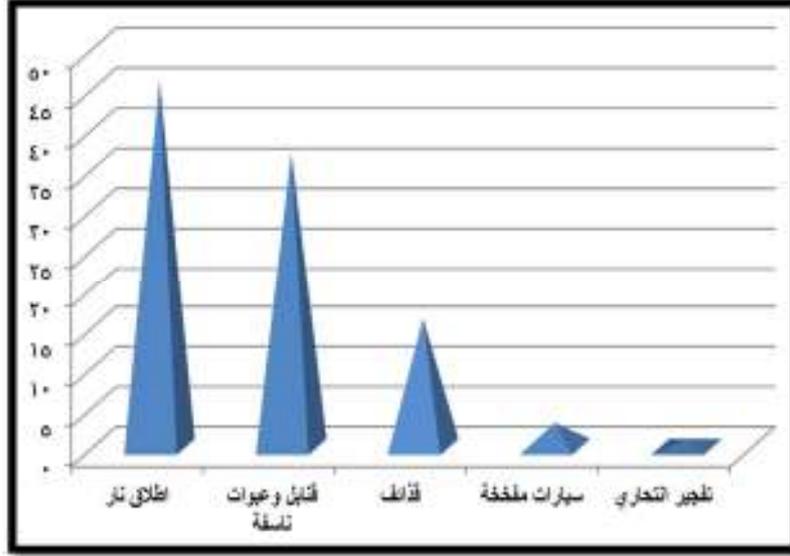
بالنظر للشكل رقم (٣٤) يتضح أن أهم المحافظات التي شهدت أعمال إرهابية خلال الربع الأخير (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر) من عام ٢٠١٦م هي محافظتي (سيناء، والقاهرة)، وقد احتلت سيناء الترتيب الأول من حيث عدد العمليات الإرهابية والتي بلغ عددها ٩٢ عملية، يليها بفارق كبير محافظة القاهرة والتي شهدت وقوع ٥ عمليات

إرهابية، بينما لم تشهد كل محافظة من المحافظات الغربية، قنا، البحيرة، كفر الشيخ، بني سويف، الفيوم، الجيزة سوى عملية واحدة خلال نفس الفترة، حيث بلغت نسبة العمليات في محافظة شمال سيناء ٨٨% من مجمل الأعمال الإرهابية مقارنة بباقي المحافظات والتي بلغت نسبتها مجتمعة ١٢%.



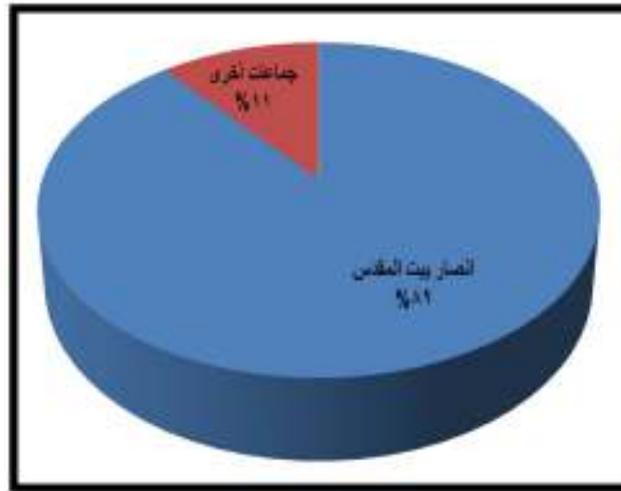
شكل (٣٤) التوزيع الجغرافي للعمليات الارهابية في مصر خلال عام ٢٠١٦

أما عن الادوات المستخدمة في العمليات الإرهابية من قبل التنظيمات والجماعات الإرهابية في مصر خلال الربع الأخير من عام ٢٠١٦ فيوضحها الشكل (٣٥) موزعة حسب النوع، وقد انقسمت العمليات الإرهابية إلى خمس نوعيات أساسية، وهي: (العبوات الناسفة، إطلاق نار، سيارات مفخخة، والقذائف بأنواعها، وتفجير انتحاري)، وقد احتل إطلاق النار كأعلى النوعيات من حيث الاستخدام بمعدل (٤٦)، من إجمالي العمليات الإرهابية، وتلتها استخدام القنابل والعبوات الناسفة بنحو (٣٧) من إجمالي العمليات الإرهابية، وجاءت القذائف في المرتبة الثالثة كذلك بنحو (١٦) من إجمالي العمليات، وفي المرتبة الرابعة حلت السيارات المفخخة بنحو (٣) من إجمالي العمليات، ذلك علاوة على دخول فئة جديدة لم تكن موجودة من قبل وهي العمليات الانتحارية والتي حلت في المرتبة الأخيرة بنحو عملية إرهابية من إجمالي العمليات الإرهابية بنفس الفترة.



شكل (٣٥) الادوات المستخدمة في العمليات الارهابية ٢٠١٦

وقد استحوذ تنظيم (بيت المقدس)، بسيناء بالعدد الأكبر من العمليات الإرهابية خلال الربع الأخير من عام ٢٠١٦ حيث قام بنحو ٨٩ % من العمليات الإرهابية، مقابل ١١ % من العمليات الإرهابية قامت بها تنظيمات إرهابية عشوائية. ويتضح ذلك من الشكل (٣٦):



شكل (٣٦) التوزيع النسبي للعمليات الارهابية حسب مرتكبيها

العيوب الجيوبوليتيكية لدولة ليبيا وتأثيره على الثورة

الدولة تتألف من أقاليم عدة مختلفة طبيعيا أو بشريا أو اقتصاديا ويندر حقا أن تتألف دولة من إقليم واحد متجانس تماما، وهذه الأقاليم المتفاوتة في أحجامها ومواردها وتراكيبها يجب أن تكون أعضاء فعالة متكاملة في كيان الدولة وفي الجسم السياسي ووظيفة الدولة أن تنسق بينها وتحفظ التوازن بينها بما يضمن العدالة السياسية والمادية الكاملة فلا يطغى إقليم على غيره، بل على الدولة أن تعمل على خلق شبكة من القيم والمعايير للأقاليم المتكافئة بقدر الإمكان وذلك بضبط وتنظيم توزيع الأوزان الحضارية والبشرية بين أقاليم الدولة المختلفة وبذلك تكفل الديمقراطية المكانية.

وهذا لا يعني تحقيق المساواة المادية والحضارية المطلقة بين جميع الأقاليم بغض النظر على إمكاناتها الجغرافية الأصلية التي لا يمكن أن تتساوى مطلقا بطبيعة الحال دائما وإنما المقصود هو ألا تترك للعوامل العارضة السطحية أو القوى المتميزة العاطفية أو الاقتصادية أو السياسية التي تؤدي إلى فروق مصطنعة أو امتيازات غير جديرة في مستويات المعيشة والدخل والتسهيلات الحضارية المادية والمادية وذلك بين أقاليم البلاد المختلفة.

من المنطلق السابق كان من المفيد تحديد الخطوط العريضة للدولة الليبية من الناحية الطبيعية وارتباطات المتغيرات البشرية بها لتحديد عناصر الضعف الجيوبوليتيكية للدولة الليبية، لكي نستطيع في النهاية أن نحدد الضوابط الرئيسة التي أثرت ومازالت تؤثر على الثورة الليبية.

والدولة الليبية ظاهرة سياسية واقتصادية واجتماعية بارزة اليوم في عالمنا المعاصر ذات أبعاد مكانية متعددة ومتباينة داخلية وخارجية، تمتاز بعدة مميزات طبيعية وبشرية إلا أنها تعاني من عده مشكلات و صعوبات تتعلق بمعطياتها الجغرافية السياسية، وهذه الدراسة تحاول التركيز على دراسة أثر العيوب الجيوبوليتيكية للدولة الليبية على ثورتها.

الخصائص الجغرافية لليبيا:

تحتل ليبيا مساحة كبيرة من شمال القارة الإفريقية بين خط طول ٩ وخط طول ٢٠ شرقا في حين أن أقصى امتداد لها جنوبا يصل إلى دائرة عرض ١٨,٢٥ إلى دائرة عرض ٣٢,٥٧ شمالا . وهذا الموقع الفلكي جعل الدولة الليبية تمتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الحدود الجنوبية مع كل من النيجر وتشاد، أما شرقا فتسير الحدود مع كل من مصر والسودان وغربا مع حدود تونس والجزائر.

ويظهر بجلاء من هذا التحديد اتساع رقعة الدولة الليبية التي تقدر مساحتها بحوالي ١٧٥٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع تحدها مجموعة من الحدود يبلغ طولها قرابة ٦٥٠٠ كم ، منها ٤٥٥٠ كم حدود برية، أما الباقي ١٩٥٠ فهو طول الشريط الساحلي الممتد من بئر الرملة إلى رأس أجدير غربا. أدى هذا الموقع المميز وهذه المساحة الكبيرة على الساحل الجنوبي للمتوسط إلى تأثر البلاد منذ أقدم العصور بالعديد من الأحداث التاريخية المهمة جدا التي عرفتها منطقة البحر المتوسط، وقد لعب هذا الموقع دورا فريدا في جانبيين مهمين: الأول التطور الجيوبوليتيكي لليبيا، والثاني : التركيب الداخلي للدولة.

وأراضي الدولة الليبية رحبة في معظمها ويبلغ متوسط ارتفاعها ما بين ٢٠٠ - ٦٠٠ متر فوق سطح أراضيها وتنحدر تدريجيا كلما اتجهنا شمالا حتى تنتهي عند ساحل البحر المتوسط مكونة حزامه ساحلية منخفضة يختلف اتساعه من منطقة إلى أخرى، وتتعدد المظاهر التضاريسية بالأراضي الليبية إلا أنه يمكن حصرها في ثلاث نطاقات رئيسية، النطاق الأول: يشمل السهول الساحلية في كل من المنطقة الشرقية وسهل بنغازي وسرت وسهل مصراته الخمس وسهل الجفارة، والنطاق الثاني: ويضم المرتفعات الشمالية التي تتمثل في هضبة البطنان والجبل الأخضر والجبل الغربي، أما النطاق الثالث: وهو النطاق الصحراوي الذي يشمل الهضاب مثل الحمادة الحمراء والمنخفضات الشمالية مثل منخفض الجغبوب وأوجله وجالوا واجخرة ومنخفض مراده، كما يشمل هذا النطاق أحواض اوباري و مرزق وحوض الكفرة بالإضافة إلى الجبال التي تتمثل في جبل الهروج وجبل تبستي وجبل العوينات وجبل السوداء، ويضم النطاق الصحراوي عده أودية كبيرة مثل وادي الشاطئ وادي الآجال بالإضافة إلى المسطحات الرملية والسرير.

وتمتد الأراضي الليبية في جزئها الأعظم ضمن النطاق الصحراوي الجاف الذي يسود اغلب القسم الشمالي من القارة الأفريقية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ولا يستثنى من ذلك إلا شريط ساحلي ضيق يمتد على طول البحر المتوسط و بعض المرتفعات الجبلية الواقعة شمال البلاد، حيث تسقط الأمطار بكميات في فصل الشتاء تكفي لنمو حياة نباتية طبيعية تختلف في كثافتها وفي أهميتها بالنسبة لقيام الحياة الحيوانية والبشرية حسب كمية الأمطار المتساقطة. فمن هذه المناطق ما تكفي أمطارها لنمو غابات و أحراش دائمة الخضرة شبيهة

بالتي تنمو في مناخ البحر المتوسط، كما هو الحال في هضبة الجبل الأخضر، ومنها لا تكفي أمطاره لنمو حشائش موسمية سرعان ما تختفي باختفاء آخر زخة مطر في الموسم كما هو الحال في منطقة سهل الجفارة.

وبحكم موقع ليبيا في الإقليم الجاف وشبه الجاف جعل درجات الحرارة لا تختلف كثيرا بين مناطق البلاد المختلفة، وهي عموما مرتفعة في الصيف باستثناء الشريط الساحلي والمرتفعات الشمالية، ومعتدلة إلى مائلة إلى البرودة في الشتاء، أما فيما يخص الرياح السائدة على الساحل فالاتجاه السائد في الصيف هو الشرقي يليه الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي. أما في فصل الشتاء فيغلب الاتجاه الشمالي والشمالي الغربي ثم الجنوب الغربي، أما الأقاليم الجنوبية فالرياح الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية بالإضافة إلى الشمالية هي السادة و عموما يغلب على مناخ ليبيا الجفاف طول العام.

ويبلغ سكان ليبيا حوالي ٦,٥٧٠,٤٥١ نسمة حسب التعداد العام للسكان عام ٢٠١٩م على مساحة تبلغ حوالي ١,٧٥٠,٥٠٠ كيلو متر مربع، وهكذا يتضح جليا التباين الحاد بين مساحة الدولة الشاسعة وحجم سكانها المحدود، مما انعكس سلبا على توزيعهم المكاني داخل البلاد وظهر بمظهر التوزيع المشتت المتخلخل الذي يوحى بضعف التركيز السكاني وانخفاض الكثافة السكانية وبتفحص خريطة توزيع السكان في ليبيا يتضح عدم انتظام هذا التوزيع، فأغلب المناطق الجنوبية والوسطى تظهر بوصفها مناطق خالية من السكان تقريبا، ويستقر السكان في مدن ومستوطنات صغيرة في واحات مبعثره في الصحراء من غات حتى الكفرة. غير أن منطقتي التركيز السكاني التقليديين هما منطقة التركيز السكاني في الشمال الغربي وتمثل نواتها

مدينة طرابلس، ومنطقة التركيز السكاني الثاني في الشمال الشرقي وتمثل نواتها مدينة بنغازي، وبشكل عام لعبت العوامل الجغرافية الطبيعية وخاصة المناخ والعوامل البشرية وخاصة العامل الاقتصادي، دورا رئيسا في التشتت الداخلي للسكان، فقد حددت منذ زمن بعيد ملامح التوزيع الجغرافي للسكان في ليبيا

العيوب الجيوبوليتيكية للدولة الليبية

قد تكون ليبيا دولة حديثة في السياسة الدولية ولدت في منتصف القرن العشرين، ولكنها بمقاييس الجغرافيا السياسية دولة قديمة يتجاوز عمرها عشرون قرنا على الأقل، وليبيا كوحدة جغرافية سياسية مهما كان وعاؤها ضعيفة من القوة والوزن أو ضئيل الحجم والثقل استطاعت أن تفرض نفسها على العالم الخارجي كما على أبنائها في الداخل، فهذه الكتلة التي تقع بين المغرب العربي في الغرب ووادي النيل بمصر في الشرق ومن البحر المتوسط في الشمال إلى الجنوب في عمق الصحراء الكبرى، تمتد لمساحات شاسعة في طولها وعرضها اعتبرت منطقة جغرافية قائمة بذاتها وعامل فصل بين المغرب العربي والشرق العربي بحكم مساحتها الشاسعة و اختلاف خصائصها الطبيعية والبشرية، ويمكن حصر أهم العيوب الجيوبوليتيكية لليبيا فيما يلي:

١- إن عاملي الامتداد المترامي والاختلاف الطبيعي يعدان في نفس الوقت نقطتي القوة الحقيقيتين في كيان ليبيا، فهما ضمننا قيام الكيان ثم بقاءه عبر التاريخ، ونحن أمام وحدة سياسية أصيلة تمثل وطن لشعب تاريخي واضح القوام والتخوم.

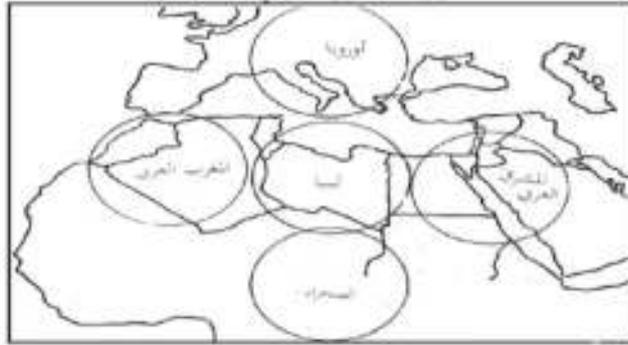
٢- الحجم الطبيعي أو الوزن السياسي لليبيا محدود، لأن المنطقة محدودة الموارد والسكان وتبدو كقزم بين كتلتى مصر شرقا والمغرب العربي غربا.

٣- النسيج الطبيعي الفقير الممزق الذي خلق بينات متباعدة داخل كيان الدولة الطبيعي، وجعل هناك قدر من التفكك الطبيعي النسبي و بالتالي نوعا من التشتت والتبعثر الطبيعي الذي يضعف الكيان السياسي للبلاد.

٤- الدولة تفقد بؤرة نووية جامعة قوية للنسيج الطبيعي. وليبيا بالمفهوم الجيوبوليتيكي الدقيق دولة واسعة ذات وزن سياسى ضئيل وكثافة سكانية مخلخلة وموارد طبيعية هائلة ونواة تاريخية هامشية التموقع وتخوم وحدود طويلة المسافات ويصعب مراقبتها باستمرار.

٥- ليبيا دولة من دول الضرورة صنعتها الظروف السياسية، فقدت مثلت منطقة فصل بين الاستعمار البريطاني لمصر والسودان والاستعمار الفرنسي في كل من تونس والجزائر والنيجر وتشاد.

٦- يعد ظهور النفط في ليبيا عامل مؤثر في سياساتها الداخلية والخارجية فقد قلب النفط كيانها ومنح البلاد قوة مضاعفة وفائض قوة وصحح الضعف في خصائصها الطبيعية، مما جعلها منطقة صراع نفوذ بين القوى الخارجية لأهمية موقعها الجغرافي ومواردها النفطية.



شكل () الموقع الجغرافي لليبيا

٧- شكل الدولة غير منتظم وزاد من ضعف شكل الدولة أن مركز الدولة (العاصمة) ليس في المركز الهندسي للإقليم، وهو بذلك قلب ميت مما عرض هذا القلب للخطر وقلل من قبضة الدولة المركزية بحكم المسافات الشاسعة في بينات صحراوية وشبه صحراوية صعبة. وهذا عامل ساهم في تشتت وتباعد الأقاليم وابتعادها عن المركز، وشدها إلى الخارج في عملية تفريغ سلبية لكيان الدولة بحكم صلاتها التاريخية، وأدى إلى تنافس سلبي داخل كيان الدولة وهو ما يفسر المنافسة التاريخية لقيادة الدولة بين إقليمي طرابلس وبنغازي.

عيوب الدولة الجيوبوليتيكية وتأثيره على الثورة الليبية

تعد ليبيا رابع أكبر البلدان مساحة في قارة أفريقيا، والسادسة عشرة على مستوى العالم، وهو ما يفرض على هذه الدولة معضلات كبرى من الناحية الجيوسياسية جعلها تشهد حالة من عدم الاستقرار والنزاع المسلح منذ سقوط القذافي، وأبرز هذه المشكلات انعدام السيطرة على هذه الحدود ما يسمح بدخول العناصر المناوئة، عدا عن سهولة تهريب السلاح، وما له من أثر في نشوء الكثير من

المجموعات المسلحة والميليشيات التي تسهم في تمزيق السلم الاجتماعي.

ويتركز معظم سكان ليبيا البالغ عددهم قرابة الستة ملايين على امتداد الشريط الساحلي، وخاصة في الغرب الذي يقدر سكانه بنحو ٤ ملايين، ويعد المجتمع الليبي مجتمعا محافظا يدين معظم سكانه بالإسلام، ويلعب التكوين القبلي دورا مهما في المجتمع على حساب الدور الذي يفترض أن تلعبه الأحزاب السياسية التي حاربها نظام القذافي بإصداره قانونا يجرم الحزبية. كما أصبحت القبائل تلعب دورا أمنيا في ضوء انتشار السلاح وتهريبه خلال الثورة وبعدها.

وقد أدى تعدد القبائل وتنوعها إلى تعدد التشكيلات المسلحة في مختلف مناطق ليبيا، وتنشط تحت عدد من التسميات، ومن أبرزها:

١- القوات التي قادت عملية فجر ليبيا: وهي تشكيلات مسلحة من الثوار من ٢٣ مدينة ليبية تمكنت من السيطرة على مدينة طرابلس، وبسطت نفوذها على معظم الغرب الليبي حيث الثقل السكاني في البلاد. وتعد موالية لحكومة الإنقاذ ومن ثم لحكومة الوفاق الوطني.

٢- تشكيلان جديان تم استحداثهما، الأول تحت مسمى الحرس الرئاسي وقد شرعت بتشكيله حكومة السراج، والثاني الحرس الوطني الذي أنشئ بناء على قرار سابق للمؤتمر الوطني.

٣- القيادة العامة للجيش الليبي: وهي تسمية أطلقها اللواء خليفة حفتر على المجموعات التي تقاتل معه، وأغلب عناصرها من قبائل الشرق (العبيدات، العواقير، الفرجان، البراعصه وغيرها) وهي قبائل تستوطن مدن بنغازي والمرج والبيضاء وطبرق. وهي مجموعات تقاتل ضد مجلس شورى ثوار بنغازي وضد ثوار درنه، وقد خسر

حفتر كثيرا من عناصره في معاركه ضد بنغازي ودرنه. ويقود جيش حفتر قادة عسكريون ممن كانوا في جيش القذافي .

٤- قوات القعقاع والصواعق والمدني: وهي تشكيلات عسكرية من ثوار الزنتان وقد ضمت إليها العديد من عناصر اللواء (٣٢ معزز) التابع سابقا لخميس القذافي ابن العقيد معمر القذافي.

٥- قوات الدروع: هي أكبر تشكيل عسكري في ليبيا متكون من أغلبية من الثوار ويملك أكبر ترسانة عسكرية أغلبها مما استولى عليه الثوار من قوات القذافي، إلا أن هذه القوات تراجعت ولم تعد تمتلك نفس القوة السابقة.

٦- مجلس شورى ثوار بنغازي: وهو تنظيم عسكري يضم ٥ كتائب عسكرية من الثوار الذين قاتلوا ضد القذافي، وهو يخوض حربا ضد قوات حفتر في بنغازي، وقد خسر هذا التنظيم معظم المناطق التي كان يسيطر عليها في المدينة، وتحول مؤخرا إلى "سرايا الدفاع عن بنغازي".

٧- كتائب الطوارق في الجنوب الليبي: وهي كتائب مسلحة موالية لحكومة الوفاق الوطني تحرس مع (القوة الثالثة) الحدود الجنوبية مع تشاد والنيجر.

٨- مجلس شورى ثوار درنه: كان يتكون من عدد من الكتائب المسلحة، من بينها "مجلس شورى شباب الإسلام" الذي اعتنق فكرا متطرفا وأعلن انضمامه إلى تنظيم داعش، وقد دخل مجلس شورى درنة في منتصف عام ٢٠١٥ في مواجهات مع داعش أدت إلى طرد عناصر التنظيم من المدينة.

٩- تنظيم أنصار الشريعة في المنطقة الشرقية من ليبيا وكان يقوده الشيخ محمد الزهاوي الذي أعلن عن مقتله في يناير ٢٠١٥، وقد كان جزء من مجلس شورى ثوار بنغازي، إلا أن هذا التنظيم قد تفتت، وانضم من بقي من أعضائه إلى داعش.

١٠- جيش القبائل: وهم مجموعات مسلحة من الموالين لنظام القذافي، وقد وجدت كل الدعم من الزنتان واللواء حفتر، أسسها أحمد قذاف الدم ابن عم العقيد القذافي المقيم في القاهرة. وتقاتل هذه القوة التشكيلات المسلحة في جبهة الوطنية في الغرب الليبي، وقد تم إخراج هذه القوات من معقلها في منطقة ورشفانة جنوب غرب العاصمة طرابلس.

ولعل من أهم أسباب الأزمة الليبية والتي يعود معظمها لعيوب جيوبوليتيكية بليبيا والتي يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

١- غياب مؤسسات حقيقية للدولة طوال فترة حكم القذافي الذي ليبيا بشكل فردي وعمل على إضعاف مؤسساتها، وأحزابها، ومجتمعها المدني.

٢- تكديس السلاح في البلاد وتهريبه وانتشاره ما أدى إلى نشوء تنظيمات وجماعات مسلحة على امتداد الجغرافية الليبية وتعدد ولائها.

٣- التدخلات الخارجية الإقليمية والدولية في الشأن الليبي وبتجاهات متناقضة لرسم مستقبل الدولة بعد سقوط القذافي.

٤- تزايد البعد القبلي والعشائري وانخراطه في السياسة والعمل المسلح، وذلك على حساب الدور الذي كان من المفترض أن تلعبه

الأحزاب السياسية التي تم حظرها طوال فترة الفذافي والملكية في ليبيا.

٥- بروز الثنائية بين "ليبراليين" و"إسلاميين"، وهو ما أدى إلى الصراع على هوية الدولة من ناحية، وعلى السلطة من ناحية أخرى.

٦- الصراعات القبلية والجهوية والفئوية.

السيناريوهات الجيوبوليتيكية اللازمة لليبية:

١- السيناريو الأول: سيناريو الحل السياسي:

وقف الأعمال القتالية والوصول إلى توافق سياسي بين الأطراف الرئيسية المتصارعة على أرضية اتفاق الصخيرات والقبول بحكومة الوفاق الوطني المنبثقة عنه.

٢- السيناريو الثاني : عسكرة الدولة:

حسم الاقتتال في ليبيا عسكرية لصالح اللواء حفتر، وسيطرة قواته على مؤسسات الدولة، وسقوط اتفاق الصخيرات وحكومة الوفاق الوطني المنبثقة عنه.

٣- السيناريو الثالث: جمود الوضع القائم:

حيث تستمر حالة الاقتتال والفوضى.

٤- السيناريو الرابع: تقسيم الدولة:

ترسيم الانقسام السياسي، وإنهاء وحدة الدولة، وتقسيمها إلى كيائين منفصلين أو أكثر على خلفية سياسية وجغرافية وقبلية. وهذا سيؤثر على الأمن الإقليمي خاصة دول الجوار مثل مصر.

جيوبوليتيك الامن الوطني

” العراق دراسة حالة ”

١- مفهوم الأمن الوطني:

وفقا لمركز الدراسات الاستراتيجية، للقوات المسلحة المصرية فإن الأمن الوطني أو الأمن القومي يعني:

”عملية محلية مركبة. تحدد قدرة الدولة على تنمية إمكاناتها، وحماية قدراتها، على كافة المستويات، وفي شتى المجالات، من الأخطار الداخلية والخارجية. وذلك من خلال كافة الوسائل المتاحة، والسياسات الموضوعية، بهدف تطوير نواحي القوة، وتطوير جوانب الضعف، في الكيان السياسي والاجتماعي للدولة، في إطار فلسفة قومية شاملة تأخذ في اعتبارها كل المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية”.

وعرفه البعض قائلا: ”إن مفهوم الأمن القومي، في جوهره مفهوم عسكري، ينبع من خصائص الأوضاع الدفاعية للإقليم القومي، ليتحول في صياغة نظيرية بحيث يصير قواعد للسلوك الجماعي والقيادي، بدلالة سياسية، ويجزاء لا يقتصر على التعامل الداخلي”.

يرجع الكاتب مفهوم الأمن القومي، إلى المفهوم العسكري، ولكنه يشير إلى أن المفهوم العسكري هو أصلاً نابع من حقائق جغرافية، هي دفاعية (أي ما تيسره طبيعة الإقليم للدفاع عنه في شكلها الطبيعي)، وهو يشير أيضاً إلى الإقليم القومي، أي إنه يتحدث عن أمن جماعي لقوم محددين (جاء التعريف في سياق كتابه عن الأمن القومي العربي)، وبتحول المفهوم إلى صياغة مكتوبة، يصبح قاعدة يجب التحرك في إطارها شعباً وحكومة، ومن خلال سياسة محددة تشمل

التعامل مع الخارج والداخل معاً. وهذا المفهوم يمتاز بإشارته للحقائق الجغرافية المؤثرة، على مفهوم الأمن القومي (الوطني). وهي، بلا شك، ذات أهمية بالغة، يجب مراعاتها عند وضع الاستراتيجيات والسياسات العسكرية والسياسية للدولة داخلياً وخارجياً.

٢- مستويات الأمن الوطني

عندما اتضح أن الأمن المطلق - المثالي - يصعب تحقيقه، وأن تعارض الأهداف والمصالح القومية للدول، توقعها في مصادمات، تكون من نتائجها انتهاك الأمن الوطني للفريق الخاسر، في كل أو بعض مكوناته. وضعف للأمن الوطني للفريق الغالب في بعض الأحوال، سعت الدول إلى علاقات دولية وإقليمية تزيد بها من صلابة أمنها الوطني، وتغطي نقط ضعفه، في إطار المصلحة العامة، وتتلاقى الأهداف دون تعارض، وهو أمر ليس بالسهل كذلك، يسعى لمصلحة مطلقة لتحقيق الأمن الوطني، وهي فكرة قريبة الشبه من الأمن المطلق. بل استطاعت المصلحة العامة المطلقة، أن تجمع بين دول أكثر عدداً، وأكثر اختلافاً في قاعدتها، التي يُطلب لها الأمن الوطني (خصائص الدولة وشعبها)، سعياً لتحقيق الأمن الوطني لكل منهم، بتحقيق أمن جماعي لهم جميعاً، خوفاً من تكرار تجربة أليمة مضت.

ومن هذا المفهوم، بدأ في الظهور عدة تكتلات، لها عدة أهداف على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. وبدخول التعاون العسكري، تكتمل الصفة ليصبح التكتل ذا صبغة أمنية متكاملة. وتكررت ظاهرة مشاركة الدولة في العديد من التنظيمات، سعياً وراء مزيد من الضمان لأمنها الوطني، في بعض، أو كل مقوماته.

وصُنفت تلك التكتلات في مستويات، تتدرج من الفردية (الذاتية)، إلى الدولية (الجماعية)، لإدراك مجالاتها وتحديد اتجاهاتها الأمنية:

أ. المستوى الأول، الأمن الداخلي Individual Security

أدنى درجات الأمن، وأساسها أيضاً، وهو يُعني بالحالة التي يوجد عليها الفرد (المواطن)، من استقرار وطمأنينة، وعدم تهديد لوجوده وبقائه، لذلك يعرف أيضاً بمسمى "الأمن الفردي". وهو ذو مظهرين، أحدهما مادي، وهي مجالات الأمن الأساسية لدى الفرد (المواطن) من مورد رزق يوفر ضروريات الحياة، له ولأسرته، من مأكّل ومشرب وكساء، ومأوى (سكن) دائم وآمن، والاطمئنان على حياته وأسرته من اعتداء الآخرين. المظهر الثاني معنوي (نفسى)، يحقق الحاجات النفسية للإنسان من الاعتراف بوجوده وفائدته للمجتمع (البيئة)، الذي يعيش فيه، وأهمية نشاطه ودوره للجماعة والمجتمع، ومنحه مركزاً مميزاً في المجتمع تقديراً له.

هذا الشق الأمني (أمن المواطن الداخلي) هو من مسؤوليات الدولة، وشأنها الداخلي مع مواطنيها. ومحصلة تحقيق هذا الأمن لجموع الشعب كأفراد، وجماعات، وطوائف، ومدن وولايات (محافظات - أقاليم - مناطق) هو تحقق للأمن الداخلي، للدولة نفسها.

ومع ذلك، فإن المنظمات العالمية، والمؤسسات غير الحكومية، صاغة هذا الأمن في مواثيقها باسم حقوق المواطنة، أو حقوق الإنسان وغيرها. وهو ما يعكس قلق الدول الأعضاء في تلك المنظمات، أو الجماعات المؤسسة لها (في حالة كونها منظمة غير رسمية)، من انتهاك أمن المواطن (الفرد) وانعكاسات ذلك على أمن

الدولة أو أمن المجتمع، الذي يمكن أن يستشري، فيصيب ما جاوره من دول ومجتمعات فيهدد أمنها.

ب. المستوى الثاني، الأمن الوطني National Security

القصد منه ضمان تأمين الدولة من الداخل، مع توافر القدرة على دفع التهديد الخارجي، وصولاً لتحقيق حياة آمنة مستقرة، في إطار حدود الدولة، والتزاماتها السياسية. وهو مستوى مركب من عدة جزئيات، فالأمن الداخلي لهذا المستوى يسمى الأمن المحلي Local Security، وهو جزء من البعد السياسي للأمن. والأمن الذاتي Regime Security جزء من الأمن المحلي، وهو أمن خاص بالنظام الحاكم، الذي يشمل إجراءات المحافظة على الشرعية الدستورية للحكم، أو إجراءات الحفاظ على الوضع القائم، وبقاء النخبة الحاكمة في السلطة.

ويطلق على هذا المستوى أحياناً "الأمن القومي"، وهي تسمية مرادفة، دون أن يكون لها صفة قومية، كما يدل الاسم في بعض الدول. كما تعني في دول أخرى تجمع قومية بعينها. وهذا التفسير لمعنى "الأمن القومي"، يتداخل مع مستويات أخرى تالية.

ويعتبر الأمن الوطني، المستوى الأساسي للأمن، والذي تسعى الدول لتحقيقه، داخلياً وخارجياً. وتنهج كل السبل الممكنة في سبيل ذلك، بما فيها الصراع المسلح للدفاع عنه.

ج. المستوى الثالث، الأمن دون الإقليمي Sub-Regional Security

يُعني هذا المستوى، بتأمين متطلبات الأمن، لعدد محدد من الدول، في إطار مصلحة مشتركة، سواء كان ذلك من خلال ترتيبات أمنية

فقط، أو تنظيم كامل (منظمة). وتكون هذه الدول غالباً عضو في تنظيم أوسع، يتيح لها الاشتراك في منظمة (دون الإقليمية)، والتركيز على مصلحة مشتركة تجمع هذه الدول في التنظيم دون الإقليمي. مثال ذلك مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومجلس التعاون العربي، والاتحاد المغاربي، وكلها نشأت في توقيتات متقاربة، لأسباب مختلفة. فالأول أنشئ عقب اندلاع حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، لمواجهة أخطار هذه الحرب (العسكرية، والاقتصادية، والسياسية)، وتحقيق المصلحة المشتركة بين أعضاء هذه المنظمة، بسبب تخوفهم من تأثير الحرب على البعد الاقتصادي للأمن، خاصة إذا أثرت الحرب على صادرات النفط وأسعاره. ويجمع بين دوله، أيضاً، الأصول العرقية، واللغة، والدين، والتاريخ المشترك، وجميع دوله عضو في تنظيم أوسع، (جامعة الدول العربية)، ذي صبغة قومية عربية فقط. أما الثاني فقد أنشئ لهدف اقتصادي في البداية، وهو تنمية اقتصاد دوله الأعضاء، وعندما اختلفت وجهات النظر الأمنية للأعضاء (خاصة بعد غزو العراق للكويت)، لم يكن من الممكن استمراره، فتم حله. ومثل سابقه، فدوله جميعها أعضاء في تنظيم أوسع (جامعة الدول العربية). والثالث هو اتحاد دول المغرب العربي، وهو تجمع كان الهدف منه اقتصادي وسياسي، ولكن فاعليته ضعيفة، حيث لا يوجد له إطار أمني حتى الآن، على الرغم من أن هدفه هما أهم أبعاد الأمن الوطني. وقد يكون ذلك للمتناقضات التي تحتويها دوله الأعضاء. ومن المفارقات أن هذا التنظيم هو الوحيد - وقد يكون ذلك على مستوى العالم أيضاً - الذي تشارك دوله جميعاً في عضوية عدة تنظيمات أوسع (جامعة الدول العربية، ومنظمة الوحدة الأفريقية)، وكل منهما له صبغة مختلفة تجتمع في دول الاتحاد.

ويرى بعض الدارسين، أن المنظمات دون الإقليمية، المتفرعة من تنظيم إقليمي أوسع (كما في حالة المنظمات الثلاث السابقة ومنظمة جامعة الدول العربية)، أنها تتيح خصوصية زائدة لأعضاء التنظيم دون الإقليمي، بما يفترض معه رؤية أمنية خاصة يحققها هذا التجمع (أمن الخليج والنفط، في حالة مجلس التعاون الخليجي)، والذي يُفضّل معه عدم إشراك التجمع الأكبر، من دون أن يتعارض ذلك مع أمن التجمع الأكبر، من منظور أن تحقيق الأمن للمستوى الأقل، يعاون على تحقيق الأمن للمستوى الأكبر.

د. المستوى الرابع، الأمن الإقليمي Regional Security

ظهر مصطلح "الأمن الإقليمي"، في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، ليعبر عن سياسة تنتهجها مجموعة من الدول، تنتمي إلى إقليم واحد، وتسعى للتنسيق الكامل لكافة قدراتها وقواها لتحقيق استقرار أمنها في محيط الإقليم، بما يردع التدخلات الأجنبية من خارج الإقليم، والدول المجاورة المهددة له. وقد انتشر استخدام هذا المصطلح عقب الحرب العالمية الثانية، بظهور تنظيم إقليمي اهتمت معظم دول العالم به، وهو جامعة الدول العربية. وقد أنشأتها الدول العربية عام ١٩٤٥، اعتماداً على القومية العربية، التي تجمع شعوب هذا التنظيم. إضافة إلى تجاورها في المنطقة العربية لتجمع هذه الدول بين الأصل العرقي الواحد، والتشابه السكاني (دين ولغة وتقاليد) والانتماء الإقليمي الواحد، وهو ما لم يتجمع في أي تنظيم آخر.

التنظيم الإقليمي الآخر، المشابه، هو منظمة الوحدة الأفريقية، التي تضم كل دول القارة الأفريقية، أي أنه أنشئ على أساس جغرافي، وهو كسابقه (جامعة الدول العربية) ضعيف الفاعلية، وغير مؤثر في أي بعد من أبعاده الأمنية. ولم يحقق أي قدر من الأمن للقارة ككل، أو

لأعضائه الذين يُنتهك أمنهم دوماً، في الصدمات والأزمات العالمية والإقليمية، وبين أعضائه أنفسهم.

وإذا كانت المنظمتان السابقتان قد فشلتا، في تحقيق الأمن لأعضائها، فإن اتحاد الأمم الأوروبية - وهي منظمة إقليمية أيضاً تضم معظم الدول الأوروبية، كان أساس نشأتها اقتصادي أولاً - تمكن من حل معضلة الأمن الإقليمي، فيما واجهها من أزمات. واستخدمت أنواعاً متعددة من القوى (سياسية واقتصادية وعسكرية) لحماية أمنها، واستطاع أن يُجمَع تلك القوى (البرلمان الأوروبي، العملة الأوروبية، والقوات الأوروبية) ليصبح له قدراته الخاصة المعبرة عنه بحق.

وإذا كان عددٌ من الكتاب والخبراء والباحثين، قد أجازوا التنظيم دون الإقليمي، في إطار التنظيم الإقليمي الأكبر، على أساس أن تحقيق أمن الأصغر يعاون أمن أكبر، فإن عدداً آخر، يعد التنظيمات دون الإقليمية مغرقة في الخصوصية، مفضلة أمنها القطري، على الأمن الإقليمي، وهو ما يحرم التنظيم الإقليمي من قواها وقدراتها الكاملة، ويضعفه أحياناً.

هـ. المستوى الخامس، الأمن الدولي Universal Security

قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية، بحثت الدول الكبرى المنتصرة (الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، والمملكة المتحدة)، وضع صيغة أمنية عالمية. وإقامة تنظيم دولي جديد، يستند إلى مبادئ وأسس دولية، بعد ما تبين عدم فاعلية الهيئة السابقة (عصبة الأمم)، التي أنشأت عقب الحرب العالمية الأولى، ولم تستطع منع نشوب حرب

عالمية أخرى، لعدم مواعمة أجهزتها وميثاقها لمتغيرات المجتمع الدولي.

صدر في ٧ أكتوبر ١٩٤٤ مقترحات للأسس والمبادئ، التي سينشأ عليها التنظيم الدولي الرسمي الجديد، تحت اسم "هيئة الأمم المتحدة"، وتكونت لائحة المقترحات من ستة مبادئ. وكان المبدأ الخامس فيها ينص على: "مساعدة التنظيم الدولي، إذا اضطر إلى استعمال القوة.

صيغت المبادئ الستة، التي تكونت منها مقترحات دبرتون أوكس، وقد وافقت عليها الدول التي أعلنت الحرب على ألمانيا وحلفائها (٤٠ دولة منهم المملكة العربية السعودية ومصر والعراق وسورية ولبنان)، في ميثاق للأمم المتحدة، خلال مؤتمر سان فرانسيسكو (٢٥ أبريل - ٢٦ يونيو ١٩٤٥) حيث وافقت ١١١ دولة على جميع مواد الميثاق، وقع منها ٥٠ دولة عليه (منها الدولة العربية الخمس السابقة). وجاء في نص الفقرة الخامسة من المادة الثانية، من الميثاق: "يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون للأمم المتحدة في أي عمل تتخذه، وفق هذا الميثاق. كما يمتنعون عن مساعدة أي دولة تتخذ الأمم المتحدة ضدها عملاً من أعمال المنع أو القمع". وجاء في المادة ٤٣ من الميثاق، تعهد الدول الأعضاء بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن، بناء على طلبه وطبقاً لاتفاق أو اتفاقات خاصة، ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن.

نتج عن هذا المفهوم للأمن الدولي، تدخّل مسلح لقوات دولية أو إقليمية، سواء استخدمت القوة، أو لوحت بها، وسواء كان ذلك بتفويض دولي أو إقليمي، لفض المنازعات الإقليمية، ومنع تصاعدها

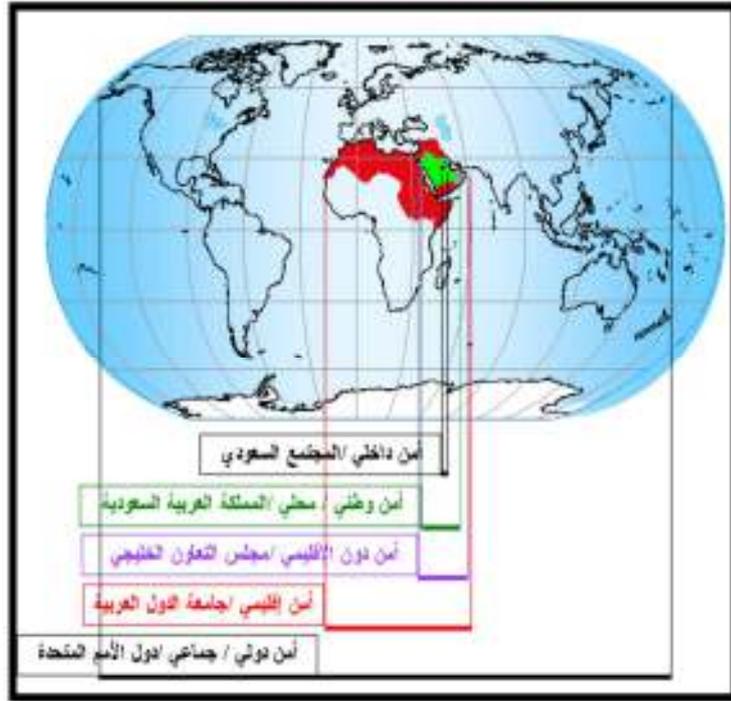
إلى مواجهة دولية، أو لرد العدوان عن الطرف الأضعف، أو لفرض عقوبات دولية، لردع التهديد وعدم تصعيد الخلافات.

أوضح المفهوم الدولي للأمن ضرورة أن تضع الدول في حساباتها، اعتبارات الأمن الدولي، أثناء اتخاذهم قرارات لحل مشاكلهم مع الآخرين، مهما اختلفت توجهات الدولة أو عظمت قواها السياسية، أو العسكرية، أو الاقتصادية.

لم يكن من السهل، في ظل نظام دولي ثنائي القطبية (الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي)، تطبيق المفهوم الدولي للأمن، كما وُضع في ميثاق الأمم المتحدة، لتعارض الرؤى الأمنية للقوى العظمى. فاستخدمت قوة دولية لغرض الأمن، في مرات قليلة. أما في عصر النظام العالمي ذي القوة القطبية الواحدة (الولايات المتحدة الأمريكية)، الذي بدأ تشكله عقب انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠، فقد أصبح ميسوراً استخدام قوة دولية (أو إقليمية) لغرض الأمن من مناطق النزاع الإقليمية، وكثر استخدام تلك القوات في أنحاء العالم، تأكيداً للشرعية الدولية، وتثبيت دورها في حفظ السلام والأمن الدوليين.

يسمى بعض المحللين هذا المستوى، "بالأمن الجماعي Collective Security"، وينسبونه إلى المنظمة الدولية (الأمم المتحدة)، كما نص ميثاقها. ويعتبرون تحقيقه مسؤولية جماعية، وليست مسؤولية قومية بعينها، أو إقليمياً بذاته. وهو يهدف إلى "منع تغيير الواقع، أو الإخلال بعلاقاته وأوضاعه، على نحو غير مشروع، وذلك عن طريق تنفيذ تدابير دولية جماعية كقوة ضاغطة ومضادة لمحاولات التغيير".

والحرص على تحقيق الأمن الجماعي، لا يلغي الاختلافات السياسية أو العقائدية بين الدول، الساعية إلى تحقيق مصالحها، وإنما يستنكر العنف المسلح كوسيلة لحل النزاع، ويفرض اللجوء للوسائل السلمية عوضاً عن الحرب. وترى فكرة الأمن الجماعي، أن إحباط عدوان أو رده، في المجتمع الدولي، لا يمكن تحقيقه من "خلال المنطق والأخلاقيات الدولية"، وإنما بمواجهته بقوة متفوقة عليه. فأما أن تردعه، أو تصرعه، وتطبق تدابير العقاب على الدولة المعتدية، مهما كانت مكانتها الدولية.



شكل () مستويات الامن الوطني " السعودية مثال "

٣- مجالات الأمن الوطني

يهتم الإنسان بتأمين نفسه ضد الاعتداءات المؤذية والضارة، وهو لذلك يسعى لتأمين جسده وشعوره ضد تلك العدائيات. وهو ما يمثل المجال الأول للأمن (المجال الداخلي)، شاملاً جزءاً مادياً (تأمين الجسد) وآخر معنوياً (التأمين النفسي). كما يهتم الإنسان، في أولوية تالية، بكل المؤثرات الخارجية، التي قد تعترض مطالبه، وتعوق حصوله على احتياجاته الحيوية، من مأكّل ومشرب وملبس ومأوى، ثم وظيفة وهيبة اجتماعية، ثم رفاهية العيش ورغدة، والسعادة والهناء، ويمثل ذلك المجال الثاني للأمن (المجال الخارجي)، الذي يتضمن كل العلاقات التي يقيمها الإنسان لتأمين الحصول على احتياجاته الضرورية. والتجمعات (المنظمات والمؤسسات)، مهما اختلفت توجهاتها، أو أنشطتها، فلا بد لها من تحديد مجالها الأمني، الداخلي والخارجي.

١. المجال الداخلي لأمن الدولة الوطني

يشمل هذا المجال، على مستوى الدولة، إقليم الدولة نفسها، داخل حدودها السياسية، التي إذا انطبقت مع الحدود الجغرافية الطبيعية، تكون أكثر مثالية من حيث الأمن، لأن الدولة، في هذه الحالة، تتوفر لها عوائق طبيعية مانعة (نسبياً)، تحقق الأمن للسكان من الأخطار الخارجية (الهجرات والغزوات)، وهو ما ينطبق على شبه الجزيرة العربية، التي يحيط بها البحار من اتجاهات ثلاثة (الخليج العربي شرقاً، بحر العرب جنوباً، البحر الأحمر غرباً) كما أن ما يلي تلك البحار أراضٍ صحراوية شاسعة، امتدت شمالاً كذلك، لتكمل متطلبات الأمن (في العصور القديمة والوسطى).

ويلحق بهذا المجال، ما ينتقل منه إلى الخارج (بصفة مؤقتة)، ليمتد المجال الداخلي إلى خارج الحدود السياسية. فعندما ينتقل بعض المواطنين إلى خارج دولتهم، فإن أمنهم الداخلي، يظل تابعاً، ومسؤولية دولتهم توفير الحماية الأمانة لهم في موقعهم. وعندما ينتقل بعض المتمردين أو المعارضين سياسياً، أو حتى المجرمين (جنائياً) إلى خارج الدولة، فعلى الدولة أن تلاحقهم، حتى لا تقوى شوكتهم، أو يروعوا مواطنيها في الخارج. وفي تلك الحالة، لا تكون الملاحقة مطلقة، وإنما يحكمها وينظمها، القوانين والأعراف الدولية، والاتفاقيات والمعاهدات، بين الدولة والدول، التي يقدر المسؤولون بالدولة، خطورة لجوء هاربين إليها.

٢. المجال الخارجي لأمن الدولة الوطني

يتسع هذا المجال، ليتخطى حدود الدولة السياسية، ويشمل المناطق التي بها مصالح الدولة واهتماماتها في الأبعاد الأمنية كلها (سياسية، واقتصادية، وعسكرية، واجتماعية، وجيوبوليتيكية)، وكذلك المؤثرات على عناصر الأبعاد الأمنية. وهو بخلاف المجال الداخلي، تتغير حدوده واتساعه بتغير محدداته.

يُقَسَّم المجال الخارجي، لسهولة التعامل مع مكوناته الكثيرة، إلى بعد جغرافي قريب (مجال خارجي إقليمي)، قد يكون متعدداً، فمثلاً يمكن لدولة مثل مصر، أن يكون لها مجال خارجي إقليمي عربي وآخر أفريقي، وثالث إسلامي، ورابع متوسطي، وخامس نيلي، وسادس بحر أحمر، وهكذا، وكلها أبعاد جغرافية قريبة مادياً (نسبة للمسافة) أو قريبة معنوياً (نسبة للأهمية، مثل المجال الإسلامي). والقسم الآخر هو البعد الجغرافي الأبعد، أو الأكثر شمولاً، بحيث يضم معه المجالات الإقليمية الخارجية، وهو المجال الخارجي الدولي. وقد زادت أهمية

هذا المجال بتطور وتقدم المواصلات والاتصالات، وأصبحت العوامل والأحداث البعيدة (مسافة أو أهمية) ذات تأثير على الأمن الوطني (أو في أحد مكونات أبعاده).

وتشمل الدراسات الأمنية، عادة، المجالين الداخلي والخارجي، لأهميتها في تحديد المؤثرات على أبعاد الأمن الوطني. كما أن مخططي السياسات والاستراتيجيات، يضعون في اعتبارهم المجالين، عند صياغة الأهداف والغايات الوطنية، وما ينبع منها من سياسات واستراتيجيات وطنية ومتخصصة.

٣. دوائر الأمن الوطني

يُقَسَّم بعض المنظرين الأمن الوطني إلى دوائر، متخذين من المصالح الوطنية، والعلاقات الدولية للدولة أساساً للتقسيم. فالدائرة الكبرى للأمن الوطني، يُمثلها الأمن الدولي (أمن جماعي - مجال خارجي دولي). والصراعات الإقليمية والعلاقات مع الدول القريبة، ترسم حدود دائرة اهتمام أكثر خصوصية للأمن الوطني، في علاقة محددة (أمن إقليمي - مجال خارجي إقليمي)، وعندما تقفل دائرة الاهتمام على دول تجمعها صفات أساسية واحدة، أو مصالح مشتركة، فهي دائرة اهتمام خاصة بقومية محددة، أو تجمع محدد (أمن قومي - مجال خارجي إقليمي كذلك). وأصغر الدوائر، هي أشدها خصوصية، ويقصد بها الدائرة المحلية لدولة (أمن محلي - مجال داخلي) أو عدة دول (أمن دون إقليمي - مجال داخلي لإقليم أو تجمع)، وتكاد تنطبق هذه الدائرة على الحدود السياسية للدولة (أو عدة دول).

وتتعلق دوائر الأمن الوطني، بمجالات اهتمام الدول، أو عدة دول، أو منظمة، أو حلف أو اتحاد، في مساحة مكانية محددة، تشمل كل

أبعاد الأمن، أو بعضاً منه، طبقاً للمصلحة الوطنية المطلوب تحقيقها، أو تأمينها.

٤. علاقة الأمن الوطني، بالأمن القومي

بعض الدول، يتماثل لديها المفهوم اللغوي للفظي "وطني"، و"قومي"، فتطلق اسم الأمن القومي، على أمن الدولة، وأمن مجموعة دول كذلك، من دون تفرقة. فلا يعني لديها الأمن القومي أي مدلول على قومية بذاتها. بينما تفضل دول أخرى الفصل بين التسميتين، فهي تخص "بالأمن الوطني" مفهومها لأمن نفسها (الدولة) وإجراءاتها للحفاظ على كيانه ومصالحها، في حدود ما تسمح به قدراتها. بينما تعني "بالأمن القومي" أمن مجموعة من الدول، ذات مصلحة مشتركة، وما تنفذه من معاهدات وتنظيمات لوقاية مصالحها المشتركة، حماية لها ضد الغير. وفي كلا المفهومين، فإن مراعاة المتغيرات الخارجية (الدولية والإقليمية) تكون محل الاعتبار.

ويضيف بعض الدارسين تحليلاً جوهرياً، للتفريق بين الأمن الوطني. والأمن القومي، فيعني الأول (الأمن الوطني)، في مفهومه دولة واحدة، بينما يعني مفهوم الثاني (الأمن القومي) عدة دول مشتركة في صفة أو مصلحة. وقد يتفرع من مفهوم الأمن القومي، مصطلح أصغر في مفهومه (الأمن دون القومي). وهو يستخدم لعدة دول من مجموعة أكبر، مشتركة في صفة أو مصلحة (دول الخليج العربي العربية، من مجموع الدول العربية، جزء من الدول الأوروبية من مجموع الأمم الأوروبية المتحدة).

ويرى بعض المتخصصين في الكتابات الأمنية، أن تلك التفرقة أسلوب غير دقيق، في منهجية التأصيل والبحث، سببه أن الدولة

الواحدة، لا يتعلق بالضرورة مفهومها للأمن القومي بعدد الدول المشاركة في الترتيبات الأمنية، ولكنه يتعلق، أساساً، بالمجالات التي يُهتم بها، قاصدين بالمجالات أبعاد الأمن المختلفة، فترجع صفة القومية إلى تعدد الأبعاد الأمنية ومؤثراتها.

ويمكن القول، إنَّ التحديد الدقيق للمفاهيم اللفظية المختلفة لوصف الأمن، يتأتى من توضيح المستوى الذي يتعامل معه. فيكون الأمن الوطني هو المستوى الثاني من الدرجة الأدنى، وهو ما يخص دولة بعينها من ترتيبات أمنها، يعلوه الأمن دون الإقليمي، لمجموعة دول، لم تشمل كل قوميتها، أو كل إقليميتها (بما يعني إمكان إطلاق تسمية أمن دون القومي أيضاً عليها أحياناً، طبقاً لسمات الحالة المنطبقة عليها)، ويكون المستوى التالي علواً هو الأمن الإقليمي، عندما يشمل كل دول إقليم معين، أو أمن قومي عندما يشمل كل دول قومية بذاتها، مع ضرورة التفرقة بين مفهومي "الإقليمي" و"القومي"، ليستمر نهج التحديد الدقيق المتبع.

٥. علاقة الأمن الوطني، بالأمن الحربي

يختلف الأمن الوطني عن الأمن الحربي، باختلاف مفهوم لفظي القدرة والقوة. فإذا كانت "القدرة" العسكرية **Military Capacity**، هي إحدى وسائل تحقيق أهداف الأمن الوطني، فإن "القوة" العسكرية **Military Power**، تكون إحدى وسائل تحقيق الأمن الحربي.

ومن المعروف، أنه لا يوجد مؤسسة عسكرية عادلة، إلا إذا كانت الدولة تتمتع أصلاً بنظام سياسي عادل، ونظام اقتصادي عادل، وعلاقة اجتماعية عادلة كذلك. وفي غياب العدل والصلاح، تصبح القوة

العسكرية خطراً على الأمن الوطني نفسه، حيث تُستخدم لكبح المطالبين بالحق والعدل، أو للاستيلاء على ما يملكه الغير، ويعمل ذلك، بزيادة القدرة، فتنحول القوة إلى وسيلة لتعزيز القدرة، أي أن الأمن الحربي يصبح هو المحقق للأمن الوطني، عندما يتحقق هو نفسه.

من وجهة نظر أخرى، فإن الأمن الوطني، مجاله الإستراتيجية العظمى Grand Stratigy، بينما الأمن الحربي مجاله الإستراتيجية، وهما فننا الإستراتيجية، في الفكر العسكري الغربي.

٦. علاقة الأمن الوطني، بالتأمين الذاتي

يوضح تعريف التأمين الذاتي، الاختلاف بينه، وبين الأمن الوطني. فالتأمين الذاتي هو "الإجراءات التي تتخذ، للحفاظ على بقاء نظام سياسي، أو شخص حاكم، لأطول فترة ممكنة. ويكون ذلك، عادة، بالتركيز على أساليب تعزيز السلطة في أيدي هؤلاء، المعروفين بأنهم أكثر أمناً (ولاء)، وليس الأكثر كفاءة"، مما يعني أن تفضيل الأمن الذاتي على الأمن الوطني، هو تفضيل للفرع على الأصل، ويكون في ذلك انحراف عن أهداف الأمن الوطني. مما يحدث خللاً أمنياً، يصعب رتقه وإصلاحه، ويستلزم تغييراً يعكس الأمور ويعيدها لأصلها.

وعلى مستوى الدول، فإن ما تتخذه دولة ما، من إجراءات، لتغلب بها مصالحها الوطنية، على مصالح المجموع، في تجمع معين، يُعد أيضاً تغليباً للأمن الذاتي لتلك الدولة (في ثوب أمنها الوطني)، على حساب الأمن القومي (الإقليمي) للمجموع. كأن تخفض دولة من أسعار سلعتها لفائدة خاصة، بما يضر باقتصاد الآخرين المنتجين للسلعة نفسها، أو أن ترفع دولة من حجم إنتاجها النفطي، عن القدر المحدد

لها في اتفاق مع باقي المنتجين، لتحقيق زيادة في دخلها الوطني، لحاجة خاصة (العراق وإيران، خلال حربهما معاً ١٩٨٠ - ١٩٨٨، حتى يمكنهما شراء مزيد من الأسلحة) على حساب مصالح الدول الأخرى المصدرة للنفط.

و غالباً تكون الفائدة العائدة من التأمين الذاتي، وقتية، لتزداد حدة المشكلة التي تثيرها فيما بعد. فالنظام الحاكم، ذو إجراءات الأمن الذاتي، يكون في مأمن بواسطة تلك الإجراءات، التي يقيمها على حساب الأمن الوطني، ولكن انهيار الأخير بسبب ذلك التأمين الذاتي، ينهار تبعاً له الأمن الذاتي (الوقتي كذلك)، فهو فرع من الأصل، بانهيائه تنهار كل الفروع.

يُعد التوازن بين نفقات ثلاث (تنمية وتسليح وتأمين)، هو الأساس في تصنيف الأمن في الدولة:

أ. زيادة نفقات رفع القدرة الإنتاجية، ورفع مستوى المعيشة للمواطنين، يعبر عن أمن وطني يرتكز على التنمية الشاملة، يقوي بتقويتها وارتفاع معدلاتها.

ب. ارتفاع نفقات التسليح والدفاع، تُعبر عن أمن وطني مرتكز على قدرات عسكرية، ينهار بانهيائها.

ج. ازدياد نفقات حفظ النظام وتعزيز السلطة القائمة، يعني أمناً ذاتياً، غير مرتكز على أصول، فينهار ويؤدي إلى انهيار الأمن الوطني معه، فيؤدي إلى حرب أهلية، وانهيار اقتصادي (حالة الصومال منذ عام ١٩٩٠) أو يتعرض لتدخل خارجي (عسكري أو اقتصادي).



شكل () دور الدولة الاقليمية المركزية في حماية الامن القومي للنظام الاقليمي

٤- جيوبوليتيك الامن الوطني العراقي " دراسة حالة "

تعد الخصائص الجيوبوليتيكية من ابرز العوامل المؤثرة في منظومة الأمن الوطني للدولة، لذا سعى العديد من الباحثين الجغرافيين والاستراتيجيين إلى ايجاد نظريات التفسير دور الدولة، ورسم استراتيجيتها المقبلة، من خلال بحثهم في اثر الخصائص الجيوبوليتيكية، على حياة الدولة السياسية وعلاقاتها الخارجية ووظائفها الأمنية، وقد أعطت هذه الأفكار مكانة متميزة للخصائص

الجيوپولتيكية، باعتبارها السبب الأساس والحتمي وراء أنماط السلوك السياسي الداخلي والخارجي للدولة ، بمعنى أنها أكدت على اثر الحتم (الجبرية) الجغرافية في تأدية الدولة لوظائفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

وبذلك صار للعامل الجغرافي مكانة متميزة في التفكير الاستراتيجي لصناع القرار في الدولة، لأن الواقع الجغرافي للدولة، يترتب عليه في كثير من الأحيان مجموعة أنماط سلوكية ثابتة نسبية، وهذه العوامل الطبيعية والبشرية تزداد وطنتها على الدولة عندما تتفاعل مع متغيرات (سلبية داخلية وخارجية خاصة في أوقات الأزمات سواء كانت داخلية أو خارجية ذات بعد داخلي، ولذلك تبرز أهمية الخصائص الجيوپولتيكية في الإدراك الاستراتيجي للدولة، بسبب العلاقة المصيرية ما بين الخصائص الجيوپولتيكية وقوة الدولة (سلبا أو إيجابا، وزنا أو انحداره)، لان قوة الدولة تنبع من متغيرين، الأول خارج إرادة الإنسان وهو ما يتعلق بالعامل الجغرافي (جبرية الجغرافية، والثاني من صنع الإنسان وهو ما يتعلق بالاقتصاد والسياسة والإمكانات العسكرية والتي هي نتاج لتفاعل الإنسان مع الأرض.

إضافة إلى ذلك فالخصائص الجيوپولتيكية تؤثر على بناء القوات المسلحة للدولة، وسوقها العسكري وأمنها الشامل، فهناك اختلاف كبير في أسلوب كل دولة في بناء قواتها العسكرية، وإيجاد التوازن في هذا البناء، ولا بد أن يكون لكل أسلوب مغزى ومدلول يوضح ارتباط سوقها العسكري لهذا البناء هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يحدد هذا الأسلوب مبادئ إيجاد توازن سوقي للدولة وجوارها من الدول، باعتبار إن بناء القوات الأمنية للدولة هي سبيلها لإدارة صراعها

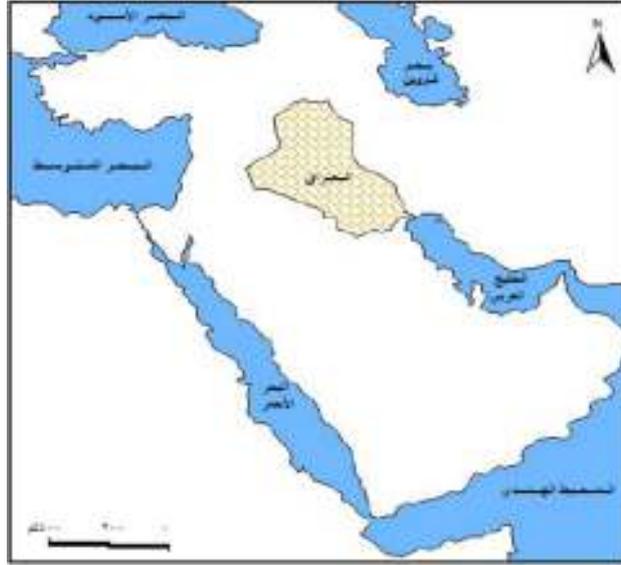
المسلح طبقا لمناهجها وسياساتها، وهذا البناء يخضع لعوامل حيوية نابعة من حقائق التحديات الداخلية والإقليمية والدولية، وهنا تدخل الخصائص الجيوبولتيكية كأساس لدراسة وتحليل ميزان القوى على المسرح الإقليمي والدولي وفي مناطق النزاع وأهداف تلك القوى ومدى احتمال تدخلها لمعاونة الأطراف المتصارعة وحساب ردود فعلها على العالم وتطور مجريات الأحداث فيما بعد، وقدرة وإمكانية الدولة الطبيعية والبشرية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة هذه الصراعات في المستقبل.

أولاً: تحديات الموقع الاستراتيجي للعراق

يقصد بالموقع الاستراتيجي، الموقع الذي يتيح للقوى التي تسيطر عليه مزايا سياسية واقتصادية وعسكرية في وقت السلم والحرب على حد سواء، وللموقع الاستراتيجي أهمية كبيرة بالنسبة إلى امن الدولة واقتصادها وعلاقاتها الخارجية، ففي وقت السلم يكون بوتقة للتفاعل الحضاري والفكري بين الشعوب، لأنه غالباً ما يكون عقدة المواصلات، إما في وقت الحرب فإن السيطرة على المواقع الاستراتيجية تحسم نتيجة المعارك العسكرية.

وان الموقع الاستراتيجي هو سلاح ذو حدين، إذ يمكن للدولة إن تستثمره بما يحقق لها المزيد من القوة والحضور الإقليمي والدولي أو على العكس من ذلك، قد يكون للموقع الاستراتيجي أثار سلبية، إذ يصبح منطقة تجاذب وصراع وبيئة خصبة للاستثمار السياسي الخارجي للدول العظمى، والذي غالباً ما يكون على حساب قوة الدولة ومصالح شعبها، وكل ذلك يعتمد على طبيعة وشكل النظام السياسي للدولة، لأنه معني بالدرجة الأولى بتوظيف العناصر المادية والمعنوية والبشرية لخدمة الدولة وأهدافها.

يقع العراق في نصف الكرة الشمالي في إطار مكاني ينحصر بين دائرتي عرض (٢٩,٥) شمالا و(٣٧,٢٢) شمالا أما موقعه بالنسبة لخطوط الطول فإنه ينحصر بين خطي (٣٨,٤٥) شرقا و (٤٨,٤٥) شرقا، أما موقعه بالنسبة للمساحات المائية فإنه نظريا يتوسط خمسة بحار تتمثل ببحر قزوين في الشمال الشرقي، والبحر الأسود في الشمال، والبحر المتوسط في الغرب، والبحر الأحمر في الجنوب الغربي، والخليج العربي والبحر العربي في الجنوب، إلا إن أهمية تلك البحار إما إن تكون معدومة بسبب البعد الجغرافي أو وجود الحواجز الصحراوية كالبحر الأحمر قزوين والأسود، إلا إن تأثير البحر المتوسط يظهر جليا من خلال انفتاحه من دون عوائق، إما الخليج العربي فإنه يعد المنفذ البحري الوحيد للعراق.



شكل () موقع اليابس العراقي بالنسبة لأقرب المسطحات المائية

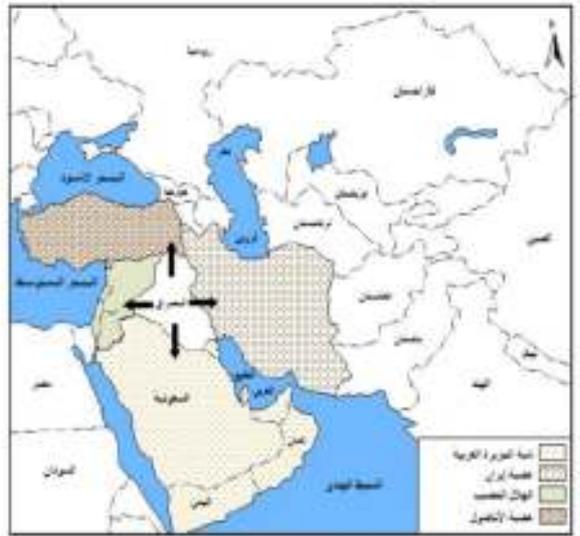
إما بالنسبة لموقع العراق الاستراتيجي، فقد وصفه المختصون في الشؤون الاستراتيجية بأنه غاية في الأهمية، كونه يقع ضمن الجسر الأرضي الذي يربط قارات العالم القديم ويوصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، وقد برزت هذه الأهمية خلال سنوات الحرب العالمية الأولى والثانية، فضلا عن الحرب الباردة، والخارطة (١) و (٢) توضح أهمية الموقع الجغرافي للعراق، كما تبرز الأهمية الاستراتيجية لموقع العراق الجغرافي، كونه يقع على اقصر الطرق الجوية التي تربط غرب أوربا وجنوبها بجنوب شرق آسيا، وتعد بغداد مركزا مهما الملتقى الطرق البرية في الشرق الأوسط، وما سكة حديد بغداد برلين إلا شاهدا على ذلك، وكما مبين في الخارطة رقم (٣).



شكل (١) موقع العراق متحكما في نفط الخليج العربي وبحر قزوين



شكل () خط سكة حديد بغداد- برلين



شكل () العراق محور السيطرة على المربع الاستراتيجي

إما بالنسبة لموقع العراق من نظريات السيطرة الاستراتيجية، فهو حسب نظرية ماكندر (قلب الأرض) يعد جزء من الجسر الذي يربط بين القلب الشمالي والقلب الجنوبي، وعندما قسم ماكندر العالم إلى ثلاث مناطق استراتيجية رئيسة هي القلب الروسي والهالين الداخلي الخارجي، فإن العراق يقع ضمن منطقة الهلال الداخلي التي تحيط بالقلب الاوراسي الذي يشمل جميع قارة أوربا وأجزاء من قارة آسيا، وكان العراق ولا زال بشكل عام أكثر مناطق الهلال الداخلي تنافسه بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقة (روسيا حالياً)، وما الإحداث الدائرة في المنطقة كالصراع في سوريا إلا شهادة على ذلك.

إما فيما يخص نظرية سبايكمان فإن العراق يقع ضمن الإطار الأرضي ذي الأهمية الإستراتيجية والذي يشكل هلا يحيط بالقلب الروسي، وحسب نظرية القوة الجوية ل (دوهيه - سفسكي) فإن العراق يقع ضمن منطقة المصير، وهو من أهم المناطق الاستراتيجية حسب النظرية، إذ إن السيطرة عليها تعني السيطرة على مناطق العالم الأخرى، وإحداث اليوم أعادت هذه النظرية إلى الحياة إذ نجد إن الصراع الدائر في الشرق الأوسط جزءاً منه صراعة للسيطرة على الجو"، إذ نجد إن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية تتنافس على السيطرة الجوية وخاصة في سوريا.

وفي نهاية القرن العشرين جاء بريجنسكي (مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق) بنظرية جديدة أعاد فيها حيوية الأفكار التي جاءت بها نظرية ماكندر في مؤلفه (رقعة الشطرنج الكبرى)، والافتراض الذي انطلق منه، هو إن سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم تبقى غير مكتملة ما لم تعزز سيطرتها على منطقة اوراسيا كونها القارة الأكبر في العالم، وان إخضاع اوراسيا

يعني إخضاع القوى الكبرى المنافسة كروسيا والصين، وبهذا فان الماكندرية الجديدة أعادت الأهمية الاستراتيجية لموقع العراق لكونه جزءاً مهماً من رقعة الشطرنج الكبرى.

ولهذا أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أهمية موقع العراق في قدرته على تحديد الاستراتيجيات الدولية للقوى المنافسة، إذ عند حدوده الشمالية تنتهي الحافات الأمامية الحلف شمال الأطلسي (الناتو)، وفي حدوده الجنوبية يتداخل مع الوجود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج العربي، فضلاً عن موقعه المركزي في منطقة الشرق الأوسط التي تشهد حالة من الصراع السياسي والاستراتيجي بين الدول الإقليمية مثل تركيا وإيران، وتتضح الأهمية الاستراتيجية لموقع العراق من خلال ما يؤكدُه صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وبهذا الصدد يرى رايدل (المساعد الخاص للرئيس الأمريكي بيل كلينتون) إن الأسباب التي تجعل العراق مهماً إلى هذا الحد للولايات المتحدة الأمريكية هو موقعه الاستراتيجي، إذ يقع على حدود إيران وتركيا وسوريا والأردن والسعودية والكويت، وبهذا الصدد يقول (زلامي خليل زاد) سفير الولايات المتحدة السابق في العراق بموقعه الاستراتيجي في نقطة التقاء ثلاث قارات بشكل هدف كبير، وجائزة ثمينة لا تعوض للقوى العظمى الطامعة، فضلاً عن ذلك فإنه يشكل مساحةً فاصلةً بين سوريا وإيران التي تهدف الولايات المتحدة إلى إحداث تغيير فيهما، والخلاصة إن الحرب على العراق واحتلاله أحدثت تغييراً جيوسراتيجياً مائة في المئة في المنطقة والعالم.

إضافة إلى ذلك إن الأهمية الاستراتيجية التي أكسبت العراق هذا القيمة تنبع من طبيعة العلاقة مع الدول المجاورة أولاً، وطبيعة المنطقة وحساسيتها ثانية، فمن حيث الأولى فإن العراق يقع ضمن

دائرتين ، الأولى هي دول الجوار المباشر، والدائرة الثانية هي الدائرة الإقليمية التي تمثل باقي دول الخليج وإسرائيل ومصر، أما الأممية التي انعكست على الجانب الاستراتيجي في إن العراق لابد أن يكون فاعلا وعنصر توازن في المنطقة بين دول متميزة من حيث القوة في ظل تنافس سياسي شديد بين الدائرتين، وحتى بين أطراف الدائرة الواحدة، ففي التنافس لعب العراق دورا إقليميا واضحا، فقد كان حاضرا للحد من توسع دول على حساب غيرها كما الحالة بين دول الخليج وإيران، إذ أعطت ميزة الموقع للعراق إن يكون الطرف الموازن للإيران، إما من حيث النقطة الثانية فان حساسية المنطقة جاءت بسبب التوجهات والطموحات السياسية والاستراتيجية لدول المنطقة ، ولاسيما إن موقع الحراق ومجاورته لدول ذات قوميات مختلفة وأفكار سياسية متباينة جعلت السياسات القائمة سواء للدول العربية أم غير العربية مبنية على أساس عدم الثقة ولاسيما بعد احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق عام ٢٠٠٣ وأصبح الصراع يدور في هذه المنطقة حول مصالح هذه الدول ودول أخرى خارج المنطقة.

وبناء على ما تقدم ، فالعراق بموقعه يعد من الدول ذات المحاور الجيوسياسية - نقطة ارتكاز - للاعبين الجيوسراتيجيين الدوليين والإقليميين، وتتبع أهمية الدول ذات المحاور الجيوسياسية بالنسبة للاعبين الجيوسراتيجيين من ذلك الدور الذي يمكن أن تؤديه في تحديد طرق الوصول إلى مناطق مهمة، أو في منع الموارد عن لاعبين مهمين، وكذلك تتبع أهميتها من دورها كمناطق عازلة، إذ يمكن أن تكون الدولة ذات المحور الجيوسياسي درعة دفاعية لدولة حيوية ما، وفي أحيان أخرى يمكن القول: إن مجرد وجود مثل هذه الدولة ذات

المحور الجيوسياسي يعني: حدوث تأثيرات سياسية وثقافية مهمة جدا في لاعب جيواستراتيجي آخر ذي فاعلية اكبر.

وهذه الحقيقة يؤكدها ويثبتها التاريخ السياسي لدول منطقة الشرق الأوسط ، لطالما أن الدول ذات المحاور الجيوسياسية تتأثر بالدول الفاعلة أو الناشطة جيواستراتيجية، فإن تفاعلات وأدوار دول المشرق العربي والخليج العربي مرتبطة بقوة ونفوذ تأثير اللاعبين الجيواستراتيجيين من الخارج القريب إيران وتركيا، ومن الخارج البعيد الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، فدول المشرق العربي والخليج العربي منذ تأسيسها كانت مرتبطة بدول ناشطة جيواستراتيجية، إقليمية (تركيا، وإيران)، ودولية (فرنسا وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية، والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) خلال مرحلة الحرب الباردة، ومن ثم الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية) فيما بعد انتهاء الحرب الباردة.

ثانيا: تحديات الموقع البحري للعراق

من خلال بيانات الجدول (١) يمكن دراسة خصائص الجبهة البحرية للعراق وما هي التحديات الأمنية التي يعاني منها العراق جراء هذا الموقع وهي:

١- يبلغ طول ساحل العراق على الخليج بنحو (٥٨ كلم)، وفي حالة مقارنته بالنسبة للمجال البري للدولة يتضح إن نسبة طول الساحل إلى مساحة المجال البري للدولة تبلغ حوالي (١ : ٧٥٣٥)، وهذا يعني إن كل واحد كيلومتر من الساحل يقابله نحو (٧٥٣٥ كلم ٢) من المجال البري، وبمقارنته بالمعدل العام لدول الجوار الذي يبلغ (١ : ٣٦٣)، يتضح إن طول ساحل العراق البحري محدود وصغير جدا بالنسبة

لمجاله البري، وهو ما يجعل الغالبية من أجزاء الدولة لا تتمتع بميزة القرب من البحر.

٢- تبلغ المساحة الإجمالية للمجال البحري العراقي في حدود المنطقة الاقتصادية الخالصة بنحو (٧٠٠ كلم)، وبقياس طول الشاطئ العراقي بالنسبة لها يتضح إن نسبة طول الشاطئ إلى مساحة المجال البحري تبلغ حوالي (١ : ١٢) إي إن كل واحد كيلومتر من الشاطئ يقابل نحو (١٢ كلم ٢) من المجال البحري وبمقارنته بالمعدل العام لدول الجوار والذي يبلغ (١ : ٤٦) نجد إن المجال البحري العراقي محدود المساحة، مما يدل على محدودية درجة الانتفاع العراقي بالبحر في المجالات العسكرية والاقتصادية.

٣- يوجد تفاوت هائل بين مساحة كل من المجال البحري والمجال البري للعراق، حيث تبلغ نسبة الأول إلى الثاني حوالي (١ : ٦٨٤)، ويعني ذلك إن كل واحد كيلومتر مربع من المجال البحري العراقي يخدم نحو (٢٤ كم ٢) من المجال البحري للدولة، وبمقارنة ذلك بالمعدل العام لدول الجوار والذي يبلغ نحو (١ : ٧,٩)، تتأكد الصفة القارية على موقع العراق بالنسبة لليابس والماء وبالتالي محدودية درجة المنفعة البحرية له بسبب قلة تداخل اليابس والماء مع مساحة الدولة من اليابس.

٤- تبلغ قيمة مؤشر البحرية للعراق نحو (٠,٠٠١٦) وهي قيمة صغيرة جعلت الدولة تحتل المركز الأخير مقارنة بدول الجوار، والتي تبلغ قيمة متوسط البحرية فيها حوالي (٠,١١٣٦)، وبمقارنة قيمة المؤشر العراقي مع الدول المطلة الخليج العربي (إيران والكويت والدائم الاحتكاك معها لتوسيع جبهته البحرية، حيث بلغ في الكويت اصغر دول الجوار مساحة وسكانا نحو (٠,٦٧٣٤) إي ضعف مؤشر

البحرية في العراق بنحو (٤٥٠) مرة، وفي إيران بلغ نحو (٠,٠٩٤٤) إي ضعف حالة العراق بنحو (٩٥) مرة ويعني ذلك أن هذه الدول تتمتع بمزايا بحرية أفضل بكثير من العراق، انعكست على مجمل حياتها الاقتصادية والسياسية.

خصائص الجهة البحرية للعراق مع دول الجوار

الترتيب	مؤشر الحرية ^{٣٦٥}	طول الساحل كم	المجال البحري كم 2	المجال البري كم 2	الدولة
7	0.0016	58	700	438317	العراق
2	0.3030	7200	236600	770760	تركيا
5	0.0556	193	10300	184050	سوريا
6	0.0076	26	700	91971	الأردن
3	0.0950	2640	186200	1960582	السعودية
1	0.6734	499	12000	17820	الكويت
4	1.2306	13056	602200	1636000	إيران
	0.97629	7387.2	368557.1	1280721.2	المجموع

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

- وزارة التخطيط، المجموعة الإحصائية السنوية، الجهاز المركزي للإحصاء، جمهورية العراق، 2011، ص 2.
- فتحي محمد مصلي، خريطة القوة السياسية وتخطيط الأمن القومي، الشرق الأوسط والمنطقة العربية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، 2001، ص 51.
- رضا محمد السيد سليم، الجغرافية السياسية للعراق (دراسة في المحددات المكانية لوظائف الدولة)، كلية الآداب، جامعة الرقائيق، مصر، 2008، ص 368.

ثالثاً: تحديات خصائص موقع الجوار الجغرافي

يقصد بهذه الخصائص السمات الجغرافية والمعطيات المكانية التي تميز الدولة وتحدد علاقاتها في محيطها الإقليمي مع دول الجوار، ويرتبط بهذه الخصائص عدد من المؤشرات، هي عبارة عن نسب توضح مدى الضغوط الناجمة من الموقع المجاور، والتي يمكن إن تتعرض لها الدولة جراء خصائص ذلك الموقع، إي هي مقاييس نظرية تعطي للدولة دلالات بوجود تهديدات محتملة من دول الجوار ضد سيادة الدولة وكيانها الإقليمي ويمكن دراسة خصائص الموقع المجاور للعراق من خلال بيانات الجدول (١٨).

١- يبلغ عدد دول الجوار للعراق ستة دول، وكل دولة من هذه الدول الست يقابلها حوالي (٧٣٠٠٠ كم^٢) من مساحة العراق، وهذا يعني إن كل دولة من هذه الدول الست المجاورة للعراق يقابلها نحو (١٧%) من مساحة العراق، ولأن الأصل في الجغرافية السياسية كلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما كلما زادت الأعباء الملقاة على عاتق هذه الدولة، لقاء تحملها مسؤولية إدارة شؤون الجوار مع هذه الدول المتباينة سياسية واقتصادية واجتماعية، لذا فإن العراق يتحمل أعباء كبيرة في إدارة علاقته مع الدول المجاورة له، ويدل ذلك على ارتفاع قيمة مؤشر ثقل الجوار الذي بلغ في حالة العراق (٨٣%)، وذلك نتيجة لزيادة عدد الدول التي تشترك معه في الحدود.

٢- ومن المؤكد إن دولة شبه حبيسة كالعراق، ولها هذا العدد الكبير من دول الجوار، لابد وإنها تتحمل أعباء جسيمة في إدارة شؤونها مع الدول المجاورة وذلك نتيجة لطول امتداد حدودها البرية لنحو (٣٦٣١)، وحيث إن طول الحدود بحد ذاته يعمل كمحفز للاحتكاك ومحرض عليه، خاصة وأنه قد بلغ مؤشر احتكاك الحدود في العراق

أكثر من (٧٨%) وهو مؤشر مرتفع للغاية، يدل على احتمال كبير لقيام علاقات متوترة بين العراق ودول جواره، ويؤكد ذلك حساب كثافة الحدود لكل مئة كيلومتر مربع من المجال البري للدولة، وهي تبلغ في حالة العراق (٠,٨٣ كم ١٠٠ كم ٢) وهي تعد كثافة مرتفعة قياسا لبعض حالات الدول المجاورة التي تفوق العراق من حيث المساحة فهي تبلغ (١٠,٣٣ / ١٠٠ كم ٢) في إيران و (١٠,٢٣ / ١٠٠ كم ٢) في السعودية و (٠,٣٤ كم ١٠٠ كم ٢) في تركيا وهذا يؤكد ثقل أعباء الجوار والتي يفرضها الموقع المجاور.

٣- ويضاعف من أعباء طول الحدود البرية على العراق قلة الوعاء الدفاعي بالدولة وبالتالي قلة عدد السكان المنوط بهم إدارة هذه الحدود وحمايتها، فقد بلغ مؤشر الوعاء الحدودي في العراق نحو (١٣٥٠ نسمة/ كم) وهذا يعني إن كل كيلو متر من الحدود العراقية يقف خلفه (١٣٥٠) مواطن عراقي من الذكور في الفئة العمرية (١٥-٤٩ سنة) والقادرين على حمل السلاح، وفي المقابل تبلغ قيمة هذا المؤشر في بعض الدول المجاورة مثل تركيا (٦٧٢٢ نسمة / كم وهذا ما يعادل خمسة إضعاف العراق تقريبا، وإيران (٢٨٣١ نسمة كم) وهو ما يعادل أكثر من ضعف المؤشر العراقي تقريبا)، ويفهم من ذلك إن طول الحدود البرية المشتركة قد ساهم في انخفاض قيمة مؤشر الدفاع الحدودي للعراق على الأقل بالنسبة لبعض الدول المجاورة التي تفوق العراق في مقدرات القوة الإقليمية كتركيا وإيران.

٤- ومما يزيد من أعباء الموقع المجاور للعراق قلة الموقع الإقليمي للمجال البري العراقي، والذي بلغ نحو (٣٧٣ كم) وهذا يعني إن المجال البري للعراق مكشوف إمام جيرانه الأقوياء. د وإذا ما أوجدنا الانحدار السكاني للعراق مع دول الجوار ونعني به النسبة بين مجموع

سكان الدولة ومجموع سكان الدول المجاورة، ندرك الأعباء التي يفرضها الموقع المجاور على العراق من خلال ظاهرة عدم التوازن السكاني بين العراق ودول جواره، فطبقاً لبيانات الجدول (٢) قد بلغ إجمالي عدد سكان العراق (٣٢ مليون نسمة، في حين بلغ مجموع سكان الدول الست المجاورة نحو (١٨٩ مليون نسمة) وذلك يعني إن مؤشر الانحدار السكاني يبلغ (١ : ٧,٣) أي إن حجم الجارات الست يمثل أكثر من سبعة إضعاف حجم سكان العراق وهو ما يمكن وصفه بأنه انحدار سكاني شديد وغير متكافئ يزيد من أعباء الحدود البرية الطويلة مع ست دول مجاورة.

ولابد من الإشارة هنا إلى العلاقة التأثيرية بين المقوم البشري عدد السكان والمقوم العسكري، فالمقوم العسكري هو إحدى معطيات القوة لوزن الدولة الجيوبولينيكي، وهو ذو علاقة تأثيرية ومتداخلة مع المعطي البشري ، كونه يعتبر المرتكز الأساس في بناء القوة العسكرية وفعاليتها في تحقيق الأمن والاستقرار للدولة، فالحجم الكبير للسكان هو الركيزة الأساسية لبناء جيش قوي كونه المستودع الذي يزود الدولة بالقدرة على التعويض لما قد يصيب الجيش من خسائر في حالة الحرب، حيث إن النصر العسكري مرهون بما يمكن حشده من المقاتلين في جبهات القتال ، فضلا عن القوة التكنولوجية ورسالة الجبهة الداخلية .

ومن خلال ما تقدم نجد إن الموقع الجغرافي للعراق فرض عليه مجموعة من التحديات أبرزها:

١- إن الدولة شبه القارية التي تشترك بحدود سياسية مع عدة دول كالعراق، تجعل من احتمال تعرضها للخطر أمراً وارد من أكثر من دولة في آن واحد، لذا يجب إن تسعى الدولة إلى توسيع تنظيم قوات

مسلحة برية ذات قابلية حركة كبيرة تسهل عمليات المناورات بأقصر وقت، والتي تتمثل بتنظيم تشكيلات واسعة من الفرق المدرعة والإلية والقوات المحمولة جوة، إضافة إلى ذلك إن تنظيم قوة جوية تؤمن موقف جوي ملائم مع دفاع جوي فعال له أهمية كبيرة المعالجة تهديد أكثر من دولة في آن واحد، إضافة إلى ذلك إن موقع العراق بين قوتين إقليميتين طامحتين في القيادة الإقليمية (تركيا وإيران تضيف أعباء دفاعية على العراق).

٢- طول الحدود عامل خطر يهدد أمن الدولة وخاصة إذا ما ترافق مع ذلك عدم توافق سياسي مع الدول المجاورة كحالة العراق، عليه يجب إن تسعى الدولة إلى تنظيم قوات مسلحة قوية من مختلف الصنوف لإغراض الدفاع، وإيصال رسالة عسكرية مفادها أن الدولة قادرة على صد الهجوم ضد المصالح الحيوية.

٣- يلعب الموقع الجغرافي دورا كبيرا في بناء عقيدة الدولة العسكرية لأنه يحدد حجم القوات المسلحة ونوعها التي تؤمن لها تحقيق سيادة كاملة ضد كافة أشكال الضغوط والتدخلات الخارجية وتحقيق الأمن الوطني للدولة، لذا فرض الموقع الجغرافي تحدياته العسكرية تجاه بناء المنظومة العسكرية للدولة العراقية بفعل الجوار الجغرافي.

٤- تتطلب المساحة الواسعة والمتنوعة طبوغرافية (جبال، سهول، هضاب صحاري)، إلى إعداد قوات مسلحة ذات قابلية حركة جيدة وصنوف متعددة بحسب البيئة الطبوغرافية، لذا نجد عن الضرورة تنظيم قوات عسكرية عراقية برية تركز على التشكيلات المدرعة والإلية والقوات المحمولة جوا لإمكانيتها على المناورة الواسعة، ومن ثم معالجة إي تهديد في إي اتجاه من الحدود، إضافة إلى ذلك إن تنظيم

قوات برية فعالية واستخدام التقنيات الحديثة في الإنذار المبكر يعطي لهذه القوات المرونة في الحركة فضلا عن السرعة وحماية الحدود.

جدول (2)

خصائص موقع العراق مع دول الجوار

العراق	البحرين	السعودية	الكويت	البحرين	البحرين	البحرين	البحرين	البحرين	البحرين
371	1350	83	78,3	4,9	6	3631	32,2	437872	العراق
495	6722	84,3	73,3	17,8	5	2648	71,3	770760	تركيا
242	1844	80	77,8	3,7	3	2230	18,1	184000	سوريا
171	734	80	90,4	1,2	5	1635	5,4	91971	الأردن
790	1174	83,7	94,7	5,2	7	4431	23,3	960582	البحرين
73	1315	58	93,3	0,7	2	462	2,5	17820	الكويت
721	2831	87,5	76,3	15,4	8	5440	68,2	2636000	إيران

المصدر: من أصل الباحث بالاعتماد على

1. وزارة التخطيط، المصنوعة الإحصائية السنوية الجهاز المركزي للإحصاء جمهورية العراق، 2011، ص 2
2. فهد محمد حمادي، حركة القوة السياسية وتأطير الأمن القومي، الشرق الأوسط والمنطقة العربية، كلية الآداب، جامعة البصرة، ص 31، 2001.
3. رضا محمد السيد سليم، المعرفة السياسية للعراق دراسة في المحددات المكتبة لولائف البصرة، كلية الآداب، جامعة الرقبة، ص 200، من.

رابعاً: تحديات شكل الدولة العراقية

يقصد بمصطلح شكل الدولة هيئة اقليم الدولة الذي تنتظم في إطاره المساحة السياسية والغرض من دراسة الشكل في الجغرافية السياسية هو التعرف على مدى تماسك المنطقة السياسية واتصال أجزائها بعضها ببعض، إذ كلما زاد تماسك المنطقة السياسية كلما زاد ذلك من قوة الدولة وقدرتها على أداء وظائفها، كما إن للشكل أهمية للدفاع عن الدولة وإدارة شؤونها الداخلية^٢

وشكل الدولة العراقية يبدو وكأنه يميل إلى الشكل المثلث، ويوصف بأنه يشبه شكل القمع في دلالة على اقترابه الشديد من الشكل المثلث، إضافة إلى ذلك فإن شكل الدولة العراقية يميل إلى غلبة امتداده الطولي، إذا ما قدرناه بالعرض، ويبرز ذلك باختلاف المسافة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب والذي يضعنا أمام حقيقة مفادها عدم التجانس في إبعاد شكل مساحة العراق التي يزداد طولها بدلالات معلومة، فالمسافة بين مدينة زاخو في الشمال والفاو في الجنوب تصل إلى (١١٧٤ كم)، في حين تبلغ المسافة عرضاً بين الرطبة وخانقين (٩١٢ كم)، وبهذا أصبحت مساحة العراق شبيهة مستطيلة الشكل، وإن الدولة ذات المساحة الممتدة كوضع العراق تمتلك حدوداً طويلة مع جيرانها، وبهذا فإن طول الحدود العراقية هي إنتاج الشكل، والتي انعكست سلباً على الأمن الوطني العراقي لاسيما وجود بعض الانبعاجات والتنوعات في شكل الحدود والتي تؤثر في الأمن الوطني، ومن أبرز هذه الانبعاجات والتنوعات هي (انظر خارطة)

١- الانبعاج الإيراني: وهو يمتد داخل أراضي الدولة الإيرانية وبالتحديد في مقاطعتي كرمنشاه وغيلام بمساحة تقدر حوالي (١٢

كم ٢)، أي ما يعادل (٢,٧ من مساحة العراق)، ومن الناحية الاستراتيجية فان هذا الانبعاث بمساحته الكبيرة وموقعه المميز بالقرب من القلب الحيوي للعراق يعد بمثابة رأس جسر ضخم يسهل على إيران القفز منه على القلب الحيوي للعراق (العاصمة)، خصوصا وإنها لا تبعد عن هذا الانبعاث بأكثر من ١٢٠ كم، فضلا عن الوضع الطبوغرافي لهذا الانبعاث والذي يضاعف من خطورته على العراق، بوصفه إقليم جبلي مرتفع يشرف من مواقع حاكمة على إقليم السهل الرسوبي الذي يسهل اختراقه عسكرية نظرا لاستواء سطحه وخلوه من العقبات الطبيعية التي تعوق تقدم القوات القادمة من هذا الانبعاث نحو بغداد

٢- الانبعاث التركي: تقدر مساحة هذا الانبعاث بنحو (٢٠٠ كم ٢)، وهو يمتد من الأراضي التركية كجزء من مقاطعة حكارا التي تقع في أقصى جنوب شرق تركيا على الحدود مع العراق وإيران، ويرجع وجود هذا الانبعاث إلى اللجنة الدولية التي كلفتها عصبة الأمم بالقيام بتعيين منطقة الحدود بين دولتي العراق وتركيا في عام ١٩٢٤، إلا إن هذا الانبعاث بموقعه النسائي بعيدا عن نواة الدولة العراقية وطبيعته التضاريسية المعقدة لا يشكل خطرا على الدولة من الناحية الاستراتيجية نظرا لصعوبة اجتيازه واختراقه، إما العيوب فان هذا الانبعاث يمكن إن يكون ملاذاً آمناً للجماعات المتمردة.

٣- نتوء البصرة: ويقصد به تلك المتعلقة التي تمتد في جنوب شرق العراق على رأس الخليج العربي بمساحة تقدر بنحو (٧٢٢٥ كم ٢) إي ما يعادل (١,٦%) من مساحة العراق، ويبدو هذا النتوء على هيئة مثلث تمتد قاعدته بطول (١٦٠ كم) تقريبا من هور الحويزة على الحدود مع إيران إلى بلدة الروملا على الحدود مع الكويت، إما طلعيه

الآخرين ، فيتبعان خطى الحدود العراقية الإيرانية من ناحية والحدود العراقية الكويتية من ناحية أخرى، ويلتقي هذان الضلعان في ناحية حوز القفلة الواقعة بقضاء الفاو، ويمثل هذا التنوع أهمية عظمى للعراق حيث انه المنفذ البحري الوحيد لها الذي يمكن من خلاله الوصول للبحار المفتوحة لنقل السلعة الاستراتيجية للعراق (النفط) فضلا عن تجارته الخارجية.

وعلى الرغم من أهمية نتوء البصرة بالنسبة للعراق إلا إن وضعه كاسفين مخروس بين إيران والكويت جنوب بمثل في حد ذاته عيبا جيوسراتيجيا في شكل الدولة العراقية، إذ يحملها عبئا دفاعيا جسيما نظرا لقابلية هذا التنوع الأرضي للسقوط في يد القوات التي تهاجمه بوصفه منطقة ذات طبيعة سهلة يمكن السيطرة عليها وحرمان العراق من منفذه البحري، كما انه يمكن اختراقه بسهولة والوصول للقلب العراقي، وقد بدا ذلك واضحا خلال الحرب العراقية الإيرانية، حيث كان هذا التنوع بمدنه وموانئه احد الأهداف الاستراتيجية للقوات الإيرانية، كما انه مثل محورا مهما للهجوم الرئيسي للقوات الأمريكية للوصول الى العاصمة بغداد في عام ٢٠٠٣ في حرب الخليج الثالثة.

٤- نتوء الرطبة: يقع هذا النتوء في غرب العراق المنطقة الغربية التي تعد جزءا من الهضبة الصحراوية وتبلغ مساحته نحو (٣٧٠٠٠ كم ٢) إي ما يعادل (٨,٥%) من مساحة العراق، ويتخذ هذا النتوء شكل شبه المنحرف، تمتد قاعدته الكبرى على امتداد خط طول (٤١) شرقا بدءا من مدينة القائم على الحدود العراقية السورية عند مدخل نهر الفرات للأراضي العراقية حتى وادي صفاوية على الحدود العراقية السعودية، أما الأضلاع الثلاثة الباقية، فهي تتفق مع الحدود

العراقية السعودية في الشمال والحدود العراقية الأردنية في الغرب والحدود العراقية السعودية في الجنوب.

ويمر بهذا النتوء الطريق الدولي الذي يربط العاصمة بغداد بالعاصمة الأردنية عمان من ناحية، والعاصمة السورية دمشق من ناحية أخرى، ويمثل هذا الطريق منفذ حيوي ورئيسي للسلع والتجارة العراقية إلى ميناء العقبة الأردني على البحر الأحمر، ومن الناحية الاستراتيجية يمثل نتوء الرطبة منطقة عسكرية مهمة لكثرة القواعد الجوية والمطارات العسكرية بالقرب من الحدود الأردنية.

إلا أن ذلك النتوء يمثل عيبا جيواستراتيجيا في هيئة الدولة، لكونه منطقة بعيدة عن القوات العراقية، ومخلخلة سكانية، ومغروسة بين ثلاث دول، على إن مظاهر السطح به غير معقدة وبسيطة ويحتوي على وديان تمتد بين العراق والدول المجاورة (الأردن، السعودية سوريا) وهذا يجعل مهمة القوات التي تهاجم ذلك النتوء مهمة سهلة في حين يكلف الدولة أعباء كثيرة في الدفاع عنه، لذا فإن من السهل سقوطه واختراقه بهدف الانطلاق منه وتهديد استقرار الدولة، وقد بدأ ذلك واضحا عندما اتخذت القوات الأمريكية عام ٢٠٠٣ من ذلك النتوء محورا لاختراق المجال البري العراقي من الغرب بهدف الوصول إلى العاصمة بغداد، فضلا عن ذلك فقد اتخذت التنظيمات الإرهابية (تنظيم القاعدة، وتنظيم داعش) من ذلك النتوء معسكرا لعملياتها الإرهابية تجاه المدن العراقية للأسباب المذكورة أعلاه.

٥- نتوء بشجوين: وهو عبارة عن نتوء جبلي أدى إلى امتداد السيطرة الإقليمية للعراق عبر الحدود الجبلية في منطقة بنجوين، لأنه سمح للدولة بان تمتد بحدودها فيما وراء مرتفعات ذلك النتوء، وهذا يساعد الدولة كثيرة في الدفاع عن أراضيها بسهولة، ويقع هذا النتوء

في شمال شرق العراق، كجزء من محافظة السليمانية، وهو يشغل مساحة تقدر بنحو (٣٠٠ كم^٢)، ويتخذ من هذا التنوع شكل يشبه المثلث تمتد قاعدته بنحو (١٠٠ كم)، من بلدة بيارة في الجنوب من مدينة بنجوين حتى بلدة كنارو في الشمال منها على الحدود مع إيران، وضلعها الآخران بسيران مع الحدود الإيرانية حتى يلتقيان في بلدة بكياور على الحدود مع إيران.

ونظرا لان هذا التنوع جزءا من المنطقة الجبلية بشمال العراق، فان سطحه يتميز بصفة عامة بالتعقيد الشديد بجانب تعدد مظاهره مابين الجبال وأودية نهريّة صغيرة، تمثل روافد النهري العظيم وديالى، وعلى الرغم من تعقد مظاهر السطح بذلك التنوع وما تمثله من صعوبة إمام حركة القوات المهاجمة له وسهولة إمام القوات العراقية المدافعة عنها، إلا إن وضعه كاسفين مغروس داخل الأراضي الإيرانية التي تحيط به من ثلاث جوانب يشكل في حد ذاته عيبة جيوسراتيجية في شكل الدولة، ويجعله دائما عرضة للسقوط في يد القوات لمهاجمة من الجانب الإيراني، خاصة وان القوات المهاجمة تتمتع بمواقع ذات مزايا طبوغرافية متحكمة حول هذا التنوع، فضلا عن ذلك فان حقول النفط العراقي في كركوك قريبة من هذا التنوع.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن شكل الدولة العراقية يحمل تحديات جيوسراتيجية تعوق الدولة عن أداء وظائفها خاصة في الجانب الدفاعي والاستراتيجي، أكثر من الفرص والمزايا التي يوفرها، لذا يعد الشكل إحدى قوى الطرد الطبيعية التي تهدد تماسك الدولة ووحداتها الإقليمية.



شكل () شكل الدولة العراقية

خامسا: الابعاد العسكرية والأمنية للفراغ السكاني في المنطقة الغربية

تشكل مناطق الفراغ السكاني مناطق ومن وضعف في الدولة من الناحيتين العسكرية والأمنية، إذ يسهل على إي قوات عسكرية معادية، أو جماعات إرهابية، أو جماعات التهريب والجريمة المنظمة، اختراق هذه المناطق وعزلها عن سيطرة الدولة، حيث يمكن استهداف مناطق التركز السكاني المتفرقة والمنعزلة، وكذلك تكون عملية الاختراق في مناطق الفراغ والتخلخل السكاني امرا سهلا لا يواجه اية مقاومة، وتجعل سعة المنطقة، وطبيعتها المفتوحة التي تتخللها الطرق العديدة،

والوديان والتلال والتموجات التي تساعد على التنقل خارج الطرق المعبدة، وتؤمن الاختفاء، فضلا عن حدودها الطويلة على امتداد جوار أربع دول عربية، من مهمة تأمينها والدفاع عنها مسألة صعبة، وقد اخترقت القوات الأمريكية هذه المنطقة ووصلت إلى أهداف في عمقها خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، كما سهلت طبيعة المنطقة وخصائصها عملية اختراق وتقديم القوات الأمريكية نحو بغداد لاحتلالها عام ٢٠٠٣ انظر خارطة (٦)، واستغلت الجماعات الإرهابية هذه الخصائص وسيطرت على مناطق واسعة في محافظة الانبار وامتدت إلى محافظة نينوى.

وهنا يبرز الدور المهم للسكان من الناحيتين العسكرية والأمنية، فوجودهم وتوزيعهم المنتظم المتوازن يمثل عائقا أمام القوات المعادية المهاجمة، وإمام نشاط الجماعات الإرهابية، إذ يمكنهم عرقلة عملية اختراق القوات المعادية وتأخيرها لحين وصول القوات العسكرية المدافعة، ويقدم السكان المعلومات للسلطات عن أي نشاط إرهابي، كما يوفر السكان الدعم للقوات العسكرية والأمنية في القضايا التموينية، بينما يؤدي الفراغ السكاني إلى حصول العدو والجماعات الإرهابية على حرية الحركة والعمل واستهداف مناطق العمق.

إن الخصائص الطبيعية للمنطقة والفراغ السكاني الذي تعاني منه وامتدادها الحدودي مع أربع دول عربية مجاورة، فرض أعباء أمنية كبيرة على المحافظات التي تتوزع عليها المنطقة الغربية من العراق، واستغلت الجماعات الإرهابية (تنظيم القاعدة وداعش الإرهابي)، والمهربون، والخارجون على القانون هذه الخصائص وجعلوا المنطقة مسرحا لنشاطهم وملأوا أمانا لهم، لإثارة العنف والفوضى وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأمني، وهددوا وحدة

الدولة وسلامتها الإقليمية لسهولة تسللهم ودخولهم إلى المنطقة عبر دول الجوار العربية مستفيدين من الفراغ السكاني وخصائص المنطقة التي يصعب تأمينها والسيطرة عليها من قبل الدولة، لذلك يعزز التوزيع المنتظم للسكان ومعالجة ظاهرة الفراغ السكاني، عملية بناء الدولة ويدعم قدراتها في استثمار الموارد والثروات الطبيعية وتوظيفها للتنمية، ويمكنها من السيطرة على كل أنحاء إقليمها الجغرافي، وينعكس الفراغ السكاني في المنطقة الغربية سلبا على امن واستقرار الدولة ووحدتها وتماسكها الاجتماعي ويستوجب ذلك النظر جدية والتخطيط استراتيجية لمعالجة هذا الخلل والوهن في جسد الدولة العراقية والسعي لتنمية المنطقة واستثمار مواردها لتحويلها إلى عامل قوة للدولة.

وبناء على ما تقدم تمثل هذه المنطقة نقطة ضعف واضحة في المركب الطبيعي للدولة العراقية من منظور الاستراتيجية العسكرية، وقد بدا ذلك واضحا في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ، وحرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣، وبذلك يتضح إن هذه المنطقة تمثل عبا دفاعيا على العراق يسهل اختراقه والوصول بسهولة للعمق العراقي من جهة الغرب، ويعني ذلك إن هذه المنطقة تمثل عيبا جيوسراتيجيا في جسم الدولة العراقية مما يجعلها إحدى قوة الطرد الطبيعية التي تقف ضد قيام الدولة بوظائفها.

فضلا عن ذلك أصبحت هذه المنطقة من أهم مناطق التدريب ومراكز الدعم اللوجستي للجماعات المتطرفة خاصة بعد إحداث حزيران ٢٠١٤ واحتلال داعش الإرهابي للموصل والعديد من المناطق ، إذ يتم فيها نقل العناصر المهيأة فكريا لتشكل فيما بعد الجماعات العسكرية، ومن ثم فهي أشبه بمرحلة انتقال بين المنحى الفكري

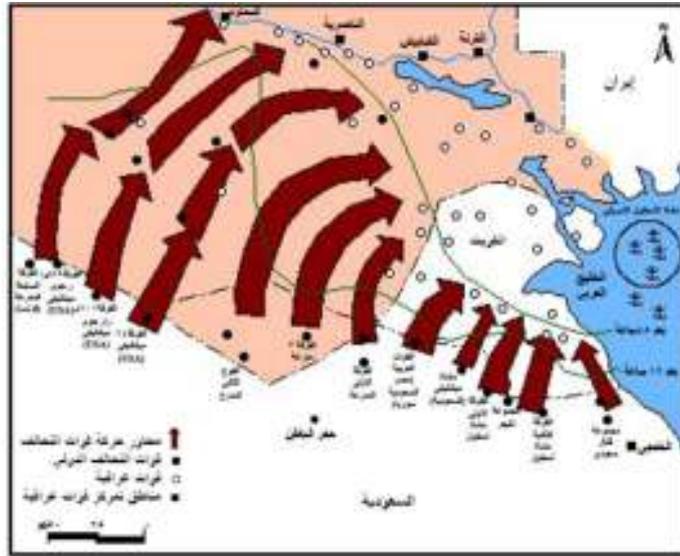
والعمليات. وهنا ينبغي ملاحظة أن هذه المنطقة من حيث الحيز المكاني تختلف عن مناطق التثقيف والتجنيد، فهي تستهدف أماكن غير خاضعة لسلطات رسمية لكي تتمكن من نقل عناصرها وتدريبهم بمرونة أكبر، وعادة ما تكون هذه المناطق ضمن حيز الفراغ السكاني، كما في صحراء النخيب أو مناطق الفراغ السكاني الواسعة في الأنبار والموصل.

وفي النهاية يتفق معظم المختصين في الدراسات الجيوبوليتيكية والأمنية والاستراتيجية على إن استراتيجية الأمن الوطني لم تعد وسائل وأدوات مجردة أو طموحات خالية من تقدير الواقع، فالوصول إلى الغايات والأهداف الاستراتيجية للدولة ينبغي إن تمر بمراجعة دفاعية وتقدير استراتيجي بحسب الظروف والمعطيات الجيوبوليتيكية للدولة، الأمر الذي يسهل عملية التخطيط الاستراتيجي الشامل وإدارة المقتربات الأمنية، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتساهم في التقييم الاستراتيجي للدولة، من خلال دراسة التحديات الجيوبوليتيكية المتعلقة بواقع الدولة ومحيطها الجغرافي ولتضع معالجات مدروسة كخيارات متعددة تساعد صناع القرار في تجنب هذه التحديات قدر المستطاع، إذ تحتم التحديات الجيوبوليتيكية للأمن الوطني العراقي على القائمين على السلطة توخي الحكمة والتأني في السلوك السياسي الداخلي والخارجي وتبني القرارات على وفق رؤية واقعية وحسابات تجنب البلد هذه التحديات.

حيث أعطت الجغرافيا للعراق ميزة وعبنا في أن واحد فهو بحكم هذا الموقع داخل بينته الإقليمية أضفت عليه إن يلعب دورا ويأخذ مكانة إقليمية متميزة، فالدور شأن مغري في العلاقات السياسية الدولية كلما تصاعدت قيمته تصاعدت المكانة السياسية للدولة، إلا

أنها عبنا عليها حيث يفرض تواثر وتقيم دائم لإمكاناتها وتأهيل مستمر حتى تتكافأ مع متطلبات هذا الدور وتنفيذ الأدوار المستقبلية المرسومة للدولة.

فالعراق قوة اقليمية لا يمكن التقليل من شأنها بحكم ما يمتلكه من عناصر القوة الجيوبولتيكية، الذي سيتمكن العراق إذا ما أحسن استغلالها من بناء قوة إقليمية تضع استقرار العراق والمنطقة ضمن منظور جديد، كونه واحدا من الركائز الأساسية في المنطقة ليس من منظور الهوية المشتركة للمنطقة دينيا وجغرافية وتاريخيا فحسب، وإنما أيضا من خلال توازن القوى في المنطقة التي تشهد حراكا وتجاذبات واستقطابات مثيرة باعتبار إن العراق مثل مركز توازن جيواستراتيجي إقليمي ودولي عبر مراحل التاريخة.



شكل () استراتيجية التطويق للقوات العراقية عبر الصحراء الغربية في حرب تحرير الكويت ١٩٩١



شكل () توغل القوات الامريكية نحو القلب العراقي عبر الصحراء الغربية في حرب ٢٠٠٣

جيوبوليتيكية الثورات العربية

تقع الثورات العسكرية أو الشعبية مثلها مثل الحدود السياسية والمياه الاقليمية والعواصم في اطار الجغرافيا السياسية والعسكرية للدول والقوى الدولية؛ لذا يجب أن تخضع الثورات العربية للتحليل المنطومي والتقويم الجيوسياسي لوقائعها ومخرجاتها.

لقد كان عام ٢٠١١ عاما مفصليا في مسيرة الشعوب العربية؛ إذ شهدت المنطقة العربية نجاح الثورة التونسية وسقوط نظام بن علي، التفتح الطريق لتوالي الثورات في المنطقة العربية، وتوالي سقوط أنظمة حكم فيها، وشهدت الأغلبية العظمى من البلدان العربية حركات شعبية واسعة تراوحت ما بين انتفاضات واحتجاجات.

إن ما يسميه الغرب (بالربيع العربي) هو في حقيقته الجيوبولتيكي (تساقط الدومينو العربية) الذي بدأت شرارته الأولى عندما احرق البائع المتجول في تونس (محمد البوعزيزي) نفسه تعبيراً عن احتجاجه على استبداد نظام بلاده التي كان يترأسها زين العابدين بن علي الذي هزمته الجماهير الغاضبة وهروبه الى المملكة العربية السعودية في يوم الجمعة ١٤/١/٢٠١١ .

إن هذا الهياج الجماهيري لبعض الشعوب العربية ضد حكامها المتسلطين على رقابها بتأثير سابق من قوى الغرب، رغم علمها بأن هذه الأنظمة الضامنة لمصالحها كانت جاثمة على براكين في الاستياء الشعبي المكبوت بالقوة لعقود من الزمن، وهذا هو جوهر الحدث الجيوبولتيكي العربي و محركه والذي أصبح في نظر الغربيين يمثل انتفاضة سياسية للجماهير العربية المطالبة بالإصلاحات الديمقراطية،

وهذا هو ماتطلق عليه الجيوبولتيكيا الانتقادية بـ (الجيوبولتيكس الشعبي).

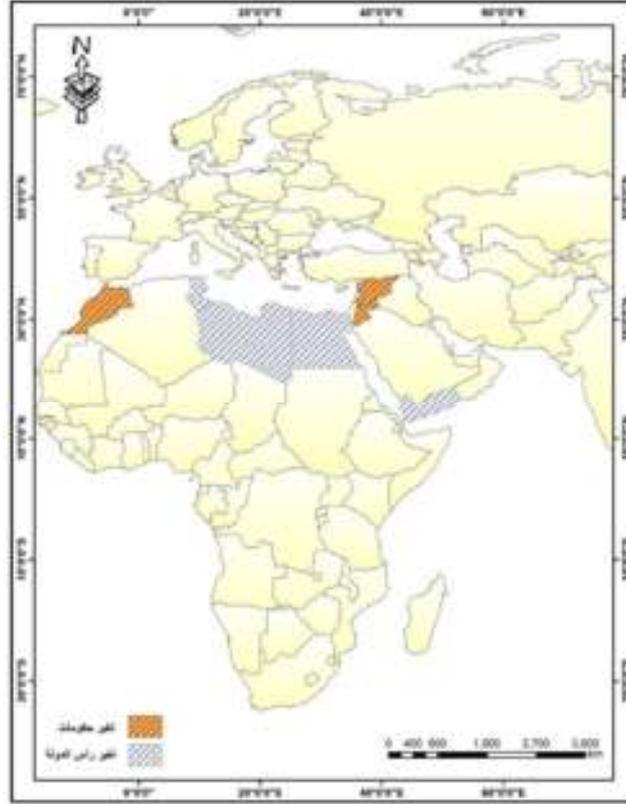
ترى ماهي الأسس التحليلية لهذه (الجيوبولتيكيا الشعبية) او هذا الحراك الجماهيري الذي يشبه الطوفان وماهي محركاته ؟ هنا لابد من وضع الأسس الجيوبولتيكية الثلاث لتحليل الفعل السياسي محل اختيار وحسب تسلسلها :

١- ينبغي النظر هنا الى (جوهر الحدث) المتمثل بالسياسات الخرقاء التي تبناها الحكام العرب بدعم من القوى الخارجية تجاه شعوبهم و حرمانهم من ايسط حقوقهم الديمقراطية الأمر الذي ولد لديهم استياءً عاماً و شاملاً وخاصة لدى الشباب الأكثر ثورية وتنويراً وتطلعاً وتوقاً للحرية السياسية و الأمن و العيش الكريم في بلادهم.

٢- الدور الفاعل(العامل الحدث) أي التحرك الجماهيري(السكان) من خلال استثمار تقنيات الأخبار و الاتصالات الحديثة عبر المواقع الإخبارية ووسائل الإعلام المرئية (التلفاز) ذات العلاقة المباشرة بالتطور التقني الذي ساهم في تصغير العالم وفك الحصار عنه من خلال البث السريع للخبر بالصوت و الصورة بلا حواجز او حدود او رقابة، أولاً بأول، لأحداث العالم الصغيرة و الكبيرة على حد سواء .

٣- البيئة الإقليمية والدولية التي يجرى فيها الحدث، فتغير الوضع الدولي ونظامه العام من سياسة فرص الأنظمة الدكتاتورية العميلة بالقوة او الانقلابات العسكرية الى سياسته التجاوب والرضوخ لإرادة الغالبية العظمى للسكان، وبخاصة الشباب، التواقة للتغيير والراغبة في نيل الحرية واستبدال الأنظمة الشمولية بالأنظمة الديمقراطية التعددية بالطرق السلمية، من خلال نزولها الى الشارع لتحدي القوة

البوليسية لتلك الأنظمة و مواجهة قواتها العسكرية والأمنية بهتافات التغيير و المطالبة بالعدالة والديمقراطية وبمباركة مرغمة من القوى الدولية.



شكل () دول الربيع العربي

أولاً: الاستراتيجية الأمريكية تجاه الثورات العربية:

في ظل المتغيرات المتلاحقة التي تشهدها المنطقة العربية في أعقاب ثورات الربيع العربي تجددت - الدعوات للمطالبة بإعادة تقييم جذري للاتجاهات الرئيسية الأمريكية ومصالحها في المنطقة والخيارات - السياسية المتاحة، وضرورة إعادة النظر بشكل منهجي

في سياستها المناسبة لتحقيق وتبني منهج (التكيف الاستراتيجي)، ففي الوقت الذي تظل فيه بعض السياسات الأمريكية الحديثة والقديمة صالحة للتعاطي في - في الوقت الحاضر، إلا أنه في ظل التحولات الجيوسياسية الأخيرة والتي حملت معها معطيات جديدة على المشهد السياسي، وبدأت السياسة الأمريكية في خضم هذه التحولات أكثر تأزماً وشابها نوع من الارتباك - و الواضح بعد اجتياح ما يسمى بثورات الربيع العربي للمنطقة وكشفت عن عدم قدرة الولايات المتحدة - على استيعاب تلك المتغيرات في ظل تعقيدات الوضع السياسي في المنطقة العربية والشرق الأوسط.

١- المرتكزات الأساسية للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة العربية والشرق الأوسط

تصوغ الولايات المتحدة استراتيجياتها في مناطق العالم المختلفة ومنها منطقة الشرق الأوسط على هدى مرتكزات أساسية تحاول من خلالها تمرير سياستها الخارجية بغية تحقيق الأهداف النهائية لمصالحها القومية، ولأن منطقة الشرق الأوسط من بين المناطق المفصلية في تحقيق تلك الأهداف فقد خصها الخطاب الأمريكي بنوع من الاستثنائية لاسيما بعد التحول الحاصل في النظام الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة، ويمكن إجمال تلك المرتكزات المؤثرة في توجهات الإدارة الأمريكية بالآتي :

أولاً :- المرتكز الأيدلوجي

أصبحت المكانة الفريدة للولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة تحظى باعتراف عالمي واسع النطاق، وطبقاً لتلك المكانة المتميزة أصبحت هي من تقرر شؤون الكثير من القضايا الدولية والإقليمية، ولأن الشرق الأوسط فقد احتل موقعا بالغ الأهمية في جيو سياسية الولايات المتحدة الأمريكية ومشروعها ؟ الخاص بالهيمنة

على العالم القديم وثروته النفطية، فضلا عن تحول بعض دوله، كمصدر للارهاب من وجهة النظر الأمريكية.

ثانيا :- المرتكزات الجيوستراتيجية

إذا كانت الجيوستراتيجية تعني بالبحث في المركز الاستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية سواء في الحرب أو السلم، فنتناول بالتحليل استنادا على عناصره أو عوامله، بمعنى إنها تهتم بدراسة الموقع الاستراتيجي للدولة أو المنطقة الإقليمية ومدى تأثير هذا الموقع وتلك المنطقة في العلاقات الدولية أثناء السلم والحرب، فإن الدلالة الأمريكية المبكرة على جدية الموقع الجيوستراتيجي للشرق الأوسط قد ظهرت في تصريح أدلى به (ماهان) القيادي في البحرية الأمريكية والذي ترجع إليه التوصيات الأولى لمنطقة الشرق الأوسط والذي أشار فيه، إن الشرق الأوسط سواء كمفهوم استراتيجي أو كموقع على الحدود الجنوبية للبحر المتوسط واسيا هو مسرح مواجهة استراتيجية بين القوى المتصارعة.

فالشرق الأوسط في الاصطلاح الجغرافي - السياسي على انه كامل المنطقة الممتدة لمساحة جغرافية تقدر ؟ بنحو ١٧,٧٨٨,٥٣١ مليون كم ٢ موزعة على النحو الآتي:

جدول (٢٠) مساحة المناطق والدول التي يضمها الشرق الأوسط

الدولة	المساحة
الوطن العربي	١٣,٩٢٣,٠٠٠
باكستان	٧٩٦,١٠٠
أفغانستان	٦٥٢,٠٩٠
إيران	١,٦٣٣,١٩٠
تركيا	٧٧٥,٠٠٠
قبرص	٩,٢٥١

وتشكل مساحة الشرق الأوسط حوالي ١٢,٥% من إجمالي مساحة العالم أما الكتلة السكانية الشرق - أوسطية فتمثل ما نسبته ١٠% من سكان العالم. وعليه فإن دراسة المرتكزات الجيوستراتيجية للولايات المتحدة إزاء منطقة الشرق الأوسط تقودنا إلى تسليط الضوء على بعض المفردات وتأثيرها في صناع القرار كمحددات أو دوافع تتحكم في صياغة - السلوك الأمريكي إزاء المنطقة ومن بين تلك الدوافع ما يأتي:

١- الدافع الجيوسياسي

يشكل الشرق الأوسط بالنسبة للخطاب السياسي الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية وحدة سياسية - واضحة وان تضمنت أكثر من منطقتين متميزتين هما جوار إسرائيل والخليج النفطي وتختلف كل واحدة منهما من حيث وظيفتها الجيوسياسية والجيوعسكرية، إذ تتنازع هذه المنطقة عوامل عديدة أكثرها بروزا عاملان احدهما جغرافي والآخر بنيوي اقتصادي سياسي وأمني وكل واحد من هذه العناصر يشكل أهمية خاصة للولايات المتحدة.

هذه العوامل لا يلغي احدهما الآخر بل يمكن أن يكون معززا له، فالنفط وحده لم يكن هو الذي شكل مصير الشرق الأوسط، لان تلك المنطقة وقبل اكتشاف النفط بزمن طويل كانت بمثابة ملتقى- استراتيجي للطرق بين إفريقيا واوراسيا كما هو اليوم، ولكن بعد التغيير الوظيفي للمنطقة بالنفط أو بدونه سنظل الأهمية الاستراتيجية وخاصة الجيوعسكرية قائمة.

٢- الدافع الجيو اقتصادي اهتمت النظريات الجديدة بمنطقة الشرق الأوسط كواحدة من أهم المناطق الجيوستراتيجية للسيطرة على العالم

على عكس نظريات المجال الحيوي السابقة التي ركزت على اوراسيا على أساس أن السيطرة عليها يمكن أن تتيح لأي قوة السيطرة على العالم كله، وخلال الحرب العالمية الثانية وما تلاهما تمت صياغة مفهوم السيطرة على منطقة الشرق الأوسط لإحلال القوة الأمريكية بدلا من القوى الأوروبية لتحقيق مصالح الولايات المتحدة انطلاقا من فرضيتين، الأولى إن القوى الأوروبية غير قادرة على تحقيق السيطرة الفعلية على تلك المنطقة بسبب خروجها منهكة من الحرب العالمية الثانية.

لقد ظلت منطقة الشرق الأوسط تمثل حلقة أساسية في مشروع الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على العالم برمته وهي تتدخل عسكريا من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية بالدرجة الأساس، فالعراق وأفغانستان ينسجم احتلالهما مع نظرية جغرافية القوة التي نادى بها (ماكندر) والتي تربط بين السيطرة على قلب الأرض والسيطرة على كل دول العالم ربطا عضويا فهما يقعان على خط القوة داخل آسيا وهما لا يوفران للاحتلال الأمريكي قوة الأمن السياسي والعسكري فقط وإنما قوة الأمن الاقتصادي الاستراتيجي بفعل المخزون الهائل من النفط في بحر قزوين من جهة وفي شمال وجنوب العراق من جهة - أخرى.

إن حقيقة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بنفط المنطقة يعود لجملة عوامل تأتي في مقدمتها حماية الاقتصاد الأمريكي من أي تقلب قد يتعرض لها نتيجة وقف تدفق النفط أو حتى ارتفاع أسعاره بشكل كبير والعامل الآخر الحفاظ على مستوى ونمط الحياة في الولايات المتحدة القائم على الاستهلاك الكبير للطاقة فضلا عن التحكم بأسعار النفط وتوزيعه.

إن ضمان حرية تدفق النفط إلى الولايات المتحدة وحلفائها بأسعار منافسة من أولويات السياسة الأمريكية، انطلاقاً من مفهوم إن من يسيطر على النفط سيتحكم في الاقتصاد العالمي، علماً أن معظم و الشركات النفطية في الخليج العربي هي من جنسيات أمريكية الأمر الذي يجعلها تتحكم في مفاصل السياسة الخارجية لحلفائها وهذا ما ثبت في حرب الخليج الثانية.

لقد مرت الاستراتيجية الأمريكية في العالم وفي الشرق الأوسط والمنطقة العربية على وجه الخصوص بمراحل عديدة وتختلف الواحدة عن الأخرى وذلك بحسب سياسة الرئيس الأمريكي التي تتأثر هي الأخرى بمرجعياته وانحداره من احد الحزبين (الديمقراطي أو الجمهوري) وكذلك تأثره بما تقدمه مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية والتي تتلاءم و تتناغم مع كل مرحلة.

٢- تطور الاستراتيجية الأمريكية منذ عهد مونرو إلى عهد ترامب

١- مبدأ جيمس مونرو (الاستعمار في الداخل):

بعد أن انتهت حروب الاستقلال وإعلان تشكيل الاتحاد الفدرالي للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٧٩ جاء المبدأ الذي قدمه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو - وعرف باسمه - في رسالة إلى الكونجرس الأمريكي في عام ١٨٢٣، لكي يجسد انشغال البرجوازية الأمريكية الفتية بالعمل على استكمال سيطرتها الكلية على القارة الأمريكية، وتصفية وجود وسيادة سكانها الأصليين من الهنود، ولكي تقنن عمليات التوسع في أمريكا الوسطى والجنوبية وجهود الحفاظ على مصالح هذه البرجوازية فيها من منافسة البرجوازية الأوروبية لها، لابد لها من استكمال سيطرتها على السوق القومي وحمائته من مزاحمة

الرأسمالية الأخرى القادمة من خلف الحدود القارية للبلاد، لقد ظل مبدأ مونرو الركيزة الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية قرابة قرن كامل ، تمكنت خلاله البرجوازية الأمريكية من بسط هيمنتها على مصادر الثروات الطبيعية الهائلة في القارة دون منافس أو منازع، كما تجنبت تبديد مصادر الطاقة في الصراعات التي كانت أوروبا وآسيا وأفريقيا مسببا لها.

٢- وليم ماكس (التطلع خارج الحدود):

مع بداية القرن العشرين بدأت البرجوازية الأمريكية الفتية بعد أن تضخمت عوامل النمو الصناعي والمالي والعسكري لها في التطلع إلى خارج الحدود، بفضل التحول الذي طرأ على الرأسمالية الأمريكية، اتجهت لفتح أبواب أمام سيل إنتاجها المتدفق، ولقد عبر الرئيس الأمريكي وقتذاك، وليم ماكس، عن التوجه الموازي لهذا التطور على صعيد السياسة الخارجية للاتحاد عام (١٩٠١) بقوله (إننا وصلنا إلى درجة من فائض الإنتاج تتطلب منا أن نفتح لهذا الفائض أسواقا جديدة تستوعبه لكي لا يواجه مرحلة من الكساد الاقتصادي قد تقضي على نمو وتطور بلادنا).

٣- مبدأ ترومان (إشعال الحروب الباردة):

لقد صنفت الولايات المتحدة خروجها للعالم بروح مثالية رسمت صورتها بعناية تحت شعار أمريكا الجديدة في الداخل ومبادئ نسلون الأربعة عشر في الخارج. واتخذت من المناصرة الشكلية (لحق الشعوب في تقرير مصيرها)، وسيلة للحد من نفوذ القوى المنافسة واحتلال مواقعها.

ورغم الطابع العدواني تجاه الاتحاد السوفيتي السابق، فإن الولايات المتحدة سعت مثل خصمها لتحديد استراتيجية ملائمة تسمح بالتعامل مع عدم الاستقرار في المنطقة مع تفادي الدخول في حرب كونية مع العدو الأحمر مكتفية بما عرف بمبدأ الاحتواء كأساس ومحرك و باعث لكل الأفكار والقرارات والعلاقات التي تصدر عنها في إطار سياستها الخارجية طوال سنوات الصراع الدولي بينها وبين الاتحاد السوفيتي السابق. ولقد ظل مبدأ الاحتواء هو العامل المحدد والمتحكم في الاستراتيجية السياسية والعسكرية الأمريكية الشاملة مع الاتحاد السوفيتي السابق وهو المبدأ الذي كان يهدف إلى حرمان السوفيت من التوسع خارج مجال نفوذه التقليدي (أوربا الشرقية)، ومن ثم الحفاظ على ميزان القوة الدولي الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية، وتجسد هذا المفهوم منذ بداية الحرب الباردة في احتواء الاتحاد السوفيتي وسياسته وحلفائه داخل دائرة محكمة تتكون من قواعد وأحلاف وعلاقات وسياسات وإدارة أزمات وإشعال حروب وتدبير انقلاب واغتيال زعماء، أي أن الاحتواء كان عبارة عن رؤية عامة قد تتخذ أشكالاً عسكرية وسياسية متنوعة لكنها لا تقوم على خطة استراتيجية عسكرية واضحة المعالم، بل إنها تأخذ بعين الاعتبار نقاط رئيسة تتعلق بالعالم الذي ستواجهه الولايات المتحدة في المستقبل. ومع انتهاء الحرب الساخنة بدأت الحرب الباردة وكرس مبدأ ترومان نهائياً انتهاء عصر (العزلة) والتدخلات العابرة، وبداية عصر المسؤولية الأمريكية العالمية، وكان التجلي الأمثل لتطبيق مبدأ ترومان في الشرق الأوسط هو تشكيل (دويلة إسرائيل) ، كما تجسد المبدأ أيضاً بمساعي الولايات المتحدة لربط المنطقة بسلسلة من الأحلاف والتكتلات ومعاهدة الدفاع المشترك.

٤- مبدأ ايزنهاور (ملئ الفراغ):

مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين أتاحت للولايات فرصة تاريخية لدخول المنطقة، فبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر وفشل العدوان الثلاثي عليها تمكنت الولايات المتحدة من الإطاحة بنفوذ الإمبراطوريتين الفرنسية والبريطانية والإحلال محلها عبر إعلان مبدأ (ايزنهاور) الذي طرحه لأول مرة في بداية ١٩٥٧ والفكرة المحورية في نظريته التي عرفت بنظرية (ملئ الفراغ) للحيلولة دون دخول الاتحاد السوفيتي السابق لشغل مراكز الاستعمار القديم الشاغرة مما يقتضي تحركا أمريكيا سريعا وفعالا ولقد استطاعت الولايات المتحدة بموجب مبدأ ايزنهاور أن تمت نطاقها (المجال الحيوي) إلى الشرق الأوسط، وكان ابرز تطبيقات المبدأ هو التدخل المباشر في لبنان وفي الأردن، كما مهد الطريق للتدخل في جنوب شرق آسيا، وخلق المشروع الأمريكي هذا حالة استقطاب حادة في المنطقة بين الاتجاهات والنظم الثورية أو كما يصفونها بـ (الراديكالية) بزعامة (مصر عبد الناصر) وبين الاتجاهات والنظم المحافظة المرتبطة بإسرائيل عن طريق الحليف الأمريكي والمصالح المشتركة، وقد أدى هذا الصراع إلى قيام حرب عام ١٩٦٧ التي اضطر بعدها الاتجاه (الراديكالي) إلى التراجع عن مواقع عديدة (اليمن وغيرها) والتفرغ لإزالة آثار العدوان، وكان هدف واشنطن من إعلان مبدأ ايزنهاور ما يأتي:

أ- إفهام الروس أن الولايات المتحدة على استعداد لخوض الحرب في سبيل التصدي لغزوهم للشرق الأوسط.

ب- تقوية الحكومات الصديقة التي يتهدها عبد الناصر وحلفائه.

ج- إيجاد وسيلة أخرى غير المعاهدات والتحالفات بإمكان الحكومات التي تخشى تهديد السوفيت أو عبد الناصر أن تلجأ إليها من أجل الارتباط بوضوح بالولايات المتحدة .

وفي عام ١٩٥٧ أخبر ايزنهاور زعماء الكونجرس بأن (الفراغ) الراهن في الشرق الأوسط يجب أن تملأه الولايات المتحدة قبل أن تملأه روسيا.

ومنذ ذلك الوقت سيطرت على سياسات واشنطن الخاصة بالشرق الأوسط فكرة (ملئ الفراغ) الناتج عن ازدياد ضعف بريطانيا وفرنسا وبدء اختفائهما من المنطقة.

٥- مبدأ نيكسون (الإجابة المدعومة):

أثرت الهزيمة الفيتنامية سلبا على التوجهات الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية وأجبرتها على والتوقف لفترة، والبحث عن بدائل ومن هنا برزت فكرة الرئيس الأمريكي نيكسون والتي اعتمدها مع بداية السبعينات والتي عبر عنها في رسالته باسم (الوضع العالمي) عام ١٩٧١.

أما في منطقة الشرق الأوسط، فلقد برز مبدأ نيكسون عمليا من خلال التحركات المكوكية لـ (هنري كيسنجر) من أجل أن يقرر الشرق اوسطيون مستقبلهم برعاية العرب الأمريكي ومن هنا بدأت المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والرئيس المصري الأسبق (أنور السادات) والتي انتهت بتوقيع اتفاقية سيناء الأولى والثانية، وبدخول الولايات المتحدة إلى المنطقة كشريك رئيس يملك كل أوراق اللعبة.

وقد شهدت فترة الرئيس نيكسون وبجهود وزير خارجية كيسنجر من التوصل إلى اتفاقيات الفصل بين القوات الإسرائيلية من جهة والسورية والمصرية من جهة أخرى، في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وارتبط اسم نيكسون بما يعرف بمبدأ نيكسون أو مبدأ "غوام" والقائم على تركيز الدبلوماسية الأمريكية في آسيا على الأدوات الاقتصادية كبديل عن الأدوات العسكرية وجعل الدول الآسيوية أكثر اعتمادا على نفسها في حل نزاعاتها وتقييد التدخل الأمريكي وحصره في ردع التهديدات التي تمارسها إحدى القوى النووية مع إمكانية ردع التهديدات التقليدية التي تحدث على نطاق ضخم لا قدرة لحلفاء أمريكا على مواجهتها.

٦. عقيدة كارتر (Carter Doctring) التدخل السريع:

مع بداية السبعينات وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، كان البعض في أوساط البنّاجون وأروقة البيت الأبيض والمستشارون والخبراء قد بدأوا جميعا في طرح مبدأ اعتماد القوة (الغزو حقول النفط) خاصة مع تصاعد حدة الأزمة الاقتصادية والتي ترجع مسبباتها إلى الاعتماد المفرط على النفط المستورد من الخارج حوالي (٤٠٪) مع أواخر السبعينات، وبدأت المصادر العسكرية الأمريكية تتحدث بوضوح على أنه إذا تعاضم اعتمادنا على النفط الخارجي أو تدهورت سيطرتنا في السياسة الخارجية أو النفوذ الدولي، فإن البديل قد يكون إرسال حملة عسكرية إلى الشرق الأوسط.

ولقد تجلّى مبدأ كارتر بالإعداد لبناء قوات التدخل السريع وتدريبها على الظروف الجغرافية المشابهة للمنطقة الخليج العربي خاصة والشرق الأوسط عامة، فضلا عن تعزيز الوجود العسكري

الأمريكي البحري في المحيط الهندي والبحث عن تسهيلات وقواعد عسكرية في البلدان المعنية أو المجاورة لها. وقد طرح كارتر أيضا مشاريع التعاون الأمني التي جاءت اتفاقية كامب ديفيد كخطوة أولية على طريق تنفيذها. كما أعلن كارتر في عام ١٩٧٧ مجموعة أفكار محل أزمة الشرق الأوسط أعرب فيها عن قناعة إدارته بأن التوصل إلى تسوية شاملة يجب أن يكون الهدف الذي تسعى إليه، وإن إسرائيل تستطيع أن تضمن أمنها داخل حدود ما قبل يونيو ١٩٦٧ مع تعديلات بسيطة وإن مصر لا تستطيع أن تمضي لوحدها في سلام منفرد، وإن على الفلسطينيين أن يلعبوا دور في عملية السلام وإن من حقهم أن يكون لهم وطن.

٧- رونالد ريجان (التطويق والمجابهة):

ما استلم ريغان السلطة عام ١٩٨١، ممثلا للتيارات اليمينية والمحافظة في الطبقة الحاكمة، وملزما ببرنامج واضح قوامه، داخليا العمل على تقوية الاقتصاد الأمريكي وخارجيا (استعادة عظمة أمريكا)، أي بسط سيطرتها ونشر هيمنتها في أنحاء العالم، وتتلخص استراتيجية ريجان بأنه قسم العالم إلى لونين فقط الأبيض (نحن) والأسود (هم) ويقصد به الاتحاد السوفيتي السابق والمعسكر الشرقي وكل من لا يخضع ولا ينصاع للمصالح الأمريكية ومتطلباتها ويندرج تحت هذا الوصف حركات التحرر والدول الساعية للاستقلال.

ومن أجل هذا التناقض من وجهة نظر المخططين الاستراتيجيين العسكريين والسياسيين الأمريكيين يتطلب توفر عناصر استراتيجية ثلاثية مترابطة تتمثل:

أ- استراتيجية التطويق والمجابهة:

تعد الاستراتيجية (الريجانية) إن ميدان الحرب لن يقتصر على منطقة معينة وإنما ستتسع لكي تشمل العالم كله ولا تقتصر على المجابهة العسكرية بل تمتد إلى كل الميادين التجارية ونقل التكنولوجيا وإثارة الصراعات والعلاقات داخل الكتلة الشرقية وما إلى ذلك.

ب- استراتيجية الترابط الإقليمي :

ترتبط هذه الاستراتيجية بالأولى وتعمل لخدمتها فما دامت جانب قضية حصار الاتحاد السوفيتي السابق و مواجهته هي قضية القضايا، فالولايات المتحدة تسعى إلى خلق سلسلة مترابطة من الأقاليم الاستراتيجية في العالم، بحيث يقتضي أمن كل منها تحقق الأمن الشامل للمنطقة الأخرى.

ج- استراتيجية التسليح القصوى:

تزعم الولايات المتحدة بتفوق الاتحاد السوفيتي السابق في أغلب مجالات التسليح (التقليدي و الاستراتيجي)، فإن الاستراتيجية (الريجانية) الجديدة تعد الرد الوحيد والمقنع على هذا التفوق هو تطوير وقوة عسكرية ضخمة، بحيث تكون قادرة على ضمان وجود عنصر رادع قوي، لهذا فهي شرعت ببرامج التسليح عالية النفقات مثل إنتاج القنبلة النترونية والصواريخ العابرة للقارات، وتطبيقا لتلك الاستراتيجية في الشرق الأوسط اتخذت الإدارة الأمريكية مجموعة من الإجراءات العملية المتكاملة لربط الدول الحليفة في المنطقة بمجموعة من الأحلاف وإعداد قوات التدخل السريع وعقد اتفاقيات التعاون في المجالات العسكرية و تدعيم الأساطيل الأمريكية في البحار المجاورة. ويركز التصور الاستراتيجي الأمريكي الجديد للمنطقة على خلق دوائر

استراتيجية متداخلة ومتكاملة تتقاطع جميعها في مركز واحد وهذه الدوائر تتمثل بدائرة الحلف الاستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي التي تنظر إلى إسرائيل كحليف وأن أمن إسرائيل هو وهدف لهذه الإدارة، كذلك دائرة الحلف الاستراتيجي الأمريكي - الإسرائيلي - المصري وهذه الدائرة ترسخت بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد وهي تركز على دور مصر الأساس في خدمة الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، فضلا عن الدائرة الثالثة والمتمثلة بدائرة الإجماع الأمريكي - العربي - الإسرائيلي، وتؤكد هذه الاستراتيجية على إن نجاح الخطط الأمريكية لمواجهة زعماء (مغامرين) محل الزعماء الأكثر اعتدالا.

٨- استراتيجية جورج بوش الأب الاحتواء المزدوج:

شهد عهد بوش (الأب) انتهاء الحرب الباردة بانتصار المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة، وقد وقع مع الرئيس الروسي جورباتشوف معاهدة تقضي بإنهاء حالة العداء بين البلدين والتي اعتبرت نهاية الحرب الباردة وأسهمت في التقليل من أسلحة الدمار الشامل.

ظهرت معالم استراتيجية بوش في التطبيق في الشرق الأوسط أثر قيام حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠ فيما يسمى بـ (عاصفة الصحراء) التي خطط لها لإخراج القوات العراقية من الكويت، ويمكن النظر إلى تلك العملية من الناحية الجيوبولتيكية إلى كونها تشكل العملية الأكثر جدية لإعادة هيكلة المصالح الاستراتيجية الأمريكية في عموم المنطقة بشكل عام وتأثيراتها الخارجية بشكل خاص وبدرجة أساس ضد كل من العراق وإيران وأية قوة أخرى مشابهة لهما في تحديها للاستراتيجية الأمريكية.

ولقد استندت الاستراتيجية الأمريكية في عهد بوش (الأب) على مفهومين أولهما شد الأطراف وثانيهما تمزيق القلب ومحاصرته، وهذان المفهومان لهما أبعاد جيوبولتيكية على صعيد خارطة العالم السياسية عامة ومنطقة الشرق الأوسط خاصة، ودول الأطراف من وجهة نظر الاستراتيجية الأمريكية هي الدول المعتدلة ودول القلب الراديكالية المتطرفة، وبموجب ذلك قادت الولايات المتحدة أكبر تحالف دولي في تاريخ العالم الحديث ضد العراق وبذلك حققت استراتيجيتها التي تعمل على تمزيق دول القلب. عسكريا التي كانت تمثل من وجهة نظرها الخطر الأكبر على مصالحها الجيوستراتيجية في الشرق الأوسط والمحافظة على أمن (إسرائيل) وضمان الانسحاق الدولي خلف الولايات المتحدة الأمريكية، إن هذا السلوك يؤكد مضمون تلك المقولة العلمية التي مفادها "إن حركة الدول العظمى تجاه الصراعات الإقليمية تتناسب طرديا مع مدى تعرض مصالحها الحيوية للخطر المباشر"، كما ساهمت الاستراتيجية تلك في تحريك ملف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية من خلال الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي لبحث الصراع في منطقة الشرق الأوسط وترجم هذا في مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، بزعامة الولايات المتحدة وروسيا وبحضور وفود ممثلة لجميع أطراف الصراع العربي - الإسرائيلي وممثلين عن الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي وهو من مثل أولى لقاء في التاريخ يضم أطراف الصراع كافة.

إن انتهاء حالة الاستقرار المبني على الثنائية القطبية أدى إلى نشوء مرحلة جديدة من المنافسة الجيوسياسية الضعيفة وبالتالي إلى مخاطر وعدم الاستقرار أكثر مما كان في مرحلة ما قبل ١٩٨٩، والعراق هو أول اختبار لهذا المبدأ، فالسياسة الأمريكية في الشرق

الأوسط بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ كانت تقوم على ما أطلق عليه (الاحتواء المزدوج) الذي استهدف عزل العراق وإيران.

إن نظرة متأنية للاستراتيجية الأمريكية والتي نتجت عن المتغيرات التي أفرزتها البيئة الدولية، نجد أن انعكاسات تلك المتغيرات التي أفرزتها البيئة الدولية، قد أسهمت في انجاز أهداف السياسة الأمريكية على المستوى الإقليمي لاسيما في المناطق المتاخمة بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية.

٩- الإستراتيجية الأمريكية في عهد (بيل كلينتون) الضربات الانتقائية
١٩٩٣-٢٠٠١:

عانت الإدارة الأمريكية في مرحلة ولايتي بيل كلنتون من أزمة حقيقية، تتلخص في عدم قدرتها على بلورة رؤية استراتيجية متماسكة وواضحة المعالم للنظام العالمي في فترة ما بعد الحرب الباردة ، ففي اللحظة التاريخية التي شهدت تعاظم قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على الفعل، تضاءلت قدرتها على و تكوين رؤية استراتيجية للفعل المطلوب، ولذلك اتسمت تلك المرحلة بعدم بلورة توجه استراتيجي محدد لإدارة العلاقات الدولية بتفاعلاتها كافة، لاسيما جوانب الصراع منها، إذ كانت تدير الأزمات والتوترات الدولية من موقع رد الفعل دون السعي إلى امتلاك زمام المبادرة الاستراتيجية.

وتعد استراتيجية الاحتواء المزدوج (Dual Containment) التي تضمنت في مدلولاتها أبعاد التحرك الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط والقرن الإفريقي نموذجاً لتدني مستوى الفكر الاستراتيجي الأمريكي ، فهي بمثابة إعادة إنتاج لنظرية الاحتواء التي قامت عليها

الاستراتيجية الأمريكية في النظام العالمي السابق و (بوش الأب) وكان التعامل مع العقوبات من أكثر القضايا تجسيد لحدة هذه الأزمة.

إن النجاح الجيوسياسي الأساس لإدارة كلينتون تمثل في بسط الهيمنة الأمريكية على أوراسيا وكان مهينا بفعل الخلفية الاقتصادية لها إذ حظيت الولايات المتحدة بانتعاش اقتصادي متصاعد في أغلب عقد التسعينات.

إن التحول النسبي في ميزان القوى الاقتصادية لصالح الولايات المتحدة دعمه اللجوء الانتقائي إلى القوة العسكرية من جانب إدارة كلنتون.

١٠- استراتيجية (بوش الابن) الانتقام الاستباقي ٢٠٠١-٢٠٠٨:

سعت الإدارة الأمريكية الجمهورية في عهد (بوش الابن) لتكوين رؤية استراتيجية تحدد فيها دورها الفاعل في النظام العالمي لدعم مصالحها الحيوية على أن تفرض رؤيتها الكونية على كافة الأنساق، ما أدى إلى العديد من تصادم المصالح و تعارض الرؤى مع القوى الإقليمية المحورية وبخاصة في الشرق الأوسط، وقد سعى التيار المحافظ الأمريكي لدمج قضايا الشرق الأوسط في إطار صفقة تكاملية يدخل فيها الشأن العراقي فضلا عن تسوية الصراع العربي الإسرائيلي، إلا أنه وسرعان ما اتضح من رفض أمريكي لكل مساعي السلام السابقة خاصة (عهد كلنتون)، لذلك كان لإعادة ترتيب الأولويات الاستراتيجية الأمريكية بمثابة صدمة للجانب العربي، وبخاصة أولئك الطامحين بالقضية الفلسطينية وبدأ التركيز على إعادة التحالف الدولي المناوئ للعراق ودعم عمليات احتواءه.

فرضت أحداث ١١ سبتمبر تغييرات كبيرة على الفكر الاستراتيجي الأمريكي بعد ثبوت فشل العقيدة الأمنية التقليدية القائمة على الردع والاحتواء، وأعطت تلك الهجمات للرئيس (بوش الابن) مدى أوسع بكثير من ذي قبل للمضي قدما في ممارسة استراتيجيتها العالمية بأسلوب أكثر أحادية بشكل نوعي أكثر من سابقتها، واستجابة للتحديات الاستراتيجية والتهديدات الأمنية في شكلها الجديد وغير المألوف، لذلك أقرت استراتيجية الحرب الاستباقية أو الضربات (الوقائية)، إذ رأت الإدارة الأمريكية أنها الاستراتيجية الأنسب خلال هذه المرحلة وأصبح الاستخدام الوقائي للقوة هو الخيار الوحيد ضد الأخطار المحتملة و غير المؤكدة التي تهدد الأمن القومي الأمريكي، وكان الاستخدام الأمثل لتلك الاستراتيجية في أفغانستان ردا على أحداث الحادي عشر من سبتمبر إذ استطاعت أن توجه ضرباتها للقضاء على حركة طالبان وتنظيم القاعدة الذي صنفته مصدر الإرهاب في العالم وفي أواخر عام ٢٠٠١ كانت قد تعدلت خريطة أفغانستان تماما بسقوط حركة طالبان وتنظيم القاعدة، كذلك أولت إدارة (بوش الابن) اهتماما لافتا لملف الأزمة العراقية وطرح برنامج العقوبات الذكية على العراق بهدف تشديد الخناق عليه واستنزاف قدراته وإمكانياته الاقتصادية. وبعد أن تحقق الاستقرار النسبي في أفغانستان بدأت الولايات المتحدة في تصعيد الأزمة العراقية على المستوى الدولي، كما أعادت صياغة استراتيجيتها العسكرية فيما عرف باسم الهيمنة الأمريكية، فعملت على إصدار القرار (١٤٤١) من مجلس الأمن الدولي في نوفمبر ٢٠٠٢، كما ضغطت على مفتشي الأمم المتحدة لإدانة العراق والتحرك داخل مجلس الأمن للتأكيد لا على أن العراق لم ينفذ القرار، وعندما فشلت في إصدار قرار جديد يتيح لها ضرب العراق، تجاوزت الشرعية الدولية وقامت بالتعاون مع بريطانيا

باحتلال العراق في نيسان ٢٠٠٣، وكان الهدف من احتلال العراق هو تأكيد سيطرتها على النظام العالمي الجديد وصياغة مبادئ لهذا النظام، وبداية لتحقيق هدف استراتيجي يتمثل في استكمال السيطرة على قوسي النفط الكبير الذي يبدأ طرفه الشمالي في آسيا الوسطى و بحر قزوين، ليمتد طرفه الجنوبي إلى الخليج العربي الأغنى والأهم، خاصة بعدما منحت الحرب على طالبان في أفغانستان المجال للسيطرة على الطرف الشمالي بقوس النفط الكبير، وتحقيق ذلك الهدف يمنح الولايات المتحدة الفرصة الكاملة للسيطرة على أهم مصادر الإمدادات النفطية في العالم، فضلا عن أن العراق يمثل منطقة استراتيجية مفصلية هامة يربط بين دول الخليج العربي وتركيا وهو الأقرب إلى دول آسيا الوسطى، ويمثل الحدود البرية مع كل من إيران وسوريا، وهذا يعني إن احتلال العراق يكمل حلقة السيطرة على الشرق الأقصى والأوسط. ويحد من نفوذ روسيا والصين في منطقة الشرق الأوسط.

ولقد كان من نتائج احتلال العراق أن ظهرت مرحلة جديدة ملامحها الأساسية اختفاء المظاهر السيادية لبعض دول الشرق الأوسط حتى تلك المتعاونة مع الولايات المتحدة وظهور نظام إقليمي جديد انطلق من رؤية جيوسياسية غير تقليدية ويتميز بالتواجد العسكري الأمريكي المباشر ليس في العراق فحسب بل في دول عربية عديدة وما رافق هذا التواجد من اختفاء مظاهر التوازن الإقليمي التقليدي الذي كان قائما وغياب أبسط قواعد السلوك القانوني الذي يحكم الدول.

١١- استراتيجية أوباما تجاه الشرق الأوسط (القوة الذكية):

خصائص السياسة الأمريكية تستند عموما إلى نظريات تشتق من الواقع الجيوستراتيجي والمصالح الحيوية في إقليم جغرافيا ما، ومن

أهم هذه الخصائص إنها تعتمد على الحلفاء الإقليميين والمحليين في تأمين مصالحها، وأنها تغدر بحلفائها عندما يتحولون إلى حالات مستعصية، أو أنهم أصبحوا عبئا عليها سواء لأنهم فقدوا دورهم أو تعرضهم لخطر الإسقاط كما حدث في تونس ومصر، وإنها سرعان ما تتخلى عن حلفائها لصالح بدلانهم الأقوياء الجدد بسرعة، عندما تتمكن من تأمين معظم مصالحها القائمة ولو لمرحلة معينة، إذ أن المهم لديها مصالحها المحلية والإقليمية بدرجة معينة ولا تأسف على فقدان حليف مهما طالت مدة ونوع خدماته التي قدمها، وهذا ما تجلى في ثورات الربيع العربي التي أحدثت تغييرا في المشهد السياسي العربي وكذلك تغييرا واضحا لسياسات ومواقف الدول العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه دول الشرق الأوسط بصورة عامة والدول العربية التي حدثت فيها تلك الثورات والاحتجاجات بصورة خاصة.

وقبل إيضاح الاستراتيجية الأمريكية تجاه تلك الدول، لابد من القول أن الربيع العربي هو في حقيقة الأمر تحول تاريخي مهم شهدته المنطقة العربية بدء من تونس وانتهاء باليمن والسودان، ولقد ظهر مصطلح الربيع العربي لأول مرة، على لسان كبار صناع القرار السياسي الأمريكي، أثر الانتفاضات الشعبية التي جرت على الساحة العربية والتي أطاحت ببعض رموز النظام السياسي العربي الراهن، ومن ثم تداوله في معرض وصفهم للتغيرات الجارية على الساحة العربية والتي تعكس تغييرا واضحا في موقف الإدارة الأمريكية من حلفائهم بالأمس، الذين أطاحت بهم الانتفاضة الشعبية بتخليهم عنهم ومسايرتهم بشكل جلي للوضع الجديد.

إن التعرف على طبيعة الموقف الأمريكي من ثورات الربيع العربي يتطلب العودة إلى بدايات التفرد الأمريكي في العالم أو ما يسمى بالنظام الدولي الجديد بعد عام ١٩٩١ في أعقاب حرب الخليج الثانية وتفكك الاتحاد السوفيتي في عهد بوش (الاب) وأصبحت الولايات المتحدة هي القطب الأوحده على مستوى العالم.

وللنظام العالمي الجديد من الناحية المفاهيمية ثلاث ديناميكيات رئيسة حاکمة للتطورات والاتجاهات في النظام الدولي، يمكن الاستدلال عليها من خلال ما يأتي:

١- التفكيت : ويقصد به العمليات التي تجري لخلخلة الوحدة الإقليمية (Territorial Unity) والاندماج: الوطني للدول، وهذه الخلخلة من حيث المبدأ لها ثلاث مستويات:

أ-التفكيت (Deconstructions) ويقصد به تفكيك البنية الاقتصادية والسياسية والإدارية - والاجتماعية) في إطار الدولة سواء إدارية أو وظيفية، بحيث يؤدي إلى إضعاف الحكومة المركزية في الدولة ذات التعدد العرقي أو القبلي أو الديني بإعطاء صلاحيات متزايدة للمناطق الداعية للانفصال وتشجيع هذه الدعاوى وترسخ مناخ الاضطرابات المستمرة لمزيد من إضعاف الحكومة المركزية، بحيث يبقى الإطار العام للدولة قائما دون قدرة حقيقية على إدارة الأمور الداخلية والخارجية بكفاءة واستقلالية، نرى ظاهرة (التفكيت) واضحة وجلية في دول عربية مثل العراق، السودان، لبنان، سوريا، وليبيا واليمن، ومن أهم سمات حالة (التفكيت) إنها تضعف السياسة الخارجية للدولة وتسلب النظام الحاكم قدرته على اتخاذ مواقف جديّة وتجعله يعتمد على الدعم الغربي كأحد مصادر شرعيته ومن ثم يضمن الغرب بقائه ضمن منظومة التبعية فترة أطول.

ب- الانفصال (Separation)

ويقصد به تجزئة الوحدة الإقليمية الوطنية على أسس مختلفة (عرقية أو قومية أو طائفية) من خلال التفاوض، وهذا التفاوض قد يتم دون مرحلة عنف داخل حدود الدولة القديمة.

ج- انهيار النظام العام و انتشار الفوضى

وفي هذه الحالة يكون هناك اختفاء للسلطة المركزية وتبرز مراكز متعددة ومتصارعة وتكون هناك حالة من الانقسامية الشديدة داخل إطار الدولة وحتى على مستوى كل جماعة أو تشكيل.

٤ - الفوضى البناءة

تعد نظرية الفوضى البناءة إحدى مستويات التفتيت للدول، ولا يمكن توضيح المعنى الفعلي لتلك النظرية دون ربطها بالتحويلات التي شهدتها السياسة أو الإستراتيجية الأمريكية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وترجع الخلفية التاريخية الاستراتيجية للفوضى البناءة إلى محاولة ترتيب أفكار ومعتقدات المحافظين الجدد وآبائهم المفكرين مع أفكار أخرى لعل أهمها مقولة (فجوة - الاستقرار) فهذه الفجوة حسب رؤى (هنتجتون) صاحب نظرية صدام الحضارات في معالجته للتنمية السياسية، تؤدي إلى زعزعة وخلخلة الاستقرار السياسي نتيجة لتولد الإحباط داخل المجتمع.

إن نظرية (الفوضى البناءة) تعني التدخل الأمريكي المباشر وغير المباشر في أي نظام إقليمي غير مستقر أو دولة ذات نظام حكم ديكتاتوري أو شمولي، بهدف خلق البيئة المناسبة لأحداث هزات عنيفة بمقومات هذا النظام أو الدولة، تكون قادرة بفعل التداعي الذاتي

للأحداث، على جعل أركانه تتقوض أو تتفكك مما يعطي الفرصة لبروز قوي حقيقية لم يكن يسمح لها من قبل بالظهور أو الوجود على الخريطة السياسية، أكثر تقبلا للتوجهات الخارجية الساعية إلى أن تأخذ الدولة الجديدة بالقيم الليبرالية الحديثة كما في التجربة الأفغانية والعراقية و في ليبيا وتونس.

٣- اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية أثناء انتفاضة الربيع العربي وما بعدها

تتلخص اتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي تحديدا بعدة نقاط أهمها :-

أ- الحفاظ على أمن منابع النفط وضمان تدفقه إلى العالم عموما، والغرب خصوصا، وكذلك الحفاظ على أمن إسرائيل، وإلى جانب هاتين الركيزتين الأساسيتين، أضيف لها هدف ثالث بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وهو محاربة الإرهاب ومعالجة أسبابه بعد أن ضربت العمليات الإرهابية عقر دار الولايات المتحدة ورموزها.

ب- إن سياسة أوباما في الشرق الأوسط تعكس فراغا في القيادة العالمية ويضعف هذا الفراغ من قدرة حكومات ما بعد النظم الاستبدادية للتغلب على التحديات الاقتصادية والمؤسسية الهيكلية التي ورثتها عن الحكم الاستبدادي.

ج- استخدام المساعدات الخارجية كوسيلة سياسية وأداة للضغط، وذلك بطريقة تعزز وتوثق الارتباط مع أهداف واستراتيجيات أوسع للولايات المتحدة.



شكل () مراحل الاستراتيجية الأمريكية من عهد الرئيس مونرو الى اوباما

جيوبولتيكية نقمة المكان

(كوردستان دراسة حالة)

يحظى المكان، وموقعه، في الدراسات الجغرافية باهتمام خاص و متميز، لما له دوره البارز في التحليلات الجغرافية في إظهار نتائج وتبعات ذلك الموقع، من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسلوكية والجيوبولتيكية، وبيان أثرها على مصير سكانه ومستقبلهم السياسي، سواء أكان ذلك المكان، إقليمًا، أو دولة، أو قارة بأكملها. وقد تمتع مكان كوردستان وموقعها الجغرافي، عبر التاريخ، بقيمة جيوسراتيجية و جيوبولتيكية كبيرة للاعتبارات التالية:

١- موقعها الجغرافي الخطير الذي جعل من جغرافيتها التاريخية مسرحا جيوبولتيكيا لتقرير نتائج ومصير العديد من المعارك الإمبراطورية، للعديد من الأمم الغازية "لوقوعها عند حافات تلك الإمبراطوريات وفي ملتقى طرق الحضارات" (Cart Dahlman, 2002, P.271) مشكلة بذلك جسرا يربط هضبة الأناضول بهضبة إيران والذي انتقلت عبره حضارات الشرق والغرب" (General Staff, 1920, P.1). وكما يقول البروفسور سولكي: إذا كان الشرق الأوسط هو ملتقى تلك الطرق العالمية فإن كوردستان هي قلب ذلك الشرق الأوسط". من هنا تنبع مطامع الحكومات والدول المجاورة واهتماماتها بارض كوردستان وجبالها وثرواتها، فهي حلقة الوصل الجغرافية الرابطة ما بين اواسط آسيا، وجنوب غربها من ناحية، وما بين قارات العالم القديم من ناحية ثانية.

كما انها تشكل الفسحة القارية التي تملأ معظم الامتدادات الجغرافية الواصلة ما بين أربعة مسطحات مائية هي: بحر قزوين

والأسود والمتوسط والخليج العربي، لذا فإن هذا الامتداد الجيوستراتيجي لهذه البلاد هو الذي يفسر اهتمام الإمبراطوريات القديمة والقوى المعاصرة بكوردستان، مثل روسيا القيصرية ثم الاتحاد السوفيتي ومن بعدهما كل من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

٢- مساحة كوردستان التي تقدر بـ (٥٠٠,٠٠٠) كيلومترا مربعا، والتي تعتبر من الحجم الكبير في مقاسات الدول حسب تصنيفات الجغرافية السياسية. تغطي معظم هذه المساحة سلاسل جبال زاغروس وانتي طوروس البالغ طولها في كوردستان حوالي ١٩٠٠ كم والممتدة من مشارف خليج الاسكندرونة غربا وحتى الزاوية الشمالية الشرقية للخليج العربي مشكلة إحدى دعائم القوة لهذه البلاد من الناحيتين الدفاعية والاقتصادية نظرا لامتدادها الجبلي المحيطي الواسع، إضافة إلى كونها كانت منذ العصور التاريخية، ولا تزال، (الوطن القومي للأمة الكردية)، و (موطن الكورد الأول) (دانا ادم شممت، بدون، ص ٣٤٢).

وفي الجغرافية السياسية، تحضي المساحة الكبيرة، باهتمام خاص عند حساب عناصر القوة الجغرافية الكامنة لأي إقليم أو دولة، لاعتبار ان اي بقعة منها يمكن أن تحتوي مستقبلا على موارد طبيعية غير مكتشفة، كما هو حال بترول كوردستان في العصر الحديث. لقد اثبتت التجارب التاريخية، كما يؤكد جمال حمدان، أن لكل شبر من الأرض قيمة سياسية، منظورة وغير منظورة، كامنة أو كائنة، فمنطق المساحة عمق استراتيجي هام وحاسم وشرط للحماية (جمال حمدان، ١٩٦٦، ص ٣٤٢). وبالتالي فإن اكتشاف النفط في كوردستان في

أوائل القرن الماضي منح هذه الأرض وموقعها ومساحتها قيمة وعنصر قوة إضافيين.

٣- أهميتها الاستراتيجية المتحكمة بقلب الشرق الأوسط، وممراتها ومفاتيح اجتيازها، التي كانت في نظر الغزاة عقدة ارضية تقف حائلا دون انجاز مطامعهم التوسعية شرقا وغربا، مغولا كانوا ام تتار، بيزنطيين أو اترك او عرب. يقول بافيج: "أن مطامع الدول المختلفة بكوردستان نابع اولا من أهمية موقعها الاستراتيجي كمنطقة دفاعية بالنسبة لإقليم الأناضول وبلاد ما بين النهرين وإيران" (بافيج، ١٩٧٨، ص ١٢)، وهي ايضا دفاعية ومن طراز خاص بالنسبة للكورد انفسهم، فالمساحة الكبيرة وطبيعتها الجبلية وشعبها الجسور منح قيمة إضافية لأهمية جبال كوردستان الاستراتيجية عبر كل مراحل التاريخ القديم والوسيط والمعاصر على حد سواء. لذا تقول ماريا بحق فيما يخص الأهمية الاستراتيجية لكوردستان أن موقع كوردستان شكل تاريخها، وحدد أهميتها الإقليمية والعالمية، وهو العامل الأساسي في فشلها في الحصول على الاعتراف الدولي بهويتها كدولة"، ولعل ابرز قول في الأهمية الاستراتيجية لكوردستان، كإقليم متميز داخل الحيز الجغرافي المنطقة الشرق الأوسط، ودور جبالها في حماية الشعب الكوردي واستقلاليتها الحضارية والثقافية، هو قول، الميجر بورتن: "أن جميع الإمبراطوريات الكبرى التي برزت وسقطت من حولهم، وكل الغزاة الذين عبروا من وطنهم من الشرق إلى الغرب وبالعكس، فشلوا جميعهم في ترويض الكورد وفرض ثقافتهم عليهم، فكل من الأشوريين والإغريق والرومان والبارثيين والفرس والعرب والمغول والترك جربوا ذلك وفشلوا في إخضاع هذا الشعب الجبلي" (Major Burton, 1944, P.72).

٤- وظيفتها الجيوبولتيكية البيئية العازلة، كسلاسل جبلية متصلة بشكل قوس محيطي كبير، بين اعراق مختلفة، كالهندوأوربية، الطورانية، والسامية. من جهة، وبين حضارات وثقافات مختلفة أيضا، كالتركية، والفارسية، والعربية من جهة ثانية، وبين اقاليم بينية متباينة كهضبة إيران وصحاريها الداخلية، وهضبة الأناضول شبه الجافة، وبادي العرب القاحلة. لذا فان بيئة كردستان الرطبة وشبه الرطبة، ومناخها البحر متوسطي، وغناها النباتي، والحيواني والزراعي، وامتدادها بين بيئتين فقيرتين طاردتين للسكان، شكلت إقليما أكثر إغراء للقوى الكبرى.

وكما يقول البروفسور رايت، أستاذ الجيولوجيا في جامعة منسوتا الأمريكية، حول الوظيفة الجغرافية لكوردستان: "أن هذه الجبال تفصل سهول ما بين النهرين عن هضاب إيران والأناضول، وتقسم جنوب غرب آسيا جيولوجيا، وفيزيوكرافيا، ومناخيا، وثقافيا، كما خدمت كحاجز مؤثر بوجه التدخل الثقافي بين شعوب ما بين النهرين وشعوب داخل تلك الهضاب، وإنها تشكل مراعى خصبة مغرية للرحل واشباه الرحل، سكان الأراضي الواطنة المحيطة بها، وفي الوقت نفسه أمنت لسكانها الكورد الجبليين معاقل حماية آمنة" (H. E. Wright, 1961, P.136)، وبسبب هذه الوظيفة الجغرافية العازلة لكوردستان، وامتدادها الشاسع، من خليج الاسكندرونة الى الخليج طولا، ومن جبال ارارات إلى جبال حميرين عرضا، وللموقع البيئي الذي تتمتع به، فقد أصبحت كردستان، كما تقول ماريا اوشيا: "بموقعها المحيطي هذا تؤدي وظيفة الإقليم أو المنطقة العازلة Buffer Zone من الناحية الجيوبولتيكية لأنها تحتل موقع التماس بين اقاليم العديد من الحضارات والأجناس" (Marsh, 1869, P.110).

ومن قوانين الوظيفة العازلة في الجغرافية السياسية هي أنها في الغالب، كما تقول مس سامبل، "تتولد منها دولة حاجزة" (Ellen Churchill Semple, 1911, P.440). ويمكن أن تكون جبال كردستان كذلك . نقمة المكان الجغرافي: كانت ايجابيات جغرافية هذه الجبال بكل تفاصيلها، عظيمة تجاه الشعب الكوردي في حمايته من الفناء، وفي عزلته الجغرافية، ومحافظته على حضارته وثقافته ولغته الخاصة، وعلى نقاء سماته الأنثروبولوجية، ومحافظته لفترة أطول على خصائص الأصول الهندو- اوروبية للأمة الكوردية، لكنها كانت في نفس الوقت ذات سلبيات شكلت نقمة جغرافية) عليه، فنوعت لهجاته، ونمت لدى أبنائه الروح الإقليمية والعشائرية، وحرمتهم من الوحدة السياسية، وتأسيس كيانهم السياسي المستقل، وحولت بلادهم الى ساحة للصراعات الدولية والإقليمية، فتعدد المصطرعين على بلادهم، محولين إياها إلى ميادين القتال الدامي، وملحقين بها الدمار الشامل لمرات عديدة. يقول مارك ميجر: "ان جبال كردستان كانت رحمة ونقمة على الكورد في تاريخهم الطويل ولعدة فترات، فالجبال المقفلة قدمت لهم الحماية من السيطرة الأجنبية، ووفرت لهم الملاجئ الآمنة للانطلاق في حروب العصابات، كما ان موقع الجبال المركزي (بالنسبة للشرق الأوسط) جعل من كردستان ممرا للتجارة الخارجية التي استفاد الكورد منها. ومن ناحية اخرى ساهمت هذه الجبال في عزل الكورد عن بعضهم، وعرقلت تطور وحدتهم الحضارية والثقافية واعاقت تأسيس دولة كبيرة لهم. كما ان موقعها جعل منها منطقة إنذار بالغ الأهمية لإمبراطوريات متنافسة عديدة منها الإمبراطوريتين الرومانية والعثمانية، لكن حرمان كردستان من السواحل البحرية جعل منها بلادا منسية في عالم التجارة البحرية المدة ٥٠٠ عام

الماضية لاعتبار أن الطرق البحرية أصبحت واسطة رئيسة للتجارة الإقليمية والعالمية" (Mark R. Major, 1996, P.21).

من استقراء إحداه التاريخ الكوردي، العسكري والسياسي، تؤكد لنا حقائق الجغرافية التاريخية والسياسية أن مكان كردستان لا زال يشكل حيزا جغرافيا يتمتع بقيمة جيوسراتيجية كبيرة وهامة في صراعات المنطقة، كما كان كذلك فيما يتعلق بالصراعات والحروب الكلاسيكية للقوى الإمبراطورية عبر التاريخ. لذا فإن جبال كردستان احتفظت بنفس الأهمية الجيوسراتيجية في العصور القديمة والوسطى والمعاصرة على حد سواء وهذه السمة، جعلت من بلاد الكورد أن تكون، هدفا مغريا، وعامل جذب لأطماع القوى الكبرى المجاورة والبعيدة، على حد سواء، مما عرضها على مر العصور لغزواتها وهجماتهم المدمرة والتي ساهمت في زيادة تخلفها وفقرها وفي تعدد ولاعات قبائلها، ومن ثم تجزئتها واحتلالها. ومع أن كردستان جغرافيا، كبلاد جبلية صخرية، توصف بكونها بيئة محدودة الإنتاجية، وكما تصف "المس سامبل" البيئية الجبلية بكونها بيئة غير مضيافة (Inhospitable highland) نسبيا، فإن موقع كردستان وجبالها البيئي، والذي سبق ذكره، كان يشكل حتما جغرافيا يجبر الغزاة على المرور عبر ممرات ومسالك جبالها، أو اختراقها، للوصول الى الجانب الآخر، لأنها أصبحت وكأنها منطقة عبور، ترانزيت، وكما تقول المس سامبل "أن وظيفة الجبال اشبه بوظيفة البحار والصحارى أنها منطقة ترانزيت وعلى الإنسان أن يخترقها بسرعة"، وهذا ما يمكن أن نسميه ب(حساسية المكان الجغرافي وإغراءاته) لكل أولئك الغزاة، مع ان أي منهم لم يفلح في تهجير سكانها الكورد، أو تغيير هوية بلادهم الاثنية،

أو سماتهم الحضارية، رغم مرور جيوشهم الجرارة عبر ممرات هذه البلاد.

٥- ان الأهمية الجغرافية الكبرى لمكان كردستان من النواحي العسكرية والاقتصادية جعلت من هذه البلاد مسرحا لمعارك كبيرة لجيوش أجنبية، في عهود بربرية القوة الشاملة، التي لا تعترف سوى بقوة السيف لتقرير النتيجة النهائية للحرب، لذا فان كردستان اصبحت حينذاك ساحة معارك لتقرير المصير الجيوبولتيكي للقوى المتصارعة والعابرة لجبال كردستان، أي إنها تحولت الى ساحة صراع لتقرير المصير، أو كما تسمى في الجيوبولتيكس، الى منطقة ارتظام (ensh Zone) بين الجيوش المتصارعة فوق ترابها. صحيح أن جغرافية جبال كردستان كانت لها منافع على الشعب الكوردي، من ملاذ آمن، واقتصاد ذو اكتفاء ذاتي، والمحافظة عليه من مخاطر الإبادة لتلك الغزوات والهجمات المدمرة، لكن هذه المنافع اثارت عليه نقمة وحسد الشعوب الأخرى القريبة والبعيدة معا، وهذا هو قدر الجغرافية الذي كان على الشعب الكوردي أن يتحمل نتائجه.

٦- لقد تحمل الشعب الكوردي الكثير من مآسي تلك الغزوات، سواء أكان مقاوما لها، او واقفا منها موقف الحياد، او أرغم على مواجهتها. فقد تعرضت قراه ومدنه وحقله ومزارعه وثرواته الحيوانية للنهب والسلب والتدمير، كما تعرض هو نفسه للكثير من اعمال السخرة والاضطهاد والقتل الجماعي والتهجير القسري لقبائله بالجملة الى خارج كردستان، فالغزاة لم يأبهوا بسكان المناطق التي تجتاحها جيوشهم، بقدر ما كانت تهمهم المكاسب العسكرية، وضم الأراضي، وتأسيس الإمبراطوريات، وتلك كانت تبعات التاريخ التي كان على الشعب الكوردي أن يتحمل نتائجه هي الأخرى، مرغما.

٧- وبسبب القدر الجغرافي وتبعاته التاريخية المشار إليها آنفاً، وانعدام سلطة كوردية مركزية في كوردستان الموحدة، تحولت ارض كوردستان الى ساحة تتصارع فوقها جيوش الإمبراطوريات المختلفة، فصبت الجغرافية، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، نقيمتها الجيوبولتيكية على الأمة الكوردية وبلادها بما نسميه ب(جيوبولتيكية نقمة المكان)، لأن الكورد في النتيجة تحملوا، هم وحدهم، تبعات موقع بلادهم البيئي والاستراتيجي بكل خصائص المكان الجغرافية، كإقليم متميز، دفاعيا واقتصاديا وبشريا، وسط اقاليم وبيئات فقيرة وحتم عليهم هذا الموقع الخطير والمتميز لبلادهم أن يدفعوا ضريبة هذا المكان)، الذي حدد مصيرهم السياسي، وتبعية بلادهم الإدارية السياسية وفقا لنتائج كل معركة كانت تدور بين المتصارعين من الغزاة.

٨- المكان والقوة

من مجمل ما تقدم لخصائص مكان كوردستان، وموقعها الجغرافي، يمكن التعميم بان اهميتها الجيوستراتيجية والتعبوية، وطرق إمداداتها جعلتها، في الجغرافية الكلاسيكية والحديثة لقارة اسيا ، واحدة من أهم الأقاليم الجبلية الضامنة للنصر والسيطرة لأية قوة، كبيرة ومنظمة، غازية لغرب اسيا، أن توفرت لديها إحدى هذه الفرضيات الجيوبولتيكية و الجيوستراتيجية:

١- ضمان قوة ضاربة منظمة تتمكن من اختراق الممرات الاستراتيجية لجبال كوردستان والتحكم بمفاتيح طرقها الشرقية والغربية، وتحويل هذه الجبال بسماتها الدفاعية ظهرا، من اجل التوسع والاندفاع نحو الجانب الآخر من كتلتها الجبلية.

٢- جر العدو الى معارك مصيرية في حافات نطاق هذه الجبال، وفي مواقع مختارة، لضمان النصر، أو إلحاق الهزيمة النهائية بقواتها

٣- ان استحالة تنفيذ الفرضيتين (١) و (٢) فإن جيوبولتيكية التمركز، أو احتلال نصف هذه المنطقة الجبلية، في الأقل، يجعل (توازن القوى) ممكنا بين القوتين الغازيتين، لأن السمة الدفاعية والأمنية والاقتصادية لهذه الجبال ستكون ممنوحة مناصفة لكل طرف.

٤- أن تعذر تحقيق (١) و (٢) و (٣) فإن الحل الجيوبولتيكي يفرض على احد الطرفين أن يتبنى اختيار تكتيك المعركة المصيرية في احد المواقع الجغرافية لهذه الجبال، أو في احد ممراتها الاستراتيجية او احد مواقعها الهامشية وضمان الانتصار على الطرف الأخر في معركة حاسمة وفرض الأمر الواقع عليه.

٩- نقمة المكان والحرب:

١- من عام ٦١٢ ق.م وحتى عام ١٥١٤م (اي عبر ٢١٢٦ سنة) لا نعتقد بأن وطننا زحفت عليه جيوش غازية، وعابرة، ومحتلة، ومدمرة في التاريخ القديم والوسيط والحديث، مثلما عانت ارض كوردستان من ويلات هذه الجيوش وصراعاتها القاسية لكل تلك الفترة الطويلة من الزمن.

٢- كانت لبعض تلك الغزوات آثار خطيرة، محليا، وإقليميا وعالميا. فقد قتلت تلك الحروب، التي دارت رحالها فوق ارض كوردستان، عشرات الآلاف من البشر، وغيرت نتائج معاركها معالم بعض الأقاليم الاثنية والديموغرافية، وقضت على حكومات وخلفت إمبراطوريات، لأن تلك الغزوات لم تكن لتلتزم بأي شيء من تقاليد الرأفة او الشفقة أو الرحمة حتى على سكانها المحليين، بل كانت تهتم، فقط،

باستراتيجية كسب الأرض والغنائم المادية والفتوحات العسكرية وتأسيس الإمبراطوريات لذا فان ارض كوردستان كانت تبعا لذلك ساحة لتلك المعارك المصيرية التي خاضتها جيوش تلك القوى الأجنبية المتصارعة والمتنافسة التي غيرت بعض غزواتها، تاريخ المنطقة لفترة غير قصيرة من الزمن، لكنها في كل الأحوال لم تستطيع تغيير معالم كوردستان الاثنية، كوطن قومي للشعب الكوردي، مع أن اوطانا اخرى تغيرت سماتها الاثنية بسبب الهجرات البشرية التي تسببت بها تلك الحروب.

٣- لقد فرضت جغرافية المكان على الأمة الكوردية أن تواجه أو أن تتحمل، مرغمة، ما آلت إليه نقمة هذه الجغرافية من ويلات على بلادها جراء تلك الهجمات والغزوات الدامية سواء أكانت آتية من الشرق: من اسيا الوسطى، أو من الغرب: من اليونان او ارض العرب. فالغزاة الأتون من الشرق (الفرس، المغول، التتار، والتركماني)، كان عليهم أن يجتازوا جبال كوردستان واحتوائها قبل أن يتمكنوا من الهبوط غربا نحو سهول بلاد ما بين النهرين او دخول الأناضول. وعلى عكس ذلك، كان على غزاة الغرب (كالمكدونيين والبيزنطيين والعرب والترك) أن يجتازوا كذلك جبال كوردستان واحتوائها ليتمكنوا من التوجه شرقا نحو إيران واسيا الوسطى، فبدون ذلك فان جغرافية المكان لجبال كوردستان كانت تشكل عقبة كأداء أمام أي اجتياح عسكري لها ما لم تقدم في سبيل ذلك تضحيات جسام. وان تصادف أن تواجه قوتان متصارعتان لاحتواء كوردستان وتعذر على أي منهما تحقيق ذلك الاحتواء، وتخذق كل طرف فوق نصف أو جزء من هذه البلاد، فأن من شأن ذلك، ان يخلق بينهما نوعا من توازن القوى. عندئذ سيكتفي كل طرف باحتلال ذلك الجزء والتخذق فيه فترة، قد

تطول أو تقصر، ومعنى ذلك ابتلاء الأمة الكوردية بأكثر من محتل واحد، في زمن واحد، لأراضيها.

٤- لقد تم اختيار خمسة معارك تاريخية حاسمة كنماذج صارخة على خطورة الموقع الجغرافي لأرض كوردستان بطبيعتها الطبوغرافية الجبلية ووظيفتها الجغرافية البنينة والعازلة وبإمكانياتها الاقتصادية الزراعية والرعية المتواضعة. فهذه المعارك المصيرية، باستثناء الأولى منها، والتي دارت رحاها جميعا فوق المسرح الجغرافي لهذه البلاد الكوردية، كان لها شأن خطير في مجمل التاريخ الكوردي، وتاريخ المنطقة والعالم القديم بأسره، لأنها دلت بما لا يترك الشك أو الشبهات على (جيوبولتيكية نقمة مكان كوردستان) على الأمة الكوردية، لأنها كانت الأمة الوحيدة المتضررة من هذه النقمة الجغرافية رغما عنها، أما المعارك الخمس حسب تسلسلها الزمني فهي:

١- معركة نينوى عام ٦١٢ ق.م.

٢- معركة كوكامبلا عام ٣٣١ ق.م.

٣- معركة نهاوند عام ٦٤٢ م

٤- معركة ملاذكورد عام ١٠٧٠م.

٥- معركة جالديران عام ١٥١٤م.

وفيما يلي أهم النتائج الجيوبولتيكية المترتبة على نتائج هذه المعارك:

١- معركة نينوى ٦١٢ ق.م:

كان الميديون في صراع دائم مع الآشوريين، مثلما كان البابليون يواجهون، هم أيضا، الضغوط الآشورية. لقد أرهبت الدولة الآشورية، بغاراتها المتكررة على القرى والمستوطنات الميدية، سكان ميديا الذين كانوا يدافعون عن بلادهم ضد تلك الهجمات قبل وبعد تأسيس الدولة الميدية ولحين سقوط الدولة الآشورية وانتهاء دورها في التاريخ القديم. لم يخطط الميديون هجومهم الشامل والنهائي على بلاد آشور إلا زمن ملكهم الثاني كيخسرو (cyaxares) للإطاحة بهذه الدولة التي لازمتهم العداء. ففي ٦١٥ ق.م جهز الملك الميدي كيخسرو جيشا منظما من المشاة والخيالة والعربات الحربية لضرب قلبي المملكة الآشورية، مدينتي آشور ونيوى، من جهتي الشمال والشرق والغرب، وتم له ذلك في عام ٦١٤ ق.م فدمر مدينة آشور أولا، وفي عام ٦١٢ وصلت القوات البابلية بقيادة الملك نبوبلاسر، للمساهمة في ذلك الحصار، من الجنوب والغرب والتعاون مع القوات الميدية في إسقاط الدولة الآشورية، وعند اسوار نينوى اتفق الملكان، الميدي والبابلي، على عقد معاهدة تعاون عسكري لضرب وإسقاط الدولة الآشورية واحتلالها (فؤاد حمه، ٢٠٠٦، ص ١٩). وقد عززت هذه المعاهدة، فيما بعد، بزواج ملكي حيث زوجت الأميرة (آماتيس) ابنة الملك الميدي كيخسرو الي نبوخذ نصر بن الملك البابلي نبوبلاسر (Herodotus, 1966, P.341).

وفي عام ٦١٢ ق.م ساهم الجيشان الميدي والبابلي في معركة نينوى بعد حصار لها دام ثلاثة أشهر، أسفر عن اجتياح المدينة وتدميرها وقتل وأسر من فيها وكان من بين القتلى آخر ملوك آشور (سن- شار- اشكوم). وبموته ماتت الدولة الآشورية التي اقلقت

المنطقة فترة طويلة من الزمن، وتشكلت على انقاضها قوتان عظيمتان، بمقياس الجغرافية السياسية لذلك الزمن، هي: الإمبراطورية الميديّة التي امتدت ارجاؤها من افغانستان شرقا وحتى نهر (هاليس) قزىل ايرمق في وسط تركيا الحالية"، والدولة البابلية التي امتدت الى الغرب منها في الهلال الخصيب وكان السور الميدي في وسط العراق الحالي يفصل ما بين اراضي الدولتين الحليفتين.

ان احد التفسيرات الجغرافية، للصراع الميدي-الاشوري، يعزى الى تفاوت قدرات بينتي الطرفين، جبال ميديا وسهول نينوى. لذلك تقول المس سامبل (ان السهول تملك ما لا تملكه الجبال، هذه حقيقة اساسية في الجغرافية الاقتصادية، فقد قاد ذلك الى أحداث تاريخية وصراعات، وما هجوم الميديين الجبليين على اشور وتدميرهم لنينوى الا صراع من هذا النوع.

من نتائج معركة نينوى هذه تحول جيوبولتيكية (نقمة المكان) لأول مرة في التاريخ الكوردي القديم لتصب غضبها على الدولة الاشورية أولا، وبالمنفعة على الأمة الكوردية ثانيا، فبعد هذه المعركة تحرر الشعب وخضعت كل سلاسل جبال زاجروس (كوردستان) وانتي طوروس لجيوش الميديين، وهذا مكن الشعب الميسدي من أن يصبح قوة كبرى مهابة الجانب في غرب اسيا حكمت من عام 700 - 550 ق.م، هو عمر الإمبراطورية الميديّة الكوردية (Henry Smith Williams, 1926, P.380)، وهذا ما يتلاءم مع الفرضية الأولى من الفرضيات التي سبق ذكرها.

٢- معركة كوكاميللا (Gaugamela) عام ٣٣١ ق.م.

كان قدر كوردستان أن تدور رحى هذه المعركة الطاحنة، بين جيش الاسكندر المكدوني، وجيش داريوس، إمبراطور الفرس آنذاك، على ارض كوردستان شمال غرب مدينة اربيل بحدود ٩٠ كم، فوق رابية دعيت بـ (كوكاميللا)، لذلك تعرف هذه المعركة احيانا بمعركة اربيللا، وذلك في اليوم الأول في شهر تشرين الأول من عام ٣٣١ ق.م. وبموجب الأسلوب الكلاسيكي للمعارك، فان اي معركة كان عليها أن تستمر لحين هزيمة احد الطرفين المتحاربين، فبعد ان انتصر المكدونيين، خسر الفرس خلال هذه المعركة ٤٧٠٠٠ قتيلًا، مقابل ٤٠٠٠ قتيلًا من الجيش المكدوني، وهي ثاني أكبر معركة ينتصر فيها الاسكندر المكدوني على داريوس بعد معركة ايسوس عام ٣٣٣ ق.م. وبهذا النصر للمكدونيين تحولت كوردستان، بسبب نقمة المكان ايضا، إلى إحدى مقاطعات الإمبراطورية المكدونية. ومع ان الاسكندر لم يتدخل في تغيير اي من تقاليد وممارسات الإدارات القبلية الكوردية، فقد ساعد ذلك على ترسيخ الهيمنة الكوردية على جبال زاغروس "كوردستان" (Barry Porter, 2002, P.17).

ومن وجهة النظر الجيوبولتيكية ليس هناك من شك في أن هذه المعركة غيرت مجرى تاريخ غرب اسيا برمته، فقد خضع هذا الجزء الواسع من القارة، بما فيها كوردستان، للسيادة الهيلينية القرون عديدة، وتأثر سكانها بالثقافة اليونانية الكلاسيكية علما واديا. وهذا الانتصار الساحق لاسكندر المكدوني في الموقع الذي اختاره، يتفق والفرضية الثانية من الفرضيات التي اعتمدها البحث.

٣- معركة نهاوند عام ٦٤١ ميلادية:

تعتبر معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي والتي حدثت زمن خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٢م قرب بلدة نهاوند الكوردية عمق جبال زاغروس، والتي انتصر فيها المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن مع انه قتل في نفس المعركة (الطبري، ١٩٩٨، ص ٣١٨) زج الملك الفارسي يزدجرد الثالث بما تبقى من فلول جيوشه المهزومة في القادسية وطيسفون (المدائن) وبحدود ٥٠٠٠ مقاتل، مقابل ٣٠٠٠٠ الف مقاتل من المسلمين. لكن الهزيمة النكراء فوق ارض كوردستان الحقت بالفرس، الذين بهزيمتهم، انتهى حكم الدولة الساسانية بعد ان دام ٤١٦ سنة. وتبعاً لهذا الانتصار الساحق للمسلمين، والذي عرف (بفتح الفتوح) (عز الدين أبو الفتوح، ١٩٨٩، ص ١٨٦)، فقد تمكن المسلمون العرب من عبور جبال كوردستان والتوجه منها شرقاً حتى تخوم الصين، وبسبب نقمة المكان انتقلت التبعية الإدارية والسياسية لكوردستان، هذه المرة، من الفرس الى العرب، فأصبحت كردستان جزءاً من ممالك الدولة العربية الإسلامية، وكما تقول السيدة عايذة العلي: كانت من احدى النتائج المترتبة على فتح إيران ودخول العرب الى المناطق التي يسكنها الكورد والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية الساسانية وأصبحت في عداد مناطق الخلافة العربية المترامية الأطراف، كما وانتقل سكانها من الديانة الزردشتية إلى الديانة الإسلامية، وبذلك اكتسبت الأمة الكوردية سمة حضارية جديدة كان لها تأثيرها في مسار التاريخ الكوردي اللاحق. وهذا الانتصار يتفق ومتطلبات الفرضية الثانية اعلاه.

٤- معركة ملاذكورد Manzikert ١٠٧١م:

تعرف هذه المعركة في المصادر الانكليزية ب (Manzikert battle) أو (Malazgirt) والأصح هي (Mlazkurd) وملاذكورد هي مدينة كردية تقع شمال بحيرة وان، ضمن ولاية موش، في كردستان وتركيا. والمعركة التي دارت بجوارها والتي عرفت باسمها كانت من المعارك التاريخية الدامية التي دارت رحاها في قلب الاراضي الكوردستانية بين جيش البيزنطيين بقيادة الملك رومانوس، والسلاجقة الأتراك بقيادة زعيمهم الب ارسلان قادمين من أواسط آسيا والمتجهين غربا نحو كردستان و غرب الأناضول وبلاد ما بين النهرين. لقد قدر عدد الجيش البيزنطي بحدود ٤٠٠٠٠ مقاتل، قابلهم فيها جيش بدوي سلجوقي تعداده ٥٤٠٠٠ مقاتل. وكان من نتائجها الخطيرة والمؤثرة، ليس في تاريخ الشرق الأوسط وحسب، بل في تركيبته الاثنوغرافية، وتشكيلية السكانية، ونظامه السياسي، وبخاصة بالنسبة لآسيا الصغرى وما وراء القفقاس

يقول المؤرخ المشهور سدني فشر: بعد معركة ملاذكورد ١٠٧١ نهبت العصابات التركية اسيا الصغرى حتى مدن سيواس، قيصري، وقونية والى شواطئ مرمرة، وبعد أن فتحت أسيا الصغرى كلية للغزاة لمدة تزيد عن قرن، وجدت العديد من القبائل الرحالة التركية ان مناطق وجبال وممرات الأناضول جذابة للسكن والاستقرار فسمي هؤلاء بالتركمان.

لقد انتصر السلاجقة الغزاة في هذه المعركة ودحر البيزنطيون واسر ملكهم. وتغيرت تبعية الأقاليم الإسلامية، الإدارية والسياسية، بما فيها كردستان. فنقمة المكان هذه المرة تتمثل في خضوع كردستان لحكام جدد أكثر قسوة وفضاضة من سابقهم، ألا وهم

أترك آسيا الوسطى، فأصبحت اللغة والحضارة التركية، باعتبارها حضارة الحكام الجدد، ثقافة السلطة الجديدة التي فرضت بالإكراه ولم يتقبلها الشعب الكوردي. بعدها بدأت الهجرات التركية من آسيا الوسطى بكثافة نحو القفقاس وأذربيجان وآسيا الصغرى وبخاصة بعد أن عثش السلاجقة في هضبة الأناضول، والجزء الغربي في آسيا الصغرى. هكذا تسببت نقمة المكان، وتغير موازين القوى المسيطرة، في أن أصبحت كوردستان، في كل مرة، إقليمًا تابعًا لسلطة، فبعد أن كانت خاضعة للفرس، انتقل خضوعها على التوالي للمكدونيين والعرب ثم البيزنطيين فالسلاجقة الأتراك. وهذا يتفق ومتطلبات الفرضية الرابعة المذكورة أعلاه.

إن أخطر ما مارسه السلاجقة والموجات التركية اللاحقة ضد الأقاليم، التي اجتاحتها واحتلوها وحكموها، هو محاولتهم العبث في مكونات تلك الأقاليم الإثنوغرافية ومحاوله تتركهم وتهجيرهم بالقوة، وفرض لغتهم وحضارتهم عليهم بالإكراه، وخاصة بعد أن انتشرت جيوشهم القاسية التي خلت ضمائرهم من الشفقة أو الرحمة، فنهت المحاصيل وهدمت البيوت وخطفت النساء واحتترقت الحقول والبساتين وهجرت السكان، كما حدث ذلك في أذربيجان التي تمكنوا من تتركها، وكذلك تترك هضبة الأناضول والقسم الغربي في آسيا الصغرى، ومن ثم توارثوا الحكم، بعد إسلامهم، الذي ساعدهم على فرض سلطتهم وسياستهم تلك. ولعل أخطر ما في نتائج احتلال السلاجقة الأتراك لكل الأراضي الممتدة من أواسط آسيا حتى القدس، كما يقول فيرجريف، هو بدء الحروب الصليبية في ذلك الوقت لأنهم قضوا على الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣.

وما يهم هنا هو فشل كل محاولات الغزاة الأتراك، من سلاجقة، وخرقان بيضاء، وسوداء، وعثمانيين وغيرهم، في تترك الأمة الكوردية أو فرض حضارتهم على كوردستان. رغم أنهم تركوا، بعد هذه المعركة، الباب مفتوحاً للهجرات التركية أو التركمانية نحو الشرق الأوسط. لقد حاول الأتراك بمختلف فصائلهم اقتحام كوردستان وتشجيع الترك أو التركمان على السكن فيها، لكنهم واجهوا مقاومة بطولية عنيفة من قبل القبائل الكوردية المحاربة التي حالت دون تنفيذ ذلك المخطط الأسود، لذا نجد اليوم ان الاثنية التركية أو التركمانية تتركز في إقليمين محيطين بكوردستان الأول شرق كوردستان، في أذربيجان، والأخر في غربها، وسط الأناضول وغرب آسيا الصغرى، أما كوردستان الجبلية، التي تتوسطها، ضلت عصية عليهم ولم يفلحوا في تغيير اثنياتها الكوردية مثلما غيروا أثنىة أذربيجان الفارسية، وآسيا الصغرى الأرمنية والهيلينية واليونانية. فحول هذا الموضوع يشير الكاتب الإيراني حسن عرفه، في كتابه (The Kurds) مايلي عن دور جبال كوردستان في ذلك: لم يجرؤ الأتراك على السكن في كوردستان، فبعد تتركهم لأذربيجان عبروا جبال كوردستان من بعض مسالكها ليدخلوا السهول الخصبة لآسيا الصغرى متجهين نحو بحر إيجه غرب الأناضول وشواطئ البحر المتوسط الدافئة فاستقروا فيها مختلطين مع السكان الأصليين لتلك المناطق من الكبادوكيين والفريجيان والليديين والميسيين والكيريانز والبمفيليانز وأدابوهم معهم في اقل من قرن من الزمان، أن عدم تمكن الأتراك من الاستقرار في جبال كوردستان التي تقطنها القبائل الكوردية الشرسة يعكس الحقيقة القائلة، أن بين المنطقتين التي يتكلم بها شعب باللغة التركية - أذربيجان في الشرق والأناضول في الغرب بقيت المنطقة الواسعة الممتدة بينهما، ارض كوردستان، التي ضل الشعب الكوردي

محتفظا فيها بلغته النقية وبعاداته المعروفة لحد الآن، دون تأثر، رغم أنهم لم يتمتعوا بأى استقلال سياسي، لذا بقوا تحت سذاجة حكامهم وإداراتهم وتبعيتهم للسلطة السياسية المتسلطة عليهم مما اكسبهم سمعة لا تليق بهم، فقد ألحقت بهم سمة العصيان ومخالفة القانون وغير ذلك من النعوت الباطلة (Hassan Arfa, 1966, P.9) . لقد كانت هذه التهم اسهل الإدانات للأفراد والجماعات والقبائل الكوردية، عند جميع القوى التي تسلطت وحكمت بلاد الكورد، طالما ظل الشعب الكوردي موحدًا صامدًا بوجه طغيان تلك السلطات الأجنبية ورفضًا لها فكما يقول مولتكه، المستشار العسكري الألماني زمن السلطان محمود: "سوف يكون من المستحيل التغلب على الكورد إذا ما وحد صفوفهم" (كونتر دشنر، ١٩٩٢، ص ٧٠).

٥- معركة جالديران (Chaldiran):

احد اشهر المعارك التي خاض غمارها الأجانب فوق اديم كوردستان. وقعت هذه المعركة فرق سهل جالديران، قرب قرية جالا آشاخي، على بعد ستة كيلومترات الى الغرب من مدينة سياجه شمه، جنوب مدينة ماكو الكوردستانية، في ١٥١٤م بين الجيش الإيراني (الصفوي) بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي والجيش العثماني (التركي) بقيادة السلطان سليم الأول، حيث حشد الإيرانيون جيشا بلغت تقديراته ١٠٠٠٠٠ مقاتل، في حين جند العثمانيون لهذه المعركة بحدود ٤٠٠٠٠ مقاتل.

قدر الجغرافيا هذه المرة في أن تدور رحى هذه المعركة فوق كوردستان، مرة اخرى، ليتحمل الشعب الكوردي اوزارها الماساوية، كما حدث له في المعارك السابقة. فقد حاولت الدولتان المتجاورتان المتنافستان احتلال جبال كوردستان لأهميتها الاستراتيجية

والاقتصادية، لكن أي من القوتين لم يتسنى لها تحقيق ذلك لتمرکز قوات كل منها في جزء من هذه الجبال، فكل دولة كانت لها اهدف محددة فيها، فالإيرانيون خاضوها من اجل احتلال كوردستان بالكامل لدرء خطر تأسيس إمبراطورية سنوية معادية على حدودهم الغربية، بينما أمل العثمانيون منها كسر شوكة الفرس والحد في تداخلاتهم ومعاداتهم الدائمة لدولتهم الفتية، وكان الطرفان يعتمدان على اهمية جبال كوردستان ومنعتها في تحقيق ذلك، لكن النتيجة كانت في صالح الدولة العثمانية حيث دحر الجيش الفارس وأسر ملكه فيها، بعد أن خسروا فوق ارض المعركة ٥٠٠٠ قتيل، مقابل ٢٠٠٠ قتيل من العثمانيين . وهذا ما يتفق والفرضية الثالثة اعلاه.

ولعل اهم اسباب هزيمة الفرس في هذه المعركة، التي حددت مستقبل العلاقات السياسية بين الدولتين ورسمت معالم الحدود الفاصلة بينهما، وشطرت ارض كوردستان الى قسمين، هو ان العثمانيين استخدموا لأول مرة المدفعية التي اخفيت عن انظار الفرس لحين استخدامها في المعركة، وكان من نتائج هذه المعركة بالنسبة للعثمانيين هو توغل الجيش التركي في الأراضي الإيرانية حتى عاصمتهم تبريز" ثم انسحابه منها، بعد أن ضمنوا سيطرتهم على كوردستان الشمالية والجنوبية. انهدت هذه الحرب التمردات العلوية داخل الدولة العثمانية كما انهدت التهديدات الإيرانية للدولة العثمانية لكنها لم تنهي الحرب بينهما والتي استمرت ١٢٤ سنة أخرى بينهما حتى انتهت بتوقيع معاهدة زهاو عام ١٦٣٨م والتي حصلت بموجبها إيران على المناطق ذات الغالبية الشيعية مثل أذربيجان ولورستان و عربستان، اما القسم الغربي من كوردستان فخضع للعثمانيين وفقدته إيران بشكل دائم، فالحروب اجبرت الطرفين على رسم الحدود الدولية

بينهما وان نصبح كردستان منطقتي نفوذ للدولتين، بمعنى ظهور اول تقسيم دولي للوطن الكوردي، وهكذا جعلت نقمة المكان من الوطن الكوردي، كما يقول ديفد رومانو: "نقطة التقاء للإمبراطوريتين العثمانية والفارسية، وهذا كان يعني أن العديد من الإمارات الكوردية استخدمت كمناطق حاجزة او ارض معارك بين هاتين الإمبراطوريتين" (David Romano, 2006, P.3). وهذا ما يتفق الفرضية الثالثة التي سبق ذكرها بسبب حصول كل طرف على الميزات الاستراتيجية لذلك الجزء الجغرافي من كردستان، الذي احتله وتمسك به، وهذا الوضع الجيوبولتيكي ربما هو الذي ساعد على إيجاد نوع من توازن القوى بين الطرفين.

اما على الصعيد الكوردي فقد أرغمت جيوبولتيكية نقمة المكان في هذه المعركة، الدولة العثمانية على القبول باستقلال الإمارات الكوردية ضمانا وتأكيدا لحماية حدودها في هذا الجزء من كردستان ضد التوسع الإيراني والتسليم بإداراتها الذاتية تحت قياداتها المحلية. وجدير ذكره هنا (ان الأمراء الكورد وقعوا بعد هذه المعركة، في عام ١٥١٦ مع الدولة العثمانية على اتفاقية مكنت الدولة العثمانية من إلحاق كردستان الكبرى (الأصح النصف الغربي منها) بالدولة العثمانية مقابل احتفاظ الكورد بإماراتهم وحكوماتهم ذات الحكم الذاتي. إلا كسواتر دفاعية امامية للدولة العثمانية لمواجهة الدولة الصفوية الشيعية، وكان ذلك التوجه العثماني يمثل ضرورة أمنية لخدمة تلك المرحلة وليس إيمانا منها بحقوق الكورد الوطنية والسياسية، لذا فان الأمر لم يدم طويلا، فسرعان ما انقلب السلاطين العثمانيين اللاحقين على الكورد، وخاصة بعد حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٩-١٨٩٠)، إذ أصدرت الحكومة العثمانية عام ١٨٢٦ قرارا بالقضاء

على الإمارات الكوردية وامرت بتعيين حكام ترك محلهم، مما ادى الى توالي الثورات القومية الكوردية في تلك الدولة.

يتضح من كل ما تقدم أن جيوبولتيكية نقمة المكان، أي تحول دور وأهمية مكان كوردستان، من ارض جبلية لحماية وصيانة ووحدة الأمة الكوردية واستقلالها السياسي الى ساحة تتصارع عليها الجيوش الأجنبية الغازية طمعا في احتلال كوردستان، للتوجه بعدها إلى الأقاليم التي تمتد بعدها، وتحويل جبال كوردستان الى ميدان لصراع القوة عبر ذلك الزمن الطويل، وانعكاس مرارة ذلك الصراع على اهل البلاد فضلا عن تقسيم وتجزئة كوردستان، هو الذي جعلنا نعبر عن تلك الأحداث بـ (نقمة المكان) على اهله. وهذه النقمة أوصلتنا إلى الاستنتاجات التالية:

١- ان الموقع الجغرافي لكوردستان (مكانها) هو الذي شكل تاريخها منذ أن وجد الشعب الكوردي فوق جبال كوردستان منذ الألف الثالث ق.م وحتى يومنا هذا، وهو الذي حدد اهميتها الجغرافية والجيوسراتيجية، الإقليمية والدولية. كما أن نقمة المكان وما ترتبت عليه نتائج معارك كل الغزاة الأجانب من اضطهاد ومظالم وتقسيم لأراضي بلادهم وضمها واحتلالها، كان العامل الحاسم في فشل كوردستان في الحصول على استقلالها الكامل ونيل الاعتراف الدولي بهويتها كدولة ذات سيادة لحد الآن.

٢- تشير هذه الأحداث التاريخية ونقمها، التي لحقت بالشعب الكوردي بوضوح لا لبس فيه، إلى أن تلك القوى الغازية، العابرة أو المقتحمة، لجبال كوردستان، شرقية كانت أم غربية، كانت كلها قوى منظمة بخلاف الشعب الكوردي الذي كان مشتتا بين قبائل أو إمارات صغيرة وبدون قيادة مركزية موحدة، وحسبما يقول المؤرخ القدير ال. فشر

"ان القوة المنظمة تستطيع دائما أن تهزم الراي غير المنظم" (فشر، بدون، ص ٨)، وهذا يعني أن الأمة الكوردية كانت ولا تزال أحوج ما تكون الى وحدة الكلمة، ووحدة القيادة، لتجاوز مخاطر وتهديدات نقمة المكان التي لا تزال قائمة.

٣- ان كل القوى التي غزت الشرق الأوسط، بما فيها كوردستان، بدوية كانت ام حضارية، كلها كانت قوي منظمة منضبطة تحت قيادة موحدة، لذلك كسبت المعارك واسست الدول والإمبراطوريات، في حين كان الشعب الكوردي شعبا قريبا مفككا يفتقر للقيادة الموحدة، وكان هذا هو السبب الذاتي المزمّن في عدم حصوله على استقلاله، وتشكيل دولته، وبقائه تابعا، وبلاده مجزأة ومدمجة ببلدان أربع حتى الوقت الحاضر.

٤- أن جيوبولتيكية نقمة المكان وما ترتب على نتائج المعارك التي عالجها البحث فإن الباحث توصل الى الفرضيات الجيوبولتيكية الثلاث التالية بخصوص القوى التي تناوبت السيطرة على كوردستان:

** أن القوة التي كان بإمكانها السيطرة على جبال كوردستان، كان بإمكانها امتلاك مفاتيح النصر شرقا وغربا.

** أن القوة التي تمتلك تلك المفاتيح، كان بإمكانها السيطرة على الأقاليم المجاورة، واحتلالها، وتأسيس الإمبراطورية

** أن القوة التي ليس لديها مثل هذه القدرات وتمركزت في جزء من هذه الجبال وتخذقت فيه، فان من شأن ذلك، أن يمنحها نوعا من توازن القوى فوق ارض كوردستان، مع أية قوة منافسة اخرى، أوقات الحرب.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- أحمد ثابت، الاقتصاد السياسي للصراع حول آسيا الوسطي بعد ١١ سبتمبر، سلسلة أوراق آسيوية، مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، العدد ٤٥، أغسطس ٢٠٠٢.

أحمد سليم، جيوبوليتيكا الأمن العربي، الجمعية العربية للعلوم السياسية، العدد ١٥، يوليو ٢٠٠٧.

أ، ل، فشر، (تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٨ - ١٩٥٠)، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، ط١، القاهرة، بدون سنة طبع.

٢- الأمم المتحدة : بيئة المرور العابر في الدول غير الساحلية في آسيا الوسطى وجيرانها من بلدان المرور العابر النامية ، الجمعية العامة، الدورة ٥٨ ، أغسطس ، ٢٠٠٣.

٣- _____ : قانون البحار - اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، نيويورك، ١٩٨٨.

٤- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، طرابلس، الجماهيرية العظمى.

اندرو باسيفيتش، الإمبراطورية الأمريكية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤.

٥- جاسم سلطان، جيوبوليتيك، تمكين للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

٦- جمال الشوفي، جيوبوليتيكا الدوائر المتقاطعة: سوريه في عالم متغير، مركز حرمون للدراسات، الدوحة، ٢٠١٨م.

٧- جمال حمدان، الجماهيرية الليبية - دراسة في الجغرافيا السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.

- ٨- _____، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ٩- _____، شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ٩- _____، سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.
- جيمس فيرجريف،** (الجغرافيا والسيادة العالمية، ترجمة علي رفاعة الأنصاري ومحمد عبد المنعم الشرقاوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٩).
- ١٠- **خليل عبد المجيد أبو زيادة**، طاجيكستان الإسلامية ماضيها وحاضرها، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر، ١٩٩٣.
- دانا ادم شمديت،** (رحلة الى الرجال الشجعان)، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، مكتبة دار الحياة، بدون سنة طبع
- ديفيد أتكينسون،** (التطور الجيوبولتيكي في ايطاليا الحديثة)، في كتاب: الجغرافية السياسية في مائة عام، الجزء الثاني،
- رايت،** (العصر الجليدي البلاستوسيني فسي كوردستان)، ترجمة فؤاد حمه خورشيد، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٩.
- ١١- **روربت كابلان، انتقام الجغرافيا:** ما الذي تُخبرنا به الخرائط عن الصراعات المقبلة وعن الحرب ضدّ المصير؟ ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، يناير ٢٠١٥، الكويت.
- عزالدين ابوالفتح علي،** (الكامل في التاريخ) ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٩.

- ١٢- **صبحي رمضان فرج**، السدود المائية في حوض النيل: دواعي التنمية وأدوات الضغط السياسي، مجلة قراءات تنموية، العدد ٣٣، يناير ٢٠١٥م.
- ١٣- **صلاح الدين الشامي**، الدولة دراسة في الجغرافيا السياسية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠١.
- ١٤- **عامر مصباح**، نظريات التكامل الدولي، دون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٨، ص ٧.
- ١٥- **عبد الله الامير عباس الحيايلى**، نهر الفرات والأمن المائي العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٩٩٥.
- ١٦- **عبد الحميد خيرت**، سبناء من الخلايا النائمة الى تنظيم القاعدة، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٠١٣م.
- ١٧- **عبد المنعم منيب**، مراجعات الجهاديين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ١٨- **عبد الناصر سرور**، الصراع الاستراتيجي الامريكي - الروسي في آسيا الوسطى وبحر قزوين وتدايياته على دول المنطقة من ١٩٩١-٢٠٠٧م، كلية الآداب، جامعة الاقصى، غزة، ٢٠٠٨.
- ١٩- **عطا الله سليمان الحديثي**، الدول الحبيسة الأفريقية: مشكلاتها ومناقضها، جامعة بغداد، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٦، ٢٠١٥.
- عمرو حمزاوي**، في مواجهة ذوي الرايات السوداء، الشروق، ٦ / ٢ / ٢٠١٥م.
- ٢٠- **فهد العصيمي** ، مأساة إخواننا في طاجيكستان، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ، ١٩٩٣.
- **فؤاد حمه خورشيد**، (اصل الكورد)، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٩.
- كونتر دشنر**، (احفاد صلاح الدين)، ترجمة عبد السلام مصطفى صديق، اربيل، ١٩٩٢.

٢١- **لطفى السيد الشيخ**، التنافس الأمريكي الروسي في منطقة آسيا الوسطى للفترة من ١٩٩١ حتى ٢٠٠١ م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٤ م .

٢٢- **ماهر حمدي عيش**، الجغرافيا السياسية والنظام الجيوبولتيكي العالمي المعاصر، الناشر المؤلف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ .

ماو تسي تونغ، مؤلفات ماو تسي تونغ المختارة، مجلد ١، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ١٩٩٨ .

٢٣- **محروس المعداوي**، مصر واتفاقية الكوميسا، المؤتمر الحادي عشر: الجغرافيا والتغيرات العالمية المعاصرة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، من ٢٥-٢٦ يوليو ٢٠٠٦ م.

٢٤- **محمد أزهر سعيد السماك**، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار الأمل للنشر والتوزيع ، اربد، الأردن، ١٩٨٢ .

٢٥- **محمد عبد السلام**، التقويم الجغرسياسي للعوامل الطبيعية المؤثرة في قوة الدولة: دراسة تطبيقية في الجغرافيا السياسية، مجلة كلية الآداب، جامعة دمياط، ٢٠١٣ .

٢٦- _____، الأهمية الجيوبولتيكية لمنطقة الكوميسا بالنسبة لمصر، بحوث المؤتمر الجغرافي الدولي الثاني (التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الإمكانات وطموحات الشعوب) والمنعقد بجامعة الدول العربية، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، من ٢-٤ فبراير ٢٠١٩ .

٢٧- _____، الموقع الحبيس ومشكلاته الجيوبولتيكية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، شعبة البحوث الجغرافية والاستشارات التخطيطية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، إصدار خاص، يناير ٢٠١٩ .

٢٨- **محمد رياض**، الاصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيكا، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢ .

٢٩- **محمد عبد الغني سعودي**، الجغرافيا السياسية المعاصرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٠ .

٣٠- محمد محمود الإمام، تجارب التكامل العالمية ومغزاها للتكامل العربي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٤، ص ١١.

٣١- محمود توفيق محمود، موقع الإمارات العربية المتحدة: دراسة في تحليل القوة، رسائل جغرافية، نشرة غير دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، العدد ١٠١، مايو ١٩٨٧.

٣٢- مركز دراسات الشرق الأوسط، الأزمة الليبية إلى أين؟، الأردن، العدد ١٣، مارس ٢٠١٧.

ميشال نوفل، إشكاليات المجال والسلطة والجيوبوليتيكا الاسلامية، شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، العدد ٢٥، ١٩٩٣.

٣٣- وزارة التجارة والصناعة: التمثيل التجاري المصري، الدليل التجاري لسوق " الكوميسا"، إعداد عمرو الكيلاني، منشور، أغسطس ٢٠٠٦.

٣٤- وزارة الزراعة، العلاقات الخارجية الزراعية، الإدارة العامة للدراسات الدولية والإعلام الخارجي، تنمية الصادرات الزراعية المصرية مع دول الكوميسا، دراسة اقتصادية، ٢٠٠٠.

٣٥- وزارة الخارجية، التمثيل التجاري، الإدارة الأفريقية، الكوميسا، ١٩٩٨، ص ١.

٣٦- وفاء عوض حامد، الخصائص المكانية لمواقع الجرائم الإرهابية في المملكة العربية السعودية، دراسة تطبيقية على مدينة الرياض باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠١١م.

ثانياً: المراجع الانجليزية:

- (1) Andre Gunder Frank., The Centrality of Central Asia, Amesterdam: vu university Press, 1992.**
- (2) Anton Barbashin and Hannah Thoburn, Putin's Brain, Alexander Dugin and the Philosophy Behind Putin's Invasion of Crimea, Foreign Affairs, March 31, 2014.**
- (3)Anwarul K. Chowdhury and Sandagdorj, Erdenebileg GEOGRAPHY AGAINST DEVELOPMENT: A Case for Landlocked Developing Countries , United Nations Office of the High Representative , New York, 2006.**
- (4)Barry porters (Battle of Gaugamela: Alexander versus Darius). Military History 6 September 17, 2002.**
- (5)Cart Dahlman (the political Geography of Kurdistan). Eurasian geography and economics. vol.43 & T. no. 4 ,2002.**
- (6) C.I.A. , The world fact book , 2005.**
- (7) Clapsa Dmitri, Geopolitical Thinking in Russia and New Foreign Policy Concept, Russia and the European Security System, POLS Student, February 2006**
- (8)Colin Gray, (The geopolitics of the nuclear era), Crane, Rusak, New York, 1977.**
- (9)David Romanos (The Kurdish National Movement: opportunity, mobilization and dentity (Cambridge University press New York... Top.T.**
- (10) Dikshit, R.D., Political Geography , New York, 1982.**
- (11) Dilip Hiro., Takikistan: Peace in Elusive, middle East international, 28 Apr, 1995.**
- (12)Dmitry Shlapentokh, Dugin Eurasianism: A Window on the Minds of the Russian Elite or an Intellectual Ploy? Studies in East European Thought, Vol. 59, No. 3 (Sep., 2007).**

(13) Donald W. Meinig, (Heartland and Rim land in Eurasian history), West political Quarterly, Vol.9,1901,p.OOT.

(14) Eland,I., Is chinese military modernization Athreat to the united states? Policy Analysis, No,465, the Cato Institute , washungton , DC, January 23, 2003.

(15) Ellen Churchill Semple. (Influences of Geographic Environment on the basis of Ratzel system of AnthropoGeography). Kentucky. 191 1.

(16) General staff Mesopotamia expeditionary forces Military report on Mesopotamia. (Aria 9). Central Kurdistan Simla. Government monotype presso 1920.

(17) Hassan Arfa. (The Kurds: An historical and political study) Oxford University Press London 1977.

(18) Henry L. Bretton, International Relation in the Nuclear age, State University of New York press, 1986.

(19) Henry Smith Williams (The historian history of the world). Vol.2. 14th Edition New York 1926.

(20) Herodotus ,(The History) penguin book, 1984.

(21) H. E. Wrights (Pleistocene glaciations in Kurdistan). Elscitaltier und Gegenroart ,Band 12 ,spite ,131-164 Ohringer ,Wurt 1 November 1961.

(22) Klaus J Dodds. Geopolitics, experts and the making of foreign policy, Area, Vol. 25, No. 1, March 1993.

(23) Major H. M. Burton (The Kurds). Journal of Royal Central Asian society, vol. Xxxi« part 1) January 1944.

(24) Mark R. Major (No friends but the mountains: assimilation of Kurdistan). Social Education vol.30. no3. 1996.

(25) Marsh. Dwight W..) the Tennesseean in Persia and Koordistan (Philadelphia: presbyterian Board of publication: 1869.

(26) Martin Ira Glassner, (Political Geography), Johnwiley&Son Ibc, New York, Singapore, 1993

(27) Saou Bernard Cohn, (Geopolitics: The Geography of International relations), Rawman&Littlefield publishers, Lanham, Boulder, New york, Y2009.

(28) Snow.T,& Others, Country Case Studies On The Challenges Facing Landlocked Developing Countries ,UNDP,2003.

(29) Soul Cohen, Geography and politics in a world divided, Oxford University Press, New York, 1963.

(30) United Nations Development Program, Human Development Report2002,Oxford University Press,New York,2002.

(31) United Nations Conference On Trade And Development ,Landlocked Developing Countries- Facts and Figures , New York, 2006.

(32) Novman J.G Pounds , "A Free and secure Acess to the sea" Annals of the Association of American Geographers, Vol , 49 , 1959 , pp. 256-268 .

(33) Richard Hartshorne , "The Polish Corridor" , Journal of Geography , Vol , 86 , 1987 , pp. 161-176 .

(34) The World's Water, Volume 8, Available

(35) Vernon Van Dyke, International Politics, Third Edition ,Meredith Corporation, New york,1970.



تجيب الجغرافيا السياسية عن سؤال: أين نحن الآن؟ في حين تجيب الجيوبوليتيك عن سؤال المستقبل وكيفية الوصول إليه.

والحقيقية أن الجيوبوليتيك أكثر متعة من الجغرافيا الصماء حيث أنها تتعامل مع الدولة ككائن حي له طموحه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها موازنا بينها وبين محيطه الإقليمي والعالمي مستعينا بالجيوبوليتيك من أجل ذلك، وهي بالتالي مفتاح السياسات القومية للدول ولا غنى عنها لأي مخطط استراتيجي أو متخذ قرار أو مهتم بالشأن العام.

الخلاصة إذن أن الجيوبوليتيك لأي مجتمع هي ثقافة سياسية متأثرة بالجغرافيا وهي هندسة لسياسة الدول الخارجية ومفسر لتحركاتها، لذلك لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبوليتيكياً.

ويأتي هذا الكتاب كأول كتاب مصري عن علم الجيوبوليتيك، وإن سبقته محاولات عديدة لدراسة هذا الفرع ولكنها عبارة عن أجزاء وفصول داخل كتب الجغرافيا السياسية، ولعل هذا الكتاب يكون خير معين للجغرافيين والسياسيين ومخططي الاستراتيجيات، ويؤصل لفرع جديد ويضع ملامحه العامة وطرق البحث فيه.